

منشورات اتحاد



القاهرة

مجلة المؤرخ العربى

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

المحتويات

٧	كلمة الافتتاح. للأستاذ الدكتور حسين محمد ربيع رئيس الاتحاد
٨	كلمة التحرير. للأستاذة الدكتورة زبيدة محمد عطا رئيس تحرير المجلة
١١	د. محمود أبو الحسن أحمد وظيفة الكومارخوس (العمدة) في مصر في العصر الروماني.
٢٥	أ. د. أحمد بن عمر الزيلعي الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصرى الجاهلي والإسلامي
٤١	د. أماني خليفة محمد علي البحر علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي
٩٧	د. مديحة محمد عبد العزيز الشرقاوي أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية ودورهم في النشاط البحري.
١٢٥	د. إبراهيم علي القلا وسائل الدعاية عند الفاطميين ٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م
١٦٩	د. حنان عبد الفتاح مطاوع الخنجر نموذج لتطوير صناعة السلاح في الأندلس.
٢٠٩	د. عائشة بنت مرشود حميد معركة الصنيرة أحداث ونتائج ٥٠٧هـ/١١١٣م.
٢٢٥	د. محمد أحمد محمد الكردوسي مدارس أسبوط في العصر المملوكي.
٢٦٣	د. محمد أحمد علي بهنساوي الصراعات الداخلية الحبشية في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية.
٢٨٧	د. محمد سيد كامل محمد التنظيمات العسكرية والخطط الحربية في دولة الأيلخانيين.

٣١٧	د. حسام محمود المحلاوي التحصينات الدفاعية في الأندلس عصر بني الأحمر.
٣٣٩	د. محمد أسامة زكي زيد موقف ابن إياس من العثمانيين.
٣٧٨	د. حصة جمعان الهلالي الزهراني نتائج الاستعمار البريطاني على جنوب الجزيرة العربية.

وظيفة الكومارخوس (العمدة) في مصر في العصر الروماني (دراسة في النظام الإداري للقرية المصرية)

د. محمود أبو الحسن أحمد (*)

يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت بمصر في النقوش والوثائق البريدية اليونانية منذ القرن الثالث ق.م وحتى القرن السادس الميلادي، وإن لم يكن بشكل متواصل خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة. فكانت أول إشارة لهذه الوظيفة في العصر الروماني في منتصف القرن الثالث الميلادي وبالتحديد في عام ٢٤٧/٢٤٨ م في وثيقة من إقليم أوكسيرنخوس (١)، ثم كانت الإشارة الثانية في وثيقة من قرية ثيادلفيا بالفيوم في عام ٢٥٠ م - ٢٥٣ م (٢).

ويبدو أن ظهور وظيفة الكومارخوس مرة أخرى خلال القرن الثالث الميلادي بعد أن كانت موجودة خلال حكم البطالمة، يتمشى مع الإصلاحات الإدارية التي حدثت في عهد الإمبراطور فيليب العربي، حيث اختفت وظيفة كاتب القرية التي كانت معروفة من قبل ثم حلت وظيفة الكومارخوس بدلاً منها، فكانت آخر إشارة إليها في وثيقة من أوكسيرنخوس في عام ٢٤٥ م (P.Oxy.xLii.3047)، وفي إقليم أرسنوي اختفى موظف الأمفودرخ كوموجراماتيوس (amphodarch komgrammateus) فكانت آخر إشارة إلى هذا الموظف في عام ٢٢٩/٢٣٠ م (B.G.U. vii, 1634) (٣).

تعيين الكومارخوس :

كان تعيين الكومارخوس (عمدة القرية) في منتصف القرن الثالث الميلادي، يعد من اختصاص الإستراتيجوس (حاكم الإقليم)، حيث كان كومارخوس القرية الذي شارفت مدة خدمته على نهايتها، يرفع تقريراً إلى الإستراتيجوس يوضح فيه أسماء الأشخاص المرشحين لتولي هذه الوظيفة بعد انتهاء فترة خدمته، وكان لا بد أن يتوافر فيهم عدة شروط أهمها: الصدق والأمانة وتحمل المسؤولية، وكان من أول الوثائق التي أشارت إلى تعيين أحد الأفراد في وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني، وثيقة من هيراكليوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨ م نقرأ منها ' إلى بروكليوس procles إستراتيجوس إقليم هيراكليوبوليس من أوريليوس هارميسيس Aurelius Harmasis من كومارخوس هذا المكان، على مسئوليتي و وفقاً لما هو متعارف عليه اخترت من يقوم بهذه المهمة للعام القادم ألا وهو: باكوس بن فيليب Pakoueis philppi وهو مؤهل لتولي أعباء هذه الوظيفة' (٤).

(*) مدرس بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

وفي بداية القرن الرابع الميلادي وبالتحديد عام ٣٠٧ م، ومع التغير الذي حدث في النظام الإداري في مصر، وهو ظهور الباجوس واختفاء التوبارخية من التقسيمات الإدارية داخل الإقليم، وما صاحب ذلك من ظهور وظيفة جديدة هي وظيفة حاكم الباجوس (المركز) *Praepositus pagus* والذي تمثلت مهمته في إدارة شئون المركز، ومنذ ذلك التاريخ أصبح تعيين الكومارخوس (عمدة القرية) من اختصاص هذا الموظف، وذلك من خلال تقرير يرفع إليه من كومارخوس القرية بالأسماء التي تم ترشيحها للوظيفة. فنقرأ في وثيقة من قرية كرانيس باتفيوم، ترجع إلى عام ٣٠٨ م " إلى أوريليوس هيراكليدس حاكم الباجوس الخامس من أوريليوس إزيدورس سربايون وأيون سيرون كومارخوي قرية كرانيس نعلمك ونقدم لك تقريراً عن تم ترشيحهم لتولي منصب الكومارخوس للعام القادم وهم إزيدورس بن بطلميوس ويطلميوس بن باتيستيس ^(١٠) .

ونقرأ في وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٣٢٦ م: من أوكسيرنخوس " إلى أوريليوس خابريمون حاكم الباجوس الثامن من أوريليوس بينيس بن ساكون وزيلوس بن ميلاس كومارخوي قرية ثيادلفيا فإنه نظراً لإستكمال مدتنا القانونية لهذا العام في وظيفة الكومارخوس نعلمك ونقدم إليك تقريراً على مسئوليتنا بخصوص اختيار من نرشحهم لشغل وظيفة الكومارخوس للعام الخامس عشر، وسوف تدرج أسمائهم أسفل وهم من ذوي الأملاك ويتمتعون بالصدق والأمانة وقد قبلوا بالقيام بأعباء هذه الوظيفة ^(١١) . وتفيد إشارة أخرى إلى تعيين الكومارخوس من قبل حاكم الباجوس ترجع إلى عام ٣٥٠ م، في وثيقة من هرموبوليس نقرأ منها " إلى أوريليوس ديوكليس حاكم الباجوس الثاني عشر بالإقليم من أوريليوس بيسيس *Aurelius Pusios* وأوريليوس باسوتيس *Aurelius pasotes* والإثنان كومارخوي قرية أبيون *Apion* في الجزء الأعلى من الباجوس الذي هو تحت سلطتك، نخبرك ونعلمك بأسماء الأفراد الذين سوف يتولوا الوظائف الإلزامية للعام القادم ومنهم ديمتريوس بن بينوتينوس *Demetrius pinoutions* لوظيفة الكومارخوس ^(١٢) .

وهكذا يتضح لنا من خلال العرض السابق: أن الاستراتيجيةجوس (حاكم الإقليم) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس وذلك بعد ترشيح من قبل كومارخوس القرية القائم بالعمل، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدث التغييرات الإدارية التي شهدتها مصر، وجدنا أن حاكم الباجوس (المركز) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس، ويدل ذلك على أن الهدف من هذه التغييرات الإدارية، هو تقليص المركزية في النظام الإداري واعطاء حاكم الباجوس سلطات أكبر مما كانت عليه من قبل .

وفي الغالب الأعم كان منصب الكومارخوس يتولاها إثنان من الموظفين داخل كل قرية ^(١٣)، أما في بعض الحالات النادرة فكان يتم تعيين موظف واحد لهذه الوظيفة، حيث أشارت إحدى الوثائق من إقليم هيراكليوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨ م (*P.Oxy.xvii, No.3178*) إلى تعيين موظف واحد لوظيفة الكومارخوس، بينما أكدت وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى نفس

الفترة تقريباً وبالتحديد في عام ٢٤٧م وجود إثنين من الكومارخوس يحكمان قرية نيمسيم Nesmimis بأوكسيرنخوس وهما : أوريليوس ديونيسيوس Aurelius Dionsios وديونيسيوس بن ديونيسيوس Dionysios Dionysio، ومن ثم فمن المحتمل أن يكون زميله في الوظيفة لم يكن أنهى مدة خدمته^(١٠).

ومن الجدير بالذكر أن هناك بردية أشارت إلى تعيين ثلاثة أفراد في وظيفة الكومارخوس بقرية ميرميرثا بأوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٣٤٦م نقرأ منها " أنه في السابع والعشرين من شهر توت تم إرسال رسالة إلى أوريليوس ساريامون بن أيولوجيوس Aurelius Sarapmon Aulogios حاكم الباجوس الأول بإقليم أوكسيرنخوس كل من أوريليوس حورس بن هوريون Aurelius Horos Hrion وپاتيخوتيس بن حورس ويطلميوس بن هرمياس، والثلاثة من قرية ميرميرثا وكومارخوي القرية^(١١).

بل يمكن القول أيضاً بأن هناك أربعة أفراد قد تولوا منصب الكومارخوس لقرية فيلاندنيا لعام ٣٤٧م وهم: " أوريليوس أمونيوس بن أكوسيس Aurelii Amonianos Ekysis واللونيوس بن ثيوس Allonios thios وتيماجينيس أسيون Timaggenes Asion وأموس بن هاتريس Hatres^(١٢).

ولعل السبب وراء تولي أكثر من فرد لهذا المنصب، هو كثرة المهام والأعباء المتعلقة بهذه الوظيفة، فكل الأمور المرتبطة بالدولة داخل القرية كانت تسند إلى من يقوم بهذه الوظيفة، ولعل من يمعن النظر في فلسفة النظام الإداري للدولة الرومانية والحكم الروماني في مصر يجد أن هناك سبباً آخر في غاية الأهمية وهو أن الدولة الرومانية كانت تخشى أن ينفرد شخص واحد بإدارة هذه الحنفية الهامة والرئيسية داخل النظام الإداري، ويؤكد ذلك أن كل قرارات موظفي الكومارخوي كانت يجب أن تتم بالإجماع ولا يحق لفرد واحد من بين المعيّنين بهذه الوظيفة أن يقوم بإصدار القرارات منفرداً.

وكان تعيين الكومارخوس يتم في معظم الأقاليم في شهر مسري Mesori (أغسطس) قبل بداية شهر توت thoth (سبتمبر) بداية العام الجديد وفيما يلي عرض لبعض الوثائق التي توضح ذلك .

الوثيقة	التاريخ	اسم الموظف	المكان
p.Oxy. 2714	٢٩ أغسطس ٢٥٦م	أوريليوس أجونيوس أوريليوس ياتاوريس	أوكسيرنخوس
P.Oxy. 3178.	أغسطس ٢٤٨م	باكوس بن فيليب	هيراكليوبوليس
p.cairo-Isid, 125	١٦ أغسطس ٣٠٨م	إزيدورس بن بطلميوس	كراتيس (أرسنوي)
P.Got. 5	١٩ أغسطس ٣١٨م		
p.S.B, vi, 9544	٢٤ أغسطس ٣٢١م		پانوبوليس
P.sakon52	١٩ أغسطس ٣٢٦م	بينيس بن ساكون	ثياندنيا

مدة حكم الكومارخوس :

فيما يتعلق بمدة شغل الكومارخوس للوظيفة، في المعتاد كانت تستمر لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد شغلوا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة وفيما يلي عرض لبعض الوثائق :-

** كومارخية قرية نبادلفيا:

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
اخو ساكون	بايسيس ساتابوس	يوليو ٢٩٩	P. Sakon, 58.
ابن عم ساكون	أوريثيوس ميلاس	يوليو ٢٩٩	P. Sakon, 58.
	ساكون ساتابوس	٣٠٧/٣٠٦ م	P. Sakon, 13.
	ساكون	٣٠١٢/٣٠١١ م	P. Sakon, 18.
	ساكون	٣٢٢٤/٣٢٢٣ م	P. Sakon, 51.
ميلاس بن عم ساكون	أوج بن ميلاس	٣٢٢٤/٣٢٢٣ م	P. Sakon, 51.
	ساكون	٣٢٥/٣٢٤	P. Sakon, 23, 24.
بن ساكون	بينييس	٣٢٦/٣٢٥	P. Sakon, 52.
ميلاس بن عم ساكون	زيتوس بن ميلاس	٣٢٦/٣٢٥	P. Sakon, 52.
بن ساكون	انطونيوس	٣٢٧/٣٢٦	P. Sakon, 52.
بن ميلاس	كونياس	٣٢٧/٣٢٦	P. Sakon, 52.
بن ساكون	بنياس	٣٢٨/٣٢٧	P. Sakon, 25.
بن ساكون	بنياس	نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع	P. Sakon, 29.

** كومارخية قرية فيلادلفيا:

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
بن بكوسيس pekysis	أوريثيوس أمونيوس	٣٧٢ م	P. Gen, 70.
بن بكوسيس	أوريثيوس أمونيوس	مايو ٣٧٤ م	P. Gen, 66.
بن بكوسيس	أوريثيوس أمونيوس	٣٨٢ م	P. Gen, 67.
بن بكوسيس	أوريثيوس أنيانوس	٣٨٦ م	P. Gen, 69.

** كومارخية قرية كرانيس :

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
	اوريليوس ازيدورس سراييون وايونيوس سيرنوس	م٣٠٧ / م٣٠٨	p.Cairo-isid.125
	اوريليوس ازيدورس بن باتنيوس واوريليوس دولوس	م٣١٤	p.Cairo-isid.54.
	أوريليوس أرسطون وأوريليوس جيرماتوس	م٣١٥	p.Cairo-isid.57.

** إشارات متفرقة :

المكان	الاسم	التاريخ	المصدر
قرية نيسيميس باوكسيرنخوس	اوريليوس ديونيسيوس ويونيوس بين ديونيسيوس	م٢٤٧	p.oxy,2123
قرية بوتو بممفيس	اوريليوس سراييون وأوريليوس ارتميدوس	م٣١٤	p.Cairo-isid.128
قرية سيفو بالباجوس السابع باوكسيرنخوس	ايدايمون بن هيراكس وحسيتنوسين بطلميوس	م٣٤١	p.oxy,3774.
قرية ميرمرته بالباجوس الاول باوكسيرنخوس	أوريليوس حورس باتيختونيس بن حورس بطلميوس بن هرمياس	م٣٤٦	p.oxy,4128.
قرية كيمموخيس الباجوس الثامن باوكسيرنخوس	أوريليوس باوسيريس اوريليوس هوريون	م٣٥٠	p.oxy,2232.
قرية ابيون بالباجوس الثاني عشر بهرمويوليس	أوريليوس بيميس اوريليوس باسوتيس	م٣٥٠	p. Amh. 139.

ومن خلال النظر في هذه الإشارات يتضح لنا أن الكومارخوس كان يشغل هذا المنصب في الغالب لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد قد شغلوا هذا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة ، ففي قرية فيلاندنيا في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي، نجد أن أوريليوس أمونيوس كان كومارخوس في عام ٣٧٢م، ٣٧٤م، و٣٨٢م فضلاً عن أن أخاه أوريليوس أنيانوس قد تولى ذات المنصب في عام ٣٨٦م.

و في قرية ثياندنيا نجد أن أفراد عائلة أوريليوس ساكون قد شغلوا منصب الكومارخية في القرية في الفترات ٢٩٨/٢٩٩م، ٣٠٦/٣٠٧م، ٣١١/٣١٢م، ٣٢٤م، ٣٢٥م، ٣٢٦م/٣٢٧م، ٣٢٨/٣٢٧م. فضلاً على أن ساكون شغل المنصب لغترتين متتاليتين ٣٢٢/٣٢٤م، ٣٢٥/٣٢٤م، وإن دل هذا على شيء فإتاما يدل ربما على اكتساب بعض موظفي الكومارخوس ثقة حاكم الباجوس مما يؤهله للاستمرار في أداء مهام وظيفة الكومارخية لأكثر من عام.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هناك أشارت إلى أن بعض موظفي الكومارخوس قد عقدوا اتفاقيات فيما بينهم، وذلك لتحديد الأفراد الذين سوف يخلفوهم في القيام بمهام هذه الوظيفة، فهناك وثيقة من قرية فيلاندنيا ترجع إلى عام ٣٨٧م أتفق فيها كل من أوريليوس هول Aureli Hol كومارخوس القرية للعام الثالث من حكم دقلديانوس والثاني من حكم ماكسيميانوس مع كورنوليس Corenelius الكومارخوس لنفس القرية، على أن يتم تعيين الأخير في وظيفة الكومارخوس للعام القادم ومع انتهاء مدة خدمته، يقوم كورنوليس بتعيين ديوسكوروس Dioscorus أخو هول في نفس الوظيفة للعام الذي يليه، وفي حالة نقض أي من الطرفين للاتفاق سوف يدفع غرامة قدرها ٢٠٠٠ دراهمة فضية للعام الثالث من حكم دقلديانوس والثاني من حكم ماكسيميانوس (٢). وتكررت نفس الحالة في وثيقة من قرية ثياندنيا، حيث أتفق كل من بينيس بن ساكون وزيلوس بن ميلاس كومارخوي القرية لعام ٣٢٥/٣٢٦م على أن يتولى الوظيفة للعام القادم كل من أنطونيوس بن ساكون وكونياس بن ميلاس (٣). وفي وثيقة ثالثة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٢٥٦م قام باتاوريوس بن سارس كومارخوس قرية باتيوي paneui عن العام الثالث، بترشيح أخوه تاليميهوس Talemaeheus بن سارس عن العام الرابع لوظيفة الكومارخوس (٤).

ولعل السبب وراء ذلك كان يتمثل في أن الأفراد الذين كانوا يشغلون منصب الكومارخوس، كانوا يميلون إلى إسناد الوظيفة للمقربين منهم حيث إن ذلك المنصب كان يعطي شعوراً بالمروعة والفخر، فكل الأعمال داخل القرية كانت تدور من حول هذا الموظف، فهو المسؤول عن جمع الضرائب والديون وتأجير أراضي الدولة للأفراد والتعاون مع الشرطة في القبض على الخارجين عن القانون، ويؤكد ذلك أنه على الرغم من أن كثيراً من البرديات أشارت إلى تناوّل شعبية الوظائف الإدارية في مصر في القرن الرابع الميلادي ورغبة الكثير من الموظفين في التخلي عنها بالهروب أو الإبدال، إلا أننا لا نجد مثلاً واحداً لكومارخوس يحاول الهروب من تقلد مهام وظيفته، بل على العكس نجدها مصدراً لكسب المال وإن كانت بطرق غير مشروعة (٥).

مهام ومسئوليات الكومارخوس (عمدة القرية)

تعددت مهام ومسئوليات الكومارخوس، حيث اشتملت على تسيير كل الأعمال المتعلقة بالدولة داخل القرية، ويأتي في مقدمتها ترشيح الأشخاص الذين سوف تسند إليهم الوظائف والأعمال الإلزامية وجمع الضرائب عن القرية بالإضافة إلى سلطات شرطية. وخلال الصفحات التالية سوف نتناول تلك المهام والمسئوليات بشئ من التفصيل وذلك على النحو التالي:

١- المهام المتعلقة بترشيح الأفراد للوظائف والأعمال الإلزامية:

كان الكومارخوس يرفع قائمة بأسماء الأفراد والمرشحين للقيام بالوظائف والأعمال الإلزامية إلى الأستراتيجوس وذلك منذ بداية ظهور وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي ، ومع بداية القرن الرابع الميلادي وحدث تغييرات إدارية أصبح الكومارخوس يرفع تلك القائمة إلى حاكم الباجوس من أجل التصديق عليها واعتمادها. ونقرأ أولى الوثائق الدالة على ذلك، وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٢٤٨/٢٤٧م بخصوص تعيين إثنين من المساعدين لم يتم تحديد المهام التي سوف يقومون بها " إلى أوريليوس فيلوكمينيس استراتيجوس مدينة أوكسيرنخوس من أوريليوس ديونيسيوس الأصغر بن خيراس ديونيسيوس بن ديونيسيوس والإثنان كومارخوي قرية نيميسس وكتبا هذه الوثيقة حيث يطلبان تعيين هذين المساعدين خلال العام القادم وهو العام الخامس من حكم فيليب وهذان المساعدان هما: أوريليوس فيولياس بن هاتريس و..... " (١٦).

كما توجد وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٢٥٦م بخصوص ترشيح أفراد في وظائف مختلفة داخل القرية بواسطة الكومارخوس نقرأ منها: " إلى أوريليوس سابينوس Aurelius Sabinos استراتيجوس إقليم أوكسيرنخوس من أوريليوس باجونيس بن Aurelius Pagonis وأوريليوس باتاوريس بن سارس Aurelius Patauris Saras والإثنان كومارخوي قرية باتيوي paneui عن العام الثالث ، نقدم قائمة بأسماء المرشحين لتولي المهام الإلزامية عن العام الرابع من سكان القرية وهم تالميهوس Talemaeheus بن سارس Saras وأمه تسمى هيليني Helene و باتوس Patos بن هيراكليوس Hracleus لوظيفة الكومارخوي وياتارخس Patarchs بن بيكسيس Pekysis لوظيفة الأمن وكاستور castor بن تليماخوس Telemachus لوظيفة حراسة الحقول وبلوتيون بن ديوجانس وأمونيوس بن بيكسيس Ammonios Pekysis وياپونتوس بن فالون Papontos phalon لوظيفة حراسة الحنطة المدروسة (١٧).

وهناك وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٣١٦م، نقرأ منها: " إلى أوريليوس هيراس بن ديونيسيوس حاكم الباجوس الثامن من أوريليوس باتيروس بن منخيس التيسراريوس وأوريليوس باوسيريس بن فلافيوس وأوريليوس هوريون والإثنان كومارخوي قرية كيسموخيس بالباجوس، نرشح للقيام بوظيفة جامعي اللحوم والقش أشخاصاً مناسبين للقيام بهذه المهمة وهما: أوريليوس ثونيس لجمع اللحوم وأوريليوس باتشوريوس أمونيوس لجمع القش (١٨).

وكان الكومارخوس مسئولاً عن ترشيح موظف التيسرارايوس حيث يتضح ذلك من وثيقة ترجع إلى عام ٣٢٢م، وهي عبارة عن خطاب موجه إلى حاكم الباجوس الثاني بإقليم... من أوريليوس بنوينتيريس Aurelius Pneponteris وأوريليوس بسنينوثيس Aurelius Pserpnouthes الكومارخوي، حيث نرشح لمنصب التيسرارايوس بسرينوثيس بن سراييون Pserpnouthes Sarapion في الفترة ما بين شهر فامينوث phamenoth إلى شهر ثوت thot من العام الجاري (٩).

وكان ترشيح السيتولوجي والأبتيائي داخل القرية من اختصاص الكومارخوس، حيث يتضح ذلك في وثيقة من قرية ثيادلغيا ترجع إلى عام ٣٤٢م، نقرأ منها: إلى فيلاتاس Philatos حاكم الباجوس الثامن من ساكون بن ساتابوس Sakaon Satabus ورفيقي أوج بن ميلاس Aoug melas والإنشان كومارخوي قرية ثيادلغيا، نرفع إليك تقريراً على مسئوليتنا المشتركة بالأفراد المرشحين لتولي منصب السيتولوجي والأبتيائي بالقرية للعام الثاني عشر واختيارهم على مسئوليتنا المشتركة، وأسماؤهم مدرجة أسفل و قد قبلوا القيام بمهام هاتينوظيفتين بكل صدق وأمانة وفقاً لما هو متعارف عليه (١٠).

ويتضح لنا من خلال العرض السابق أن كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كانت ضمن اختصاصات موظف الكومارخوس، فهو المسئول الأول عنها وذلك من خلال اختيار الأفراد ورفع أسمائهم كمرشحين إلى رؤسائه
<http://Archivebeta>
٢- المهام المتعلقة بجمع الضرائب عن القرية:

كان من بين المهام والمسئوليات المنوط بها الكومارخوس الإلتزام بجمع الضرائب المقررة على القرية، وهذا ما بدا واضحاً في بعض الوثائق البردية، فهناك وثيقة ترجع إلى عام ٣١٥م، هي عبارة عن إيصال يفيد استلام أوريليوس كلوثوس قائد المركب واحد وعشرين ونصف أرب من الشعير من أوريليوس أرسطون و أوريليوس جيرماتوس كومارخوي قرية كرايس (١١). كما توجد وثيقة أخرى من نفس القرية ترجع إلى عام ٣١٥م تفيد بأن أرسطون وجيرماتوس الكومارخوي قد قاما بتسليم كميات من الخشب للجنود من أجل إيقاد النار وطهي الطعام وهي الحصة المقررة على القرية (١٢).

كما كان الكومارخوس مسئولاً عن توفير الاحتياجات الضرورية للأفراد العاملين بالجهاز الإداري للدولة، وهو ما بدا واضحاً في وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، هي عبارة عن خطاب موجه من الاستراتيجوس إلى كومارخوس قرية ثيرسيس يأمره فيه بتجهيز حمارين وحارس للشخص الذي سوف يسلمه الخطاب (١٣). من خلال العرض السابق يتبين للباحث أن كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كانت من بين مهام ومسئوليات الكومارخوس، فهو المسئول الأول عنها، وذلك من خلال إعداده قائمة بالأسماء المرشحة لكل وظيفة ومهمة إلزامية، ثم رفع تلك القائمة إلى رؤسائه.

٢- المهام والمسئوليات الشرطية للكومارخوس:

تعددت المهام والمسئوليات الشرطية التي كانت تسند إلى الكومارخوس في العصر الروماني في مصر، وكان من أبرز تلك المهام ضبط الأفراد الخارجين عن القانون، وهو ما ظهر واضحاً وجلياً في وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، وهي عبارة عن أمر ضبط موجه من رئيس المجلس التشريعي إلى الكومارخوس بحق رجل يعمل في وظيفة *nomophlaki* (وظيفة شرطية) (٢٤).

ولقد اتسعت سلطات الكومارخوس لتشمل بالإضافة إلى القبض على الأفراد الخارجين عن القانون داخل القرية القبض على الأفراد الفارين من القرية إلى قرى أخرى هرباً من الأعباء الإلزامية، ففي وثيقة من منف ترجع إلى عام ٣١٤م هي عبارة عن تقرير مرفوع من موظفي إحدى القرى إلى موظفي قرية أخرى جاء فيه: "من أوريليوس باكيمينينوس *Pacimnenous* التيسراريوس وأوريليوس سراييون وأوريليوس أرتميدوس *Artemidous* بن باموثيس *Pamuthis*. والإثنان كومارخوي وأوريليوس ناراوس *Naraous* مدير مكتب الشرطة والجميع من قرية بوتو *Buto* في إقليم ممفيس إلى أوريليوس إزيدورس التيسراريوس لقرية كرائيس ترسل إليك قائمة بأسماء الأشخاص الذين فروا من قريتنا إلى قريتك، حيث نعلمك بهم لكي تسلمونا إليهم، علماً بأننا لا يمكننا أن نوجه أية اتهامات ضدكم أو ضد قريتك (٢٥).

بعض التجاوزات القانونية للكومارخوس:

اتسم سلوك و أداء معظم من شغل منصب الكومارخوس في العصر الروماني بالاستقامة، غير أن الصورة لم تكن دائماً ناصعة البياض، حيث ظهر بعض الانحراف والتجاوزات في سلوك بعض هؤلاء الكومارخوي و يتضح ذلك من خلال ثلاث وثائق وردت في أرشيف أوريليوس أزيدورس رقم 71، 72، 73. والوثيقة الأولى والثانية كانتا عبارة مفكرة للوثيقة الثالثة التي تضمنت إلتماساً تم رفعه إلى والي مصر ضد كل من كومارخوس قرية كرائيس لعام ٣١٤م وحاكم الباجوس التابعة له القرية ولقد ورد في هذا الإلتماس الأول تقدير الضرائب المفروضة على قرية كرائيس في كومارخية إزيدورس بن بيلنيوس *Isidorus Pelneius* وبياتها كالتالي:

- التقدير الأول ١٠٥ تالنتا.

- التقدير الثاني ٤٠ تالنتا.

- التقدير الثالث ٢٣ تالنتا.

- التقدير الرابع ٧ إردباً من القمح.

- التقدير الخامس ٤٦ تالنتا و ٤٠٠ دراخمة

- التقدير السادس ٣ إردباً *chick peas* و ٢ إردب فاصوليا و ٢ إردب من الثوم.

وأشار مقدما الإلتماس أن الكومارخوس قام بفرض هذه الضرائب كما يحلو له ووفقاً لهواه، وذلك دون الرجوع إلى التيسراريوس والكويدراي أو الإستفسار منها، وذلك بالتواطؤ مع

حاكم الباجوس، ولم يبد كل من الكومارخوس وحاكم الباجوس أي اهتمام بحدود سلطاتهم الشرعية والقانونية (١٦).

كما تضمنت الوثيقة الثانية بعض تجاوزات الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث نقرأ فيها: "لقد قامت القرية بشراء حمارين بمبلغ ٤٠ تالنتا فضية، وتم إرسال هذين الحمارين إلى الإسكندرية للقيام ببعض المهام، وعند عودتهما من الإسكندرية قام حاكم الباجوس ببيع أحدهما لحسابه الخاص بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم استخدم الحمار الآخر في حمل الفاصوليا إلى مسكنه الخاص وذلك بالتواطؤ مع الكومارخوس، وكان ممتلكات القرية وحيواناتها ملكاً خالصاً له دون منازع (١٧)".

أما الوثيقة الثالثة فنقرأ فيها التماساً تم رفعه إلى والي مصر جوليانوس جوليانوس من كل من: إزیدورس التيسرارويوس لقرية كراتيس وباليومون الكودراي لنفس القرية، يوضحان فيه أن الفلاحين الضعفاء يعانون الكثير على يد كل من: حاكم الباجوس ثيودورس والكومارخوس، فهما يلعبان دور الطاغية، فالكومارخوس بالتواطؤ مع حاكم الباجوس يفعل في القرية مايلحق له فهناك مبالغ كبيرة تم تقديرها بشكل غير قانوني كضرائب تجاوزت ٣٠٠ تالنتا، ولا نعلم أين ذهبت هذه المبالغ، والأنكى من ذلك أنه استولى على جانب من أموال القرية والتي تتمثل في: ثمن جنود بعض الحيوانات ومبلغ ست وخمسون تالنتا هي حصة بيع جمل وحصان وفانض عشرة إردب من الأرض المنتجة قد أخذها لحسابه الخاص، ثم قام بتخصيص إثنين (الإتان هي أنثى الحمار) لتصالح منزله كان قد اشترهما باريعين تالنتا فضية ثم قام ببيع واحدة منهما دون إبداء الأسباب بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم قام بسرقة ثلاثين خروفاً أيضاً ٧٤ تالنتا فضية والأكثر من ذلك أنه استخدم الحمير المملوكة للقرية بشكل غير قانوني في نقل الفاصوليا إلى منزله، ونحن نأمل بأن تأتي إلى المقاطعة من أجل مواجهة طغيان كل من حاكم الباجوس والكومارخوس (١٨). ونرى هنا أن التيسرارويوس والكودراي قد قاما برفع الإلتماس إلى والي مصر مباشرة وتجاوزا حاكم الإقليم، مما يوضح حجم التجاوزات التي تمت من قبل كل من الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث أنهما يطلبان في هذا التقرير من والي مصر الحضور إلى المنطقة لمواجهة هذين الموظفين الفاسدين.

وفي وثيقة رابعة من قرية منديس ترجع إلى الفترة من ٢٤٥: ٣٠٢ م، هي عبارة عن التماس موجه إلى أوريليوس سربايون وأبولونيوس أكسجيتيس Exegetes المدينة حيث تضمن هذا الإلتماس شكوى ضد كومارخوس القرية وذلك لطلبه رشوة من أجل تسهيل نقل ميراث إلى أصحابه (١٩).

وهناك وثيقة أخرى ترجع إلى القرن الرابع الميلادي هي عبارة عن أمر ضبط من الاستراتيجوس إلى مسئول الأمن و الموظف العام Demosios يطلب فيه منهما أنه عندما يصلهما هذا الخطاب فعليهما أن يقوموا على الفور بإرسال جامع ضريبة الأتونا عن العام الرابع ومعه الإيصالات الخاصة بجمع ضريبة القش وحسابات الإيصالات الخاصة بالشعير كما أن عليهما أن يرسلوا معه أيضاً خايريومون الكومارخوس السابق (٢٠).

وليس بالضرورة أن نفهم من هذه الإشارات أن هناك تجاوزات وانحرافات متعددة لموظفي الكومارخية، وخاصة أن كل الأمور داخل القرية كانت تتم أمام عينيه وبمعرفة، وربما يرجع السبب وراء قلة إحصاءات وتجاوزات الكومارخوس إلى قصر مدة حكمه، وهذا ما كانت تنشده الدولة الرومانية في مصر، وبالتالي لم تكن لديه فرصة للقيام بأية الاعيب، كما أن قضية استقامة الحكم وشفافيته في القرى المصرية إنما هي مسئولية مشتركة بين كافة الموظفين مما دفعهم إلى مراقبة بعضهم البعض .

وفي نفس الوقت كان يتعرض موظف الكومارخوس للعنف والأهانة من بعض الأفراد المتمنصين من تأدية الأعمال الانزامية، وهذا يبدو واضحاً في وثيقة من قرية كلليس ترجع إلى عام ٣٥٣م عبارة عن التماس موجه إلى فلافيوس فاوستيانوس حاكم إقليم طيبة من أوريليوس جينا بن أونسيوس كومارخوس قرية كلليس التابعة لإقليم موط ، يشكو فيها من تعرضه للأساءة والأهانة علي يد أحد الأفراد الذين تم ترشيحهم للقيام بالأعمال الانزامية ، وذلك بمعاونة عدد من الأفراد داخل القرية (٣١)

ومن خلال العرض السابق يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت في مصر خلال العصر الروماني وبالتحديد في منتصف القرن الثالث الميلادي ، وذلك بعد أن كانت موجودة خلال فترة حكم الملوك البطالمة . وكان الأستراتيجوس هو القائم على تعيين موظف الكومارخوس، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدثت التغيرات الإدارية التي شهدتها مصر وجدنا أن حاكم الباجوس هو القائم على تعيينه . وفي الغالب الأعم كان يتولى منصب الكومارخوس إثنان من الموظفين داخل كل قرية لمدة عام واحد . وقد تعددت مهام ومسئوليات الكومارخوس داخل القرية ، حيث اشتملت على تنفيذ كل الأعمال المتعلقة بالدولة داخل القرية ، ويأتي في مقدمتها ترشيح الأفراد للوظائف والأعمال الانزامية وجمع الضرائب بالإضافة إلى بعض المهام الشرطية .

الهوامش

- (1) P. Oxy , xvii , No.2123.

Αυρηλιω Φιλοξενω στρατηγος Οξιυρυγχιτου
 παρα Αυρηλιων Διονσιου νεωτερου χαιρα
 τος μητρος ταφιλωνος και Διονυσιος
 Διονυσιου μητρος Θασιος αμφοτεροι κωμαρχων κωμης
 Νεσμειμεως

- (2) P. S.B , vi , No.9408,9 .

ترجع أول إشارة إلى وظيفة الكومارخوس في العصر البطلمي إلى عام ٢١٢ ق.م.
 (P.petrie, iii, 89.399) واستمرت الإشارة إليه حتى عام ١١٢ ق.م (P.Tebt , 159)
 ومن الإشارات التي وردت في القرن السادس أنظر : (P.Oxy.no.1835 نهاية القرن الخامس
 م وبداية القرن السادس. م) ، (P.Oxy ,no. 1930 القرن السادس م).

- (3) Thomas , the introduction of the dekaprotoi and comarchos,
 Z.P.E.,19 1975, pp. 114- 115.

للمزيد عن موظف كاتب القرية في مصر في العصر الروماني أنظر : رجب سلامة: كاتب القرية في
 مصر في العصر الروماني، رسالة ماجستير، غير منشورة، ١٩٩٧، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

- (4) P. Oxy , xvii , No.3178.

Κορηνηλι.....καιΠροληςστρατηγος Ηρακλεσπολειτου Αυρηλιου.....νου
 Αρμυσιος απο επικιου ερημου.... κωμαρχου του αυτου εποικιου

- (P.Flor,1,2,265 A.D (هرموبوليس) :
 (P.Goth,5 , 318 A.D) - (باتنوبوليس P.S.B,9544,322A.D)

- (5) P.cairo- Isid , 125 .

Αυρηλιω Ηρακλεδη πραιοσιτω ε παγου παρα Αυρηλιων Ισιδωρου
 Σαραπιωνος και Αιωνεως Συριωνος αμφοτερων κωμαρχων κωμης
 καρανιδος διδωμεν και εισαγγελλωμεν τω ιδιω ημων κινδυνω τους
 εξης ενγεγραμμενους κωμαρχας του εισιοντος ις ετους

كان موظف الديوقتييس هو المسئول الأول عن تعيين العمدة في العصر البطلمي .
 حنان محمد اسماعيل : النظام الإداري في القرية المصرية في عصر البطالمة ، رسالة ماجستير
 غير منشورة ، ٢٠٠٥ ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ص ١٣٧ .

- (6) P.Sakon , No.52.

- (7) P. Amh, No. 139.

(8) P. Amh, 139 & P. Oxy, 2232.

(9) P. Oxy, xvii, No.2123.

(10) P. Oxy, xvii, No. 4128.

Αύρηλιώ Σαραπάμμωνι Εύλογίου πραιποσίτω α πάγου>
νομοῦ Ὁξυρυγίτου παρα Αύρηλιών Ωρορου Ὁρίωνος
καί Πανεχώτου Ωρορου και Πτολεμαίου Ερμου των τριων απο
κωμης Μερμέρθων α παγου του αυτου νομου γενογομενων
κωμάρχων

(11) P. Gen, 66.

Αυρηλίοις Αμωνιανος Εκυσις και Αλωνιου Τ...η θιου και
Τιμαγενοῦς Ασιωνος και Αμουν Ατρη αμφοτεροι κωμαρχαι της
κωμης Φιλαδελλιας

(12) D. Delia- E. Haley, op. cit, p. 44-45.

(13) P. Sakon, 52.

(14) P. Oxy, 2714.

(15) P. Cairo- Isid, 71, 72, 73.

D. Delia- E. Haley, op. cit, p. 43.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(16) P. Oxy, No. 2123.

تمثلت مهام الكومارخوس في العصر البطلمي في أربعة أمور وهي العناية بأمور الزراعة والعناية
بالمسود والقنوات وقيامه بتوزيع البذور ومهام تتصل بالأمن العام .
حنان اسماعيل: المرجع السابق ص ١٣٨.

(17) P. Oxy, 2714.

(18) P. Oxy, 2232.

παρα Αυρηλιων Πατερεως Μενχητος θεσελαριου και Ωριων
Μενχητος αμφοτερων κωμαρχων της αυτης κωμης κεσμουχεως του
υπο σε παγου διδομεν τω ιδιω ημων κινδυνω προς απετησιν κρεως
και αχυρου

(19) P. gothenurg, 6.

Πραιποσιτου β παγου παρα και Ψηρπνοθου κωμαρχων Νησου απο
.....Αυρηλιου Πνεποντηριος
ηνεσαγγελλομεν και
ο αναδιδ.μενεις τε σλριον Αυρηιον ψενπνουθου Σαραπιωνος του νομ..α

μηνος φαμενωθ εως θωθ

(20)P. .Sakon , No.52.

Αυρηλιος χαιρημον πραιποσιτου θ παγου παρα Αυρηλιων πεννιτος
Σακαωνος και Ζωιλου Μελανος αμφοτερων κωμαρχων και
Θεδελφιας

(21)P.Cairo- Isid. , No.57.

(22)P.Cairo- Isid. , No.56.

(23)P. Oxy, 2577 .

(24)P. Oxy.3190.

(25)P.Cairo- Isid. , No.128.

تمتع الكزمارخو س في العصر البطلمي بسلطات قضائية وأمنية واسعة ، فكان لديه السلطة
الكافية للقبض والحبس وأجراء تحريات وتحقيقات رسمية تحت اشراف الأيستاتيس وكانت تقدم
للكومارخوس تقارير مفصلة عن حوادث السرقة وأسماء المشتبه فيهم.
حنان اسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(26)P.Cairo- Isid. , No.71.

Πυνθανοται διοτι συνδυαζοσιον μετα του πραιποσιτου

(27)P.Cairo- Isid. , No.72.

(28)P.Cairo- Isid. , No.73.

Ιουλιω ουλιανω διασημοτατω Επαρχων Αεγυπτου παρα Αυρηλιων
σιδωρου πτολεμαιου θεσσαλαριου και παλημονος τβερινου
κουαδραριου αμφοτερων απο κωμης καρανιδος του Αρσιοιτου
νομου ημεις ελαττωναις αγοροικοι τα δινα παρσχομεν υπο τε του
πραιποσιτου του παγου θεδωρου και των κωμαρχων

(29)P. p.s.i, 4, No.303.

(30)P.Turner, 46.

(31)P. kellis , I , No. 23.

الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصرها الجاهلي والإسلامي

أ.د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي (*)

مقدمة

السوق معروف، وهو بحسب تعريف ابن منظور: موضع البياعات، وفيه يتعامل، والجمع أسواق^(١)، ويعرفه جواد علي بأنه: "المحل الذي يتسوق منه. وهي إما ثابتة مع أيام السنة، يبيع فيها الباعة، ويقصدها المشترون للشراء، وإما موسمية تعقد في مواسم معينة، فإذا انتهى الموسم رفعت"^(٢). وفي التنزيل: ﴿إلا أنهم لياأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾^(٣)، وفيه: ﴿وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾^(٤).

والسوق يذكر ويؤنث، يقول الشاعر في تذكير السوق:
ألم يعِظِ الفتيان ماضار لمُتَيَّسٍ بمسوقٍ كثيرٍ رنْخُهُ وأغاصِرُهُ^(٥)

ويقول آخر في التأنيث:

إني إذا لم تَنِدْ خَلْقاً رَنَقُهُ ورَنَدَ السَّبَبُ فقامت سُوقُهُ^(٦)

والسوق لغة فيه، وتسوق القوم: إذا باعوا واشتروا. وفي حديث الجمعة إذا جاءت سوقية أي تجارة، وهي تصغير السوق، سميت بها، لأن التجارة تجلب إليها وتساق نحوها^(٧). وللأسواق أوجه أخرى غير التجارة والبيع والشراء: سنأتي إلى ذكرها بعد بقدر ما هو متاح من المعلومات التي وصلت إلى أيدينا.

والأسواق معروفة، ومنتشرة في الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام، وحتى عصر الناس هذا، وهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أسواق وغربة أي أسبوعية: وهي التي تقام في يوم محدد من أيام الأسبوع تسمى باسمه، فيقال: سوق السبت، وسوق الأحد، وسوق الاثنين، وهكذا إلى آخر أيام الأسبوع، وهذه منتشرة في مختلف القرى والأرياف، وبعض المدن، وقل أن يخلو قطر من أقطار الجزيرة العربية منها قديماً وحديثاً.

النوع الثاني: الأسواق اليومية: وهذه معروفة ومرتبطة بالمدن خاصة، ومن أشهرها سوق أو أسواق مكة المكرمة، وسوق المدينة المنورة التي اختار النبي صلى الله عليه وسلم موضعها بنفسه، بجوار المسجد النبوي الشريف، ثم قال: "هذا سوقكم لا يضرب عليه خراج"^(٨).

(*) عضو مجلس الشورى السعودي.

النوع الثالث: الأسواق الموسمية: وهذه كانت تعقد مرة في السنة، ولها مواسم محددة لا تتعداها، أو تقصر دونها، ولا يقتصر نشاطها على يوم واحد أو يومين، وإنما تقام في عدد متصل من الأيام، تصل مدد بعضها إلى ٢٠ يوماً، وهي معروفة ومشهورة في تاريخ العرب وأدباهم باسم أسواق العرب، وتعود في نشاطها إلى العصر الجاهلي، ثم استمرت في الازدهار في العصور الإسلامية المبكرة، وبعضها ظل عامراً إلى العصر العباسي كما سيأتي. وهي كثيرة ومتنشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها، إلا أن الذي يعنينا منها، في هذه الورقة المتواضعة، هي تلك التي كانت تقع في البقعة المشمولة اليوم بمسمى منطقة مكة المكرمة. وهي: سوق عكاظ، وسوق مجنّة، وسوق ذي المجاز، وسوق خيـاشنة: فالأول وهو سوق عكاظ، غني عن الذكر، فهو من الشهرة والاهتمام به بحيث لم تعد هناك حاجة إلى التعريف به زماناً ومكاناً، في وقتنا الحاضر، فموقع السوق معروف ولم يعد مجهولاً، وعليه منشآت ومعالم وبنية تحتية واضحة وشاخصة للعبان، ومهرجانه السنوي الذي يكبر ويتسع كل عام، ومايصاحبه من فعاليات ومناشط: ثقافية وتراثية واقتصادية ليست بخافية على القارئ الكريم. وهو - دون شك - مقبل على مرحلة تطويرية وتوسعية ستجعله إن شاء الله، واحداً من أهم الوجهات السياحية في المملكة العربية السعودية، فضلاً عن أهميته بوصفه مكاناً تقام على أرضه أهم المناسبات الثقافية والتراثية والمناشط الاقتصادية الأخرى، في محافظة الطائف. وفي ذلك كله مايقضي عن التعريف بمكان السوق وزمانه، وإن كان من المفيد أن تشير إلى أن الآراء تجمع على: أن زمن انعقاد السوق كان في المدة الواقعة من الأول من شهر ذي القعدة إلى العشرين منه، وأنه استمر في البقاء والازدهار حوالي قرنين ونصف القرن^(١)

<http://Archivebe.net>

أما الأسواق الثلاثة الباقية فلا بأس من التعريف بها وِموقعها، وبالمدد التي ينعقد فيها كل منها، وغير ذلك من المعلومات المتاحة في المصادر والمراجع التي وصلت إلى أيدينا، وذلك على النحو الآتي:

سوق مجنّة :

لعل أول هذه الأسواق بعد عكاظ، من حيث التسلسل التاريخي أو الزمنى لأيام انعقادها، هو سوق مجنّة، وهو أحد الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، ويقع على بعد عدة أميال إلى الشمال من مكة المكرمة في مر الظهران المعروف اليوم بوادي فاطمة؛ وهو مشتق من الفعل جَنَنَ الذي من معانيه: كثرة المياه والبساتين ذات الأشجار المثمرة من نخيل وأغاب ونحوها، ومنه الجنّة^(١)، أي أن تسمية السوق بهذا الاسم (سوق مجنّة) له نصيب من طبيعة الموضع الذي كان يقام فيه، وهو أخصب بقعة في وادي فاطمة المعروف بخصبه، وكثرة مياهه، وأشجاره المثمرة، وبساتينه النضرة، وهو الذي داعبت ذكراه الجميلة مخيلة الصحابي الجليل بلال بن رباح، رضي الله عنه، بعد هجرته إلى المدينة، حيث نسب إليه هذان البيتان^(١):

ألا لست شِغري هل أبيئتُ ليلَةً بفِخٍّ وحولي إذْ خُزَّ وجِلِيلُ

وهل أَرَدْنَ يوماً مِياةً مَجْنَةً وهل يَنْبُذُونَ لِي شِئامَةً وَطَفِيلُ

ومع شهرة المكان المنسوب إليه هذا السوق، وهو مجنة بمر الظهران، أو وادي قاطمة سابق الذكر، إلا أن المؤرخين والجغرافيين المسلمين اختلفوا في المسافة بينه وبين مكة المكرمة، فالأزرقي (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) يشير إلى أن "مجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها" (١٢).

وعلى نهج الأزرقي، في تحديد المسافة بين مكة ومجنة، يذهب كل من البكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) (١٣)، وياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) (١٤).

ولم يشذ عن هؤلاء سوى الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) الذي يناقش موضع مجنة والسوق المنسوب إليها، في كلام منقول عن القاضي عياض يطول إيراده، ويقدر المسافة بينها وبين مكة المكرمة بنحو ثلاثين ميلاً (١٥)، ثم يستدرك على الأزرقي في تقريره بأن مجنة على بريد من مكة، ويقول في استدراكه: "ولعل الأزرقي أراد أن يكتب أن مجنة على بريدين من مكة، فسها عن الباء والتون، فكتب بريد والله أعلم" (١٦).

ولم تحدد المصادر المتاحة مكاناً يعينه، لموقع انعقاد السوق، على سبيل الدقة واليقين، وإن كانت قد أشارت إلى مسمى المكان، وهو مر الظهران سابق الذكر، وإلى جهته وهي إلى الأسفل من مكة، أي إلى الشمال منها على حد تفسير أحد الباحثين المحدثين (١٧)، وبعضها يربط موقعه بمعلم ثابت هو: الجبل الأصفر الذي يشار إلى أن موقع انعقاد السوق كان بالقرب منه (١٨).

وتبعاً للمسافة والجهة، وبعض العوامل الطبيعية، أجرى أحد الباحثين المحدثين (وهو من أهل مكة أو من أحوالها القريبة منها) دراسة ميدانية لتحديد موقع السوق، وتوصل في دراسته لمكان السوق، وهو الجهة الغربية للجبل الأصفر، وتعين الماء التي اشتهرت بها مجنة، على حد رأيه (١٩)، ويعلل ترشيحه لهذه الجهة بسبب اتساع أرضها وسعتها، ووضوح رؤيتها من جميع الاتجاهات، بالإضافة لوقوعها مباشرة على خط التجارة الرابط بين مكة والشام وكلها [على حد قوله] تساهم في جدية الموقع (٢٠). وقدم وصفاً لطبيعة المكان الجغرافية بقوله: "من الضروري هنا التعرف على الطبيعة الجغرافية للمكان؛ فموقع السوق الذي حددناه مكسو اليوم برمال متجمدة، مع وجود أشجار صحراوية، وكثبان رملية، ويبدو لي أنها من صنع الإنسان.. وعموم المنطقة تظهر بها مبان حجرية لازالت واضحة المعالم، ويحاط الموقع اليوم بمناطق حاضرة السكان من أغلب الجهات، بل لاحظت منازل محاذة موقع السوق مباشرة، وأخشى أن تطمر تحت الامتداد السكاني المتسارع، وبإستطاعة أي فرد أن يرى موقع السوق دون غناء، فالصاعد إلى مدينة الطائف - طريق جدة - الجموم - يستطيع أن يشاهد الجبل الأصفر يعد الجموم مباشرة نحو الشرق، حيث السوق المجاورة له. والخريطة توضح المكان بسهولة" (٢١).

أما زمن انعقاد سوق مجنة فهو في العشر الأواخر من شهر ذي القعدة، وتقوم بعد انفضاض الناس من سوق عكاظ في العشرين من الشهر نفسه، حيث يقصدها العرب من عكاظ،

بقضهم وقضيضهم، ليتمموا فيها جميع مقاصدهم من ارتياد تلك الأسواق الموسمية، بما في ذلك ممارسة التجارة والمفاخرات والغداء، وغير ذلك من المناشط التجارية والأدبية التي كانت تمارس في عكاظ^(٢٢)، وليس الخمر أقلها شأنًا، فقد وجد من الأئمة الشعرية ما يفيد بأن الخمر كانت تجلب إلى سوق مجنة، وربما إلى غيره من الأسواق الموسمية من أمكنة صنعها الأصلية من بلاد الشام، وخصوصاً بُصري وغزة، حتى أشاد شعراء ذلك العصر بذكرها، فهاهو شاعر هذيل المعروف أبو ذؤيب الهذلي، يقول^(٢٣):

سـلـافـةٌ راح ضـمـمتـها إداوَةٌ مَقْـبـرةٌ رنّتْ لِمـَوْخـرةِ الرُّخـلِ
تَرَوُّدُهَا مِن أَهْلِ بُصْرَى وَغَزَّةٍ عَلى جَسَنَةٍ مرفوعةِ الدُّنْـيْلِ والكُفـلِ
فَوَافَى بِهَا غَسَنانِ ثَم أَثَى بِهَا مَجَنَّةٌ تَصْنَفُو فِي القِـلـالِ ولا تُغـلـي

وهذه السوق مثل سابقتها عكاظ، ولاحقتها ذي المجاز وخياشنة، تعقد في الأشهر الحرم التي يأمن الناس فيها، في الغالب، على أنفسهم وأموالهم من مغبة الحروب والاقتتال^(٢٤). ونقدر أن عدد الأيام التي ينعقد فيها هذا السوق هي تسعة أيام إلى عشرة من انقضاء سوق عكاظ، حتى هلال شهر ذي الحجة، حينها ينتقل الناس، بقضهم وقضيضهم، إلى سوق ذي المجاز الآتي ذكره.

ذو المجاز:

هذا السوق من الأسواق الموسمية المعروفة بالقرب من مكة المكرمة، قيل إنه لقبيلة هذيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، ربما لوقوعه قريباً من ديارهم، ووروده في شعر بعض شعرائهم ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

وراح بها من ذي المجاز غشينةً يبادر أولى المسابقات إلى الخبل^(٢٥)

وقد ورد في تحديد موضعه قولان: الأول؛ أنه على مسافة فرسخ واحد من عرفة على يمين الموقف، بالقرب من جبل يسمى كيبك^(٢٦) قيل إنه خلف الإمام إذا وقف^(٢٧). والقول الثاني أنها موضع بمنى في منتصف الطريق بين مكة وعرفات^(٢٨). وعلى الرغم من شيوع القول الأول في المصادر المتاحة، وكثرة من قال به من المؤرخين والجغرافيين المسلمين، فإن الأفغاني يرجح القول الثاني، ويعده أدنى إلى القبول^(٢٩). أما تسمية ذي المجاز بهذا الاسم، فذلك لأن إجازة الحاج إلى عرفة كانت منه^(٣٠). وهذا ما يفسر أخذ الأفغاني بالقول الثاني، المشار إليه آنفاً، في تحديد موضع ذي المجاز بمنى وليس بعرفة، ومنه جاء اشتقاق اسمه.

وسوق ذي المجاز يعقد في ذي الحجة من كل عام. يقول الأفغاني: 'إذا انتقش الناس عن مجنة حين يهل ذو الحجة ساروا بأجمعهم إلى هذه السوق، وأقاموا بها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة، وهو يوم التروية، سمي بذلك لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء، ويملاؤن أوعيتهم لما بعده إذ لا ماء بعرفة. وإلى هذا السوق تنقاطر وفود الحجاج من سائر العرب ممن

شهد الأسواق قبلها، أو لم يشهدها وأتى للحج خاصة، إذ إن ذا المجاز من مواسم الحج عندهم^(٣١).

وهي سوق عظيمة، تحفل أيام الحج بجموع العرب وسواهم من الحجاج والتجار وأصحاب المنافع عامة، وهي تلي سوق عكاظ من حيث الأهمية، ويجري فيها ما يجري في سوق عكاظ: من بيع وشراء، وتناشد وتفاخر، وفداء أسرى وطلب ثار. فقد ذكر أن صاحب الثار يقصدها ليتعرف على وثره في ذي قرابته، فيترى به انتضاء الشهر الحرام إن كان من المحرمين، وإلا عاجله فأخذ بثأره^(٣٢). ويورد الأتفاتي بعض الأمثلة لحوادث تتعلق بالأخذ بالثأر؛ يطول ذكرها في هذه العجالة^(٣٣).

أما زمن انعقاد هذا السوق فهو - كما أوضحنا سابقاً - من الأول من ذي الحجة حتى الثامن منه، وهو يوم التروية، وعدد أيام انعقاده ثمانية أيام، بما في ذلك يوم التروية المذكور^(٣٤). وقد ظلت هذه السوق قائمة ومستمرة بعد ظهور الإسلام مدة طويلة؛ لا نعلم لها نهاية محددة على وجه الدقة واليقين، وإن كان هناك من الإشارات ما يفيد أنها استمرت عامرة إلى ما بعد انتهاء سوق عكاظ، أي بعد عام ١٢٩هـ/٧٤٧م^(٣٥)، وهذا العام هو الذي شهد نهاية سوق عكاظ على أيدي الخوارج.

سوق خباشة:

توصف سوق خباشة بأنها "من أسواق العرب المشهورة القديمة، في الجاهلية والإسلام... وهي سوق بتهامة، يتاجر فيها أهل الحجاز وأهل اليمن، وكان من جملة من حضرها وتاجر فيها: الرسول [صلى الله عليه وسلم]. وكانت تقام في شهر رجب"^(٣٦). وخباشة (بضم الحاء المهملة وفتح الباء المعجمة، والشين المثناة) مشتقة من الفعل خبش أي جمع، والتخبيش: التجميع، وخبش الشيء يحبشه حبشاً أي جمعه، والخباشة: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة^(٣٧). وعلى نمق التاصيل اللغوي لسوق عكاظ، وأنه من التعتظ أو المعاكظة، وماتدل عليه هذه الكلمة من اجتماع العرب فيه للمفاخرة والمحاجة والبيع والشراء، والفداء، وسائر أمورهم التي تقوم السوق من أجلها ويسببها في كل موسم. من المحتمل - على هذا النسق المذكور - أن لفظ خباشة جاء من التجمع القبلي لمحيطه الممتد إلى أعالي السراة شرقاً، وإلى أغوار تهامة الساحلية غرباً وما بينهما من الأودية والقطاعات الجبلية شمالاً وجنوباً، فيما يعرف بالأصنادر والغرضيات التي يتوسطها ذلك السوق المشهور في الجاهلية والإسلام. ويغلب على الظن أنه كان في زمانه موسماً يلتقي فيه التهامي مع السروي، والخبتي مع الجبلي، وأهل بارق وما وراؤهم إلى اليمن، مع أهل الغرضيات، ومايشاملهم من الديار والقبائل، إلى الطائف ومكة المكرمة وماوراءهما. فلا بد أنها كانت سوقاً عظيمة، ومتجرراً رابحاً، يهبط إليه أخلاط شتى من مختلف القبائل التي ترتاده للمتاجرة وفداء الأسرى، ومبادلتهم بأمثالهم، والتقاضى في المنازعات، ومختلف المنافع التجارية، وغير التجارية، التي كانت سبباً في قيام كثير من الأسواق العربية الموسمية في مختلف أرجاء الجزيرة العربية^(٣٨).

هذا الإطار الجغرافي لموقع السوق، ولمرتاديه من القبائل والديار المحيطة به؛ يستشف من الإشارات البسيطة التي وردت عنه في المصادر العربية، ومنها الأزرقى الذي يقول: «وخباشة سوق الأزد، وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلى من ناحية اليمن، وهي من مكة على ست ليال»^(٢٩). وعن حباشة يقول البكري أيضاً هي: «سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة. قال حكيم بن حزام: وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضرها، واشترت منها بَرّاً من بَرّ تهامة. وهي من صدر قنونا، أرضها لبارق»^(٣٠). أما ياقوت فيوصل الاسم ومدلوله اللغوي على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً، ثم يقول: «وخباشة: سوق من أسواق العرب في الجاهلية»، ثم يورد حديث عبدالرزاق عن معمر عن الزهري: المتضمن قصة متاجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، للسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها^(٣١)، وهو حديث يطول ذكره ويخرجنا عن سياق هذا البحث.

من هذه الأقوال وغيرها يتضح: أن حباشة من الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، وأنها تقع في ديار الأزد، القبيلة العربية المشهورة، قبل الإسلام وبعده، حتى عصر الناس هذا، وهي (أي سوق حباشة) ناحية، أو عمل من أعمال مكة المكرمة عليها وال يعينة أمير مكة في زمان ازدهارها، ولا يزال موضعها، وما يحيط به من قرى وبلدات تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة في وقتنا الحاضر، وهي جزء من محافظة القنفذة، بمركز العرضية الذي يشكل أهم قطاع من قطاعات المحافظة كما سيأتي.

ويتضح كذلك أنها تقوم في شهر رجب من السنة، وأن مدتها ثمانية أيام على رأي البكري، وكان يرتادها إلى جانب من حولها أناس من اليمن، ومن مكة المكرمة، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من أهل مكة، تاجر إليها، مع رجل آخر من قريش، في بضاعة للسيدة خديجة رضي الله عنها، ونعذر أن هذين الرجلين - رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرافقه - ماهما إلا دليل على وجود منات من المكيين، والحجازيين عامة، الذين كانوا يهبطون إلى سوق حباشة في كل موسم من مواسمها السنوية.

وعلى الرغم من أهمية هذا السوق، وكثرة مرتاديه ممن حوله من القبائل الساكنة في ديار الأزد، بما فيها بارق، وكذا مرتاديه من اليمن والحجاز؛ فإن المصادر التي تحدثت عنه لم تحدد له مكاناً بعينه على وجه الدقة واليقين، وأن الإطار الجغرافي الذي أورده تلك المصادر طويل وعريض وعاتم، فهي سوق للأزد، وموقعها في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا^(٣٢)، وهذا القول يزيد الأمر صعوبة للتمائل فيه، ومشقة على من يحاول التوفيق بين عباراته؛ بغية الوصول إلى مكان محدد لموقع السوق أو قريب منه؛ فكونه سوقاً للأزد، وفي صدر قنونا فذلك قول أقرب إلى القبول، إلا أن عبارة: «ديار الأوصام من بارق» تدعونا إلى التريث قليلاً، إذا أخضعنا هذه العبارة لمعايير معرفتنا، في الوقت الحاضر، لحدود بارق الواقعة على مسافة (٢٠) كم تقريباً إلى الجنوب، مما يعتقد أنه موقع السوق كما سيأتي، ويفصل بين تلك الحدود والموضع المقترح: امتداد قبيلة بني شهر وديارها، وكذا امتداد بعض ديار قبيلة بقرن التي يقع السوق في ديارها، إلا إذا افترضنا أن حدود قبيلة بارق في الماضي غير حدودها

اليوم، وأنها كانت فيما مضى تمتد إلى هذا المكان المقترح للسوق في زمن ازدهاره، خصوصاً وأن حدود القبائل لا تظل على حالها مدداً طويلة كهذه المدة، فبعضها يتداح ويتسع، وبعضها يتراجع وينكمش مع الزمن نتيجة لظهور قبيلة على أخرى، أو هجرة إحداها إلى خارج حدودها، مفسحة المكان للقبيلة أو القبائل المجاورة. أما كون هذا السوق للأزد فهو لا يغير شيئاً من وجه الحقيقة؛ لأن يارق أزدية، والقبيلة التي يقع موضع السوق الحالي في حدودها بعد تحقيقه (وهي قبيلة بخارث من بُلُقَرَن المعروفة) أزدية كذلك^(٤٣).

تحقيق موضع السوق:

سبقت هذا البحث محاولتان لتحديد موضع سوق حباشة على الطبيعة: الأولى أجراها حسن بن إبراهيم الفقيه الذي ناقش موضع السوق، ومختلف العوامل المؤدية إلى قيامه في المكان الذي حدده^(٤٤)، والثانية أجراها عبدالله أبو داهش، وفيها اتفق مع سابقه، ونقل نصوصاً أكثر دقة وتحديدًا؛ عن الباحث عبدالله بن حسن الرزقي، وهو من أبناء المنطقة العارفين بها، والقريبين منها، وله دراسات واجتهادات وتفسيرات على جانب كبير من الأهمية، فهو - كما ينقل عنه أبو داهش - يحدد موضع السوق بأنه: يقع على الضفة الجنوبية لوادي قنونا بالقرب من الفانجة (الفانجة - القرية التاريخية المعروفة) التي يبعد عنها السوق بمسافة تقدر بخمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي في موقع يعرف باسم الخواري في حداب القرنة المعروفة اليوم^(٤٥). ويقول: "هنا في موضع السوق: آثار وردوم وحجارة مركومة، وبعض القبور، وبنائر ظاهرة في الأرض تختلف في سمعتها، وكفة مساحتها لعلها حظائر لبيع الأغنام، أو مواضع للنخاسة، وغير ذلك، وفي تلك الأرض الواسعة التي تقدر مساحتها بنحو كيل في نصف الكيل توجد أحجار بركانية سوداء فيها: قطع فخار، وأخرى قطع من الحجارة ذات اللون الأخضر التي يظن بأنها تكوين الأرض نفسها ذات العروق الملونة والغريب السود"^(٤٦). وهذا المكان الذي جرى تحقيقه يعرف بين الأهالي حتى اليوم باسم السوق، ولكن لا أحد منهم يعرف أي سوق هو مما يعزز الاحتمالات عند الباحثين بأنه موضع سوق حباشة^(٤٧)، وأنه على الرغم من اندثاره ظل الأهالي يتوارثون الوظيفة التي كان يقوم بها هذا الموضع، وهو انعقاد سوق حباشة على ترابه.

زمن انعقاد السوق ومدة انعقاده وخوابه:

من الثابت أن سوق حباشة كان يعقد في شهر رجب من كل عام، وأنه يبدأ في الأول منه، ولكن مدة انعقاده محل خلاف في المصادر التي غابت به؛ فمن قائل إنها ثلاثة أيام متوالية من أول رجب، وهذا القول للأزرقي وتابعه تقي الدين الفاسي^(٤٨)، ومن قائل إنها ثمانية أيام على حد ما يورده البكري^(٤٩). ويقلب على الظن أن قول البكري هو الراجح، لأن جميع الأسواق الموسمية التي مرت بنا لا تقل مدد انعقادها عن ثمانية أيام؛ ولأن ثلاثة أيام ليست كافية لسوق موسمي يعقد مرتين في السنة، ويقد إليه البائعون والمشترون من مسافات طويلة، وهذه المدة لا تكفي لراحتهم وراحة مطاياهم التي يفدون عليها، فضلاً عن بيع مامعهم وشراء ما يحتاجون

إليه، وقضائهم لجميع حوالجهم التي قدموا من أجلها، هذا إلى أن من الأسواق الوعديّة القريبة من موضع سوق حباشة مايمكث ثلاثة أيام، ومنها على سبيل المثال: سوق المخواة الحالي بمحافظة المخواة، منطقة الباحة المجاورة. ومما يرجح قول البكري أيضاً، أن المتأمل في نص الأزرقي يدرك أن الأيام الثلاثة الواردة فيه هي مدة إقامة الرجل الذي يبعثه والي مكة إليها على رأس جند من قبله، فهو يقول: "وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند، فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متواليه"^(٥٠). وهكذا نلاحظ أن هذه الأيام الثلاثة تخص إقامة هذا الوفد، وليس مدة انعقاد السوق التي يشير إليها البكري صراحة بقوله: "سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة"^(٥١) فالنصريح هنا واضح بقوله: "كانت تقوم ثمانية أيام في السنة"^(٥٢).

أما عن تاريخ خرابها فهو محل اتفاق وإجماع، عند سائر من كتب عن هذه السوق، في القديم والحديث، ولذلك قصة متواترة في المصادر التي أوردتها، وهي أن إحدى قبائل الأزدي صاحبة السوق: قتلت والياً عليها من قبيلة غني كان قد ولاه عليها أمير مكة داود بن عيسى بن موسى في سنة ١٩٧هـ/ ٨١٣م، فلما وصله الخبر استشار فقهاء أهل مكة، فأشاروا عليه بتخريبها فخرّبها منذئذ "وتركت إلى اليوم"^(٥٣) على حد قول الأزرقي، أي في زمانه من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، نتيجة لتلك المشورة الظالمة التي لم تكن موفقة بحال من الأحوال، وكان من المفروض أن يأخذ الفاعلين بجريرتهم لا أن يخرّب سوقاً عُمر لأكثر من قرنين من الزمان، ويقطع مورداً اقتصادياً لا بد أنه كان يعيش عليه قطاع كبير من الناس، وأنه كان من الممكن أن يتطور مع السنين ويتسع ويكبر، ويستمر إلى عصر الناس هذا، خصوصاً وأن المنطقة التي كان يقوم فيها منطقة خصب وزراعة، وكثافة سكانية ملحوظة إلى اليوم. ويجرنا خراب هذا السوق إلى تقدير عمرها، الذي لا نعرف عنه شيئاً في المصادر المتاحة على وجه التحديد، ولتحقيق تلك الغاية: لا بد من البحث عن بدايتها الأولى التي لا نعرف عنها شيئاً في المصادر المتاحة كذلك، وإما هناك حادثة يتيمة ارتبطت بالسوق في عصر ما قبل الإسلام، تلك هي حادثة مقتل الشاعر والغذاء المشهور الشنفرى الأزدي، وهو عائد من سوق حباشة في رواية طويلة يوردها صاحب الأغاني^(٥٤). وحيث إن هناك من الدارسين من يجعل مقتل الشنفرى الأزدي في سنة ٧٠ق. هـ/ ٥٢٥م، وهو عائد من سوق حباشة، التي ربما قدم إليها من ديار قبيلة فهم الغاطنة في تهامة بالقرب من مكة المكرمة^(٥٥)، مما يعني أن هذا السوق كان عامراً قبل هذا التاريخ بزمان، بل ربما كان - حينذاك - في أوج عمارته، وقصة ازدهاره. أي أن هذا التاريخ المذكور ليس تاريخ بدنه، وإما هو دليل على أنه كان موجوداً وعماراً قبله، ربما بزمان ليس بالقصير. أما بعد هذا التاريخ فإن المدة التي عاشها السوق حتى خرابه أو تخريبه في عام ١٩٧هـ/ ٨١٣م فتقدر بأكثر من ٢٦٧ عاماً، وبذلك فإن سوق حباشة يعدّ من أقدم الأسواق الموسمية العربية في منطقة مكة المكرمة، ومن أطولها عمراً، ومن أجدرها بالعناية، ويعودته إلى الحياة كما سيأتي.

سوق حباشة والعمره الرجبية:

من الثابت أن سوق حباشة كانت تعقد في شهر رجب من كل عام، وأن هذا الشهر من الأشهر الحرم التي كانت العرب تحرم فيها الاقتتال، وأن شأنه في ذلك شأن أشهر الحج التي كانت تعقد فيها الأسواق الثلاثة السابقة، وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز. فما علاقة موعد انعقاد سوق حباشة، في هذا الشهر، بالعمره الرجبية التي كانت موسماً من مواسم أهل مكة في جاهليتهم وإسلامهم؟ وقيل الإجابة على هذا السؤال: تجدر الإشارة إلى أن العرب في الجاهلية كانت تحرم العمره في أشهر الحج، وهي شوال والقعدة والحجة، وربما في شهر المحرم الذي يتلوها كذلك، وكانت تقول: "إذا برأ الذئب، وعفى الويزر، وبخل صفر، حلت الغنزة لمن أعتصر"^(٥٦). أي أن العمره كانت تحل عند العرب في الجاهلية بدءاً من شهر صفر، وربما كان شهر رجب من أكثر الشهور تفضيلاً للعمره عندهم. أما عند أهل مكة والجهات المتصلة بها، فهو موسم عظيم لهم في جاهليتهم وإسلامهم، يقول ابن جبير: "وهذا الشهر المبارك (شهر رجب) عند أهل مكة موسم من المواسم المعظمة، وهو أكبر أعيادهم، ولم يزالوا على ذلك قديماً وحديثاً يتوارثونه خلفاً عن سلف متصل ميراث ذلك إلى الجاهلية؛ لأنهم كانوا يسمونه منصل السنة. وهو أحد الأشهر الحرم"^(٥٧). ثم استمر الاعتراف في رجب متصلاً في الإسلام، وكانوا يسمون العمره فيه باسم العمره الرجبية. وكانت عند أهل مكة موسماً عظيماً يضاهي موسم الحج. يقول ابن جبير: "والعمره الرجبية عندهم أخت الوقفة الغزبية، لأنهم يحتفلون لها الاحتفال الذي لم يسمع بمثله، ويبادر إليها أهل الجهات المتصلة بها، فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله عز وجل"^(٥٨). ويقول عنها ابن بطوطة: "وأهل مكة يحتفلون لعمره رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله، وهي متصلة نيلاً نهاراً، وأوقات الشهر كله معمورة بالعبادة، وخصوصاً أول يوم منه، ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين، فإتاهم يستعدون قبل ذلك بأيام"^(٥٩).

ويقلب على الظن أن هذه العمره الرجبية، المهمة في الجاهلية والإسلام، التي كان يحرص عليها أهل مكة، وأهل الجهات المتصلة بها، حتى إنهم - على ما يذكر ابن جبير - كانوا يعدونها موسماً يضاهي الوقفة بعرفة على^(٦٠). فمن المحتمل، والحالة هذه، أن لموسم سوق حباشة صلة بها، وأنه كان محطة من محطاتها، كما هو الحال بالنسبة للأسواق الثلاثة الموسمية الأخرى، من أسواق منطقة مكة المكرمة، التي كانت في واقع الأمر محطات ثلاث متتالية، من المحطات التي تسبق الحج إلى مكة المكرمة، وتتصل به، وتقضي إليه. فسوق حباشة يعقد في الأول من رجب، ويستمر ثلاثة أيام أو ثمانية منه، يقدم إليه المعتمرون خلالها من السراة وتهامة واليمن، فيرتاحون فيه من عناء السفر، وترتاح مطاياهم، ويتزودون منه بمؤونة الطريق، ويجلب إليه الجالبون بضائعهم، ويشترى منه الشارون ما يجلبونه إلى مكة من بضائع ليبيعها في موسم العمره الرجبية، ذلك الموسم الذي يشهد فيه سوق مكة رواجاً لا يقل عن رواجه في موسم الحج. فإذا صح هذا التقدير فإنه يجيب على السؤال الذي سبق طرحه من قبل، وهو: ما صلة موعد انعقاد سوق حباشة في هذا الشهر بالعمره الرجبية التي كانت كانت موسماً من مواسم أهل مكة.... الخ؟ فالعمره الرجبية في مكة تنعقد في كل أيام رجب، ولكن

أكدها في ثلاثة أيام منه، هي اليوم الأول، واليوم الخامس عشر، واليوم السابع والعشرين، على حد قول ابن بطوطة^(١١). وهذا اليوم الأخير يصادف ذكرى ليلة الإسراء والمعراج، بحسب العرف السائد في بعض الأقاليم الجنوبية، وغالباً ما تكون عمرة أهالي جنوب مكة في اليومين الأخيرين المشار إليهما، وهما ١٥، ٢٧ من رجب، بل إن شهر رجب عندهم موسم مهم لزيارة المدينة المنورة، والصلاة في مسجد النبي، صلى الله عليه وسلم. وقد أدركت هذا التقليد في صغري، ولأزلت أذكر أن العمرة في رجب، ثم زيارة المدينة المنورة في هذا الشهر؛ تعد من أهم القرىات، ولا يقدر عليهما إلا من كان ذا حظ عظيم وعزيمة قوية.

ويفسر هذا القول ما تتحدث عنه بعض المصادر عن يسمونهم: "السرو المائرين" أي الذين يجلبون الميرة إلى مكة من أهل السراة وما حولها، فهم يوصفون بأنهم قوم أشداء فصحاء، يجلبون إلى مكة أصنافاً شتى من منتوجات ديارهم، التي يعتمد عليها المكيون والمجاورون والمعترون في غذائهم: يقول ابن جبير: "ومن لطيف صنع الله عز وجل، أن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة يستعون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية في العمرة، وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبيا إلى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز، فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة، ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً مؤفّرة بجميع ما ذكر. فيرغفون معاشي البلاد والمجاورين فيه، يتقوّنون ويدخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق. فيعد الناس منها ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى. ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش"^(١٢). ويقول عنهم ابن الجاور: "فإذا دخلوا مكة ملأوها خبزاً من الحنطة والشعير، والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب وما يشابه ذلك"^(١٣). وأخيراً نختتم بقول ابن بطوطة: "وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها"^(١٤).

وعلى الرغم من أن بلاد بجيلة وغامد وزهران؛ هي دون موقع سوق حباشة، مما يلي مكة المكرمة، وأن بعض منتوجاتها ربما كانت تجلب مباشرة منها إلى مكة، فإننا لا ينبغي أن نغفل دور باقي أقاليم السراة، ولا دور أهلها الواقعة ديارهم إلى الجنوب من السوق، وهي ديار أوسع من ديار بجيلة وغامد وزهران، وخيراتهما أكثر، وصلتها بالسوق قوية، لأنها تقع في تهامتهم، وفي طريقهم إلى مكة المكرمة، فضلاً عن مجلويات أهل اليمن إلى سوق حباشة، ثم منها إلى مكة المكرمة، ومن أمثلتها البز، المشار إليه سابقاً. والبز كلمة جامعة شاملة لمختلف أنواع الثياب التي كانت تُسج وتُصغ في اليمن، وخصوصاً في تهامتها، لأن تهامة، المنسوب إليه هذا البز، ليست ما يعرف بتهامة الشام أو تهامة عسير، وإنما هي تهامة اليمن التي اشتهرت بهذه الصناعة حتى عهد ليس بالبعيد، وبصورة خاصة مدينتي زيد وبيت الفقيه^(١٥). ومن هنا ينبغي ألا نغفل دور سوق حباشة في إمداد سوق مكة بكثير مما يجلب إليه ويشتري

منه، من منتوجات السراة واليمن، وخصوصاً في مواسم العمرة ومنها موسم العمرة الرجبية؛ التي نعتقد أن هذه السوق محطة من المحطات المفضية إليها في مكة المكرمة.

يتضح مما سبق: أن مكة المكرمة كانت منطقة أسواق موسمية قديمة، وأن منها ما ارتبط بالحج، وهي سوق عكاظ ومجنة وذو المجاز، ومنها ما ارتبط بالعمرة الرجبية، وهو سوق حباشة، وأن هذه الأسواق متقاربة في وظائفها من حيث: المجلويات وحركات البيع والشراء، ومن حيث: الأغراض الأخرى المتمثلة في المفارقات والتقاضى وفداء الأسرى، وتبادلهم، وطلب الثار وغيره. كما يتضح أن هذه الأسواق الأربعة؛ كلها عمرت مدداً طويلة منذ ما قبل الإسلام، فعصر الخلافة الراشدة، فالعصر الأموي، ثم إلى الشطر الأعظم من العصر العباسي الأول. ولأهمية إعادة إحياء هذه الأسواق، بوصفها موروثاً حضارياً وتاريخياً وثقافياً - أجد لزاماً علي في نهاية هذه الورقة المتواضعة: طرح التوصيات الآتية:

التوصيات:

- ١- تحديد أمكنة هذه الأسواق، وإحاطتها بأسوار من قبل الهيئة العامة للسياحة والآثار، بوصفها أمكنة تاريخية وتراثية، وقد تكون بها معطيات أثرية مدفونة وشاخصة، وخصوصاً موقعي سوق مجنة وسوق حباشة، لأن سوق عكاظ أصبح معلوم المكان، وسوق ذي المجاز في منى التي يصعب إجراء أي نشاط فيها، في الوقت الحاضر، غير ما تختص به من المبيت بها في أيام الحج، فضلاً عما جرى فيها من شق الطرق، وبناء الجسور والأنفاق، وبعض المرافق والخيام مما يكون قد غطى، عبر التاريخ، على أي أثر لسوق قديم فيها، غير سوقها التي تنشط في يوم التروية، وفي أيام التشريق الثلاثة التي تعقب الوقفة بعرفة.
- ٢- تشجيع الدراسات والبحوث حول نشاط هذه الأسواق، باستخدام مختلف المناهج والأساليب والأدوات المؤدية إلى زيادة معلوماتنا عن هذه الأسواق، وإلى تقدّم المعرفة الإنسانية بها.
- ٣- توثيق التراث التقليدي في البيئة المحيطة بهذه الأسواق، وخصوصاً سوق حباشة على أن يشمل التوثيق: الأسواق الوعديّة المنتشرة في محيط السوق، ومعرفة جميع المجلويات إليها، وما يباع فيها ويشترى قديماً وحديثاً، وإجراء مقابلات، مع كبار السن، لمعرفة الصورة التي كانت عليها تلك الأسواق قبل الطفرة الحديثة، وكذلك معرفة القوانين والأعراف القبلية التي كانت سائدة بخصوصها.
- ٤- إعادة إحياء هذه الأسواق، وتفعيل نشاطها التجاري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وتجريتها في سوق عكاظ تجرية ناجحة، وهي في سبيلها إلى التطور والتقدم والارتقاء كل عام. ومن منطلق هذه التجربة الناجحة في سوق عكاظ: يتعين علينا النظر في تطبيقها على الأسواق الثلاثة الباقية، وهي مجنة وذو المجاز وحباشة، وإنما بدرجات متفاوتة، خصوصاً إذا أخذنا في الحسبان: تشابه طبيعة هذه الأسواق بسوق عكاظ، وقرب أزمان انعقادها، وطبيعة مرتاديها، ودوافعهم من ارتيادها وهكذا. فإذا نظرنا إلى كل هذه العوامل مجتمعة؛ فإننا نلاحظ أن سوقى مجنة وذو المجاز هما نسخة من سوق عكاظ، مع فارق الشهرة التي تميز سوق عكاظ

عن السوقين الباقيين، فهما يعقدان على التوالي بعد سوق عكاظ، وفي موسم واحد هو موسم الحج، ودائرة واحدة مسافتها غير متباعدة، ومعظم مرتاديها من الحجاج الذين في سبيلهم إلى تادية شعائر حجهم إلى مكة المكرمة. في ظل هذا التشابه، والتقارب في الزمان والمكان والأهداف والغايات فإن مهرجان سوق عكاظ يغني عن السوقين الباقيتين، وخصوصاً ذي المجاز، لأنه في منى، وفي شهر ذي الحجة، ومنى كلها سوق، والكل مُستثَفَر في خدمة الحجاج والسهر على راحتهم.

أما سوق حباشة، فأولى بأن تعود إليه الحياة، وأن يقام على أرضه مهرجان سنوي ذو أغراض متعددة، تأتي الثقافة على رأسها، وذلك لعدة اعتبارات منها.

(أ) أنه كان يعقد في الأسبوع الأول من شهر رجب، متزامناً مع موسم العرة الرجبية التي سبق ذكرها.

(ب) أن سوق حباشة بعيد زماناً ومكاناً عن سوق عكاظ والسوقين التاليين له (مجنة وذو المجاز) من حيث موضعه وزمن انعقاده، فالفارق بينهما في الزمان حوالي ٥ أشهر، وفي المكان أكثر من ٣٠٠ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي. واختيار شهر رجب تاريخاً لانعقاده كل عام سيكون اختياراً موفقاً -دون شك- لأن شهر رجب يقع في منتصف السنة تقريباً، والفارق الزمني بينه وبين تاريخ انعقاد مهرجان سوق عكاظ، حوالي أربعة أشهر، إذا أخذنا في الحسبان أن مهرجان سوق عكاظ يعقد في شهر شوال من كل عام، وهو ما استقر عليه الرأي حتى الآن.

(ج) يمثل موقع سوق حباشة الكفة الثانية لميزان إسارة المنطقة، في مقابل الكفة الأولى التي يمثلها موقع سوق عكاظ، فضلاً عما لمحيط السوق وبيئته من تراث مميز؛ يجمع بين ثقافة تهامة والسراة، وبين جنوب الحجاز، ومنطقتي عسير والباحة.

(د) ارتبط السوق بحدثين تاريخيين مهمين: أحدهما ديني، ويتمثل في ما سبقت الإشارة إليه من حضور النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى سوق حباشة في تجارة للسيدة خديجة رضي الله عنها. والثاني ثقافي، وهو ما كان سبباً في تأليف واحد من أهم المعالجات الجغرافية؛ الذي لا يستغني عنه أي باحث أو دارس على مدى تاريخه، وحتى عصر الناس هذا، ذلك هو: معجم البلدان لياقوت، الذي يسرد قصصه تأليفه بقوله: "وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب، أنني سئلت بمرز الشاهجان في سنة خمس عشرة وستمئة في مجلس شيخنا الإمام المسعود الشهد فخر الدين أبي المظفر عبد الرحيم ابن الإمام الحافظ تاج الإسلام أبي سعد عبد الكريم السمعاتي تغددهما الله برحمته ورضوانه... عن حباشة بضم الحاء، قياماً على أصل هذه اللفظة في اللغة، لأن الحباشة: الجماعة من الناس من قبائل شتى، وحبيشت له حباشة أي جمعت له شيئاً. فاتبرى لي رجل من المحدثين، وقال: إنما هو حباشة بالفتح. وصمَّ على ذلك وكابر، وجاهر بالعناد من غير حجة ونظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل، إذ لا مَعُول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فاستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت بمرز يومئذ، وكثرة وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها، فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشعب والمراء، وياس من وجوده يبحث واقتراء، فكان موافقاً والحمد لله لما فكرته، ومكيلاً بالصاع

الذي كتبه، فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً، وبالاتفاق وتصحيح الألفاظ مخطوطاً، ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً، وإلى ضوء الصواب داعياً، ونهت على هذه الفضيلة النبيلة، وشرح صدري لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون، ولم يهتد لها الغابرون^(١١).

كل هذه الأسباب والعوامل التاريخية والجغرافية، والموروث الحضاري والتراثي والثقافي، وظروف الزمان والمكان، تجعلني أتقدم من على هذا المنبر باقتراح: إحياء سوق حباشة ببلاد بالحارث القرنية بمحافظة القنفذة ، وإقامة مهرجان ثقافي تراثي يحمل اسمه في شهر رجب من كل عام.



الإحالات والمصادر والمراجع

- (١) ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، (بيروت: دار لسان العرب، د. ت)، ج٢، ص٢٤٢.
- (٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط(١)، (بيروت، دار الملايين، ١٩٧١م)، ج٧، ص٣٦٥.
- (٣) الآية ٢٠ من سورة الفرقان.
- (٤) الآية ٧ من سورة الفرقان.
- (٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٤٢.
- (٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٨) السمهودي، نور الدين علي بن أحمد المصري، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط٣، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٢، ص٧٤٨.
- (٩) الأفغاني، سعيد؛ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٢، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص٢٨٩، ٣٤٣.
- (١٠) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص٥١٨.
- (١١) ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحصري، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، ج٥، ص٥٩. <http://Archivebeta.Sakhr.com>
- (١٢) الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، ط٢، (مكة المكرمة: مطابع مكة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥)، ج١، ص١٩٠.
- (١٣) البكري، عبد الله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، د. ت)، ج٢، ص١١٨٧.
- (١٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٥٩.
- (١٥) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عبدالسلام تدمري، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج٢، ص٤٥٣.
- (١٦) الفاسي، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (١٧) اللحياتي، البدر بن سثير، "سوق مجنة في عصره الجاهلي والإسلامي"، في ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية، (الرياض: وزارة المعارف، ١٤٢٢هـ)، ج٢، ص٤٢٣.
- (١٨) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص١١٨٧.
- (١٩) اللحياتي، "سوق مجنة"، ص٤٢٣.
- (٢٠) اللحياتي، المرجع نفسه، ص٤٢٤.
- (٢١) اللحياتي، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (٢٢) الأفغاني، أسواق العرب، ص٣٤٥.

- (٢٣) ياقوت، معجم البلدان، ٥٥، ص ٥٩.
- (٢٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥.
- (٢٥) ياقوت، معجم البلدان، ٥٥، ص ١٥٥؛ الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٧.
- (٢٦) البكري، معجم ما استعجم، ٢٤، ص ١١٨٥.
- (٢٧) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٧.
- (٢٨) الأفغاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٢٩) الأفغاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٣٠) الفاسي، شفاء الغرام، ٢٤، ص ٤٥٠.
- (٣١) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٨.
- (٣٢) الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٤٩.
- (٣٣) الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٤٩-٣٥٢.
- (٣٤) ابن حبيب، أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي، كتاب المحبر، تحقيق ايلزه ليختن شتير، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ص ٢٦٧؛ الفاسي، شفاء الغرام، ٢٤، ص ٤٥٠.
- (٣٥) الأزرق، أخبار مكة، ١٩٠، ص ١٩٠؛ الفاسي، شفاء الغرام، ٢٤، ص ٤٥١.
- (٣٦) جواد علي، المفصل في تاريخ الإسلام، ٧، ص ٣٧٥-٣٧٦.
- (٣٧) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ١٤، ص ٥٥٢.
- (٣٨) الفقيه، حسن بن إبراهيم، "حباشة"، في حواشي سوق حباشة، (البيها: النادي الأدبي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص ٣٩.
- (٣٩) أخبار مكة، ١٤، ص ١٩١.
- (٤٠) معجم ما استعجم، ١٤، ص ٤١٨.
- (٤١) معجم البلدان، ٢٤، ص ٢١٠-٢١١.
- (٤٢) الأوصام: لا تُعرف قبيلة بهذا الاسم في سائر الامتداد الجغرافي المذكور في النص، لا قديماً ولا حديثاً، في حدود علمي، وقد ظننته تصحيفاً تتبعته في ألفاظ كثيرة قريبة لرسم الكلمة، فلم أجد أي دلالة له على قبيلة، أو على وصف جغرافي لطبيعة المكان. إلا أن هناك من الباحثين من يعده تحريفاً لاسم (الأواس) القبيلة الأزدية التي تقع هذه السوق في ديارها. انظر: الفقيه، "حباشة"، ٣٩.
- (٤٣) الفقيه، حسن بن إبراهيم، "أين يقع سوق حباشة؟"، في حواشي سوق حباشة، ط١، (الناشر ومكان النشر لم يذكران، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، العدد ١٥، السنة ١٥، ص ٢٢.
- (٤٤) الفقيه، المرجع نفسه، ص ٢٢-٢٣.
- (٤٥) أبوداهش، حواشي سوق حباشة، ص ٣٨-٣٩. في مهاتفة بيني وبين الأستاذ عبدالله الرزقي أكد لي مكان السوق، وحدد المسافة بينه وبين قرية الفايجة التي ينسب إليها سوق ربوع الفايجة المشهور، بحوالي خمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي عن الفايجة في المكان المذكور في النص، وأجندني مديناً للأستاذ الرزقي في كثير من المعلومات، وتفسير بعض الظواهر الجغرافية والأثرية المحيطة بالسوق، ف شكرته له من الأعماق مع صادق الدعوات له بالأجر والثواب، والتوفيق والسداد.

- (٤٦) أبو داهش، حوليات سوق حباشة، ع ١٥، ص ٤٠.
- (٤٧) الفقيه، "أين يقع سوق حباشة؟"، ص ٢٢.
- (٤٨) أخبار مكة، ج ١/ ص ١٩٢؛ شفاء الغرام، ج ٢، ص ٤٥٢.
- (٤٩) معجم ما استعجم، ج ١، ص ٤١٨.
- (٥٠) الأزرقي، أخبار مكة، ص ١٩٢.
- (٥١) معجم ما استعجم، ج ١، ص ٤١٨.
- (٥٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٥٣) الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ١٩٢؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٤٥٢.
- (٥٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ج ٢١، ص ١٩٠-١٩١.
- (٥٥) الزركلي، خير الدين؛ الأعلام، ط ٣، ج ٥، ص ٢٥٨؛ أبو داهش، حوليات سوق حباشة، ع ١٥، ص ٩١.
- (٥٦) الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ١٩٢. ومعنى النص: أنه إذا برأ ذنير الإبل التي كانوا شهدوا الموسم وحجوا عليها، وعفا وزيرها. أما في الإسلام فإن الرسول صلى عليه وسلم أبطل هذا التقليد الجاهلي، وغزواته التي أذاها في حياته كانت كلها في ذي القعدة وهي: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، وبعثته من الجعرانة، وأرسل زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع أخيها عبدالرحمن ليلة الحصباء فاعترمت من التعميم وهكذا النظر: الأزرقي، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٥٧) أبو الحسين محمد، أحمد الكشاني؛ رحلة ابن جبير، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص ١٠٦. <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- (٥٨) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٥٩) أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي؛ رحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ١٦٣.
- (٦٠) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٠٦.
- (٦١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٣.
- (٦٢) رحلة ابن جبير، ص ١١٠.
- (٦٣) جمال الدين، أبو الفتوح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي، صفة بلاد اليمن المسماة: تاريخ المستنصر، تحقيق أو سكر لوفغرين، (لندن: مطبعة بريل، ١٩٥١م) ص ٢٧.
- (٦٤) رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٤.
- (٦٥) المقحفي، إبراهيم أحمد؛ معجم البلدان والقبائل اليمنية، (صنعاء: دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ج (١)، ص ٧٣٤، ج ٢، ص ١٢٢١.
- (٦٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٠.

علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي

د. أماني خليفة محمد البحر (*)

قائمة الاختصارات

أولاً: المختصرات العربية

أ - مختصرات الكلمات

ت تحقيق

ج جزء

د.ت دون تاريخ

د.ن دون دار نشر

د.م دون مكان نشر

د.ط دون سنة طبع

ق.م قبل الميلاد

م ميلادي

ثانياً: المختصرات غير العربية

أ - مختصرات الكلمات

Book BK

Introduction Intr.

Translated Trans

Volume Vol

ب - مختصرات الدوريات

Bulletin of the American Schools of Oriental Research BASOR

The Cambridge Ancient History CAH

The Cambridge History of Islam CHI

(*) أستاذ مساعد بكلية الآداب للبنات - جامعة الدمام.

ظهرت المناطق الحضارية في جنوب شبه الجزيرة العربية مع نهاية النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، واكتسب صفات خاصة بها، وأخرى وردت إليها من غيرها من المناطق التي كانت ترتبط معها بعلاقات تجارية، وثقافية، أو حدثت تبادل فيما بينهم. وفي هذا البحث سوف نسلط الضوء على علاقة اليمن بإحدى أهم هذه المناطق الحضارية وهي الهند التي ارتبطت معها بعلاقات تجارية نشطة منذ أقدم العصور لما تمتعت به الهند من موقع متميز بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى لذلك تاجر معها أهل جنوب الجزيرة العربية بعد أن اكتشفوا سر الرياح الموسمية التي شجعهم على تنظيم رحلات تجارية بحرية عديدة بين اليمن والهند^(١).

تقع شبه جزيرة العرب في القسم الجنوبي من القارة الآسيوية وهي أقصى منطقة من هذه القارة في هذا الاتجاه، وتحدها مياه البحار من الشرق والجنوب والغرب، ليضم الجزيرة العربية قلب المشرق العربي لما كانت له من اتصالات قوية بالأقاليم المجاورة له منذ القدم^(٢). مما جعلها تتمتع بموقع استراتيجي، جغرافي، تمر به أقصر الطرق التجارية، من أغنى أقاليم العالم القديم، بفضل عمليات التبادل التجاري، البرية والبحرية التي برع عرب الجنوب في مزاولتها، وذلك بحكم موقع بلادهم على البحر الأحمر من الجهة الغربية، والمحيط الهندي، والخليج الفارسي من الشرق^(٣).

وبصورة أكثر تفصيلاً فلقد هيئ لها موقعها الجغرافي الفرصة الكبرى لتطور الملاحة على شواطئ شبه الجزيرة العربية، فهي تمر بخط ساحلي بالغ الطول من ثلاث جهات، يدور من خليج السويس إلى رأس الخليج العربي.

وتمر بالقرب من هذه السواحل، أخصب بقاع الجزيرة العربية، وهي اليمن وحضرموت وعمان، ولم يكن الاتصال بينهما بحراً أشد هولاً من عبور الصحراء والجبال التي تتصل بها برأ. وكانت التجارة مع البلاد المجاورة تجد حافزاً إلى الغرب في الشواطئ الطويلة التي تبجر بها شمال افريقية الشرقي، وحافزاً إلى الشمال الشرقي في شواطئ فارس. وهذه الشواطئ وتلك تمتد محاذيه للشاطئ الغربي وهي غير بعيدة عنه مما هيئ للعرب اليمنيين سهولة الاتصال عبر المياه المغلقة في البحر الأحمر، والخليج العربي بأهم مراكز التجارة العالمية آنذاك كشمال أفريقيا ومصر وفارس والهند^(٤).

وأخيراً ويفضل هذا الموقع الاستراتيجي، أصبحت الملاحة في المحيط الهندي في قبضة اليمنيين، والهنود على حد سواء دون منازع في تلك القرون الثلاثة الأولى للميلاد^(٥). ولكي نكون أكثر تحديداً في حديثنا عن العلاقات التجارية لجنوب الجزيرة العربية بالهند فلا بد أن نشير إلى اليمن^(٦) والتي تقع في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب ويتخللها العديد من المناطق السهلية أو الساحلية المطلة على عدن. أطلق عليها اسم العربية السعيدة Arabia Felix، وذلك لشدة ثرائها وخصوبة تربتها وأرضها^(٧).

فهي تقريباً الجزء الوحيد من شبه الجزيرة العربية الذي يتوفر فيه الأمطار مما أدى إلى الزراعة المنظمة أو المطردة بها، فضلاً عما كان لموقعها الجغرافي المؤدي إلى الهند ويفضل منتجاتها التي تستهوي الأسواق في البلدان في العالم القديم كالبخور والأفاويه والبهارات، وأصبح

العرب اليمينيون الجنوبيون من أبرع وأغنى التجار^(٨).

ويفضل هذا الموقع الاستراتيجي لليمن أصبحت أكبر سوقاً تجاري لتبادل السلع والبضائع الهامة، كما أصبح حلقة وصل تجارية هامة بين كلاً من الهند والحبشة، وشرق وشمال أفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا^(٩).

وبناءً على ذلك ظهرت في اليمن العديد من المراكز التجارية، واهتمت بشكل كبير بالطرق البرية والبحرية على حد سواء، وكانوا ينقلون البضائع إلى الأمم المجاورة لهم^(١٠). فازدهرت التجارة اليمنية وزادت ثروات الشعب اليمني الذي تمتع بقدر كبير من الرخاء المادي، والنمو السياسي الذي أعطى للمنطقة وضعاً مسيطراً داخل شبه الجزيرة العربية على نطاق واسع وهذا ما يؤكد لنا سفر الملوك^(١١).

استقرت الدول اليمنية التجارية الجديدة في جنوب الجزيرة العربية وألفت حياة التوطن وعملت في التجارة والزراعة مثل زراعة البخور والتوابل والذي أخذوا يتاجرون به مع العديد من دول العالم القديم مثل الهند - كما سيرد بالتفصيل -^(١٢).

وأصبح لأهل اليمن صيت ذائع في الشؤون التجارية لأن قوافلهم التجارية سواء البرية أو البحرية أخذت تتردد ويكثر في أسواق التجارة الدولية^(١٣) تستخلص هذا من النصوص الواردة في سفر أشعيا وحزقيال الذين قالوا بأن أهل سبأ كانوا من أعظم تجار الشرق الأدنى القديم وأغناهم^(١٤).

فمن البديهي أن عرب اليمن الجنوبيين قد كسبوا مكاسب هائلة من هذه السلع التي كانوا يتاجرون بها ويشير بليني Pliny^(١٥) إلى الحجم الهائل التي كانت تستورده الإمبراطورية الرومانية من شبه الجزيرة العربية فقال (إن الهند والصين وشبه الجزيرة العربية تأخذ منا كل عام مليون شركة) ثم ينتقل للحديث عن ثروات العرب الجنوبيين فيقول عنهم «في عمومهم أغنى أجناس العالم لأن ثروات واسعة تجتمع في أيديهم من روما لقاء ما يبيعونه لنا سواء من نتاج البحر (يقصد اللاك) أو من غاباتهم (يقصد الطيوب) دون أن يشتروا منا شيئاً مقابل ذلك»^(١٦).

غني عن البيان أن نقطة الوساطة في طريق التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند كانت تشغلها السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يدل على أن روما لم تكن قد وضعت المنطقة بعد تحت نفوذها، ولم تكن قد حصلت على تسهيلات تجارية كبيرة في موانئها^(١٧).

وفي هذه الفترة كانت الدولة الحميرية^(١٨) قد ظهرت في اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية (١١٥ ق.م - ٢٥٠ م) وكانت هي المسيطرة على التجارة البحرية مع الهند، وكان التجار العرب يقومون بدور الوسيط التجاري بين التجار المصريين وزملائهم في الهند^(١٩).

إن توسط بلاد اليمن بين أمم العالم القديم جعلها واسطة التجارة بينهم فكان بينها وبين الهند علاقات تجارية وكان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج إليها كلاً من المصريين^(٢٠) والآشوريين^(٢١).

والفينيقيين^(٢٢) وغيرهم فكان اليمنيون ينقلون هذه المواد إلى تلك الأمم في سفن البحر أو في قوافل البر، وكان على شواطئ اليمن فرض وموانئ ترسو عندها السفن القادمة من الهند أو

وادي الفرات^(٢٣).

ومن ثم نشط العرب اليمنيين في التجارة والوساطة بين الأمم المعاصرة لهم وأخذت سواحلهم تلعب دوراً تجارياً هاماً آنذاك^(٢٤) هذه الوساطة التي لفتت نظر بعض المؤرخين الكلاسيكيين أمثال بليني ومؤلف كتاب الطواف بريبلنس. فتحدثوا باستفاضة عن الثراء اليمني وبالتحديد السبئي والحميري من جراء تملك الوساطة التجارية^(٢٥).

إذا فجميع الشواهد تؤكد ان دول جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن السعيدة) كانت في هذه الفترة مركزاً للتجارة الدولية بين الهند وغيرها من دول العالم القديم^(٢٦). وان العرب استمروا في لعب دور الوسيط التجاري بين الأمم واستمروا في نقل السلع الهندية التي كانوا يتاجرون فيها مع سلع بلادهم التي ينتجونها مثل اللبان والمر^(٢٧). الذين أخذوا يتاجرون بها على طول الطرق البرية على ساحل البحر الأحمر غرب شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال واستمر هذا الدور المزدهر الذي كانت بلاد اليمن السعيدة تلعبه رداً طويلاً من الدهر^(٢٨).

ومما يجب الإشارة إليه هنا مدى حاجة شعب الإمبراطورية الرومانية لتلك السلع التي أطلق عليها بليني مصطلح (سلع الرفاهية الشرقية) والتي كانت عادةً تكلف الخزائن الرومانية مبالغ طائلة من المال لدرجة ان الإمبراطور تيريوس ١٤-٣٧ م Tiberius أبدى تضرره من ثروات الرومان التي كانت تنتقل إلى أرم عريية من خلال الملابس والمجوهرات النصائية والرجالية الباهظة الثمن^(٢٩).

وبالإضافة إلى سلع الرفاهية الشرقية تلك كان هناك الطيب والبخور وهو أحد صادرات اليمن للإمبراطورية الرومانية والعالم القديم، ونظم مدى أهمية البخور والذي كان يزونه بميزان الذهب، ويشعلونه في جميع المناسبات الدينية أو الجنائزية أو الأفراح لذا فهو يعتبر على رأس هرم الواردات الرومانية من اليمن والتي كانت تدفع لأجله الأموال الطائلة^(٣٠).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل وقفت الأمم الأخرى والتي كانت تستورد المنتجات العطرية والتوابل مكتوفة الأيدي أمام هذا الاحتكار اليمني لإحدى أهم صادرات العالم القديم ؟ والإجابة بالتأكيد لا لم تقف في مكان المتفرج وتترك مسرح التجارة العالمية في يد العرب اليمنيين ولكنها كانت لها محاولات عديدة كان الغرض منها فرض الحماية أو السيطرة الأجنبية على تلك التجارة والبضائع النفيسة^(٣١).

وتأتي محاولة الإسكندر الأكبر^(٣٢) على رأس تلك المحاولات فمع بزوغ فجر العصر الهليني شهد الخليج العربي تقدم ملحوظ لأسطول الإسكندر الأكبر على موانئه التجارية^(٣٣) فلقد عني الإسكندر غاية فائقة بتنشيط الملاحة في الخليج العربي فستاجر الفينيقيين للملاحة فيه ودخل شواطئه، كما نقل كثيراً من السفن إلى بلاد ما بين النهرين وبين بعض السفن مستعيناً بأشجار السرو وأرسل ثلاث سفن أبحرت جنوباً للاستكشاف، وصلت إحداهن إلى البحرين حيث شاهد رجالها مصائد التونة هناك^(٣٤).

وأخيراً قرر الإسكندر إرسال حملة بحرية بقيادة نيرخوس انطلقت من مصب نهر السند مارة بسواحل ماكران، إلا أن هذا المشروع انتهى بوفاة الإسكندر عام (٣٢٣ ق.م) وتعطل تدخل الإغريق في تجارة التوابل والعطور لمدة قرنين من الزمن^(٣٥).

وعندما تقاسم قادة الإسكندر الأكبر الشرق الأدنى بعد وفاته استقر البطالمة في مصر في أواخر القرن الرابع ق.م واستقر السلوقيين في سوريا، إلا أن البطالمة أرادوا أن يحققوا حلم الإسكندر في السيطرة على هذه التجارة اليمنية وكسر الاحتكار اليمني لها^(٣٧). فعملوا على استغلال السواحل الطويلة المطلة على البحر الأحمر إلى أقصى الجنوب وكانت تلك المحاولة البطلمية بهدف السيطرة على تجارة اليمن في عدة مراحل^(٣٨). أسفرت هذه المراحل الاستعمارية عن بدء رحلة منظمة للسفن البطلمية منذ عام ١٢٠ - ١١٠ ق.م إلا أن ويسبب الفوضى والتدهور السياسي الذي حل بأركان الدولة البطلمية أواخر عصر ملوكها توقفت إلى حد ما تلك التجارة^(٣٩).

وبدأت الإمبراطورية الرومانية تخرج على مسرح الأحداث السياسية والتي تعتبر منافس أشد خطراً منهم، يتمثل هذا النفوذ الروماني واضحاً في عصر الإمبراطور أغسطس Augustus (٢٧ ق.م - ١٤ م) الذي أصبح يسيطر على أغلب مناطق العالم القديم دون منازع منذ أواخر القرن الأول ق.م، ولم يكتفي أغسطس بالنشاط العادي الذي يقوم به أعوانه من الإغريق في تجارة الهند والبحر الأحمر، إنما أراد أن يقضي على العرب اليمنيين ويكسر احتكارهم وسيطرتهم على تجارة التوابل والعطور تماماً، ويحولهم للعمل في خدمة الإمبراطورية الرومانية^(٤٠).

فعمل على حث المصريين على تنظيف القنوات النيلية في زمنه وبذلت الجهود لإتعاش التجارة في البحر الأحمر، ووضعت حاميات مسلحة على السفن التي تسيير في ذلك البحر، واستمر هذا الوضع فترة من الزمن، استخدم في سبيل تحقيقه كل الأساليب العسكرية المتطورة آنذاك وظهرت سلسلة من التحصينات الرومانية في جميع أنحاء البحر الأحمر من الشمال إلى شمال الحجاز كل ذلك بغرض فرض السيطرة على طرف التوابل والعطور الثمينة^(٤١).

ومما ساعد على زيادة حركة القرصنة تلك الشعب المرجانية التي كانت منتشرة على طول سواحل البحر الأحمر، ناهيك عن خلو البحر آنذاك من الموانئ الصالحة أو بالكاد يتوفر الملجأ الآمن للتجارة من أخطار العواصف أو من هجوم القراصنة الجياع^(٤٢).

وكانت الصورة البراققة المشرقة التي أشاعها الرحالة والمؤرخون الإغريق والرومان في عالمهم الغربي عن ثراء بلاد العرب هي الحافز فيما بعد لحكام الرومان على محاولة التدخل في بلاد اليمن ومما قاله استرابون^(٤٣) «أن السبنيين كانوا من أكثر القبائل ثراء نتيجة لتجارتهم في المواد العطرية ولهذا توفرت لديهم كميات من مصوغات الذهب والفضة كالأسرة والموائد الصغيرة والأواني والكوؤوس فضلاً عن قصورهم الرائعة التي كانت أبوابها، وجدرانها، وسقوفها بمختلف الألوان».

وليس من الضروري بطبيعة الحال تصديق هذا التصوير المبالغ فيه ومن المحتمل أنه كان كاذباً لأثره أطماع الرومان الطموحين إلى السيطرة والاستغلال، وهكذا أصدر الإمبراطور أغسطس إلى نائبه الروماني في مصر اليوس جاليوس (Aelius Gallus) بأن كلفه بمهمة إرهاب العرب واحتلال أرضهم^(٤٤).

وبناءً عليه جهز جيشاً كثيفاً وانضم إليه عدد من اليهود المخالفين له واتطلقت الحملة الأولى هذه في عام ٢٤ ق.م على متن أسطول كبير ولكنها باءت بالفشل، وفقدت كثيراً من

سفنها ورجالها ولم تحقق الغرض الأساسي الذي خرجت من أجله وهو السيطرة على تجارة الطيوب في اليمن^(٤٠).

ولم تكن تلك الحملة الأولى والأخيرة التي أرسلتها الإمبراطورية الرومانية إلى اليمن، ولكن تلتها حملة أخرى أرسلها الإمبراطور أغسطس أيضاً عن طريق البحر في وقت لاحق (ربما بعد عشرين عاماً) إلى هذه المنطقة تحت قيادة ابنه بالتبني جايوس قيصر Gaius Caesar ولكن يبدو أن هذه الحملة لم تستغرق وقتاً أو جهداً كبيراً إذ يذكر لنا بليني أن القائد لم يفعل أكثر من إلقاء نظره سريعة على بلاد العرب ثم رحل عنها^(٤١).

ولما عجز الرومان عن تحقيق ما يصبون إليه من الإشراف على الموانئ العربية بالقوة، بدؤوا في استعمال الطرق الدبلوماسية فأخذت تحالف ملوك اليمن، فحالفت ملك ظفار الحميري على شرط أن يكون ذلك التحالف مقرون بوجود حامية عسكرية رومانية في ميناء عدن^(٤٢) بعد أن دمر بواسطة القوات الرومانية لأنه كان يشكل تهديداً كبيراً وخطراً واضحاً على مصالح الإمبراطورية الرومانية في البحر الأحمر والخليج العربي على حد سواء^(٤٣).

وأخيراً فلقد كان للنشاط التجاري اليمني دوراً خطيراً في إسالة لعاب كل القوى الطامعة فيه مثل الفرس الذين أخذوا بفرض الضرائب الهائلة على البضائع المارة إلى الإمبراطورية الرومانية^(٤٤) فأصبحت الإمبراطورية بين فكي أسد من الجهة الأولى التجار اليمنيين ومن الجهة الأخرى التجار الفرس مما دفعها إلى عقد تحالف مع الحبشة لمهاجمة اليمن والاستيلاء على تجارتها البحرية مع الهند^(٤٥).

ارتبطت الهند واليمن بصلات تجارية وحضارية قوية فلقد كانت البضائع الهندية تنقل إلى اليمن بحراً وكذا الحال بالنسبة للبضائع اليمنية، التي كانت تصل إلى الهند، وتباع هناك في الأسواق الهندية الدائمة الطلب لبضائع اليمن^(٤٦).

لذا حرص التجار اليمن على إنشاء أسطولاً بحري يغدو ويروح بين الهند وجنوب بلاد العرب بأصناف المتاجر، ومختلف أنواع البضائع وكونوا هناك - أي اليمنيين - سلطة ونفوذ دونه كل نفوذ، وقبضوا على زمام التجارة في الهند واحتكروا غلات البلاد - وسوف يرد تفصيل ذلك لاحقاً -^(٤٧).

من هنا نستطيع القول بأنه كان للتجار اليمنيين الزعامة والسلطة في الهند مكنتهم من الاستيلاء على عصب التجارة الهندية^(٤٨) فاستقروا بها واستوطنوا أرضها وعمرها^(٤٩). وبناءً على ما سبق زادت ثروات الشعبين لدرجة دفعت المؤرخين الكلاسيكيين للحديث عنها ويتوسع مما لفت لها أنظار الدول الاستعمارية الطامعة في الثراء والرفاهية^(٥٠). وخصوصاً وإن كلاً من البلدين فرضت ضرائب جمركية على تجارة الترانزيت القادمة من الهند واليمن وإلى غيرها من مناطق العالم المختلفة^(٥١).

والآن ننتقل للحديث عن السبب في ازدهار هذه التجارة الهندية اليمنية، والسبب في نجاحها وتطورها هو اكتشاف الرياح الموسمية، فلقد شهدت تلك القرون الثلاثة الأولى نموذج للنشاط التجاري العربي اليمني فلقد كانت موانئ اليمن قبله للسفن القادمة مصر والحبوب من أفريقيا ومن المشرق الهند، وكان اليمنيون والهنود معاً هما أول من تعرف على نظام حركة الرياح الموسمية،

واستفادوا منها في تسيير السفن في الاتجاهين، ونتيجة لذلك زادت أنواع وكميات السلع والبضائع التي كانوا يتاجرون بها^(٥٧).

هذا ولقد سجل لنا التاريخ حركة بحرية نشطة للتجار اليمنيين احتكروا بها تجارة المحيط الهندي - كما أسلفنا - وذلك لأنهم فهموا وعرفوا كيفية الاستفادة من دورة الرياح الموسمية وحركتها في المحيط الهندي، ففي الصيف تكون اتجاهاتها جنوبية غربية تصل بمسفنهم إلى ساحل ملبار الهندي ومع الشتاء تكون فيه اتجاهات الرياح شمالية شرقية وتعود مسفنهم وقد تزودت بحمولة كبيرة من سلع متنوعة إلى ساحل شرق أفريقيا وخليج عدن^(٥٨).

ويفضل معرفة العرب لتلك الأيام التي تهب فيها الرياح الموسمية وتحديددهم لأوقات هبوبها فقد عرفوا الأوقات الملائمة لسير السفن في المحيط الهندي. ويذكر المسعودي ان الفلاحين العرب كانوا يستعينون في أسفارهم بدليل بحري سموه (رهماتي)، حتى ان المسعودي ارتحل به بحراً مع جماعة من التجار إلى المحيط الهندي^(٥٩).

وقد حافظ التجار العرب اليمنيين والهنود على سر هذه الرياح الموسمية بغرض الحفاظ على احتكارهم للتجارة الدولية في المحيط الهندي آنذاك حتى القرن الأول الميلادي إلى أن اهتدى البحار اليوناني هيبالوس Hippalus إلى سر هذه الرياح ومواعيد هبوبها فوصلت السفن اليونانية والرومانية إلى شبه الجزيرة الهندية مباشرة عبر المحيط الهندي فزاد إقبال سكان الإمبراطورية الرومانية على طلب السلع الشرقية وليس معنى ذلك هو ضياع النفوذ اليمني الهندي بل على العكس فلقد استمر هذا النشاط اليمني التجاري إلى القرون الثلاثة السابقة لظهور الإسلام^(٦٠).

وبهذا الاكتشاف من قبل هيبالوس شارك اليمنيون أقوام أخرى في تجارتهم البحرية ولعل السبب أيضاً في ذلك هو أن العرب لم يطوروا أسطولهم التجاري البحري، ولذلك فإن سيطرتهم على البحر والتجارة البحرية الهندية خفت قوتها إلى حد ما^(٦١).

ولكي تكون أكثر دقة في تحديد مكتشف الرياح الموسمية Monsoon للغرب فلا بد ان نذكر هنا انه سبق هيبالوس بحار يوناني آخر رائد في هذا المجال وتعتبر رحلته من ضمن الرحلات القديمة التي نجحت في الوصول إلى الهند مباشرة وهو رجل يدعى يودوكسوس الكينريكي Eudoxus of Cyzicus ووصل بالسفن اليونانية إلى الهند حوالي عام (١١٤ ق.م - ١١٧ ق.م) وتعددت بعدها رحلات بحارة الإغريق والبطالمة وساعد على نجاحها اهتمام هيبالوس إلى إمكانية استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الصيف^(٦٢).

ومن هنا بدء الاستغلال المنظم للطرق الجديدة إلى الهند وبدء البطالمة بالتهوض بتجارة البحر الأحمر فوضعوا عليها موظف مسئول عن متابعة سير السفن في البحر ثم في عام ١٢٠ أو ١١٠ ق.م بد لنا نسمع عن رحلات بحرية مباشرة بين مصر والهند^(٦٣).

ويفضل هيبالوس بدء التجار الغربيون في الوصول إلى شبه الجزيرة الهندية في وقت أقل مما كانوا عليه في السابق وبطريقة أقل خطورة مما كان الحال عليه^(٦٤). وهكذا حقق هيبالوس في القرن الأول ق.م شهرة عالمية وتاريخية بسبب اكتشافه هذا وأطلق اسمه على الرياح الموسمية الجنوبية الغربية^(٦٥).

والآن نود أن نستعرض مواقيت هبوب الرياح الموسمية الهامة للتجارة ووفقاً لما ورد عند هيا آل ثاني^(٦٦) - فالأحوال المناخية التي تعرض لها مناطق الخليج العربي والمحيط الهندي منذ القدم فلقد أوردت لنا العديد من المسميات لأنواع مجتمعه من الرياح التي تهب على شواطئه الغربية تناولت بشيء من التفصيل مسمياتها، والمواقيت التي تهب فيها واتجاهاتها، ومن أصناف هذه الرياح توجد الشمالية الشرقية ونسيم البحر والبر وغيرها ولكن تبقى «الرياح الموسمية» من أهمها جميعاً وذلك نظراً لاستفادة سكان جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي منها أكبر استفادة حتى الوقت الحاضر.

والرياح الموسمية الجنوبية الغربية هذه ذات اتجاهين، فهناك الشمالية الشرقية التي تهب في شهر نوفمبر حتى شهر مارس وتعمل على تسهيل الملاحة البحرية حتى شواطئ الهند للسفن الخارجية من الخليج العربي على طول بحر العرب والمحيط الهندي^(٦٧).

أما فيما بين شهري مايو وسبتمبر فتهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الاتجاه المعاكس، فتعمل على تسيير وصول السفن إلى شواطئ الخليج العربي بسهولة وأمان^(٦٨). وكما أدرك العرب في جنوب الجزيرة العربية أهمية هذه الرياح الموسمية في التجارة أدرك الهند أيضاً هذه الأهمية، فلقد كان الهواء البارد يندفع باتجاه الشمال فوق المحيط الهندي في الصيف ثم إلى الجنوب باتجاه جبال «الهيمالايا» والسهول الهندية في الشتاء فتملأ أشراعتهم للانطلاق في البحر، كما أنها تجنب للمزارعين الهنود المطر لزرعهم^(٦٩).

ولكن على الرغم من أهمية اكتشاف هيبالوس للرياح الموسمية الجنوبية الغربية فقد ظلت محفوفة بالمخاطر على حد قول «صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريثري»^(٧٠) لذلك احتفظ العرب بسلطانهم على تجارة المحيط الهندي وإن كان هذا السلطان بدأت قوى أخرى تنازعهم فيه فأخذ البحارة المصريين، والغينيقيين واليونانيين يزاحمونهم في طريق جمع ثرواتهم من مياه المحيط الهندي^(٧١).

وفيما بعد نشطت التجارة الملاحية بين الإمبراطورية الرومانية والهند فكانت السفن تبحر مباشرة من بومباي أو سواحل الهند الجنوبية إلى الموانئ الرومانية فيذكر بليني Pliny أن سفنه أبحرت إلى الهند في فترة قصيرة جداً بلغت خمسة عشر يوماً^(٧٢).

اعتمد البحارة الرومان على رياح هيبالوس وركبوا البحر في مواقيتها المنظمة حتى أنه في أيام الإمبراطور فسباسيان (٧٠-٩٦م) Flavius Vespasianus كان البحارة التجار يخرجون إلى عرض المحيط الهندي بكل جراءة وقوة^(٧٣).

وأصبح مشهد السفن الرومانية مألوفاً في مياه المحيط الهندي ذهاباً وإياباً مما أثر إلى حد ما على تجارة الهند اليمنية آنذاك ولكن الغريب في الأمر أن تتأثر بعض دول الجنوب اليمني إذ سطع نجم حضرموت وقتئبان بعد أن تخلصت من وساطة المعنيين والسبنيين، وأخذوا يشحنوا منتجاتهم من الطيوب والعطور والتوابل والبخور على متن السفن اليونانية في الموانئ المخصصة لذلك. وهذا يعني الانهيار التام للدولتين اليمنيتين - السبيلية والمعينية - من ناحية تجارة البحر ولكنهم حولوا تجارتهم بمنتهى الذكاء إلى البر^(٧٤).

وهذا يعني ان عرب اليمن لم يتأثروا كثيراً بسبب كشف سير الرياح الموسمية، لأنه في

حالة ضعفت تجارة البحر إلى حد ما في بعض دويلات اليمن، ترتفع أسهم دول أخرى مثل حضرموت وقتبان في التجارة البحرية والبرية وهذا يؤكد استمرار التجارة اليمنية الهندية على الرغم من كل الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة في تلك الفترة^(٧٥).

اشتهر سكان جنوب الجزيرة العربية منذ القدم - كما أسلفنا - بالنشاط التجاري إذ كانت تسير قوافلهم براً في شبه جزيرة العرب، وسفنهم بحراً في المحيط الهندي والبحر الأحمر ناقلة على متنها السلع من الأقاليم الآسيوية وغلّت شرقاً وشمال أفريقيا إلى دول البحر المتوسط^(٧٦). ولقد أفضى هذا التقدم الاقتصادي الهندي العربي إلى نشاط التجارة وازدهار المدن وتوطيد حياة الاستقرار والتحضّر إلى نشوء الملكية الخاصة، وقيام الدول المتطورة التي جمعت بين صفات الموانئ البحرية والمحطات التجارية على طرق القوافل البرية والبحرية، والمراكز التجارية التي تجتمع فيها السلع ومنها توزع إلى مختلف الجهات^(٧٧).

ويعود ثراء اليمن إلى مزاولتها للتجارة البرية والبحرية، والاتجار بالمواد الناتجة من الزراعة في جنوب الجزيرة العربية وبالسلع المستوردة من الخارج ولاسيما من الهند والسواحل الإفريقية^(٧٨).

هذا ولقد حرص، عرب جنوب الجزيرة العربية على التجارة البحرية تماماً مثل حرصهم على تجارة القوافل البرية، فعملوا على بناء السفن التجارية لخوض أعماق البحار ومما شجعهم على ذلك الموقع الاستراتيجي للجزيرة العربية، فهو موقعاً أتاح لها إمكانيات واسعة في مجال ازدهار التجارة البحرية فهي تشغل - كما سبق أن رأينا - موقع متوسطاً بين ثلاث بحار البحر الأحمر من الغرب والخليج العربي من الشرق ومنها يمتد المحيط الهندي ليستمر شرقاً، والبحر المتوسط من الشمال الغربي^(٧٩).

لذلك لعبت طرق المواصلات البرية والبحرية في جنوب الجزيرة العربية دوراً حيوياً، في حياة شعوب الجزيرة، ونستطيع أن نقبس فهم ذلك الدور من خلال كثافة شبكة خطوط المواصلات التجارية بنوعها - البري والبحري - إذ كلما زادت هذه الشبكة كثافة كان هذا دليلاً على تقدم دول المنطقة، ولهذا تعتبر الطرق التجارية هي شرايين الحياة في دول جنوب الجزيرة العربية^(٨٠). ونتيجة لتوسع شبكة المواصلات البرية والبحرية هذه تطورت حركة الملاحة على شواطئها فحرصوا على دراسة طرق الملاحة البحرية ولتتهم تلك الدراسات إلى اكتشاف سر الرياح التجارية الموسمية في المحيط الهندي^(٨١).

ومن المؤسف أنه يوجد البعض^(٨٢) من الذين حاولوا التشكيك في قدرات العرب على استخدام البحر وإمكانية قيامهم برحلات بحرية فيه وخاصة الرحلات الطويلة المتجه إلى الهند والصين وسيلان معتمدين على قلة القرائن الأثرية الدالة على ممارسة عرب الجنوب للملاحة سواء كان في النقوش أو غيرها، كما أن قلة الأخشاب الصالحة لصناعة السفن كان أحد الحجج التي استند عليها أصحاب الرأي السابق، ويرى هؤلاء أن القوارب المخططة أو الجلدية هي غير قادرة على القيام بهذه الرحلات البحرية الطويلة^(٨٣).

ولقد أثبتت الدراسات أن القوارب المخططة صنعت بأحجام كبيرة، وهي قادرة على حمل كمية من البضائع كما أن لديها القدرة على الإبحار لمسافات طويلة، ولا يستبعد أن يكون العرب قد

استوردوا الأخشاب لصناعة السفن الكبيرة من أماكن توفرها^(٨٤).

وأخيراً نجح العرب في ارتباط البحر بكفاءة عالية وجراءة ومهارة فائقة، حتى ملكوا في أيديهم زمام التجارة بين الشرق والغرب وكان لهم السيادة على الخليج العربي وعلى البحار التي تصل به مثل البحر العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي^(٨٥).

فأصبحوا ملّمين بمواقع وأوصاف الجزر والخلجان والرؤوس بها وأحكموا تقدير المسافات التي تقطعها السفن بين الموانئ العربية، وموانئ الهند والصين، كما أنهم حددوا الأوقات الصالحة للإبحار والقيام بالرحلات التجارية والملاحية البحرية^(٨٦).

ونود أن نشير إلى تلك السفن التي كان العرب الجنوبيين يستخدمونها في ركبهم أعالي البحار فلقد شحنوا بضائعهم على متن القوارب الكبيرة والمخصصة لتصدير سلعهم والتي من بينها المواد العطرية، والتوابل، كما استخدموا القوارب الجلدية لجلب المواد العطرية من الساحل الإفريقي والهند^(٨٧).

هذا ولقد اعتمدوا على أطواف من الغاب - نوع من القوارب الصغيرة - ولكنهم كانوا عادة مايسيرونها بها بمحاذاة ساحل شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر الذي تكثرت به الشعب المرجانية التي تؤدي إلى تحطيم السفن الكبيرة^(٨٨).

وبالإضافة إلى قوارب الغاب كانت توجد سفنهم الشراعية، والقوارب الخشبية الصغيرة المشدودة بالآلياف أو المصنوعة من مادة مشابهة لها^(٨٩).

ولقد أشار استرابون أن من أوائل السفن التي رسمت في المحيط الهندي هي سفن خشبية كانت لأهالي مالابار وأخرى لأهالي القسم الجنوبي من مقاطعة حضرموت، وهم الذين بنوا أسطولاً تجارياً من ميناء عدن وبعض الموانئ العربية الساحلية الجنوبية^(٩٠). وكانت لهم تجارة واسعة مع الهند وأنهم أيضاً اتقنوا فنون الملاحة البحرية كما أنهم استخدموا السفن التجارية الكبيرة التي صنعوا بها أسطولاً بحرياً تجارياً ضخماً ووصل بهم إلى الهند.

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الطرق البرية والبحرية التي تربط ما بين الهند وجنوب الجزيرة العربية أو تلك التي كانت جنوب الجزيرة العربية هي حلقة الوصل بينها وبين الهند، ولكي نكون منصفين ولمزيداً من الدقة فلا بد أن نذكر هنا أن الطرق البرية كانت في واقع الأمر أقل في العدد من نظيرتها البحرية والمتجهة من وإلى الهند وجنوب الجزيرة العربية ولكننا سوف نذكرها حتى لا نكون قد أغفلنا أي طريق مواصلات بين الهند وجنوب الجزيرة العربية، كما نود أن نشير هنا إلى أن هذه الطرق في أغلبها تبدأ بحرية وتنتهي برية.

الخطوط التجارية البحرية - البرية الهندية اليمنية:

١- طريق البخور (عدن - باريجازا):

ويقف على رأس هذه الطرق التجارية العربية الهندية أهمية طريق البخور والذي يعتبر فرعاً من الطريق التجاري الجنوبي الذي كان يصل بين الهند والموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة العربية ثم عدن، لأن المراكب الهندية كانت تفرغ حمولتها لدى الأعراب الذين حرصوا على التجارة إلى حد أنهم لم يسمحوا لهذه المراكب بدخول مضيق باب المندب إلا بعد دفع الضرائب^(٩١).

٢- الهند - البحر المتوسط:

وهذا الطريق يمتد من الهند إلى البحر المتوسط بإتباع الطريق البري منطلقاً من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى الهند فلقد كانت القوافل تصل إلى مأرب^(٩٢) فبعد وصول السفن التجارية المحملة بالبضائع النفيسة من الهند تحط رحالها في جنوب الجزيرة العربية في ميناء عدن ثم مكة ومنها إلى غزة^(٩٣) وبأقي مدن البحر الأبيض المتوسط^(٩٤).

٣- الهند - نجد:

وهذا الطريق يرفد البحر العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية، وخاصة حضرموت Chatrnatital ويبدأ من ميناء باريجازا ويسير في المحيط الهندي حتى يصل إلى حضرموت وعاصمتها شبوه، ومنها إلى الحدود الشرقية لنجد ومن نجد تتفرع في خط بري آخر ينطلق إلى بلاد الرافدين وخط ثالث يسير إلى بلاد الشام^(٩٥).

٤- الهند - حضرموت:

وينطلق هذا الطريق بحراً من الهند ميناء باريجازا الهندي حتى تصل السفن إلى ميناء عدن ومنها براً إلى حضرموت متجهاً إلى منطقة اليمامة عبر الحافة الشرقية أو الغربية للربع الخالي متجهاً إلى بلاد الرافدين لتلتقي في خط آخر متجهاً إلى سوريا^(٩٦).

٥- الهند - عُمان Oman

وهذا الطريق ينطلق من ميناء باريجازا وصولاً إلى عدن ومنها براً إلى عمان محملاً بكل بضائع شرق آسيا المنقولة على الأبل كما يتفرع منه عدة خطوط أخرى أولها يتجه إلى مأرب وآخر إلى معين وثالث إلى ظفار متقاربة الممرور بالربع الخالي^(٩٧).

٦- سوريا - الهند:

وهذا الطريق يبدأ رحلته من سوريا ثم إلى مكة ومنها إلى اليمن جنوب الجزيرة العربية إلى ميناء عدن ثم إلى المحيط الهندي حتى يصل إلى الهند^(٩٨).

٧- الهند - مصر:

وتأتي بضائع الهند عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارة بمدخله عند عدن أو ميناء موزا ليكتمل طريقه براً عبر شبه الجزيرة العربية إلى الشمال ومنه إلى مصر^(٩٩) وهناك مسار آخر لهذا الطريق الذي يربط الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية ويبدأ من الهند وصولاً إلى ميناء قاتا أو عدن عبر مضيق باب المندب متجهاً السواحل العمانية عبر البحر الأحمر إلى بيرنيكي Beranike ومن هناك عبر البر يسير في اتجاه الشمال الغربي حتى يلتقي بالطريق القادم من المراكز التجارية الشمالية العربية للجزيرة العربية والذي يمتد من Dedan دادان (العلا حاليًا) غرباً إلى البحر الأحمر حتى يصل إلى ميناء القصير ومنه إلى وادي الحمامات وأخيراً فقط الواقعة على مسافة ٤٠ كم شمال غرب الأقصر ومن هذه الطرق كانت كل بضائع الهند تصل إلى شمال الجزيرة العربية ومصر^(١٠٠).

٨- ليوكي كومي - الهند:

يبدأ هذا الطريق من ليوكي كومي^(١٠١) متجهاً جنوباً نحو سواحل جنوب الجزيرة العربية ماراً بعدد من الموانئ العربية على البحر الأحمر والتي من أهمها: موزا، أوكليس، قنا، عدن، وسوف

يرد ذكر كلاً من هذه الموانئ بالتفصيل لاحقاً - ثم يحاذي الساحل في خليج عمان على رأس الحد، ثم يتجه نحو الساحل المقابل من الخليج ويستمر في الممر بمحاذاة الساحل الآسيوي المقابل فـساحل كرمينا إلى نهر السند والموانئ الواقعة جنوبيه وتستخدم السفن بنفس الطريق في عودتها^(١٠٢).

وبصورة أكثر وضوحاً يجب أن نعلم أن هذه الخطوط لم تكن هي الخطوط البرية البحرية الوحيدة التي ربطت الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية، بل كانت هناك العديد من الخطوط التي جعلت من شبه الجزيرة العربية واسطة بينها فكانت هذه الخطوط تأتي من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارة بمدخله عند عدن لتكمل طريقها إما براً عبر شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال أو بحراً بطول البحر الأحمر حتى موانئه البحرية الشمالية أو متصلة بين الطريق البري والطريق البحري^(١٠٣).

هذه كانت أهم الطرق البرية البحرية التي ربطت بين الهند وغيرها من مناطق العالم مروراً بحلقة الوصل بينها وهي شبه الجزيرة العربية على اعتبار أنه لا يستطيع الوصول إلى أيأ منها إلا بمرور بجنوب الجزيرة العربية.

(١) الطرق التجارية البحرية الهندية اليمنية (الغير مباشرة):

وهذه الطرق تنطلق من عدة أماكن وتمر بجنوب شبه الجزيرة العربية وصولاً للهند أو من شبه الجزيرة العربية مباشرة إلى الهند المهم أن منطقة جنوب الجزيرة هي المحور الأساسي للربط بين الهند ومناطق التجارة العالمية - كما أسلفت - ولأن نستعرض أهم الطرق البحرية العربية الهندية، وسوف نقوم بترتيب عرضها على حسب أهميتها التجارية: ابتداءً من الطرق الغير مباشرة ثم الطرق المباشرة^(١٠٤).

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

١- جنوب شبه الجزيرة العربية ساحل شبه الجزيرة الهندية:

ينطلق هذا الطريق من عدن إلى خراكنس Charex^(١٠٥) ماراً بعدد من المراكز والموانئ العربية، والجزر مثل فيلكا Fayilake^(١٠٦) والبحرين وكذلك بعدد من الموانئ العربية مثل Gerraها الجرهاء^(١٠٧) ثم تحاذي الساحل ماراً بعدد من الموانئ على الخليج العربي ثم ينطلق في مياه الخليج ومنها إلى المحيط الهندي، حتى يصل إلى ساحل كرمينيا ويمسك نفس الطريق الذي تسلكه السفن القادمة من البحر الأحمر، وكانت السفن العربية تقف عند عدد من الموانئ الهندية على الساحل الغربي مثل بريجازا أو قد يصل إلى السواحل العربية والحديثة للهند مثل موزي Muziri^(١٠٨).

٢- الهند - مصر:

وفي هذا الطريق الذي سبق الإشارة - إلى نظيراً بري له في أهم الخطوط البرية البحرية التي تربط الهند بجنوب الجزيرة العربية، يوجد طريق بحري آخر يتفرع إلى ثلاثة فروع الأول ينطلق من الهند من موزي عبر المحيط الهندي إلى مينائي موزا أو عدن ثم إلى البحر الأحمر ومنه إلى خليج العقبة ثم فقط^(١٠٩) أما الفرع الثاني فيسير في نفس سير الخط إلا أنه بدلاً من التوقف عند البحر الأحمر فإنه يكمل مسيرته إلى البحر الأبيض المتوسط، وفي كلا الفرعين كانت جنوب شبه الجزيرة العربية هي القنطرة الموصلة بين القطرين الهندي والمصري بحراً^(١١٠).

أما الفرع الثالث للطريق ينطلق من مصر مباشرة إلى الهند^(١١١) وله خط سير آخر تماماً فهو ينطلق من موانئ مصر برينكي على البحر الأحمر متجهاً إلى الحبشة ومنها إلى عدن في جنوب الجزيرة العربية ثم المحيط الهندي حتى تصل إلى موزري في الهند^(١١٢) وقد ذكر هذا الطريق عند بليني^(١١٣).

٣- الهند - سوريا:

من باريجازا إلى عدن ومنها إلى خليج العقبة ثم إلى الموانئ المصرية الواقعة على البحر الأحمر وبعدها إلى الموانئ السورية على البحر الأبيض المتوسط إلى أوربا^(١١٤) وهناك خط آخر يبدأ من سوريا إلى مصر ثم إلى موانئ البحر الأحمر حتى يصل إلى عدن إحدى موانئ جنوب الجزيرة العربية ومنها إلى المحيط الهندي ميناء باتيلا الهندي ومن الهند يتفرع هذا الخط إلى أربعة خطوط فرعية هي سيلان - تايلند - الملايو - الصين ومن خلالها تصل جميع بضائع جنوب الجزيرة العربية وسوريا إلى الهند وشرق آسيا^(١١٥) هذا ولقد ذكرها المؤرخ أبيان Appian^(١١٦) في مجمل حديثه عن التجارة الكبيرة بين الهند والجزيرة العربية.

٤- برينكي - باريجازا

من برينكي حول البحر الأحمر يدور هذا الطريق حتى يصل إلى موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية حتى تصل إلى رأس الخليج العربي ومنه إلى باريجازا إحدى أهم الموانئ الهندية ولقد استخدمه التجار الصينيون لنقل بضائعهم إلى المنطقة ويفضل هذا الطريق أيضاً وصلت كل بضائع الهند وشرق آسيا إلى جميع أنحاء الجزيرة وبالأخص شمالها وتحديداً مكة والمدينة^(١١٧).

(٢) الخطوط التجارية البحرية الهندية اليمنية (المباشرة):

١- عدن - باريجازا Bariguza: <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وهو طريق مباشر تماماً يربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية والهند ينطلق من عدن Eduaemamn ثم قانا ويسير بمحاذاة الساحل مدة ثلاثة أيام ثم يتجه عبر المحيط الهندي، نحو بريريكم وبريجازا ويستخدم هذا الخط نفس الطريق في العودة محملاً بأغلى بضائع الهند التي ما إن تصل إلى موانئ اليمن حتى تحمل بإشراف التجار العاملين في ميناء قانا Qana براً إلى شيوخ القبائل العربية في أنحاء الجزيرة العربية إلى جرها والبراء وغيرها من المحطات البرية الهامة^(١١٨) ومن هذا الخط يتفرع خط آخر ينطلق من موزا إلى الهند مباشرة بغرض التزود بأنواع البضائع الآسيوية أو العربية المطلوبة عند الطرفين.

٢- قانا - موزري Mouziris:

وهذا الخط ينطلق إلى السواحل الغربية والجنوبية عبر المحيط الهندي إلى الهند لترسوا سفنه في ميناء موزري Mouziris الهندي^(١١٩). ولقد استخدموا هذين الطريقين السالفين الذكر بعد اكتشاف الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الفترة بين يوليو وأغسطس أما رحلة العودة فكانت تسير مع هبوب الرياح الشمالية الشرقية في الفترة من ديسمبر إلى يناير^(١٢٠).

٣- شمال غرب الهند - أوكليس Ocelis:

وهذا الطريق يبدأ من موانئ شمال غرب الهند من باريجازا ويسير في مياه المحيط الهندي

حتى يصل إلى ميناء أوكلس اليمني في جنوب الجزيرة العربية مباشرة ومنها إلى جزيرة سوقطرة والساحل الصومالي. وهذا الطريق يستخدم مع هبوب الرياح الموسمية المناسبة له^(١١١).

٤ - باريجازا - موشا Moscha:

وموشا هو ميناء ظفار على ساحل جنوب شبه الجزيرة العربية كانت السفن الهندية تبحر حتى تصل إلى هذا الميناء الحضرمي وتقضي فصل الشتاء فيه حتى يتم التبادل التجاري والحضاري^(١١٢).

٥ - موزا - بتالا غير مباشر:

وهو طريق فرعي يسير بمحاذاة الساحل الغربي إلى مخا ميناء بلاد البخور ومنها إلى المحيط الهندي إلى بتالا مباشرة^(١١٣).

وفي ختام حديثنا عن هذه الطرق البحرية والطرق البرية البحرية يجب أن نعرف أن هذه الطرق لم تكن متروكة سدى دون أي حماية تذكر من قبل الدول المملوكة لها أو التي تمر بأرضها أو مياهها الإقليمية (أن جاز التعبير)، ولقد كانت هناك نقاط حراسة بحرية (تشبه إلى حد كبيراً خفر السواحل لدينا حالياً - تراقب السفن التجارية في أثناء سيرها في البحر).

كما حرصت عرب جنوب شبه الجزيرة العربية على حماية هذه الطرق البحرية والبرية على السواء فسنت القوانين التي تيسر السفن على هديها في رحلتها عبر الخليج العربي والمحيط الهندي من جهة وياتصالها بين الهند شرقاً وشرق أفريقيا غرباً^(١١٤).

ويما أننا تحدثنا عن أهم الخطوط التجارية البحرية فلا بد لنا أن نذكر أهم الموانئ العربية التي كانت تمر بها تلك الخطوط فقد نشأت على طول السواحل العربية عدداً من الموانئ والمرافئ ازدهر عدد منها لازدهار التجارة البحرية وأصبحت أسواقاً عالمية تستقبل أنواعاً من السلع الأجنبية ويصدر غيرها منتجات الجزيرة العربية.

وفي هذه الفترة كانت الرحلات البحرية مباشرة بين أحد الموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة إلى السواحل الهندية عبر المحيط دون الحاجة إلى الإبحار بجانب الساحل وأصبحت السفن التي تريد الموانئ العربية الشمالية تبحر من عدن أوقاتا وتسير بمحاذاة الساحل ومنه إلى المحيط حتى تصل إلى موانئ الهند^(١١٥) (وسوف يرد ذكرها بالتفصيل لاحقاً).

ومما ساعد على ازدهار هذه الموانئ العربية أن بيئة الخليج العربية وبحر العرب يوجد بها العديد من المناطق الصالحة لقيام الموانئ والرووس المحمية، وتوفير مياه الشرب من العيون والآبار في مراكز متقاربة نسبياً مما ساعد على إنعاش وازدهار التجارة البحرية آنذاك بشكل ملحوظ^(١١٦). وأفضل دليل على ازدهار تلك الموانئ هو مقدار البضائع والسفن التي كانت تفرغ وتحمل في الموانئ العربية والهندية^(١١٧). ويأتي على رأس هذه الموانئ أهمية موانئ البحر العربي:

١ - ميناء عدن Eudaenan:

وهو ميناء هام على الساحل العربي الجنوبي للجزيرة العربية وهو أول ميناء في طريق السفن القادمة من البحر الأحمر بعد عبورها مضيق باب المندب، وتمتاز بمرفأ جيد، كما تتوفر فيه المياه العذبة، لقد كان أصحاب السفن يفضلون الرسو فيه عن أوكلس^(١١٨).

يتميز موقع عدن بحصانة طبيعية وذلك لوقوعها على مرتفع صخري يتكون من الصخور البركانية التي كانت تحيط بالمدينة والميناء، كما أن موقعها ملائم لرسو السفن المارة بها فهي تمتاز بمرفأ طبيعي ومما ساعد على ازدهارها شهرتها الكبيرة بخزانات الماء في الصخور^(١٣١). كما تعتبر من أهم الموانئ العربية المطلة على المحيط الهندي فأصبح مرسى للسفن الآتية من أنحاء آسيا بالتحديد الهند وسواحل أفريقيا الشرقية، كما كانت ترسو عليها السفن المحملة بمنتجات الدول الآسيوية^(١٣٢).

وهي إلى جانب ذلك يعتبر نقطة ارتكاز للتجارة بين الهند والصين ومصر، لذلك اهتم العرب المقيمون فيها بالتبادل التجاري على نطاق دولي واسع، حتى أنها عرفت فيما بعد باسم دهليز الصين^(١٣٣).

ازدهر هذا الميناء منذ القرن الثاني ق.م وأصبح يضاهي الإسكندرية من حيث الأهمية التجارية والاستراتيجية^(١٣٤) ووفقاً لما ذكره صاحب كتاب الطواف The Periplus قال «كانت تسمى يودايمون Eudaemon وكانت مدينة هامة جداً عندما كانت الرحلة من الهند إلى مصر أمراً لم يتحقق بعد لصعوبة الإبحار في هذه المياه، وبالتالي استحالة وصول السفن المصرية إلى الموانئ الهندية مباشرة، لذلك كانوا يأتون جميعاً إلى عدن التي كانت تتلقى السلع من جميع البلدان كما تتلقى الإسكندرية الآن (البضائع) التي تجلب من الخارج» وفي هذه الرواية دليل واضح على منافسة عدن آنذاك للإسكندرية^(١٣٥).

هذا ولقد سيطر على هذا الميناء عدداً من القوى السياسية التي تتابعت على المنطقة مثل أوسان^(١٣٦) وسبأ وقتبان وأخيراً حمير^(١٣٧) الذي تزدهر في عهدها إذ تعرض للهجوم عليه من قبل الإمبراطورية الرومانية التي اتخذت إجراءات فعّلة في سبيل السيطرة عليه. بل وعلى المنطقة الساحلية بأكملها في الجنوب بفرض الاستيلاء على تجارة البخور واللبان والتوابل ولذلك قام الأسطول البحري الروماني بعمليات عسكرية من البر والبحر ضد عدن وفق ماورد لنا عند بليني^(١٣٨).

أما صاحب كتاب الطواف فيشير إلى أن الرومان سيطروا على عدن فترة من الزمن واعتبر ان حملة اليوس جالوس (السالفة الذكر) هي ذروة تلك المحاولات^(١٣٩).

ولكن دوام الحال من المحال، فقد تحول ميناء عدن فيما بعد من مدينة مزدهرة إلى قرية متواضعة بفعل مجموعة من الظروف السياسية والاقتصادية المتغيرة^(١٤٠) ولكن هذا الميناء عاد نشاطه التجاري في القرن الرابع الميلادي وظل مزدهراً حتى العصور الحديثة^(١٤١).

٢- ميناء قاتا Qara (بئر علي حالياً)^(١٤٢): وهو ميناء تجاري على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، وإلى الشرق من عدن وعند بطنميوس يقع على خط طول ٨٤ (على الساحل الحضرمي) وهذا الميناء هو ميناء حضرموت الرئيسي (أرض اللبان)، وهو أيضاً سوق تجاري على ساحل البحر العربي، والمنفذ الرئيسي للدولة الحضرمية^(١٤٣).

يطلق عليه سفر حزقيال (سوق كنية)^(١٤٤) فهو الميناء الرئيسي لتجارة اللبان والمر والأحجار الكريمة وأذهب كما أنه يعتبر أيضاً محطة هامة تنطلق منه القوافل البرية إلى جميع

أنحاء الجزيرة العربية فهو بذلك ميناء بحري وسوق بري هام في آن واحد^(١١٣).
وبما أنه سوقاً هامة على طريق القوافل البرية وخطوط الملاحة البحرية استقبل هذا الميناء جميع السلع التي كانت تأتي من مصر وأفريقيا والهند بمينائيهما وصدر لهما اللبان وكثيراً من البضائع الموجودة فيه من جراء تبادله التجاري مع الكثير من مناطق التجارة العالمية^(١١٤).
واستناداً مع رواية صاحب كتاب الطواف^(١١٥) كان اللبان والمر ينقل من شرق حضرموت إلى قنا على متن أطواف صغيرة مشدودة بالقرب الجدية المملوءة بالماء أو على متن القوارب الخشبية الصغيرة ومنها بعد ذلك تنقل لتخزن في السفن الكبيرة استعداداً لتصديرها إلى الهند بحرراً أو تحمل على ظهر الجمال لتتصدر إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية.

وقد سقط هذا الميناء على يد الدولة الحميرية، إلى أصبحت تسيطر على المنطقة الساحلية الممتدة من مضيق باب المندب حتى قنا شرقاً، وقد اضطرت الدولة الحميرية إلى إقامة سور القلعة للفصل بين حدود الدولتين، ولكن يبدو أن حضرموت استعادت السيطرة على الميناء الذي ظل مستخدماً حتى القرن الرابع الميلادي حتى بعد تدهور تجارة المواد العطرية^(١١٦).
٣- ميناء موشا Moscha:

يقع هذا الميناء على خليج عمان (خليج القمر حالياً) وهو ميناء ظفار الرئيسي متخصص في تصدير اللبان الظفاري وكانت السفن القادمة من الهند ترسو فيه حتى تقوم بعملية تحميل أو إنزال البضائع ولكن على شرط الحصول على إذن مسبق من الملك شخصياً من أجل التجارة في هذا الميناء الهام^(١١٧).
استمر نشاط هذا الميناء التجاري مع الهند حتى القرن السابع الميلادي^(١١٨) وكان تابع للدولة الحضرمية، في عهد الملك الغزيط وهو الملك الذي ذكره استرابون في أثناء حديثه عن حضرموت^(١١٩).
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كما ذكره The Periplus عندما تحدث عن أنه يعتبر من الموانئ الهامة الصالحة للاستخدام ويعتبر من أهم الموانئ الملتزمة بقوانين الملاحة في أعالي البحار فهو ميناء علي - حد وصفه - من الدرجة الأولى وذلك لأنه يضمن جميع حقوق العاملين فيه.

أما عن موانئ البحر الأحمر: فلقد ذكر كتاب الطواف في وصفه للساحل الشرقي للبحر الأحمر خلوة تقريباً من الموانئ المرافئ الصالحة لرسو السفن، خاصة في الجزء الممتد من ميناء ليوكي كومي جنوباً وهي جزيرة بريم، كما ذكر أن الملاحة فيه خطيرة لكثرة الصخور المرجانية، ويعيش على هذا الساحل أقوام غير متحضرين يهاجمون السفن ويخطفون ركابها - يقصد القراصنة^(١٢٠). وهو محق في كون هذا الساحل غير صالح للملاحة لأنه ملئ بالشعب المرجانية التي تجعل الملاحة فيه أمراً غير يسير، ولكن مع هذا وجد عليه عدد من المرافئ والموانئ والتي من أهمها:

١- ميناء موزا Musa:
وهو من الموانئ الهامة في جنوب غرب الجزيرة العربية على ساحل البحر الأحمر وتعرف في بعض الأحيان بموزع، وتقع حوالي ٢٥ ميلاً إلى الشمال من ميناء مخا الحالي^(١٢١) ويعتبر موزا من أقدم موانئ اليمن التي أشار لها صاحب كتاب الطواف على أنه من الموانئ الهامة

الملتزمة أيضاً بالقوانين الملاحية ولكنه ليس في الخط الملاحي الدائم^(١٠٢).

تخصص ميناء موزا في بيع وتصدير أفخر أنواع المر المحلي (القتباتي والمعيني، والأفريقي)، وكانت سوقاً رائجة يعج بالحركة وكان له اتصالات ومشاركة قوية في الأنشطة التجارية مع الساحل الإفريقي المقابل^(١٠٣). وهذا الميناء كانت تحكمه مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم حركة التجارة الداخلية فيه وتهدف إلى تركيز التجارة الخارجية منه للدولة والتابع لها هذا الميناء^(١٠٤).

ونتيجة لهذه النظم راجت التجارة فيه وازدهرت حتى أنها وصلت بضائع موزا إلى ميناء بريجازا الهندي وريباتا في أفريقيا^(١٠٥). وكتاب الطواف يصف لنا بتفاصيل أكثر دقة الرحلة بطول الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ويتحدث عن موزا بقوله (أنها سوقاً شاطئية لها قوانين تجارية، وتجد في موزا كثيراً من العرب سواء من أصحاب السفن أو التجار)^(١٠٦).

أما عن واردات هذا السوق فكانت مؤلفة من الملابس الأرجوانية الناعمة والخشن المطرزة وفق الفن العربي كما يوجد بها الثياب الموشاة والمزخرفة بخيوط الذهب^(١٠٧) بالإضافة إلى البن اليمني الشهير وأجود أنواع المر والتوابل^(١٠٨).

٢ - أولكيس Ocelis:

وهو ميناء على البحر الأحمر في أقصى الجنوب منه بالقرب من مضيق باب المندب ومدينة بريم، وهو من أقدم موانئ البحر الأحمر تعاقبت السلطات السياسية عليه إلى أن استقر أخيراً تحت سلطان الدولة الجيمرية^(١٠٩). تمتع هذا الميناء بمزايا مثالية نرسو السفن عليه مثل مياهه العذبة والتي كانت تزود منها السفن قبل إبحارها في عرض المحيط في طريقها إلى الهند^(١١٠). مما جعل اسمه يتردد على أنه محطة تجارية هامة في المصادر الإغريقية والرومانية، ولكنه والحق يقال فقد هذا الميناء أهمية تجارية بعد ازدهار ميناء موزا وأصبح فقط محطة للتصوين والتزود بالماء في طريق السفن المتجهة للهند. ولكنه ظل ميناء مخصص للتعامل التجاري مع شرق أفريقيا^(١١١).

ويعتبر هو آخر محطة كانت تقف عندها السفن الهندية التي لم يكن يسمح لها بالاتجاه شمالاً نحو البحر الأحمر^(١١٢) خاصة في الفترة السابقة لقيام الرحلات المباشرة بين الهند ومصر أي قبل اكتشاف رياح هبالوس - فكانت السلع الهندية تفرغ في أولكيس ثم تنقل براً إلى موزا حيث تباع هناك^(١١٣).

كانت هذه أهم الموانئ التجارية التي تعامل عرب جنوب شبه الجزيرة العربية من خلالها مع الهند وباقي أنحاء العالم القديم ولابد أن نذكر أنها لم تكن هذه الموانئ فقط هي محطات التعامل البحري فقط مع الهند بل كانت هناك عدة موانئ أخرى أهمها جزيرة سوقطرة، وميناء مدينة الشمر^(١١٤).

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الموانئ الهندية والتي كانت تأتي منها وإليها السفن التجارية اليمنية: لقد كان التجار اليمنيين والهنود معتادين على الإبحار في مياه المحيط الهندي منذ العصور القديمة - وذلك لإممامهم بنظام الرياح الموسمية - فكانوا يقومون برحلات طويلة بين الموانئ الهندية واليمنية - كما أسلفنا - فقد كانت سفن التجار اليمنيين تبحر من موانئ

الخليج العربي وساحل اليمن إلى الموانئ الهندية وإلى ساحل جنوب الهند^(١٦٥). وتعتبر الموانئ الهندية التالية من أهم الموانئ التجارية التي تعامل معها التجار اليمنيون آنذاك:

١- ميناء بريريكم Barbaricum:

يقع في حوض نهر السند وهو ميناء سوق تجاري من أهم وارداته اللبان والمر من الجزيرة العربية^(١٦٦) وكان ملتقى طرق للعديد من السفن الهندية والعربية والصينية، وجميع سلع هذه المناطق يمكن الحصول عليها منه^(١٦٧).

٢- ميناء بريجازا Baragaza:

وهو ميناء هام على الساحل الهندي الشمالي الغربي^(١٦٨) ويقع على خليج كمباتي Cambay في منطقة أريك Ariake وحتى بعد أن غزاه الهند شعب السكاس Sakas ووقع هذا الميناء تحت السيطرة اليونانية منذ زمن الإسكندر الأكبر إلا أنه تخلص منها، ولكن بقي الطابع اليوناني مسيطراً عليه بفضل التجار اليونانيين الذين كانوا يتاجرون بصورة منظمة مع اليمن وغيرها^(١٦٩).

وفي القرن الأول الميلادي استخدمت باريجازا كميناء تجاري هام وكبير لنقل البضائع من داخل الهند إلى خارجها، فكانت تأتي إليها البضائع من مختلف المدن الهندية مثل الأقمشة القطنية والحريرية الموسلين والمنسوجات العادية والعاج والنحاس^(١٧٠). وأخيراً يعتبر باريجازا مركزاً تجارياً هاماً تجتمع فيه كل السفن التجارية الآتية من أنحاء العالم آنذاك، وقد تاجر معها العرب الذين صدروا لها الخمر والتمر^(١٧١).

٣- ميناء موزي:

وهو ميناء هام يقع على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة الهند وهو تابع لمملكة شارو Cheru التي تسيطر على ساحل كلكتا^(١٧٢) ذكرها بليني في أثناء حديثه عن الطرق التجارية البحرية وذكر أن المسافة بينها وبين أوكليس أربعين يوماً^(١٧٣). قصده التجار اليمنيون والعرب طوال قرون عديدة للحصول على الخشب الذي كانت تبني منه سفنهم^(١٧٤) ويعتبر من أهم الموانئ الهندية الرئيسية التي تصدر الفلفل^(١٧٥).

كانت تلك أهم الموانئ الهندية التي تصدر وتستورد من وإلى اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية البضائع التجارية.

جدول بأهم البضائع المصدرة من اليمن إلى الهند

الملاحظات	المراجع	المستوردة	الجهة المنتجة	المصلحة
اشتهرت اليمن السعيدة بزراعة أجود أنواع البخور ومشقاته: Sayyid, M., op. cit., p. 4 وكانت القوافل تنقله إلى مختلف جهات العالم القديم وعلى رأسها الهند. انظر: عبدالعزيز صالح، شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلد ١٥، العدد ١، ص ٣١٣ وتعتبر حضرموت ومعين أشهر مناطق إنتاج البخور في اليمن حتى أن الكتاب الكلاسيكيين أطلقوا على ملك حضرموت اسم (ملك بلاد البخور) انظر، تليف نلسن، المرجع السابق، ص ٢٧؛ الشيبه، المرجع السابق، ص ٤٥ ويما أن البخور أهم منتجات الجزيرة السعيدة فرضت العديد من القوانين الملوثة لزراعته وتصديره: مهيب كليب، المقال السابق، جامعة دمشق، ص ٣٣٣ واعتبرت العاصمة شبوة مركز لتجميع البخور ثم تصديره: Cf: Pliny, NH. BK. 6. 31. 136-139. أما عن طريقة التصدير فكان يوضع في قرب من الجند ثم يحمل على متن السفن الكبيرة إلى الهند: كليب، المقال السابق، جامعة دمشق، ص ٣٥١ وأخيراً طلب البخور في العالم القديم وبكثرة وذلك لاستخدامه في دور العبادة وللقيام بالطقوس الجنائزية: الحداد، المرجع السابق، ص ٢٥ وللمزيد من المعلومات عن طريقة استخراج البخور انظر: The Periplus, Ch. 29.	الشيبه، المرجع السابق، ص ٣٩؛ The Periplus, Ch. 32؛ عبدالحليم نورالدين، المرجع السابق، ص ٨٣.	الهند	حضرموت ظفار	البخور
عرفت اليمن السعيدة بطوبوها وعطورها الزكية العتيقة: أبو عاتله، المرجع السابق، ص ١٧؛ حسين شهاب، المرجع السابق، ص ١١ حتى أن	برهان الدين، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٧؛ نقولا زيادة، عريبات،	الهند	اليمن (حضرموت)	العطور والطبوب

الملاحظة	المراجع	المستوردة	الجهة المنتجة	السلعة
المؤرخين القدماء أمثال هيرودت وصفها (بأنها البلد الوحيدة التي تنتج العطور والمعادن) أسين عبد الفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٥ ١ محمد عبد القني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٤٩ وأخيراً كان يستخدم في بلاد العرب القديم في الطقوس الدينية والأعياد الجنائزية: Cf: Gold Schmidt, A concise History of the Middle East Egypt, (1983). p. 24 سفر الملوك، الإصحاح ١٠ - آية ١١-٢٢.	ص ٤٣.			
تميزت حضرموت بإنتاج أجود أنواع اللبان: عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ٨٣ لذلك فرضت على الاتجار بها مجموعة من القوانين الصارمة التي تنظم تجارتها تحدث عنها المؤرخين أمثال بلييني فقال (إن ملوك حضرموت كانوا يعتبرون أي انحراف عن خط سير قافلة اللبان المعروف في الدولة جريمة كبيرة يعاقب عليها القانون) انظر محمد عبد القني، مصادر القرنين ١-٢، ص ١١٢-١١٣ ؛ وانظر أيضاً محمد السيد عبد القني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٥٦ كانت مادة اللبان تستخرج بعمل شاق في سيقان نباته حتى تخرج منه عصارة بيضاء قابلة للاصفرار: Cf: The Periplus, Ch. 29. تبلغ طول شجرته ٦ أمتار تقريباً وأوراقها متقابلة مركبة على بعض تخرج منها زهرة صغيرة تنمو على سفوح الجبال: انظر إسماعيل عبد الفتاح، المرجع السابق، ص ١١٧ وعن الطريق ان استقرت على نقل محصول اللبان وكيف يتم فكان يوضع في قرب جلدية تعمل في القوارب والسفن إلى الهند وغيرها: محمد السيد عبد القني، مصادر القرنين ١-٢، ص ١١٩ ،	حوراني، المرجع السابق، ص ١٦٥ وانظر أيضاً ص ٧٦ ؛ بالقية، مختارات، ص ٢٣.	الهند	اليمن المعبدة (سبأ وظفار)	اللبان

الملاحظات	المراجع	المستوردة	الجهة المنتجة	السلعة
وأخيراً استخدم اللبان في دور العبادة والهيكل الدينية كما استخدم أيضاً لأغراض طبية في التحنيط وعلاج الحلق والالتهابات للأغشية المخاطية والقرح التي تصيب البلعوم: للمزيد انظر: نقولا زيادة، عربيات، ص ٤٣ ؛ The Periplus, Ch. 29.				
صدرت اليمن إلى الهند التوابل والبخور والتمر: Cf: Perry. G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New Jersey, (1992). p. 16.	The Periplus, CH. 29 ؛ صلاح البكري، المرجع السابق، ص ٤٣.	الهند	تمنع - قتيان حضرموت	التمر
لقد اشتهرت اليمن في كتابات المؤرخين القدماء بأنها المنطقة ذات الرائحة الطيبة من كثرة إنتاجها للتمر وغيره من النباتات العطرية: Cf: Irfan Shahid, Loc. Cit., CHJ, p. 10.				
والتمر عبارة عن مادة صمغية تحتوي على مادة حمراء تميل إلى اللون البني ذات طعم شديد المرارة وله رائحة عطرية تخرج من سيقان هذه النباتات الطيبة مثل نبات كومفير اطول" وللمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١١٧.				
صدرت اليمن إلى مختلف العالم القديم توابلها وبهاراتها: توافق برو، المرجع السابق، ص ٢٣٩ مما جعلها محط أطماع وأنظار الدول الأجنبية التي اعتادت على استخدام هذه التوابل والبهارات في طعامها لذلك حاولوا السيطرة على اليمن من أجل تأمين حصولهم على هذه التوابل والبهارات: انظر محمد حرب فزرات، المقال السابق، دراسة تاريخية، ص ١٠١.	دي لاس أوليري، المرجع السابق، ص ٨٩ ؛ نورمان بنز، المرجع السابق، ص ٢٨١.	الهند	اليمن	التوابل
استوردت اليمن العبيد من أفريقيا: مسيد الناصري، المقال السابق، سيمفان الدراسات	حوراني، المرجع السابق، ص ١٥٤.	الهند	اليمن	العبيد

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
				العلياء، ص ٣٤ وكان العبيد في اليمن يصلون في الزراعة أو في الخدمة لدى قصور تجار اليمن مما يدل على رفاهة الشعب اليمني؛ نيناكتور فينا، العرب على حدود بيونطة وإيران، ص ٣٠٢. ولقد ذكر العبيد في الكثير من النقوش اليمنية: الشيبه، المرجع السابق، ص ٢٤٥، لقد اهتم اليمنيين وبالتحديد أهل سبأ بتجارة العبيد ولذلك وضعوا لها العبد من القوانين التي تنظم وتحدد الاتجار لهم وعملة البيع والشراء ووضعوا لهم الضرائب المناسبة لذلك للمزيد انظر بالتحديد، إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٩٥.
الكندر والكان	قفار	الهند	الشيبه، المرجع السابق، ص ٥٢.	واستناداً إلى إشارة صاحب كتاب الطواف حول البحر الأيرتري فقد كان الثلاث يجمع على يد عبد الحكومة أو الذين كانت لهم أحكام قضائية، انظر: The Periplus, Ch. 29.
الولول	اليمن	الهند	The Periplus, Ch. 36 : إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.	كان الولول يحمل من ميني قانا وعماتنا على متن القوارب المخططة المصنعة محلياً تعرف باسم "موراتا" ومن هاتين المدينتين يرسل الولول وغيره من البضائع إلى الهند ويألف الأسواق العالمية القديمة للمزيد انظر: Ibid, Ch. 36.
الذهب و الفضة	اليمن المسعدة	الهند	حوراني، المرجع السابق، ص ١٤١-١٤٠ : حزقيال الإصحاح ٢٧ آية ٢٢ و آية ٢٣.	اشتهرت اليمن بالذهب والفضة حتى أن النبي سليمان عليه السلام كان يأخذ منها احتياجاته من هاذين المعدنين بناءً على نص التوراة : انظر سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ آية ١١-١٢ وانظر أيضاً أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٩ آية ٢ وليست التوراة فقط هي الوحيدة التي تحدثت عن ذهب بلاد اليمن بل تحدث كلاً من المقدسي والهمذاني في مجمل حديثهم عن

الملاحظة	المراجع	المستوردة	الجهة المنتجة	السلعة
<p>ثروات جنوب الجزيرة العربية (اليمن) : انظر نيناكتور فينا، المرجع السابق، ص ٣٠٦ كما يتحدث عن ثرائها بالذهب الملك اليمني سيف بني ذي يزن عندما قال (ماأصنع بالمال وتراب أرضي ذهب وفضة) وفي هذه العبارة دلالة كبيرة على كثرة الذهب والفضة في اليمن كما تدل أيضاً على شراء الشعب اليمني: انظر إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٩ ناهيك عن حملة اليوس جالوس التي أزالوا بها الاستيلاء على تلك الثروات وخصوصاً بعدما منع من أهل سبأ أنه كان لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة والأسره والموائد الصغيرة والأبنية المصنوعة من الذهب والفضة: Cf: Pliny, NH. BK. 6. 160-161.</p>				
<p>تاجرت جنوب الجزيرة العربية بمختلف أنواع الأحجار الكريمة التي اشتهرت بها مثل اللازورد انظر: علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٨٣-٩٥، ص ٧٤ والتي لفتت أنظار الرومان فحاولوا الاستيلاء عليها: Cf: Ibid, NH. BK. 6. 16-161 ; محمد المسيد عبدالقوي، شبه الجزيرة العربية، ص ٤٥.</p>	<p>سفر الملوك الأول الهند الإصحاح ١٠ آية ١٠-١١ سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٢٠.</p>		اليمن	الأحجار الكريمة

وأخيراً وفي ختام عرضنا لأهم البضائع التجارية المصدرة من اليمن إلى الهند فلا بد لنا ان نسلط مزيداً من الضوء على أثر هذه التجارة على ارتفاع مستوى المعيشة والأوضاع في اليمن السعيدة التي أصبح أهلها من أشهر الشعوب العربية ثراءً إذ ارتكزت ثروتها على التجارة والزراعة مما أتاح لهم عيشاً هنياً وازدهاراً اقتصادياً فترة طويلة من الزمن^(١٧١).

فقد نعم الشعب اليمني آنذاك برغد في العيش فكان القصر اليمني مملوء بالعبيد والجواري من الأحباش وكانت أوانيهم من الذهب والفضة، ويطيب بالطور والبخور ويسكنون في أجمل المباني الفخمة^(١٧٢) كل هذا بفضل التجارة مع الهند وغيرها التي كانت تصلها الشعب ذهاباً وإياباً محملة بأنفس البضائع الثمينة^(١٧٣). والآن وكما استعرضنا أهم البضائع اليمنية المصدرة للهند فلا بد لنا ان نستعرض الآن أهم البضائع الهندية المنقولة إلى اليمن وهي كالآتي:

جدول بأهم البضائع المصدرة من الهند إلى اليمن

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
الكافور الهندي	الهند	اليمن	هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة أحمد رضا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥م)، ص ٤٨-٤٩ + أنسور عبد العظيم، المرجع السابق، ص ٦٤.	لقد أحضر الكافور الهندي من الهند كاشجار وغرس في أرض اليمن في مساحات شاسعة غير محدودة وأخذ ينمو فيها. Cf: Teixidor J., Loc. cit., Stnsemitica, p. 41 والكافور هي كلمة هندية أصلاً بلغة أهل ملقا ولفظه عندهم كايور: انظر الحوفي، المرجع السابق، ص ١٠٣.
القرقة	الهند	اليمن	محمود عرفه، المرجع السابق، ص ٢٦١ + محمد السيد عبدالقني، مصادري القرنين، مجلة المؤرخ العربي، ص ١٠٧.	استورد العرب القرقة من الهند ثم قاموا بتصديرها إلى دول الجوار ودول العالم التي تطلب هذا النوع من النباتات العطرية الباهظة الثمن لذلك حرص العرب على أن يتكتموا على السر الخاص بمصدر هذه السلعة لكي تستمر تتحكم بالتجارة المربحة: مصطفى عبد العظيم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، ص ٢٠١-٢١٣.
اللبان	الهند	اليمن	محمد السيد عبدالقني، شبه	كان اللبان يصدر من الهند إلى الجزيرة العربية

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
			الجزيرة العربية، ص ١٨٢ الناصرى، الرومان والبحر الأحمر، <u>بيمينار للدراسات</u> الغيا، ص ٥٤.	على الرغم من أنها كانت تزرعه وتنتجه إلا أن هذا النوع المستورد كان متميز وله أوراق عريضة. انظر: عبد الحليم نور الدين، معرفة الأشجار، ص ٨٥ وكان ميناء ظفار هو الذي يستقبل الثبان الهندي ثم يقوم بتوزيعه إلى جميع المناطق التي تطلبه. انظر محمود عرفة، المرجع السابق، ص ٢٥٥.
الأخشاب	الهند	اليمن	حوراني، المرجع السابق، ص ٤٩ The Periplus, Ch. 36.	كانت السفن الكبيرة سواء الهندية أو اليمنية تخرج في مياه المحيط الهندي وتعود محملة بمختلف أنواع الأخشاب التي استخدمتها اليمن في مختلف الصناعات مثل خشب الأبنوس والصندل والمعروف بأصله الهندي : انظر سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ - آية ١١ : صلاح البكري، المرجع السابق، ص ١٢ ومن المعروف أن هذه الأخشاب المجلوبة من الهند كانت تتميز بالتلون الأحمر. انظر فضل الباقعي، المرجع السابق، ص ١٣٨ : The Periplus, Ch. 36.
المسك	الهند	اليمن	الحوفي، المرجع السابق، ص ١٠٣.	وهو من ضمن أهم صادرات الهند إلى اليمن : أشور عبد الغيم، المرجع السابق، ص ٦٤ وقد ورد ذكر المسك في الشعر الجاهلي فقال عنترة: تبهيت فتات المسك تحت لقياسها فيزداد من أنفاسها أرج التذ للمزيد انظر بالتفصيل: الحوفي، المرجع السابق، ص ١٠٣.
الأحجار الكريمة	الهند	اليمن	صلاح البكري، المرجع السابق، ص ٤٢ : جورجي زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠.	أحضرت اليمن من الهند مختلف الأحجار الكريمة مثل الياقوت والدرر والزبرجد : انظر الحوفي، المرجع السابق، ص ٩٢ وانظر أيضاً سامطع محلي، طريق الحرير وسيلة نقل حضارية، دراسات تاريخية، السنة ١٢، العدد ٢٩-٤٠،

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
أصداف السلاحف	الهند	اليمن	نقولا زبادة، المرجع السابق، ص ٣٧ : تشارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ص ١٥٣.	(١٩٩١م)، ص ٤٩-٧١، ص ٥٨. ان سكان اليمن احضروا الأصداف من خلال تجارتهم مع أفريقيا ثم أعادوا اليمنيين تصديرها، كما استخدموا علب المجوهرات وبعض قطع الأثاث، للمزيد من المعلومات انظر: The Periplus, Ch. 30.
التوابل	الهند	اليمن	السيد عبدالعزيز مسلم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م)، ص ٨٨.	استقبلت اليمن واردات الهند من التوابل الهندية والطيب وغيرها من السلع الهندية : محمد السيد عبد القني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٨٢ والنظر أيضاً أتور عبد العظيم، الملاحة، ص ٦٤.
العاج	الهند	اليمن	سعد زغول عبد الحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٦م)، ص ١٨٨ : منظر البكر، المرجع السابق، ص ٣٨٢.	هناك وثيقة أرخت في منتصف القرن الثاني الميلادي عبارة عن عقد حول سلع وبضائع هندية استوردتها تاجر مقيد بمصر عن طريق الجزيرة العربية كان من أهمها العاج : النظر عند السيد عبد القني، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٥ : سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠، آية ١١-٢٢.
الطيب	الهند	اليمن	صلاح البكري، المرجع السابق، ص ٤٢ : Strabo, GE, 4: 25, The Periplus, Ch. 36.	لم تقتصر اليمن على نقل منتجاتها بل شملت متاجرتهم السلع التي كانوا يجلبونها من الهند مثل الغنير والنحاس وغيرها من المنتجات : الحوفي، المرجع السابق، ص ٩٢ وللمزيد انظر أيضاً محمد السيد عبد القني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٨١.
السيوف الهندية	الهند	اليمن	لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠٩.	وصلت السيوف الهندية ذات الصناعة العالية الجودة إلى الموانئ اليمنية فكانوا يجلبونها أيضاً الفوائد الخاصة لصناعة السيوف من الهند أيضاً. انظر بالتفصيل محمود عرقه، المرجع السابق، ص ٢٦١ : السيد مسلم، المرجع السابق، ص ٨٨.

البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
الهند	اليمن	شارلز زوث، المرجع السابق، ص ١٥٤، الناصرى، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص ٥٤.	ويعتبر القفل الهندي من أجود أنواع القفل الأسود : انظر زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠ ١ وانظر أيضاً سعد زغول، المرجع السابق، ص ١٨٨.
الهند	اليمن	نقولا زيادة، عربيات، ص ٣٧.	لقد حمل التجار العرب اليمن ريش النعام من الهند وسيلان والصومال ثم نقلوها عبر البر إلى مصر وجميع موانئ البحر الأبيض المتوسط: انظر جورجى زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠.
الهند	اليمن	نفسه، ص ٣٧.	لقد استخدم الهنود الحفر العتيقة لصيد الغنم ثم تصديرها لليمن التي كانت تصدرها هي الأخرى إلى مختلف الأماكن: الغز في المدبري، حضارات، ص ١٤٧.
الهند	اليمن	حمد بن مراد، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتاب، دبي، (١٩٩٧م)، ص ٢٢٣.	وتعتبر من أهم صادرات الهند لليمن وهو من أجود الأنواع: جورجى زيدان، المرجع السابق، ص ١٦١ + The Periplus, Ch. 24.
الهند	اليمن	م. روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص ١٤٦.	يعتبر القطن من أهم السلع الهندية الواردة لجنوب الجزيرة العربية للمزيد انظر زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠ وليس القطن وحسب ولكن ورد للجزيرة من الهند مختلف أنواع الأقمشة من الصوف والكتان الملون : للمزيد انظر روستوفتزف، المرجع السابق، ص ٢٣١.
الهند	اليمن	The Periplus, Ch. 28 + روستوفتزف، المرجع السابق، ص ١٤٦.	صدرت الهند لليمن أجود أنواع الحرير الهندي على شكل لفائف حريرية: انظر محمد حرب فرزات، المقال السابق، دراسات تاريخية، ص ١٠٩ : وكانت هذه اللفائف تصل إلى اليمن من طريق الهند أو الصين على خط الحرير الصيني انظر روستوفتزف، المرجع السابق، ص ١٠٧ ومن المعلوم لدينا أهمية الحرير حتى

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
				<p>أنه اعتبر كوسيلة للتبادل التجاري اللقيدي إلى أن ظهر لنا ورق الكاغذ الحريري كعملة نقدية: انظر محمد فرزات، المقال السابق، <i>دراسات تاريخية</i>، ص ٩٨ لذلك استورده العرب اليمينيون على شكل لغائق ومنسوجات حريرية راقية وبخفة الصناعة يتحدث عنها صاحب كتاب الصوائف انظر:</p> <p>Cf: The Periplus, Ch. 31 and Cf 32. also: وانظر أيضاً أنور عبد العظيم، المرجع السابق، ص ٦٤ وأخيراً فلقد عرفت نساء الرومان بتجميع الأقمشة الحريرية الهندية والشامية والتي كانت تصل لها من الهند عن طريق العرب اليمنيين في الجنوب: هول، المرجع السابق، ص ١٧. وللمزيد من المعلومات عن الحرير الهندي انظر بالتفصيل الحوفي، المرجع السابق، ص ١٠٦ وانظر أيضاً محمد السيد عبد الفتاح، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٥.</p>
القرنفل	الهند	اليمن	مساطع محلي، طريق الحرير، دراسات تاريخية، ص ٥٨.	<p>أرسلت الهند لليمن القرنفل الهندي الطيب الرائحة والذي استخدمه اليمن وصدره إلى معظم دول العالم القديم: هاندي، المرجع السابق، ص ٤٩.</p>
الرفيق	الهند	اليمن	حمد بن سمر، المرجع السابق، ص ٢٢٣.	<p>صدرت الهند لليمن الرفيق سواء كانوا عبداً أو اماً وفي هذا إشارة واضحة إلى رفاهية الشعب اليمني وارتفاع مستوى المعيشة لديه للمزيد انظر: نقولا زيادة، عريبات، ص ٣٧ وكان من شدة اهتمام أهل سبأ بتعهده التجارة لهم وضوا لها القوانين المنظمة للتجارة بها. انظر عبد الفتاح إسماعيل، المرجع السابق، ص ٢٦٥.</p>
التحاس	الهند	اليمن	حوراني، المرجع السابق، ص ٤٩: The Periplus, Ch. 36.	<p>تاجر سكان اليمن مع الهند في الأوتى التحاسية التي كانت تصلهم من الهند عن طريق البحر. الشيبه، المرجع السابق، ص ٢٣٨: Cf: The Periplus, Ch. 36.</p>

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
الذهب	الهند	اليمن	منذر البكري، المرجع السابق، ص ٣٨٢ ؛ سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ ؛ دي لاسي اولاسري، المرجع السابق، ص ٩٥.	وجد معدن الذهب وبكثرة في الهند من دفعها إلى تصديره للجزيرة العربية على شكل حلي ولوانس منزلية: Cf: The Periplus, Ch. 24 ؛ وانظر: مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبداللّه، التراث القومي، عمان، (١٩٨٣م)، ص ٣٠ وللمزيد من المعلومات انظر التوراة: حزقيال الإصحاح ١٦ آية ١٣.
الفضة	الهند	اليمن	زيدان، المرجع السابق، ص ١٦١ ؛ حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٤.	استخدم اليمن أنية الفضة في منازلهم من شدة ثرائهم ورفاهيتهم انظر سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ ؛ حمد بن سري، المرجع السابق، ص ٢٢٣.
الؤلؤ	الهند	اليمن	The Periplus, Ch. 36.	نقد استمر اللؤلؤ الهندي بجودته فكانت تصدره للجزيرة العربية التي كانت تأخذ ماتزمتها منه وتصدر الباقى بعدها من مناطق العالم القديم: انظر منذر البكري، المرجع السابق، ص ٣٨٢ ؛ شارلز ورتش، المرجع السابق، ص ١٥٤.
الفردة و الطواويس	الهند	اليمن	سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ و ١٢ ؛ حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٩.	صدرت الهند لليمن القردود والطواويس ولا زالت القردود منتشرة في مرتفعات اليمن، حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٩.

وأخيراً بعد عرض تلك البضائع النفيسة التي تصدرها الهند لليمن لابد ان نعلم أنه بفضل تلك التجارة ارتفع دخل الشعب الهندي واليمني وأصبحتا كلتا الدولتين الهندية واليمن محط أطماع وأنظار الدول العظمى آنذاك^(١٧٩).

حتى ان بليني^(١٨٠) أشار إلى الحجم الضخم من البضائع التي تستوردها الإمبراطورية الرومانية من الهند وشبه الجزيرة العربية والتي تأخذ مقابلها مليون ستركة Steraca وهو مبلغ يعتبر ضخماً جداً آنذاك لتغطية ثرف النساء الرومانيات.

١- أثر ازدهار التجارة على المجمع اليمني:

ويعد أن تعرفنا على أهم صادرات وواردات كلاً من الهند واليمن جاء الآن دور الحديث عن صادرات وواردات من نوع آخر ألا وهي تلك المؤثرات الحضارية التي اكتسبها كلاً المنطقتين من جراء احتكاكها بالأخرى.

استفادت اليمن من موقعها الجغرافي في جنوب الجزيرة العربية فأصبحت على طريق الهند التجاري وأصبحت سفن كلاً من الهند واليمن ذهاباً وإياباً في مياه المحيط الهندي^(١٨١). وهو ماحدث عنه المصادر الكلاسيكية وأظهرته لنا النقوش وهو أن التجار العرب من اليمن وبالأخص حضرموت كانوا يركبون سفنهم من بلادهم إلى الهند مستفيدين بذلك من اكتشاف الرياح الموسمية على يد هيبولوس - كما سلفنا -^(١٨٢).

وبفضل تلك التجارة المشتركة اختلطت اليمن والهند معاً وتبادلاً الثقافة والحضارة على جميع الأصعدة فبالى جانب الازدهار التجاري الذي تولّى أمر الإسهام المناسب في دعم البناء الاقتصادي، كانت العمارة الحضارية التي حققها الانفتاح الاقتصادي وتبنى أهدافها التجارية هي الحافز الرئيس لقطاع كبير من أهل هذه الدولة فلقد انتفعوا كثيراً بالانفتاح الحضاري وطوعوه لحساب الانفتاح الاقتصادي، وترسيخ العلاقات التجارية المتبادلة بينهم وبين الأقطار والأمصار من حولهم بغرض الحصول على أكبر قدر ممكن من الرفاهية والرغد في العيش^(١٨٣). فمن خلال النشاط التجاري، عماد ازدهار اليمن القديم وقاعدة تمدنه دخلت كل المؤثرات الحضارية بين اليمن والهند بالعذر المطلوب ليجدد تلك الحضارات وتساعد على نموها وتطورها^(١٨٤).

ومما سبق عرضه يمكن القول ان التجارة تعتبر هي همزة الوصل بين الشعوب ورمز انتقال الحضارة الودي السلمي بينها. وأكبر دليل على مدى قوة البناء الاقتصادي اليمني أنه اعتمد على مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم الضرائب وعمليات البيع والشراء في كلاً من تمنع وقيان اللتان حرصتا على دقة تنفيذها. من أجل الحفاظ على الأرباح المتأتبة من التجارة^(١٨٥).

ولسنا نشك في ان اليمنيين أثروا من مركزهم التجاري فعاش المجتمع اليمني في سعة من العيش، لم ينعم بها غيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية ولاسيما كبارؤهم الذين كان لهم حظاً وافراً من رفاهية العيش والتنعم في مختلف أنواع الطعام والشراب، إذ كان يطبخ في بيت

الرجل منهم عدة ألوان وأصناف من الطعام ويعمل في منازلها السكر، وتطيب أدانيهم بالبخور^(١٨٦).

وكان لكلاً منهم الحشاية الخاصة به، وفي منزله الأثيق والكبير الكثير من الإماء والجواري، وعلى بابهم حملة من الخدم والعبيد والمحضيات سواءً من الهنود أو الجيوش حتى إن المؤرخ بليني يبدى حسده لليمين من ثرواتهم هذه ورفاهيتهم الواضحة في وفياتهم حين يحرقون في جنازات الموتى بخوراً بكميات هائلة يفترض إحراقه في معابد الآلهة في روما^(١٨٧).

٢- الوكالات التجارية اليمينية في الهند:

وإتماماً لعملية التبادل التجاري الناجح بين القطرين كان لابد للتجار اليمينيين من اتخاذ بعض التدابير والإجراءات التي من شأنها إيصال البضائع سالمة إلى الجهتين.

ونحن في عصر السرعة الذي نعيش فيه الآن غفلنا ماكان يلاقيه الأقدمون من مخاطر عندما كانوا يرسلون البضائع بواسطة سفن صغيرة تقطع رحلات بحرية طويلة ومعرضة للعواصف والحروب والقرصنة، ولعلاج ذلك كانوا يقيمون بعض العلاقات الشخصية مع أناس من أهل هذه المناطق البعيدة، أو يرسلون مندوباً معتمداً على الشحنة المصدرة، وكان هذا المندوب عادة ابناً لأحد كبار التجار أو صديقاً أو عبداً^(١٨٨).

وإتماماً لهذه العملية استقر الوكلاء اليمينيين في هذه الموانئ الهندية البعيدة لمراقبة أعمالهم وعلى مضي الزمن كونوا حلقة حول الحوض الشرقي من المحيط الهندي وزاولوا وياشروا تجارتهم فيه^(١٨٩).

<http://Archivebeta.Sakhyit.com>

كون اليمينيون وكالات كبيرة في الهند في منطقة جندوزيا وبنو هناك مدناً وأنشأوا أسطولاً يغدو ويروح بين الهند واليمن بأصناف المتاجر وأنواع البضائع وكونوا هناك سلطة دونها كل سلطة ونفوذاً دونه كل نفوذ. وقبضوا على زمام التجارة من خلال هذه الوكالات التجارية احتكروا غلات البلاد وزاحموا أهلها في أرزاقهم وعرفهم الهنود باسم عربتو (Arabitoes) أي العرب^(١٩٠). ويفضل هذه الوكالات التجارية وصلت الحضارة الهندية إلى كلاً من جنوب الجزيرة العربية وياقي بلاد العالم القديم^(١٩١).

٣- الهجرات اليمينية للهند:

لقد فرضت العوامل الطبيعية ضوابط حددت اتجاهات الهجرات السكانية من شبه الجزيرة العربية وخطوط سيرها، وتمثلت في طرق القوافل التي ربطت شبه الجزيرة بالأقاليم المجاور لها وكذلك في طرق بحرية ربطتها بالأقاليم البعيدة، فقد اتجهت التحركات البشرية المبكرة صوب أقاليم الأمطار كما سعت في الأقطار المطلة على المحيط الهندي^(١٩٢).

ويجب أن لا تغيب عنا نزعة اليمينيين إلى الهجرة حتى وإن كانت طبيعة بلادهم وظروف التجارة ومركزهم التجاري في العالم القديم حتمت عليهم تلك الهجرة وكانت تحملهم على السفر الدائم فنزعتهم للخروج من بلادهم مركبة فطريقة أصلية وفي نفس الوقت مكتسبة من ظروفهم العامة^(١٩٣).

فأخذت القبائل اليمنية تهاجر وتستقر خارج اليمن وخاصة على الطرق التجارية الهامة وسواء كانت هذه الهجرة راجعة إلى اضطرابات داخلية أو إلى الرغبة في المزيد من بسطة العيش وسعته أو إليهما مجتمعة وإلى غيرها من الأسباب، المهم في الأمر أنه ترتب على تلك الأسباب أنه نزحت قبائل يمنية كثيرة من اليمن إلى خارجه وأسست لها مستوطنات ووكالات تجارية قوية حيث استقرت^(١١١).

وكما ذكر اجثارخديس بأن العرب اليمنيين أسموا لهم مستوطنات تجارية في الهند نفسها^(١١٥) التي سكنوا واستقروا بها^(١١٦).

ومن خلال هذه الهجرات نستطيع ان نستنتج انه كان لها الفضل في نقل ثقافة اليمنيين للهنود والعكس الاحتكاك المباشر والذي أدى إلى انفتاح حضاري كبير منذ وقت طويل بين الحضارتين اليمنية والهندية كما أدت إلى نتيجة أخرى تمثلت في ان التحركات البشرية التي اتجهت إلى الهند استطاعت ان تعايش أنماطاً من الحضارة الهندية بل وتستوعبها لتخرج لنا بمجموعة من الأنماط الحضارية المشتركة والممزوجة في بوتقة حضارته واحدة ومن ثم تحولت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية إلى ملتقى حضاري كبير.

وهناك سؤال يفرض نفسه، هل كانت هناك هجرات هندية لليمن ؟ والجواب على ذلك واضح جلي فمنطقة جنوب الجزيرة العربية كانت أرقى مناطق الجزيرة تمدناً في مدارج الحضارة وأكثرها كثافة في عدد السكان العاملين أغلبهم في التجارة^(١١٧).

تلك التجارة التي دفعت التجار الهنود إلى ركوب البحر إلى اليمن والمتاجرة معها بل وتكوين جاليات هندية مهاجرة إلى اليمن من أجل مباشرة أعمالهم هناك فأنشئوا الوكالات التجارية في اليمن وتزوجوا وتعاشوا مع أهلها^(١١٨). ومما يؤكد ذلك أننا عثرنا على نقش في اليمن ذكر فيه أن سفيراً هندياً باسم (ده رده) كان متجهاً إلى روما ولكنه في طريق رحلته مكث فترة في حضرموت عند بعض أقاربه إبان رحلته إلى روما^(١١٩).

من هذا النقش نستنتج وجود جاليات هندية مستقرة في اليمن تربطها بالحكومة اليمنية علاقات صداقة ومودة سواء على مستوى الحكومات أو الأفراد.

ومن الجدير بالذكر وكنتيجة حتمية لتلك الهجرات وامتزاج المجتمعين الهندي واليمني بعضها البعض ان تنشئ روابط اجتماعية قوية مثل تبادل الفنون والعلوم ومختلف مظاهر الحضارة الزواج والمصاهرة^(١٢٠) حتى ان المسعودي في فترة متأخرة يقول (صاحبت مشايخ في المحيط الهندي ولدوا ونشأوا من ربابين ووكلاء وتجار يمينيين) وهم بالطبع من أبناء اليمن المهاجرين إلى الهند^(١٢١).

هذا ولقد عثر علماء الآثار على الكثير من النقوش السبئية والفتياتية^(١٢٢) في أقطار عربية وغير عربية بعيدة كل البعد عن اليمن ((مثل الهند))، وهي لا تحتم ان يكونوا اليمنيين غزو هذه الأقطار غزواً، وإنما تظهر مقدار متواضعاً من الحقيقة وهي ان اليمنيين كان لهم في ذلك العصر وجو حقيقي طويل في هذه المناطق، كمهاجرين فاستوطنوا المناطق الجديدة وامتد

وجودهم العربي إليها.

أيضاً يمكننا القول بأن النشاط التجاري اليمني كان بلا ريب الوسيلة الفاعلة والمضمونة في نقل الحضارة اليمنية إلى الهند، فمنها أخذ الهنود علوم الفلك والتنجيم والدين ومعظم معالم الحضارة والتقدم الفكري، وأنه لمن المؤكد أن الحضارة الهندية لم تكن من صنع يدها وحدها، وإن الهنود لم يكونوا هم الأساس في كل مناحيها ولكنهم استطاعوا أن يتصلوا معظم حضارة اليمن وغيرها من الأمم التي اتصلوا بها، ولعل هذا النقل يعتبر أحد مخلفات الحضارة والتقدم التجاري الذي أسلفنا الحديث عنه^(٢٠٣).

يجب أن نفهم هنا أن اليمن لم تكن هي المصدر الوحيد لتلك الحضارة ولكنها كانت مصدراً ومستودعاً أيضاً من الهند التي أمدت اليمن بمختلف مظاهر الحضارة والعنوم والفنون حتى أننا نجد أن نساء اليمن تأثرن في بعض ملابسهن بالأزياء الهندية المنونة والمطرزة والمزركشة^(٢٠٤).

وأخيراً وختاماً لكل ماسبق عرضه فلقد تناولنا طبيعة العلاقة التجارية التي ربطت بين الهند واليمن وطرق التجارة بها سواء البرية منها أو البحرية وأنواع البضائع المصدرة والموردة من كلتا الدولتين كما أوضحنا أخيراً أهم المؤثرات الحضارية سواء كانت هندية أو يمنية ومدى تأثير وتأثر كل واحدة منها بالأخرى في مجال التجارة والعنوم والفنون وغيرها من مظاهر الحضارة المختلفة.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م).
- ٣- الإصطخري، (اسحق إبراهيم الفارسي)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، ومحمد غبريل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، (١٩٦١م).
- ٤- الحموي، (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٧٩م).
- ٥- الهمذاني (الحسن بن أحمد بن يعقوب)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوغ، دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض، (١٩٧٧م).

المراجع العربية والعربية:

- ١- إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م).
- ٢- أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م).
- ٣- أحمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت، (١٩٧٣م).
- ٤- أحمد رحيم هبو، تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة حلب، دمشق، (١٩٨٠م).
- ٥- أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩م).
- ٦- أحمد شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ج ٢، (١٩٦٧م).
- ٧- إسرائيل ولفنسوف، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٢٩م).
- ٨- إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٧هـ).
- ٩- أسهمان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م).
- ١٠- أغناطيوس وغويدي وإبراهيم السامرائي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحداثة، بيروت، (١٩٨٦م).
- ١١- أنور عبدالنعم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م).
- ١٢- برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٩م).
- ١٣- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر العربي، بيروت، (١٩٨٤م).
- ١٤- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٢، (١٩٧٠م).
- ١٥- جورج فضل حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م).

- ١٦- جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٩٢م).
- ١٧- جيمس هنري برستد، العصور القديمة، ترجمة داوود قريبات، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، (١٩٨٣م).
- ١٨- حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٣م).
- ١٩- حسين شهاب، ابن ماجد والملاح في المحيط الهندي، مركز الدراسات في الديوان الأميري برأس الخيمة، الإمارات، (١٩٨٨م).
- ٢٠- حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م).
- ٢١- حمد بن سراي، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتب، دبي، (١٩٩٧م).
- ٢٢- دانيال بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري وأحمد العساف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م).
- ٢٣- دتليف نلسن وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فؤاد عطي وزكي حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م).
- ٢٤- دي لامي اوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى الفول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م).
- ٢٥- ربيع القيسي وصباح الشكري، دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، (١٩٨٦م).
- ٢٦- ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، (١٩٩٩م).
- ٢٧- سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م).
- ٢٨- سعيد الأتفاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م).
- ٢٩- سعيد زغلول عبد الحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٦م).
- ٣٠- سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م).
- ٣١- سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسية والحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٥م).
- ٣٢- —، تاريخ وحضارة مصر في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م).
- ٣٣- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م).
- ٣٤- شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس، ومحمد خفاجه، الهيئة المصرية

العامة، القاهرة، (١٩٥٠م).

٣٥- صالح دراكه، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة سيرين للدعاية والنشر، عمان، (١٩٨٨م).

٣٦- صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٥٤هـ).

٣٧- صلاح شهاب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الحكومية، الكويت، (د.ت).

٣٨- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م).

٣٩- عبدالحليم نورالدين، مقدمة في الآثار والمناطق اليمنية، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، (٢٠٠٨م).

٤٠- عبدالله الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي النوري، اليمن، (٢٠٠٠م).

٤١- فتحي أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٤٤م).

٤٢- فضل الجاثم، الحضور اليمني في الشرق الأدنى، دار علاء الدين، دمشق، (١٩٩٩م).

٤٣- فليب حتى، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.م.ن).

٤٤- فكري قلججي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م).

٤٥- كمال الصالح، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م).

٤٦- لطفي عبد الوهاب، العرب قديماً، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م).

٤٧- مايلز، الخليج بلداته وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله، مطبعة آمون، القاهرة، (١٩٨٣م).

٤٨- محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٦٦م).

٤٩- ـ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م).

٥٠- محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار وهدان للطباعة، اليمن، ج ١، (١٩٦٨م).

٥١- محمد الشاعر، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي وعصر جوستاف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٩م).

٥٢- محمد بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م).

٥٣- ـ، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ).

٥٤- محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

٥٥- محمد عبد الغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة دراسة وثائقية،

- المكتب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩١م).
- ٥٦- —، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (١٩٩٩م).
- ٥٧- محمد متولي ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج ٣، (١٩٧٨م).
- ٥٨- محمود عرفه، العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهرهم، دار عين، للدراسات، القاهرة، (١٩٩٥م).
- ٥٩- منذر البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الحديثة في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م).
- ٦٠- مي السديري، حضارات، (دن)، الرياض، (١٤٣١هـ).
- ٦١- ميخائيل روستوفتزن، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي، ومحمد سليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
- ٦٢- نقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر حويجاني، مراجعة زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، (١٩٩٢م).
- ٦٣- نقولا زيادة، عربيات حضارة وثقافة، (دن.م)، (١٩٩٤م).
- ٦٤- نوره النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، (د.م)، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، ص ٢٤٨. <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- ٦٥- نينا فكتورينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م).
- ٦٦- الهادي أبو لقمة ومحمد الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية، بنغازي، (د.ت).
- ٦٧- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة أحمد رضا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥م).
- ٦٨- هيا آل ثاتي، الخليج العربي في عصر ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م).
- ٦٩- وديع بشور، سوريا قصة الحضارة، دار الفكر، (د.م)، ج ١، (١٩٨٩م).
- الدوريات العربية:
- ١- اليزيث مونرو، الجزيرة العربية بين البخور والبترو، ترجمة محمود محمود، الإدارة، الرياض، السنة الثمانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص ٢٨-٤٣.
- ٢- بشير زهدي، طريق الحرير وتدمير مدينة القوافل، دراسات تاريخية، السنة الثانية عشر، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ١١٩-١٣٨.
- ٣- جروم، الجرهاء مدينة مفقودة، حولية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف،

- الرياض، العدد ٦، ص ٩٥-١٠٥.
- ٤- ساطع محلي، طريق الحرير - طريق الحوار طريق الحرير، ١٩٩١ وسيلة نقل حضارية، دراسات تاريخية، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٤٩-٧١.
- ٥- سيد القاصري، الرومان والبحر الأحمر، سيمانر الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ٢٩-٦٨.
- ٦- علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٨٣-٩٥.
- ٧- فاطمة صلاح الدين، العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ١٧١-١٩١.
- ٨- محمد حرب فرزات، بين الصين والشام حوار الحضارات على طريق الحرير، دراسة تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ٩٦-١١٨.
- ٩- محمد حرب فرزات، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصيف والشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ٩٦-١١٨.
- ١٠- محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، (١٩٥٣م)، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ١-٣٣.
- ١١- مصطفى عبد العليم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ج ٢، ص ٢١٣-٢٥١، <http://Archivebeta>
- ١٢- مهيب غالب كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ٢٠١، (٢٠١١م).
- ١٣- نقولا زيادة، دليل البحر الاريتري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ص ٢٥٩-٢٧٧.

المصادر الأجنبية:

- ١- Appian, Roman History, Trans. By: Horace White, William Heiremans, Ltd, London, (1972), 4 vol.
- ٢- Arrian, History of Alexander and Anabasis Trans. By: E. Iliff Robson William Heinemann Ltd., London, (1946), 2 vol.
- ٣- Malale J., Chronographia, ed., L. Dirdrof, (SCHB), Bonn, (1831).
- ٤- Pliny, Natural History, Trans. By: E.H. Warrington, William Heinemann, London, (1969), vol. 2.
- ٥- Polybius, The Histories, Trans. By: W. R. Paton, William

- Heinemann, London, (1926).
- Procopius of Caesarea, History of the Wars, Trans., By: H. B. -٦
Dewing, William Heinemann Ltd, London, (1970), vol. 7.
- Quintus Curtius, Trans. By: John C. Rolfe, William Heinemann -٧
Ltd, London, (1970).
- Strabo, Geography, Trans. By: Horace Leonard Jeonard Jones, -٨
William Heinemann Ltd, London, (1966), vol. 8.
- The Periplus Maris Erythraei, Trans. By: Casson, Princeton -٩
University Press. New Jersey, (1914).
- المراجع الأجنبية:
- Albertini E., L'empire Romain, Librairie, Elixalcan, (1929). -١
- Bagot J., The Great Arabs Conquests, Hodder and Stoughton, -٢
(1960).
- Bell. R., Introduction to the Quran, Edinburgh, At The University -٣
Press, London, (1953).
- Benglson H., The Greeks and the Pergians, Weidem Feld and -٤
Nicolson, London, (1964).
- Bowersock W., Roman Arabia, Harvard University Press, -٥
London, (1983).
- Burlot J., La Civilisation Islamiaue, Moorehean, A., African -٦
Terilogy, London, (1952).
- Cantineau J., Le Dialecte Arabe De Palmyre, Beyrouth, (1934). -٧
- Ernest J., Backround of the Middle East, Cornell University -٨
Press, New York, (1952).
- Fayyaz S., As short History of Islam, London, (1960). -٩
- Fowden G., Empire to Common Wealt, New Jersey, (1993). -١٠
- Glubb J., The Great Arab Conovests, Hodde and Stoughton, -١١
(1960).
- H.O. Pub, Sailing Direction for the Red Sea and Gulf of Aden, -١٢
The Hydrographie Office Under the Quthority of the Secretary of
the Navy, United States, (1952).
- Hannond N., Scullard, The Oxford Classical Dictionary, AHhe -١٣

- Clarendon Press, Printed in Great Britain, Second Edition, (1970).
- Kirk G., A short History of the Middle East, Surjeet Publication, (1981). -١٤
- Leiss B., and Arnold H., Asurvey of Arab History, Cairo, (1987). -١٥
- Mattingly H., Roman Imperial Civilisation, Edward Arnold Publishers. Ltd, (1959). -١٦
- Perry G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New Jersey, (1992). -١٧
- Peter M., The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976). -١٨
- Potts D., The Arabian Gulf In Antoiqwty, Clarendon Press, Oxford, (1990). -١٩
- Raoul Mclaughlin, Rome and the Distant East, Continuun UK the Tower Building 11 York Road, London, (2010). -٢٠
- Robinson E., A History of Rome, Met hum Educational Ltd., London, (1978). -٢١
- Schmidt G., Aconcise History of the Middle East Egypt, (1983). -٢٢
- Sedillot, Histoire Des Arabs, Librairie Hachette Et, (1954). -٢٣
- Sinnigen W. and Boak, A., A History of Rome, To A. D. 565, Macmillan Publishing Co., Inc, New York, (1977). -٢٤
- Tenney. F., and Other, An Economic Survey of Ancient Rome, The Johns Hopkins Press, Baltimore, (1938), Vol. IV. -٢٥
- Warmington E., The Commerce Between The Roman Empire and India, Curzon Press Ltd, London, (1974). -٢٦
- Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963). -٢٧
- Zwemmer R., Arabia, Printed and Bound in Great Britan By A. Wheaten Co. Ltd., Exeter, London, (1986). -٢٨

الدوريات الأجنبية:

- Bury J., and other, CAH, Cambridge, (1924), vol. I, pp. 188-203. -١
- David G., The Saracens and the Defense of the Arabian -٢

Frontier', BASOR, Bulletin of the American School of Oriental,
New Haven, (1978), pp. 1-20.

Shahid J., 'The Rise and Domination of the CIH, Cambridge,
vol. 1, (1970).

Teixidor J., 'Un Port Romain Du Desert Palmyre', Semitica,
Librairie D'Amerique Et D'Orient, Paris, (1984), vol. XXXIV, pp.
16-55.

-٣

-٤



الملاحق

- (١) بشير زهدي، طريق الحرير وتتمتع مدينة القوافل، دراسات تاريخية، السنة الثانية عشر، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١)، من ص ١١٩-١٣٨.
- (٢) لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م)، ص ٨٩؛ فتحي أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، بيروت، (١٩٩٤م)، ص ٣؛ إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ١١٣.
- (٣) العبادي أبو لقمة، محمد الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجاهدية، بنغازي، (د.ت)، ص ٣٤.
- (٤) جورج فضل حوراني، العرب والملاح في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص ٢٣-٢٤.
- (٥) نوره النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، (د.م)، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، ص ٢٤٨.
- (٦) ولمزيداً من المعلومات عن موقع اليمن وأهميته الاستراتيجية والتجارية: انظر بالتفصيل الحموي، (شهاب الدين ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (١٩٧٢م)، ج ٥، ص ٤٤٧-٤٤٨؛ الهمداني، (ثمان اليمن الحسن بن أحمد)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوخ، دار اليمامة، الرياض، (١٩٧٧م)، ص ٧٧-٧٨.
- (٧) Ernest Jack, Background of the Middle East, Cornell University Press, New York, (1952), p. 90.
- (٨) Pliny, Natural History, Trans. By: E.H. Warmington Heinerman Ltd, London, (1969), Vol. 2, BK. 6. XXVI. 101 ; Sedillot, Des Araps, Librairie Hachette Et, (1954), p. 24 ;
- فليب حتى، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.م)، ص ١٦٣؛ محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ٢٤٩.
- (٩) فاطمة صلاح الدين، العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البيردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ١٧١-١٩١، ص ١٧١.
- (١٠) منذر البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الحديثة في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م)، ص ٣٨٢؛
- Joseph Burlot, La Civilisation Islandoue, Moore Hean A., Frisan Teritogy, London, (1952), p. 8.

- (١١) العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م)، سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ٢ ؛ جورج حوراني، العرب والملاحة، ص ٧٨ ؛ Peter Mansfield, The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976), p. 14
- (١٢) Leiss, B, and Arnold H., A survey of Arab History, Cairo, (1987), p. 30 ؛ Richard Beu, Introduction to the Quran, Edinburgh, At the University Press, London, (1953), p. 5.
- (١٣) إسرائيل ولغسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٢٩م)، ص ٢٣٢ ؛ دتليف تلسن، وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فؤاد علي وزكي حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م)، ص ٢٧٤.
- (١٤) سفر أشعيا الإصحاح ٤٣، آية ٣ ؛ سفر حزقيال الإصحاح ٢٣، آية ٤٢.
- (١٥) Pliny, NH, BK VI, 26-101.
- (١٦) Eugene Albertini, L'empire Roman, Librairie, Elix Alcan, (1929), p. 229.
- (١٧) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مجلة الدراسات اليربية والنقوش، ص ١٨١.
- (١٨) The Periplus Maris Erythraei، للمزيد من المعلومات عن الدولة الحميرية انظر بالتفصيل: Trans. by. Casson, Princeton University Press, New Jersey, (1914), Chapter. 23 and cf also 36.
- (١٩) فتحي أبو عيانه، المرجع السابق، ص ١٦.
- (٢٠) للمزيد من المعلومات عن المصريين انظر: نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويحان، مراجعة زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص ٩٢-١٠٠ ؛ وانظر أيضاً إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م)، ص ٤٧٣-٥٤٦.
- (٢١) ولمزيداً من المعلومات عن الآشوريين انظر بالتفصيل: حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م)، ص ٦٧-٩٥ ؛ وانظر أيضاً: طه باقر، مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م)، ص ٤٧٣-٥٤٦.
- (٢٢) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ٢٧٨-٢٨٢.
- (٢٣) جورج زبدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٢٢م)، ج ١، ص ١٦٠.
- (٢٤) عبدالله الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، اليمن، (٢٠٠٠م)، ص ٢٢٦.
- (٢٥) Pliny, NH, BK. VI. 32 ؛ The Periplus, Ch. 31.
- (٢٦) حوراني، المرجع السابق، ص ٦٣.

The Periplus. Ch. 19.

(٢٧)

(٢٨) محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، (١٩٩٩م)، ص ٤٤.

(٢٩) Pliny, NH. BK. XXVI. 101. دي لاسي اوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى

الغول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م)، ص ٩٥. والإمبراطور تيريوس هو الإمبراطور الثاني للإمبراطورية الرومانية تولى العرش وهو في الخمسين من عمره ولكنه تميز بالحكمة وبعد النظر ووضع ثابت له ابن أخته وابنه باليني جرمانكوس Germancus: لمزيد من المعلومات عن

هانين الإمبراطورين وباقي الأباطرة الإمبراطورية الرومانية انظر بالتفصيل: E. Robinson. A History of Rome, Methuen Educational Ltd., London, (1971), p. 279

Simien. G. and B. Arthur, A history of Rome to A.D. 565, Macmillan publishing Co. inc, New York, (1977), p. 226.

Pliny, NH. BK. XXVI. 101.

(٣٠)

(٣١) محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهرهم، دار عين للدراسات، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ٢٥٩ ؛ نقولا زيادة، عربيات حضارة - ولعه، (دين م)، (١٩٩٤م)، ص ٦٠.

(٣٢) صالح دراكه، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة سفيرين للدعاية والنشر، عمان، (١٩٨٨م)، ص ١١٠.

(٣٣) وهو ملك مقدونيا: SF: Quintus Curtus, History of Alexander, Trans By: John Rofle William Heinemann Ltd, London, (1970), BK. 1. p. 19. وهو ابن فليب

الثاني أولمبياس ويعتبر الأسكندر بلامك أكثر قادة عصره شهرة لأنه هو أول من أدخل نظام جديد في الحضارة الإغريقية: CF: N. Hannond, H. Scullard, The Qufor Classical Dictionary,

At the Clarendon press printed in Grent Britain, Second Edition, (1970), pp.

Arrians, 39-41. ولمزيد من المعلومات عن شخصية الأسكندر الأكبر انظر بالتفصيل:

Roman History, Trans By: Horace White, William Heinemann, London, (1972), 4 vols, BK. 181.

(٣٤) قذري قلعي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م)، ص ٤٠.

(٣٥) سعد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م)، ص ٥٧ ؛ إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣٦) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، سنتار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس،

القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ٢٩-٦٨، ص ٣٢ ؛ اليزبيث مونرو، الجزيرة العربية بين البخور والبترون، ترجمة محمود محمود، الدراسة، الرياض، السنة الثانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص

٢٨-٤٣، ص ٣٦.

Strabo, op. cit., BK. XV. 1-73 ; Hernann Be Ngtsen, The Greeks and the (٢٧) Persians, Weiden Feld and Nicholson, London, (1964), p. 320; Bowersock, W., Roman Arabia, Harvard University Press, London, (1983).p. 43.

(٣٨) للمزيد من المعلومات عن هذه المراحل العسكرية انظر بالتفصيل: عبدالله الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص ١٨ ؛ محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة فؤاد الأول، القاهرة، (١٩٥٣م)، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ١-٢٣، ص ٤٣-٤٤.

(٣٩) إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.

Albertini, E., L'empire Romain, Librairie, p. 229. (٤٠)

Strabo, op. cit., Bk. 15.4 ; David F. Graf, The Saracens and the Defense (٤١) of the Arabian Frostier, American Schools of Oriental Research, Copyright, (1978), p. 3.

John Glubb, The Great Arab Conquests, Hodde (٤٢) حوراني، المرجع السابق، ص ٢٥ and Stoughton, p. 22.

Strabo, BK. 16.4.16. (٤٣)

Strabo, BK. 16.4.23 ; Pliny, NH, ١٤٥، ص ١٠١، ج ١، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، (٤٤) رستوفتريف، BK. V.32. 159-162 ;

(٤٥) منظر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٠ ؛ أسهان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م)، ص ١٩٧-٢٠١.

(٤٦) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص ١٨١، Pliny, NH, BK. 6.141.

(٤٧) منظر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٠.

(٤٨) سيد الناصري، المقال السابق، سفار للدراسات العليا، ص ٣٢.

(٤٩) صالح دراكه، المرجع السابق، ص ١١٠.

(٥٠) محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، ص ٢٥٨ ؛ حسين شهاب، ابن ماجد والملاحه في المحيط

الهندي، مركز الدراسات في الديوان الأميري برأس الخيمة، الإمارات، (١٩٨٨م)، ص ١٤.

(٥١) سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م)، ص ١٥.

وللمزيد من المعلومات عن جغرافية شبه الجزيرة الهندية انظر بالتفصيل: الاصطخري (ابن اسحاق)،

الممالك والممالك، تحقيق: محمد الحسيني، مراجعة: محمد غريال، الجمهورية العربية، (١٩٦١م)،

ص ١٩ ؛ مي السديري: حضارات، (د.ت)، الرياض، (١٤٣١هـ)، ص ١٤٦.

(٥٢) قال العلامة جيان في كتابه وثائق تاريخية وجغرافية في أفريقيا الشرقية (قبض العرب منذ أقدم العصور

على زمام التجارة البحرية وبخاصة في الشرق فكانت سفنهم هي الوحيدة التي تجري في المحيط

الهندي، وبخاصة ماسبق بلادهم والهند وكانت لهم هناك جالية يمنية كبيرة). وللمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: صلاح البكري، تاريخ حضرموت المياسى، المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٥٤هـ)، ص ٤٤-٤٥.

(٥٣) أنور عبدالعليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م)، ص ١٩.
(٥٤) Procopius of Calsarea, History of The Wars, Trans. By: H. B. Dewing
William Heinemann Ltd., London, (1970), Vol. 7 ; Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963), p. 54.

(٥٥) Pliny, NH. BK. 6.28-32. The Periplus, Ch. 27 and Cf also. 32.
(٥٦) مهيب غالب كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ٢٠١، (٢٠١١م)، ص ٣٥٨ ؛ أحمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٩١.

(٥٧) محمد بافقيه، مختارات، ص ٢٥.
(٥٨) فتحي أبو عيانه، المرجع السابق، ص ٦. (انظر جدول البضائع الهندية اليمنية في هذا البحث ص ٣٩).

(٥٩) حوراني، المرجع السابق، ص ٧ ؛ دي لاس أوليفري، المرجع السابق، ص ٩٣. (انظر الخريطة رقم ٤) عن حركة الرياح.

(٦٠) نقولا زيادة، عريبات، ص ٤٤ ؛ Teixeira J., "Un Port Romani Du Desert Palmyre", <http://Archivebeta.Sakhrat.com>
Semitica, Librairie D'Amerique Et D'orient, Paris, (1984), vol. XXXIV, pp. 16-

55, p. 40.

(٦١) منذر البكر، دراسات، ص ٣٨٧ ؛

The Periplus, Ch. 20 – and 27.

(٦٢) محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة دراسة وثائقية، المكتب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩٩م)، ص ٤٣ ؛ عبدالله الشيبه، المرجع السابق، ص ٢٠ ؛ وهناك من يقول إن هيبلاكوس Hipparchus الإسكندري هو أول من اكتشف الرياح الموسمية في العصر البطلمي المتأخر وأوائل العصر الروماني، للمزيد انظر منذر البكر : المرجع السابق، ص ٣٩٤.

(٦٣) حوراني، المرجع السابق، ص ٦٦ ؛ فضل الجاثم، المرجع السابق، ص ٤١٢. (انظر الخريطة رقم ٤).
(٦٤) Procopius, History of the Wars, p. 183 ; Shahid I., The Rise and Domination of the Cambridge History of Islam, Cambridge, p. 12.

(٦٥) سيد الناصري، المقال السابق، سغائر الدراسات العليا، ص ٦١ ؛
(٦٦) هيا آل ثاني، الخليج العربي في عصر ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م)، ص ٢٤٣-٢٤٢ ؛

The Periplus, Ch. 57.

(٦٨) ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، (١٩٩٩م)، ص ١٦-١٧.

(٦٩) وقد ذكر البحارة العربي المسلم المتأخر ابن ماجد في كتابه عن علوم البحار تعبيراً صادقاً يصف لنا فهم دقيق لطبيعة الرياح الموسمية والتيارات المعاكسة في المحيط الهندي فسماء مواعيد غلق البحر وفتح البحر لمواسم السفر كما قال (إن الخروج من الهند يمر العرب أوله ٣٠ الفبروز من حوزران وككن، ولكن أهل الأقاليم أكمونية إذا أرادوا السفر فعليهم بأخذ رياح الديور (أي آخر الصيف) وكلاً على قدر مكانه ومركبه) للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: أنور عبدالمعظم، الملاحة، ص ١٣٣.

(٧٠) حوراني، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٧١) محمود حرب قرزات، حوار الحضارات بين اليمن والشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠،

(١٩٩١م)، ص ص ٩٦-١١٨، ص ١١٠ : «فلقد استطاع البطالمة الإبحار من موانئهم مباشرة إلى

الهند خلال أربعين يوماً عن طريق أعالي البحار بدلاً من الاتجار بمحاذاة الساحل كما كان متبعاً من

قبل والعودة بعد ٦ أشهر» : للمزيد انظر فضل الجاثم، الحضور اليمني، ص ٤١٢، وانظر أيضاً لطفي

عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٣٢٩.

(٧٢) Pliny, NH. BK. VI. XXVI. 100-101 ; Glubb, J., op. cit., p. 22.

(٧٣) نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة،

مصر، (١٩٧٥م)، ص ٢٨٠.

وللمزيد من المعلومات عن الإمبراطور فمباسيان انظر بالتفصيل: Mattingly Harold, Roman

Imperial Civilisation, Edward Arnold (Publishers) Ltd, London, (1959), p. 19

؛ وانظر أيضاً سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية المياني والحضاري، دار النهضة العربية،

بيروت، (١٩٨٥م)، ص ١٩٦.

(٧٤) مهيب كليب، المقال السابق، مجلة جامعة دمشق، ص ٣٥٥، Leiss and Arnold, op. cit., p. 29.

(٧٥) نينا فكتور فينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة

صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م)، ص ٢٦٠ ؛ نقلاً زيادة، عربيات، ص ٣٧.

(٧٦) محمد متولي ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،

(١٩٧٨م)، ج ٣، ص ٢٩١. انظر خريطة الطرق البحرية رقم (٢).

(٧٧) محمد بافقيه، مختارات من النقوش البيزنطية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م).

ص ٢١ ؛ قدرتي قلنجي، المرجع السابق، ص ٨٠.

(٧٨) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٩م)، ص ١٢٥.

(٧٩) سعد ماهر، المرجع السابق، ص ٥٥ ؛ لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٣٢٤ ؛ ومما يؤنس

به في هذا المجال ماورد في القرآن الكريم في سورة يونس قوله تعالى (هو الذي يسرركم في البر والبحر)

- آية ٢٢ وفي تلك الآية حض من الله تبارك وتعالى على استخدام البحر . للمزيد انظر فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص ١٧٢.
- (٨٠) محمد متولي، محمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ج ٣، ص ٢٩٩.
- (٨١) مهيب، المقال السابق، مجلة جامعة دمشق، ص ٣٥١.
- (٨٢) بيومي مهران، الحضارة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت)، ص ٢٨٥.
- (٨٣) أنور عبدالعليم، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٨٤) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٤٧-٢٤٨ : ومما يؤيد هذا الرأي أنه تم العثور على نقش يعود إلى عهد الإمبراطور هادريان Hadrian (١١٧-١٣٨م) فيذكر فيه نقادة «زبصرة ومعرقاً بها لربابنة من تسمى يعملون في أعالي البحار». وفي هذا دليل على انتشار الإسلام العرب في شبه الجزيرة العربية سواء شاليين أو جنوبيين بعلوم البحار وانتقالهم لفن الإبحار والتجارة مع الأماكن البعيدة التي يصل إليها عن طريق السفن في البحر : للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل : Tenney. Frank and Other, An Econmic Survey of Ancient Rome, The Johns Hopkns Press, Baltimore, (1938), vol. IV. P. 208.

- (٨٥) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص ١٨٤.
- (٨٦) منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٥ : وفي إتقان العرب لفنون الملاحة قال طرفة بن العبد في إحدى المعلقات السبع:

عدوليه أو من سفن أين يامن يحور بها الملاح طوراً ويهتدي

للمزيد انظر منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٥.

- (٨٧) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٦ : النعيم، المرجع السابق، ص ٢٤٧.
- (٨٨) اليزابيث مونرو، المقال السابق، الدارة، ص ٣٦.

- (٨٩) براهيم الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص ١٢٥ : قدرتي تاجي، المرجع السابق، ص ٨٢ وفي هذه السفن الصغيرة (القوارب) قال طرفة بن العبد

كأن حذو المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من ذو

- والحنوج جمع حذج وهو مراكب النساب الصغيرة والنواصف هي المراكب أو السفن الرخسة الواسعة : للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: أنور عبدالعليم، المرجع السابق، ص ٢٤. (انظر خريطة رقم ١).
- (٩٠) Procopius, History of the War, p. 183 ;

- ومما يؤكد ذلك أنه وجدت نقوش سبئية ومعينة مكرسة لألهة عربية في جزيرة ديلوس Delos ببحر أيجا كانت هذه الجزيرة مركزاً لتجارة البضائع الشرقية. وهذا الاكتشاف لا يدل فقط على المدن الذي وصل إليه والتجار العرب إنما يدل أيضاً على أن العرب كانت لهم سفنهم الخاصة للمجارة : للمزيد انظر بالتفصيل : فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص ١٧٢.
- (٩١) انظر الخريطة رقم (١).
- Pliny, NH. BK. 6. XXII. 14 ;

سيد الناصري، تاريخ وحضارة مصر في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص ٢٥٨.

(٩٢) مأرب ولمزیداً من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: سفر التكوين الإصحاح ١٠ آية ٧ : Strabo, GE., BK. 16.4-16.

(٩٣) أما غزة للمزيد من المعلومات عنها انظر: أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م)، ص ١٣٢ ؛ أنظر الخريطة رقم (١).

Pliny, NH. BK. 6.22.144

(٩٤) أغناطيوس وإبراهيم السامرائي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحداثة، بيروت، (١٩٨٦م)، ص ٨٨ ؛ عبد الحليم نور الدين، مقدمة في الآثار والمناطق اليمنية، تقديم زاهي حواس، مطابع المجلس الأعلى للآثار، مصر، (٢٠٠٨م)، ص ٤٥.

(٩٥) صالح دراكه، المرجع السابق، ص ١١٠-١١١ ؛ Peter Marsfeld, op. cit., p. 21.

(٩٦) منظر البكر، المرجع السابق، ص ٣٨٦ ؛ Strabo, GE, BK. 16.4.2 أما حضرموت فللمزيد

من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: Strabo, GE. BK.1604-4 The Periplus, Ch. 29 ؛

Strabo, GE. BK.1604-4 وانظر أيضاً: توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، بيروت،

(١٩٨٤م)، ص ٧١ وللمزيد انظر سفر التكوين الإصحاح آية ٣١-٣٢ . وأنظر أيضاً:

Potts, D., The Arabian, Gulf in Antioqon Press, Oxford, (1990), vol. 2, p. 97.

(٩٧) الحوفي، المرجع السابق، ص ٩٨ وللمزيد من المعلومات عن عُمان انظر بالتفصيل ثوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٨.

(٩٨) براهيم الدين دلو، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٠ ؛ Strabo, GE. BK. 16.4-2.

(٩٩) لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠٧ ؛ GE, BK. Ibid, 16.4-2.

(١٠٠) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات والنفوس البيردية، ص ١٧٢ ؛ ودادان هي العلاء

حديثاً اشتهر شعبها بالمناجزة مع الأقطار المجاورة وفي أنفس وأعلى البضائع ؛ للمزيد من المعلومات

عنها انظر بالتفصيل سفر حزقيال الإصحاح ٢٧ آية ٥ ، وانظر أيضاً جواد علي، المفصل في تاريخ

العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٠م)، ج ٢، ص ٢٤٣.

(١٠١) ليوكي كومي: وهو ميناء مصري يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر نال شهرة واسعة في عهد

الدولة البطلمية، وهناك اختلاف حول موقع هذا الميناء الحالي وأن البعض يجعله الحوارة واستند على

أن الحوارة تعني البغضاء للمزيد عنها انظر بالتفصيل: أنظر الخريطة رقم (١).

Strabo, GE, BK. 16.357 and cF also: The Periplus, Ch. 19.

(١٠٢) محمد حرب فوزات، بين الصين والشام حوار الحضارات على طريق الحرير، دراسة تاريخية،

جامعة دمشق، دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩، ٤٠، ص ص ٩٦-١١٨، ص ١١٣ ؛ وللمزيد من

المعلومات عن رأس الحد انظر بالتفصيل: H.O. Pub, Sailing Directions For The Red

Sea and Gulf of Aden, The Hydrographic office Under the Authority of the Secretary of the Navy, United States, (1952), pp. 267-268.

Zwenner, R.S., Arabia, Printed and Bound in Great Britain By A. Wheaton. (١٠٣) Co. Ltd, Exeter, London, (1986), p. 260.

(١٠٤) الخطوط التجارية البحرية الهندية - اليمنية المباشرة خريطة رقم (٢) والخطوط الغير مباشرة خريطة رقم (٣).

(١٠٥) خراكس وهي المحصره حالياً على الخليج العربي: لمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: منذر البكر، دولة ميسان العربية، المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (١٩٨٦م)، المجلد ١٥، العدد ٣، ص ٢٦.

Pliny, NH. BK. 6.138-139.

(١٠٦) فيلكه وهي جزيرة تبعد حوالي ٢٠ كم عن بر الكويت: للمزيد من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: دانيال بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري وأحمد العساف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م)، ص ٤٠٥-٤٠٦ + جروم، الجراء مدينة معقودة، حولية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف، الرياض، العدد ٦، ص ٩٥-١٠٥، ص ٩٨.

(١٠٧) الجراء للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: انظر صلاح شهاب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، (د.ت)، ص ١١٠ + Polybius, The Histories, Trans. By: W. Paton William Heirman Ltd, (1940), BK. XIII, 9.2.4 ; Strabo, GE, BK. 16.3.2.4.

Pliny, NH. BK. 6.104 ; Warrington, E., The Commerce Between The (١٠٨) Roman Empire, and India, Curzon Press Ltd, London, (1970), p. 45.

(١٠٩) جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ١٦٢. (أنظر الخريطة رقم (٣).

(١١٠) محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار وهذان للطباعة، اليمن، (١٩٦٨م)، ج ١، ص ١٥٣ + فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البديية والنقوش، ص ١٧٢ + Strabo, GE. BK. 16.4.2.4

(١١١) محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ٤٢-٤٣ +

The Periplus, Ch. 26

(١١٢) George Kire, Ashort History of the Middle East, Surgeat Publiction, أنظر الخريطة رقم (٣) Texidor J., Lok. (١٩٨١), p. 11 ;

Cit., Semitice, p. 40

(١١٣) Pliny, NH. BK. 6. 101-104 ; وكان من شدة حرص الإمبراطورية الرومانية على خط تجارة الهند - مصر والمارة بالجزيرة العربية أنها قامت بإنشاء قواعد بحرية ثابتة تكون في خدمة هذا الخط الملاحي الجنوبي بالنسبة له : للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: سيد الناصري، البحر الأحمر والرومان، سيمانار الدراسات العليا، ص ٣٣.

- (١١٤) أحمد رحيم هيو، تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة حلب، (١٩٨٠م)، ص ١٨٦.
- (١١٥) شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس ومحمد خفاجة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص ١٥٢.
- (١١٦) Appians, Roman History, Trans. By: Horace White, William Heinemann, London, (1972), BX. V. أنظر الخريطة رقم (٣) 1-9 ; Warrington, op. cit., p. 105.
- (١١٧) النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٢ ؛ برهان الدين دلو، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٠.
- (١١٨) محمد حرب فزوات، المقال السابق، دراسات تاريخية، ص ١١٢ ؛ Plinay, NH. BK. 6.101-104.
- (١١٩) Ibid, BK. 6. 101-104.
- (١٢٠) أنظر الخريطة رقم (٢) Warrington, op. cit., p. 48-49
- (١٢١) Pliny, NH. BK. 6.101-104.
- (١٢٢) بافقيه، مختارات من النفوش، ص ٢٨-٢٩، 32 The Periplus, Ch. أما عن ظفار فهي عاصمة الدولة الحميرية وتقع بالقرب من بريم الحالية وهي على منطقة جبلية حلت محل مأرب بعد أفول نجمها التجاري؛ للمزيد من المعلومات عن ظفار انظر بالتفصيل: أحمد شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، (١٩٦٧م)، ج ٢، ص ٥٧ وانظر أيضاً: The Periplus, Ch. 23. <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- (١٢٣) دي لاسي اولبري، المرجع السابق، ص ٩٤.
- (١٢٤) Rostovtzeff, M. The Social Economic History of the Hellenistic World, At The Clarendon Press, Oxford, (1972), vol. 2, p. 1045 ؛ قدرتي قلعجي، المرجع السابق، ص ٨٧.
- (١٢٥) النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥١-٢٥٢ ؛ صلاح البكري، المرجع السابق، ج ١، ص ٤٢.
- (١٢٦) سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م)، ص ١٢٨.
- (١٢٧) إليزيث مونرو، المقال السابق، الدارة، ص ٣٧.
- (١٢٨) محمود عرفه، المرجع السابق، ص ٢٦٠ ؛ نقولا زيادة، دليل البحر الايرتري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، إشراف عبدالرحمن الأنصاري وآخرون، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٩٧٩م)، ص ٢٦٣.
- (١٢٩) النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٦. (أنظر الخريطة رقم (٤) أهم الموانئ اليمنية الهندية)
- (١٣٠) The Periplus, Ch. 26.
- (١٣١) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ١٦-١٧.

- Ibid, Ch. 26 and Cf also: 32. (١٣٢)
- Ibid, Ch. 26 and Cf also: 37 ; حوراني، المرجع السابق، ص ٦٤. (١٣٣)
- للمزيد من المعلومات عن مملكة أوسان انظر بالتفصيل: محمد بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ)، ص ٢١-٢٤. (١٣٤)
- للمزيد من المعلومات عن الحميريين انظر بالتفصيل: Malale. Ibid, BK. I. XX. 3-12 ; Malale. J., Chronographia, ed., L. Dirdraf, (CSHB), Bonn, (1831), pp. 57-59. (١٣٥)
- سيد الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص ٥١ ؛ Pliny, NH, BK. IV. 31. (١٣٦)
- The Periplus, Ch. 26. (١٣٧)
- محمد عبدالغني، المقال السابق، المؤرخ العربي، ص ٥٠. (١٣٨)
- (انظر الخريطة رقم (٤)) Shahed. I., Lok. Cit., CHI, p. 10-11. (١٣٩)
- وهو أيضا حصن الغرب وعن هذه التسمية انظر بالتفصيل: جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ١٦٠. (١٤٠)
- محمد عبدالغني، مصادر القرنين ١-٢ ميلاديين، ص ١١٠ ؛ Pliny, BK. XVI. 104. (١٤١)
- سفر حزقيال الإصحاح ٢٧ الآية ٢٣-٢٤. (١٤٢)
- حوراني، المرجع السابق، ص ٥١ : وللمزيد من المعلومات عن طريق اللبان البري والذي يطلق من ميناء قنا انظر بالتفصيل: عبدالله الشيبه، المرجع السابق، ص ١٢٠ ؛ Ibid, BK. XVI. 104. (١٤٣)
- The Periplus, Ch. 27. (١٤٤)
- وللمزيد من المعلومات عن طريقة صناعة الأطواق المشدودة بالقوارب الجلدية انظر بالتفصيل: حوراني، المرجع السابق، ص ٥١ ؛ (١٤٥)
- The Periplus, Ch. 27. (١٤٦)
- نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٦. (١٤٧)
- انظر الخريطة رقم (٤) Ibid, Ch. 31 ; Strabo, GE. BK. 16.24-25. (١٤٨)
- Warrington, op. cit., p. 219. (١٤٩)
- الملك الغريلط ملك حضرموت وكانت له علاقات واسعة مع أنحاء الجزيرة العربية ذكر نقش انه حضرت وفود من قرش وتدمر لتنهضته بالحكم للمزيد من المعلومات انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٤٥ ؛ حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٣م)، ص ٨٢ وعن أصال هذا الملك انظر كمال الصالحى، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م)، ص ١٢٢-١٢٣. (١٥٠)
- The Periplus, Ch. 1 and Cf also: 35. (١٥١)
- منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٧. (١٥٢)
- سيد الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص ٥٥ ؛ Ibid, Ch. 21 and Cf also: Ch. 25. (١٥٣)

- (١٥٣) محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٧٩ ؛
- (١٥٤) Pliny, Bk. XVI. 104. : الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص ٤٥ ؛
- (١٥٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٢.
- (١٥٦) The Periplus, CH. 24.
- (١٥٧) Teixi Dor. J., Loc. Cit., Simitica, p. 40 ؛ ؛ ٤١٢ ؛
- (١٥٨) The Periplus, Ch. 28-24 ؛ Sajyid Fayyaz, A short History of Islam, London, (1960), p. 5.
- (١٥٩) النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص ١٩.
- (١٦٠) Ibid, Ch. 21-24 ؛ Teixi Dor, Loc. Cit., Semitica, p. 41.
- (١٦١) Ibid, Ch. 25-26. أنظر الخريطة رقم (٤)
- (١٦٢) Warrington, op. cit., p. 56.
- (١٦٣) نقولا زيادة، المقال السابق، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج ٢، ص ٣٧٤.
- (١٦٤) محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٤٦ ؛ صلاح البكري، تاريخ حضرموت، ص ٤٢.
- (١٦٥) Teixi Dor. J., Loc. Cit., Semitica, p. ١٤٨ ؛
- (١٦٦) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٦٢. (أنظر الخريطة رقم (٤) 38.
- (١٦٧) Warrington, op. cit., p. 9 ؛ Raoul McLaughlin, Rome and the Distant East, Continuum UK The Tower Building 11 York Road, London, (2010), p. 43.
- (١٦٨) The Periplus, Ch. 21.
- (١٦٩) Ibid, Ch. 54 and Cf: 60. أنظر الخريطة رقم (٤)
- (١٧٠) Ibid, Ch. 36 ؛ Teixi Dor, Loc. cit., Semitica, p. 38.
- (١٧١) Ibid, Ch. 27. فضل الجاثم، المرجع السابق، ص ٤١٢ ؛
- (١٧٢) Warrington, op. cit., p. 10.
- (١٧٣) Pliny, NH. BK. VI. 104.
- (١٧٤) The Periplus, Ch. 14. حورلي، المرجع السابق، ص ٨٣ ؛
- (١٧٥) Pliny, BK. VI. 104-105.
- (١٧٦) فليب حتى، خمسة آلاف سنة، ص ١٦٤ ؛ وللمزيد من المعلومات عن أثر الثروة الزراعية في ارتفاع المستوى الاقتصادي اليمني آنذاك انظر بالتفصيل: عبدالله الشيبه، المرجع السابق، ص ٣٩.
- (١٧٧) سفر أشعيا الإصحاح ٤٥ آية ١٤.
- (١٧٨) الأفغاني، المرجع السابق، ص ١٩ ؛ حسين شهاب، المرجع السابق، ص ١١ وللمزيد من أهم البضائع المنقولة من وإلى اليمن والتي كانت اليمن تتاجر بها انظر بالتفصيل سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ و ٢٢.

- (١٧٩) لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠٧.
- (١٨٠) ستركة Steraca (علة رومانية) Pliny, NH. BK. XIII. 84. وللمزيد من المعلومات عن ازدهار التجارة الهندية اليمنية وطعم الرومان بها انظر بالتفصيل: الحداد، المرجع السابق، ص ٢٧ ؛ Teixidor, Loc. cit., *Semitica*, p. 20.
- (١٨١) توفيق برو، المرجع السابق، ص ٢٣٨ ؛ محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٧٠.
- (١٨٢) The Periplus, Ch. 27 ؛ بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص ٣٣٠.
- (١٨٣) عبدالحليم نورالدين، مصرية، ص ٥٩٩.
- (١٨٤) محمد بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص ٢٠.
- (١٨٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٩٥ ؛ مهران، الحضارة العربية، ص ٢٨٥.
- (١٨٦) الحوفي، الحياة، ص ٩٣ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص ٥١.
- (١٨٧) محمد عبدالغني، العلاقات بين العرب والرومان، ص ٤٧ ؛ Pliny, NH. BK. XIII. 84.
- (١٨٨) اليزيث مونرو، المقابل السابق، الدارة، ص ٣٨-٣٩.
- (١٨٩) نفسه، المقال السابق، الدارة، ص ٣٩-٣٨.
- (١٩٠) البكري، تاريخ حضرموت، ص ٤٤-٤٥ ؛ وجندوزيا هي مدينة واقعة بين كريلا ومصب نهر السند؛ للمزيد انظر: المرجع نفسه، ص ٤٤.
- (١٩١) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٢٥ ؛ عبدالحليم نورالدين، مقدمه في الآثار، ص ٧٥.
- (١٩٢) فتحي أبو عيانة، دراسات جغرافية، ص ١٦ ؛ Ahmad Anani, and other, *The Early History of the Gulf*, p. 39.
- (١٩٣) قنري قلعجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، ١٩٦٥م، ص ٧٨.
- (١٩٤) الحداد، المرجع السابق، ص ١٦٤ ؛ فتحي أبو عيانة، المرجع السابق، ص ٦ ؛ J. Wellhausen, *The Arab Kingdom, and its fall*, Translated By. Margaret Graham Weir, Beirut, (1963), 54.
- (١٩٥) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٠٧ ؛ مهيب كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص ٣٣١.
- (١٩٦) Procopius of Caesarea, *History of the Wars*, Trans. By. H.B. Dewing William Heman Ltd, London, 1970, Vol. 7, p. 183.
- (١٩٧) أحمد سوسه، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩)، ص ١٠١.
- (١٩٨) إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة، ص ١٥٠.
- (١٩٩) بافقيه، مختارات من النقوش، ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٢٠٠) كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص ٣٥٨ ؛ عبدالحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ٩٢.
- (٢٠١) جورج حوراني، المرجع السابق، ص ٧ ؛

Bury J., and other, Cambridge Ancient History, Cambridge, (1924), Vol. I, pp. 188-203.

- (٢٠٢) قدري قلنجي، المرجع السابق، ص ٧٨.
(٢٠٣) مايلز، المرجع السابق، ص ٣٠ ؛ مي السديري، الحضارات، ص ١٤٧.
(٢٠٤) عبدالحميد نورالدين، المرجع السابق، ص ١٦٤.



أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط

(١٤-١٣٢٢هـ/٦٣٥-٧٤٩م)

د. مديحة محمد الشرقاوي (*)

مقدمة

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية، ونورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط (١٤-١٣٢٢هـ/٦٣٥-٧٤٩م) وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية، سواء بالنسبة للجانب الإداري والعسكري من جهة، وتطور النشاط البحري الإسلامي خلال تلك الفترة من جهة أخرى، حيث لم يحظ هذا الموضوع بشقيه بدراسة متخصصة ومستفيضة من قبل، فقد كان بناء السفن الحربية وارتداد البحر من أبرز التحديات التي واجهت العرب المسلمين، في أثناء فتوحاتهم للعراق وبلاد فارس من جهة، وبلاد الشام ومصر وإفريقية من جهة أخرى، وذلك لوقف الإمدادات العسكرية والغذائية التي كانت تصل للفرس وأروم عن طريق البحر المتوسط وقطع الطريق عليهم، حيث سيطر الفرس على موانئ وقواعد بحرية، امتدت من ميناء الأبله، الذي يقع شمال الخليج العربي، حتى ميناء عدن، الذي يقع على مدخل البحر الأحمر، كما سيطر الروم على جزر هامة كانت تمدهم بالإمدادات العسكرية والغذائية، مثل قبرص وروندس وأزواد، تلك الجزر التي كانت شرقى حوض البحر المتوسط، وفي هذا الإطار فإن تاريخ السفن وارتداد البحر من قبل العرب المسلمين يرجع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) وبالتحديد منذ سنة ١٤هـ/٦٣٥م، عندما أشارت المصادر التاريخية إلى أن المسلمين نجحوا في هذه السنة في فتح ميناء الأبله.

وقد قسمت هذا البحث إلى محورين يمكن عرضهما على النحو التالي:

المحور الأول:

يتناول إمارة البحر لغة واصطلاحاً، ثم مراحل تطور البحرية الإسلامية وأسباب استحداث وظيفة أمير البحر، كما يتناول اختصاصات ومهام أمير البحر.

المحور الثاني:

يتناول نشاط أمراء البحر في شرق وغرب البحر المتوسط، سواء في العصر الراشدي أو الدولة الأموية. هذا وقد أنهيت البحث بخاتمة تضمنتها أهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية.

(*) باحثة حاصلة على درجة الدكتوراة.

المحور الأول :

أولاً: مفهوم الإمارة في اللغة والاصطلاح:

الإمارة من (أمر عليهم - أمرا، وإمارة - وإمرة صار أميراً عليهم - وأمر فلاناً أمراً - وإمارة وإمرة : كلفه شيئاً، ويقال أمره به، وأمره إياه وأمر فلاناً : أشار عليه بأمر، وأمر عليهم - أمراً وإمارة صار أميراً، وأمر عليهم - إمارة : صار أميراً وتأمّر عليهم : صار أميراً (والإمارة) منصب الأمير، والإمارة جزء من الأرض يحكمه أمير، والأمر : الحال والشأن، و(الإمرة) الإمارة، يقال : تأمر فلان علينا، فحسنت إمرته والأمير : من يتولى الإمارة، والجمع أمراء (١).
أما البحر لغة فمن أبحر، وأبحر فلان : ركب البحر، والبحارة : مهنة البحار، والبحار : الملاح ويقال للجماعة بحارة، والبحر : الماء الواسع الكثير، والجمع أبحر ويحور، ويحار، والبحري : الملاح. والبحري كل منسوب إلى البحر، والبحرية عده الدول في البحر، من سفن وغواصات وطرائرات وجنود، ونحو ذلك (٢).

أما في الاصطلاح، فإن وظيفة أمير البحر تعني القائد العسكري الذي يتولى شئون البحر، ويكون مسئولاً عن قيادة الغزوات والحملات البحرية، وقد نقلها الأوربيون منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وصارت تلفظ بالإنجليزية Admiral والفرنسية Amiral وهو ما يعرف في الوقت الحاضر باسم قائد الأسطول البحري Commander of the sea (٣).

ثانياً: مراحل تطور البحرية الإسلامية وأسباب استخدامات وظيفة أمير البحر:

حدث الإسلام على ركوب البحر والجهاد في سبيل الله، وتحفل كتب السنة بالكثير من الأحاديث النبوية التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، تبين فضل الغزو في البحر وتدعو إليه، حيث يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من غزا في البحر غزوة في سبيل الله فقد أدى إلى طاعته كلها، وطلب الجنة كل مطلب، وهرب من النار كل مهرب " (٤).
وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تركب البحر إلا حاجاً، أو معتمراً، أو غزياً في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً (٥)، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " المائد في البحر يصيبه القى له أجر شهيد والغرق له أجر شهيدين " (٦)، وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر، والذي يسمر في البحر، كالمتمشط (٧) في دمه في سبيل الله سبحانه (٨).

بدأ العرب المسلمون حملاتهم وغزواتهم البحرية، في منطقة الخليج العربي، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت موجهة ضد الفرس، وكانت أول حملة بحرية بقيادة هرثمة بن عرقجة البارقى الأزدي (٩) وهو من سادة قبيلة بجيلة، وخرجت تلك الحملة من إقليم البحرين باتجاه إحدى الجزر القريبة من البحرين، وذلك لتأمين الفتحة الإسلامي في العراق وفارس، والسعي لقطع الإمدادات العسكرية عن الفرس، والعمل على نشر نفوذ المسلمين في الخليج، وفي ذلك أورد البلاذري : " كان العلاء بن الحضرمي (١٠)، وهو عامل عمر بن الخطاب

علي البحرين وجه هرثمة بن عرقبة البارقى (١١) من الأزدي، ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس ... وفي ذلك أورد بن خلدون " إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه غزو عرقبة بن هرثمة الأزدي في البحر أنكر عليه ذلك وعنفه لركوبه البحر " (١٢).

وبينما كان العرب المسلمون يتقدمون براً نحو العراق وفارس؛ أعد العلاء بن الحضرمي وإلى البحرين، ومعه زعماء عبد القيس، حملة بحرية من البحرين وعبروا الخليج إلى فارس، ولقد علم الفرس بهذه الحملة فتنصبوا للمسلمين كمينا، ونجحوا في قطع الطريق بين المسلمين وسفنهم، وقد انفرد الطبري برواية، في أحداث سنة ١٧هـ/٦٣٨م، نقلها عن سيف بن عمر، تقول: إن السبب الذي دفع العلاء ومن معه إلى ركوب البحر هو الوصول إلى فارس، والقوز بفضل السبق في فتحها عن طريق البحر، إضافة إلى ذلك فقد كان العلاء ينافس سعد بن أبي وقاص الذي هزم الفرس في القادسية، وكان يحاول الإتيان بما هو أعظم وأفضل، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وتثبيتها والتصدي لأعدائها من الفرس (١٣).

علي أن فشل الحملة أدى إلى عزل العلاء بن الحضرمي من منصبه، ومنع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، المسلمين من ركوب البحر خوفاً على حياتهم، لذلك توقف النشاط البحري للمسلمين فترة، ولو إلى حين ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى عندما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص الثقفي (١٤) البحرين وعمان فقد أورد البلاذري: "لما ولي عمر عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان فدوخهما واتسقت له طاعة أهلها، ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم ويني ناجية وغيرهم ففتح جزيرة أبركاوان (١٥) ثم صار إلى توج (١٦)، وهي من أرض أردشير خرة ومعنى أردشير خرة بهاء أردشير ... (١٧).

كذلك أرسل عثمان بن أبي العاص حملات بحرية من عمان إلى المحيط الهندي لمحاربة القراصنة الهنود الذين كانوا يقطعون الطريق على السفن الإسلامية ويهاجمون السواحل وقد أشار البلاذري إلى نجاح هذه الحملات البحرية في المهام التي نيّطت بها ورجوعها غاتمة سالمة (١٨).

أما في البحر المتوسط: فكانت أول الحملات البحرية الإسلامية عام ٢٨هـ/٦٤٨م، عندما غزا معاوية بن أبي سفيان، وإلى الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣) ٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م)، رضي الله عنه جزيرة قبرص من عكا في حوالي ٢٢٠ مركبا أعدت خصيصا لهذا الغرض، وكانت تساعده من مصر حملة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتكثلت جهود المسلمين بالتجاح، حيث غنموا الكثير من الخيرات، وصالحوا أهل الجزيرة علي ٧٢٠٠ دينار كل عام (١٩).

يتضح مما سبق: إن الحملات والغزوات البحرية الإسلامية بدأت نشاطها في منطقة الخليج، حيث كان أول الفتح، وأن العرب المسلمين فتحو العديد من الجزر المنتشرة في الخليج، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه نقل العرب المسلمون نشاطهم العسكري الملاحي إلى البحر المتوسط وفتحوا جزيرة

قبرص، ومن الواضح أنه كان يقود هذه الحملات البحرية المبكرة، في منطقة الخليج قادة عسكريون ممن كانت تعوزهم الخبرات الملاحية، ذلك أن معظمهم كانوا من قادة الجيوش البرية الذين ترمسوا على خوض المعارك البرية، كما أن غالبية الجنود المشاركين في هذه الحملات من سكان البادية، الذين لم يعتادوا على ركوب البحر، ولم يختبروا أهواله، كما أنهم لم يتقنوا بعض فنون الحروب البحرية وأساليبها. ويبدو أن العرب المسلمين استفادوا من هذه الغزوات والحملات الأولى، والتي كانت حافزا ودافعا لهم للمزيد من معرفة البحر والغوص في أعماقه، فتعلموا تدريجيا شئون القتال في البحر، ويرعوا في مجال الملاحة العسكرية، وأوصلوها إلى مستوى عال من التطور، وأتقنوا صناعة السفن الحربية، بعد أن استعانوا في بنائها بأهل البحرين وفارس والشام ومصر، واستخدموا في بنائها أنواعا من الأخشاب؛ كانت تخلص من غابات السواحل الإفريقية والهند ولبنان وسورية وتتميز بجودة فائقة، تستطيع منها مقاومة أمياه المالحة لفترات طويلة، كما أنهم عرفوا الطرق البحرية، واستخدموا في حملاتهم العديد من الأسلحة المستخدمة في الحروب البرية، ولقد أشار ابن خلدون إلى هذا في مقدمته وقال: "فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أسم الأعجم خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة عليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية (٢٠) في حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بصراء بها فشرهوا إلى الجهاد فيه، وأنشأوا السفن فيه والشواني (٢١)، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأسطولها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر، وعلى حافته مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس (٢٢)".

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولعل هذا يفسر لنا الأسباب التي دفعت المسلمين إلى توسيع الغزوات والحملات البحرية في حوض البحر المتوسط، ومجارة الروم البيزنطيين والفرنجة والقوط، والاشتباك معهم في العديد من المعارك البحرية، التي ستعرض لها فيما يلي: ولقد كان لطبيعة هذه المعارك من حيث أهميتها في الدفاع عن الحدود الإسلامية، وكذلك نشر الإسلام في جزر البحر المتوسط القريبة والمجاورة للمسلمين - أثر كبير في استحداث العرب المسلمين لوظيفة أمير البحر، والتي كانت مهامها في بداية الأمر: استطلاع تقدم البيزنطيين، والرد عليهم بغارات مفاجئة، ثم تطورت هذه المهام تدريجيا، لتصبح هذه الوظيفة في العصر العباسي وظيفة مستقلة، يتولى صاحبها قيادة الأساطيل الإسلامية، وإشراف على الجهاز البحري كله، ويطلق عليه اسم "والي البحر" ويعود تاريخ ظهور وظيفة أمير البحر، عند العرب المسلمين، إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأول من تولي هذه الوظيفة من العرب المسلمين هو: عبد الله بن قيس الجاس (٢٣). ويؤكد الطبري هذه المعنومات بقوله "أول من غزا في (البحر المتوسط) معاوية بن أبي سفيان، زمان عثمان بن عفان، وقد كان استأذن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه فيه فلم يأذن له، فلما ولي عثمان رضى الله عنه لم يزل به معاوية، حتى عزم عثمان رضى الله عنه على ذلك بآخرة وقال: لا تنتخب الناس، ولا تقرر بينهم، خیرهم، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه

ففعّل، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاس حليف بني فزارة فغزا خمسين غزاة من بين شاثية وصانغة في البحر، ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب... (٢٤).

ولقد ضمت حملات عبد الله الجاس، وغزواته البحرية ضد الروم، عددا من صحابة رسول، صلى الله عليه وسلم منهم أبو أيوب الأنصاري، رضي الله عنه، فقد جاء في رواية في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن حبي بن عبد الله المعافري بن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: كنا في البحر وعلمنا عبد الله بن قيس الفزاري ومعنا أبو أيوب الأنصاري.... (٢٥)، ومن المفيد أن نشير هنا إلى: أنه نظرا لأهمية وظيفة أمير البحر عند العرب المسلمين، فقد كانت في ذلك الحين مرتبطة ارتباطا مباشرا بالخليفة والوالي، وكان تعيين صاحبها يصدر عن الخليفة وأحيانا عن الوالي، بعد أن يأذن الخليفة، ويستمد أمير البحر منهما السلطة اللازمة للقيام بمهامه وواجباته، هذا وقد استمرت قيادة عبد الله بن قيس لأسطول بلاد الشام البحري، حوالي ٢٨ سنة، إذ تم تكليفه بهذه المهمة سنة ٢٨ هـ/٦٤٨م وظل ينهض بها حتى وفاته في بلاد الروم، سنة ٦٧٦/٥٥٦م (٢٦).

وقد حفظت لنا المصادر الإسلامية حادثة استشهاد عبد الله بن قيس في بلاد الروم، وتحدث عنها الطبري في تاريخه وقال: "خرج عبد الله في قارب طليعة، فالتقى إلى المرفى" (٢٧) من أرض الروم؛ وجاء إليه أناس من هذا المكان يتسولون فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم إلى قريتها، فقالت للرجال: هل أفلكم على مكان عبد الله بن قيس، فثاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه وقتلهم فأصيب وحده، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاءوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزدي فخرج فقاتلهم فضجر وجعل يبعث بأصحابه وأصيب من المسلمين عدد كبير وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاس (٢٨)، وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرفتيه؟ قالت: بصدقته؛ أعطي كما يعطي الملوك؛ ولم يقبض قبض التجار" (٢٩).

وخلال هذه الفترة التي تولى فيها عبد الله بن قيس إمارة البحر: شن العرب المسلمون من بلاد الشام ما يقرب من حوالي خمسين حملة بحرية ضد الروم البيزنطيين، لم تتعرض فيها سفنهم إلى خسائر أو نكبات، وعادت الحملات البحرية الإسلامية سالمة ظافرة منتصرة. ونستنتج من النصوص السابقة التي أوردها الطبري، أن العرب المسلمين كانوا يعتمدون في حروبهم البحرية على سياسة الهجوم المباغت في الإغارة، واعتماد طريقة الكر والفر المعروفة عندهم، والتي استخدموها في معاركهم البرية ضد الفرس والروم في فارس وبلاد الشام، كما أنهم رتبوا الجهاد البحري، ونظموا الحملات البحرية بحيث جعلوها واحدة في الشتاء وواحدة في الصيف، وجعلوا الاشتراك فيها مقصورا على المتطوعة (٣٠).

اختصاصات ومهام أمير البحر:-

على الرغم من ندرة المعلومات الواردة بالمصادر التاريخية، التي يبين أيدينا، فيما يتعلق باختصاصات ومهام أمير البحر، ربما مرده إلى أسباب عديدة منها: أن الوظيفة عسكرية ظهرت في بداية تأسيس الدولة العربية الإسلامية، وقبل تدوين المسلمين لتاريخهم، وكان استحداثها

من قبل العرب المسلمين في بداية الأمر لشحن الهمم، حتى لا تخور في الدفاع عن البر عن طريق غزو البحر، ولفتح الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام ونشر الإسلام فيها، ثم تحولت هذه الوظيفة، في بداية العصر العباسي، لا سيما بعد فتح العديد من الجزر وتأمين العرب المسلمين سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط إلى وظيفة إدارية، وأصبح يتولاها وال يسمى "والي البحر" ويديرها من مكان إقامته في العاصمة، إلى والي البحر والذي أوردته قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩ م) وفي كتابه "الخراج وصناعة الكتابة" للحسن بن عبد الله العباسي (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠ م) والمتعلق بحروب البحر، والمتضمن واجبات والي البحر عند العرب المسلمين (٣١).

ولقد تحدث الماوردي عن الإمارة على الجهاد وقال : وهي : على ضربين : أحدهما ان تكون مقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب، فيعتبر فيها من رتب الإمارة الخاصة، والضرب الثاني أن يفوض إلى الأمير فيها جميع أحكامها من قسم الغنائم وعقد الصلح، فيعتبر فيها شروط الإمارة العامة "..... (٣٢). وعليه فإننا نميل إلى الظن بأن إمارة البحر كانت إمارة خاصة، ومقصورة على قيادة الحملات البحرية ورسم الخطط القتالية (٣٣).

وتتخلص أهم الاختصاصات (٣٤) المناطة بأمر البحر في عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية في الأمور التالية :

- ١- النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم إلا أن يكون الخليفة قدراها فيزرها عليهم (٣٥).
- ٢- تجهيز الغزاة في سبيل الله والعناية بهم وتسهيل خروجهم إلى الجهاد (٣٦).
- ٣- حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل (٣٧).
- ٤- الإمامة في الجمع والجماعات حتى يوم بها أو يستخلف عليها (٣٨).
- ٥- جهاد من يليه من الأعداء وقسم غنائمهم في المقاتلة (٣٩).
- ٦- منع أصحابه من التعرض للأطفال والنساء والشيوخ وكذلك عدم التعرض للكنائس والصوامع ومن فيها (٤٠).
- ٧- أن يكون الإذن عليه لمن معه من الجند مبنوياً والوصول إليه من ذوي الحاجات والظلمات سهلاً يسيراً (٤١).
- ٨- تفقد أمر المراكب المنشأة حتى يحكمها وبوجود آلاتها، ويتخير الصنائع لها، ويشرف على ما كان منها في الموانئ، ويرفعها من البحر إلى الشاطئ في المشاتي، وهيج الرياح المانعة من الركوب فيها (٤٢).
- ٩- قيادة الطلائع للتحسس على أخبار الأعداء (٤٣).
- ١٠- الإشراف على الأسلحة والعناية بها حتى تكون جاهزة وقت الحاجة إليها (٤٤).
- ١١- تجديد المراكب وإكثارها وتقويتها حتى إذا تلف شيء منها وجد ما يخلفه (٤٥).

نشاط أمراء البحر في شرق وغرب البحر المتوسط في عصر الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية:

يعد عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ت ٦٣٦/٦٥٦م) من أشهر أمراء البحر العرب المسلمين المشهود لهم بالكفاءة والشجاعة وأحد الذين كان لهم الفضل في تطوير القدرات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، ففي سنة ٦٢٧/٦٤٧م عينه الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، والياً على مصر (٤٦)، ولقد عرف عن عبد الله حبه لغزو البحر، واهتمامه ببناء الأسطول المصري، وذلك في سنة ٢٨/٦٤٨م، استعمل الخليفة عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد على البحر، وأسند إليه قيادة أسطول بحري يخرج من مصر لمساعدة معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص (٤٧). كما ينقل الحميري رواية عن عبد الله بن وهب تقول: "أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح أفتتح (غزا) جزيرة افریطس (كريت) وكان غزا بامرأته قتيلة بنت عمرو (٤٨)، وإذا صحت الرواية يكون عبد الله أول من غزا من العرب المسلمين جزيرة كريت الواقعة في أقصى جنوبي بحر إيجة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وعلى يدي عبد الله بن سعد تمكن العرب المسلمون في سنة ٦٣١/٦٥١م (٤٩)، من إلحاق هزيمة بحرية ساحقة بالروم في معركة ذات الصواري (٥٠)، وفي ذلك يقول الطبري نقلاً عن الواقدي: "أن أهل الشام خرجوا على معاوية بن أبي سفيان وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وخرج عامله قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمين منهم بأفريقية فخرجوا في خمسمائة مركب، فالتقوا هم وعبد الله بن سعد فأمّن بعضهم بعضاً حتى قتلوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك من صواريخها" (٥١).

وينقل لنا ابن الأثير وصفاً دقيقاً للمعركة ويقول: "كاتب الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم، فأرسلوا المسلمون والروم وسكنت الريح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم، فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤون القرآن ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس، وقرّبوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم وربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير، وقتل من الروم ما لا يحصى، وصبروا يوماً صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهزم قسطنطين جريحاً ولم ينج من الروم إلا الشريد، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ورجع (٥٢)، ولقد أظهر المسلمون في هذه المعركة بسالة وشجاعة فائقتين، وكان عبد الله بن سعد يتقدم المسلمين في مجاهدة البيزنطيين، ومن ذلك ما أشار إليه ابن عبد الحكم من أن: "المن كان إذ ذاك تفرق بالسلامة عند القتال، ففرق مركب عبد الله يوماً وهو الأمير من مركب العدو فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله إليهم فقام علقمة بن يزيد الطخفي وكان عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها، فسأل عبد الله أمراًته بعد ذلك بسيسة بنت حمزة وكانت مع عبد الله يوماً وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب من رأيت أشد قتالاً قالت علقمة صاحب السلسلة... (٥٣)".

كانت لهذه المعركة نتائج إيجابية على الحرية الإسلامية منها: كسب العرب المسلمين للمزيد من الخبرات العسكرية والمهارات القتالية، وخاصة فيما يتعلق ببناء السفن وصناعة الأسلحة البحرية الأمر الذي دفعهم أكثر من قبل إلى ركوب البحر المتوسط، والتطلع إلى ما

وراءه، ومنها أيضاً أنهم حطموا الأسطول البيزنطي وسيطروا بعد انتصارهم على الروم في هذا المعركة على البحر المتوسط وأصبحوا قوة بحرية عظيمة لا تقهر، وكان ذلك في غضون سنوات قليلة من إرتداد العرب المسلمين للبحر، ومنها كذلك توسيع دائرة الغزو البحري الإسلامي ليشمل نفوذ العرب المسلمين الجزر البعيدة والسواحل البيزنطية المتلاحمة لبلاد الشام، ثم جراتهم فيما بعد وفتحهم للأندلس عن طريق عبورهم البحر المتوسط إلى أوروبا وتأكيداً على ما سبق فإن معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) بعد تولية الخلافة استعمل جنادة بن أبي أمية الأزدي (٥٤)، على البحر وأرسله في سنة ٥٢هـ/٦٧١م إلى جزيرة رودس (٥٥) وفي سنة ٥٤هـ/٦٧٣م (٥٦) أرسله في حملة بحرية مكونة من ٤٠٠٠ مجاهد و ٢٠ مركباً لفتح جزيرة أرواد، ومن التدابير التي اتخذها العرب المسلمون لضمان وصولهم لهذه الحملة استخدام الأتلاء يحذروهم مما يتعرضهم في البحر، فقد ضمت الحملة ^{من الروم البيزنطيين} من الروم البيزنطيين، من أهل أرواد، أسره العرب المسلمون قرب سواحل بلاد الشام واستخدموه ليدلهم ويحذروهم ممن يريد بهم شراً، ولقد نجح جنادة بن أمية ومن معه من العرب المسلمين، في فتح الجزيرة وصالحوا أهلها على دفع الجزية، ثم عادوا إلى بلاد الشام ظافرين (٥٧). ومع أن إمارة جنادة لم تستمر لأكثر من ست سنوات (٥٨)، إلا أنه **أهتم كثيراً بتطوير البحرية الإسلامية**، وأسهم في توسيع قاعدة الفتوحات الإسلامية في البحر المتوسط، ومن أهم الغزوات البحرية التي أوكل إلى أمير البحر جنادة بن أبي أمية الأزدي القيام بها غزو جزيرة إقريطش (كريت) في سنة ٥٤هـ/٦٧٣م ثم أرسله معاوية مرة ثانية إلى جزيرة رودس، الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، بعد أن نكث أهلها العهد الذي بينهم وبين المسلمين (٥٩).

ومن تولى إمارة البحر في خلافة معاوية بن أبي سفيان: عقبة بن عامر الجهني (٦٠)، فقد ذكر الكندي أن معاوية استعمله على البحر، سنة ٤٤هـ/٦٦٤م وأمره أن يسير من مصر إلى جزيرة رودس، وذكر الطبري أن معاوية وجه عقبة بن نافع في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م في حملة بحرية ومعه أهل مصر لكنه لم يحدد وجهة الحملة (٦١)، مما أشار المقرئ كذلك إلى حملته بحرية إلى جزيرة رودس في سنة ٥٣هـ/٦٧٢م أسند معاوية قرائتها إلى عقبة بن عامر الجهني (٦٢).

كما أوردت المصادر أسماء عدد من القادة العرب المشهود لهم بالكفاءة العسكرية، ممن ولاهم معاوية إمارة البحر، نذكر منهم:

- معاوية بن حديج الكندي (٦٣) أول من غزا جزيرة صقلية، في أيام معاوية بن أبي سفيان (٦٤).
- موسى بن نصير: ولاه معاوية البحر وأرسله لغزو قبرص، حيث بني فيها حصوناً للمسلمين (٦٥).
- بسر بن أبي أرطأة (٦٦) : استعمله معاوية، في سنة ٤٤هـ/٦٦٤م، على البحر وأرسله في حملة بحرية (٦٧).
- مالك بن هبيرة السكوني (٦٨) : غزا البحر في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م (٦٩).

- يزيد بن شجرة الرهاوي (٧٠) تولى قيادة أهل الشام في حملة بحرية في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م (٧١) ثم استعمله معاوية مرة أخرى في سنة ٥٦هـ/٦٧٥م (٧٢).
- عقيبة بن نافع (٧٣) غزا البحر، في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، ومعه أهل مصر (٧٤).
- فضالة بن عبيد الأنصاري (٧٥) تولى في سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م قيادة غزوة بحرية (٧٦).
- * عمرو بن يزيد الجهني (٧٧) غزا البحر في سنة ٥٨هـ / ٦٧٧م (٧٨).

توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م ويعد وفاته فتر النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط وخيم الهدوء على الغزوات والحملات البحرية العربية ولا يرجع ذلك فقط إلى أن العرب المسلمين فتحوا معظم الجزر المنتشرة في شرق البحر المتوسط وهزموا ودمروا الأسطول البيزنطي وسيطروا على الملاحة البحرية في حوض البحر المتوسط ولكنه يرجع إلى الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية والمتمثلة بوصول يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م) إلى الخلافة وبخوله في صراع مع معارضيه ممن خرجوا عليه، وقد استمر الفتن البحري الإسلامي في البحر المتوسط حتى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) الذي ما أن قضى على الثورات الداخلية حتى وجه اهتمامه نحو البحر فأولى الحملات البحرية غناية واهتمام كبيرين، ولم يقل عن إعادة سيطرة المسلمين على البحر المتوسط وخاصة الجزر التي لم تستقر فيها بعد إقدام المسلمين والواقعة في غرب البحر المتوسط، استأنف العرب المسلمون نشاطهم البحري بإنشاء دار لصناعة السفن في تونس رغبة منهم في تقوية وتدعيم أسطولهم البحري في غرب البحر المتوسط، ويعود الفضل في قيام هذه الصناعة في المغرب العربي إلى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمر أخاه عبد العزيز، والي مصر، بإرسال عدد كبير من أقباط مصر المتمرسين بصناعة السفن إلى تونس، كما أمر والي حسان بن النعمان أن يبني دار صناعة ويصنع بها المراكب ويجاهد الروم براً وبحراً (٧٩).

وكان نتيجة ذلك مباشرة العرب المسلمين، في سنة ٧٧هـ/٦٩٧م، نشاطهم البحري وقيامهم بحملة بحرية انطلقت من تونس وكان يتولى قيادتها والي إفريقية وأمير البحر حسان بن النعمان الغساني، وقد خرجت هذه الحملة لمواجهة الأسطول البيزنطي الذي جاء لاسترداد شواطئة بعد أن فتحها المسلمون (٨٠).

ولما تولى موسى بن نصير إفريقية، في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م سعى لاتخاذ جملة من الإصلاحات والتنظيمات المتعلقة بتطوير القدرات البحرية الإسلامية، في بحر إفريقية، فأولى صناعة السفن اهتماماً كبيراً، وأمر بصناعة ١٠٠ مركب لتطوير الأسطول الإسلامي في تونس، وربط دار الصناعة، التي أسسها حسان بن النعمان بمرقا على البحر تستخدم السفن وتلجأ إليه إذا اشتدت الرياح، أو كلما دعتها الحاجة إلى ذلك، وقد شهدت هذه الفترة انتصارات بحرية عربية إسلامية متكررة في البحر المتوسط، لعب أمراء البحر دوراً كبيراً فيها إذ حظيت هذه الوظيفة باهتمام الوالي موسى بن نصير، فكان لا يعدها إلا للمقربين منه والمشهود لهم بالكفاءة والمقدرة (٨١).

وفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، انطلقت من مصر حملة بحرية بقيادة الأمير عطاء بن أبي نافع الهذلي، ومعه مراكب أهل مصر متوجهة إلى جزيرة سردينيا (٨٢) ويبدو أن هدف الحملة كان ضرب القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في الجزيرة، ولكن نتيجة سوء الأحوال المناخية: توقفت الحملة في سوسة في إفريقية ثم غادرتها بعد ذلك إلى جزيرة صقلية حيث نجحت الحملة في الإغارة على الجزيرة وأصاب المشاركون في الحملة غنائم كثيرة من الذهب والفضة، وفي طريق العودة أصابت الحملة رياح عاصفة أدت إلى غرق الأمير عطاء ومعه عدد كبير من أفراد الحملة (٨٣)، ويلاحظ المتتبع لنشاط المسلمين البحري أن هذه الكارثة كان لها أثر كبير في توقف النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط لفترة استمرت قرابة عامين ثم ما لبث أن استؤنف بعد ذلك وكان أكثر قوة مما كان عليه من قبل إذ يشير ابن قتيبة إلى حملة أخرى قامت من تونس سنة ٨٥هـ/٧٠٤م سميت "حملة الأشراف" واشترك فيها ما بين تسعمائة إلى ألف مجاهد من أهل الجند والنكاية والشرف وتولى قيادتها عبد الله بن موسى بن نصير بعد أن أمره والده موسى على البحر وسارت الحملة إلى جزيرة صقلية. وذكر ابن قتيبة أن الحملة أصابت غنائم كثيرة بلغ فيها سهم الرجل ١٠٠ دينار ذهباً (٨٤).

ولقد أولى موسى بن نصير ركوب البحر اهتماماً كبيراً، وشجع الناس وخاصة الأشراف منهم على ركوب البحر، والاشتراك في الحملات البحرية تحت إمرته وتحت إمرة ابنه، ووعد الناس بالفوز بالغنائم، ومما يدل على ذلك ما أشار إليه كتاب "ابن قتيبة حيث يقول" ثم لما كانت خمس وثماتين أمر (موسى) الناس بالتأهب لركوب البحر، وأعلمهم أنه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتصارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه إلا وقد ركب، حتى إذا ركبوا في الفلك، ولم يبق إلا أن يرفع هو، دعا يرمح ففعد لعبد الله بن موسى بن نصير، وولاه عليهم وأمره ثم أمره أن يرفع من ساعته، وإنما أراد موسى بما أشار من مسيره أن يركب أهل الجند والنكاية والشرف فسميت غزوة الأشراف (٨٥).

وممن تولى إمارة البحر في خلافة عبد الملك بن مروان: عياض بن أخيل (٨٦)، حيث قاد في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م أهل إفريقية في حملة إلى مدينة سرقوسة (٨٧)، أكبر مدن جزيرة صقلية، ويمجيء الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) إلى الخلافة شهيد النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط تطوراً هاماً تمثل في مساندة أمراء البحر لقادة الجيوش البرية وحماية تقدمهم والتي بفضلها تحقق النصر للعرب المسلمين في الأندلس وغيرها من المناطق، فعصر الوليد يعتبر من أزهى العصور العربية الإسلامية إذ تمكن فيه العرب المسلمون من فتح الأندلس في الغرب وفتح السند وبلاد ما وراء النهر في الشرق، ووصلت الجيوش الإسلامية إلى مناطق واسعة وامتدت الحدود الإسلامية لتصل إلى إسبانيا في الغرب وإلى الهند والصين في الشرق، ومنمستنتج من هذا تركيز النشاط البحري الإسلامي على إفريقية وأسطولها في غرب البحر الأبيض المتوسط وبناء على ذلك، أسند موسى بن نصير والي إفريقية في سنة ٨٧هـ/٧٠٥م إمارة البحر إلى ابنه عبد الله وبعثه إلى سردينيا حيث وفق في غزو قوله (٨٨)، ولما عاد ابنه ولاها موسى لعبد الله بن حذيفة الأزدي، وأرسله مرة أخرى إلى سردينيا ولقد نجحت

الحملة وعادت محملة بالغنائم والسبي^(٨٩) وفي سنة ٨٩ هـ/٧٠٧ م عقد موسى بن نصير لواء إمارة البحر على إفريقية لعبد الله بن مرة فركب عبد الله البحر ووصل إلى سردينيا ونجح في الإغارة على العديد من مدنها^(٩٠)، وفي هذه السنة أمر موسى ابنه عبد الله على البحر وأرسله لغزو جزيرتي ميورقة (الجزيرة الكبرى) ومينورقة (الجزيرة الصغرى) الواقعتين على مقربة من الساحل الإسباني الغربي حيث تمكن من فتحهما وعاد إلى تونس غاتما^(٩١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الحملات ومعها الحملات البحرية التي سيرها العرب المسلمون من إفريقية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان كانت ترمي في الأساس إلى اختبار قوة البيزنطيين في غرب البحر المتوسط وتمهد السبيل لعبور العرب المسلمين البحر المتوسط إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، ويعد خالد بن كيسان من أبرز أمراء البحر في عهد الخليفة الوليد، ويبدو أن نشاطه البحري المتزايد قد أدى إلى وقوعه في الأسر، وقد ذكر الطبري في أحداث سنة ٧٠٨ هـ/ "أن الروم أسروا خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك"^(٩٢).

وممن تولى إمارة البحر في خلافة الوليد ابنه بشر بن الوليد الذي أرسله الخليفة من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية فزها ثم عاد بقواته إلى دمشق ووصلها بعد وفاة أبيه الوليد في سنة ٧١٤ هـ/٧١٤ م^(٩٣).

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ/٧١٤-٧١٧ م) شارك أمراء البحر في حصار القسطنطينية، وأسهموا بخبراتهم إسهاماً كبيراً في تضيق الخناق على الروم، ومنع الإمدادات من أن تصلهم من البحر، بل تعدى ذلك إلى فتح الغارات الاستطلاعية وشنها على السواحل البيزنطية وكذلك تمويل الجيوش البرية بالمون والسلاح. ومن أشهر أمراء البحر في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك: الأمير عمر ابن هبيرة الفزاري الذي استعمله الخليفة سليمان على البحر لغزو الروم، ثم أرسله إلى القسطنطينية لمساعدة الجيش البري الذي كان يقوده مسلمة بن عبد الملك^(٩٤).

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥ هـ/٧١٩-٧٢٣ م) غزا بشر بن صفوان والي إفريقية وأمير البحر في ذلك الحين، جزيرة صقلية ورجع منها بسبي كثير^(٩٥) ثم استعمل به. ذلك يزيد بن مسروق اليحصن بي على البحر، ويعتبه من بلاد المغرب في غزوة بحرية إلى سردينيا فزها يزيد وعاد منها ظافراً سالماً، وفي سنة ١٠٤ هـ/٧٢٢ م تولى إمارة البحر عمرو بن فاتك الكنبي وغزا في هذه السنة البحر ورجع من غروته منتصراً^(٩٦).

واستمر أمراء البحر العرب المسلمون في مواصلة نشاطهم وجهادهم البحري ضد الروم البيزنطيين في البحر المتوسط، كما واصلوا شن غزواتهم البحرية من بلاد الشام ومن شمال إفريقية على جزيرتي صقلية وسردينيا، فغزا أمير البحر محمد بن أبي كبر مولى بني جمح^(٩٧) في سنة ١٠٦ هـ/٧٢٤ م جزيرتي سرغوسة^(٩٨) وسردينيا من سواحل إفريقية، وفي سنة ١٠٧ هـ/٧٣٥ م غزا المسلمون جزيرة صقلية، بقيادة أمير البحر معاوية بن هشام يعاونه ميمون بن مهران^(٩٩).

وفي ١٠٩هـ/٧٢٧م تولى إمارة البحر حسان بن محمد بن أبي بكر، فغزا جزيرة سرديانية (١٠٠)، مرة أخرى وعاد منها سالماً ويذكر الطبري أنه غزا البحر في هذه السنة أيضاً أمير البحر عبد الله بن عتبة الفهري (١٠١) وفي سنة ١١١هـ/٧٢٩م استعمل الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) عبد الله بن أبي مريم علي البحر وأرسله من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية (١٠٢) وفي نفس السنة استعمل عبيدة بن عبد الرحمن والي إفريقية في خلافة هشام بن عبد الملك، المستنير ابن الحارث على البحر وأرسله في حملة بحرية كبيرة مكونة من ١٨٠ مركباً إلى جزيرة صقلية لمحاربه الروم البيزنطيين ولكن لمسوء الحظ أصابت هذه الحملة في طريق عودتها رياح عاصفة وتعرضت سفن المسلمين للغرق ولم ينج منهم إلا عدد قليل، ويصف خليفة بن خياط هذه الكارثة فيقول: "وهجم الشتاء فقفل بريح طيبة حت لجج فجاءت ريح عاصف فغرقت مراكبهم فلم يسلم منهم إلا سبعة عشر مركباً (١٠٣)، وقد أدى فشل الحملة إلى معاقبة الوالي لأميرها المستنير بن الحارث وجلده جلدأ موجعاً بسبب تأخره في العودة قبل حلول الشتاء (١٠٤).

وعلى الرغم من ذلك: نشط العرب المسلمون في غزو البحر، واستمرت الغزوات والحملات البحرية، يقودها أمراء البحر في مهاجمة الروم البيزنطيين من بلاد الشام ومن مواني إفريقية، وينقل ابن خياط رواية عن أبي خالد البصري فحواها: أنه في سنة ١٢٢هـ/٧٣٠م خرجت من إفريقية حملة بحرية بقيادة الأمير ثابت بن خثيم ووصلت إلى جزيرة صقلية فأصابها الحملة سبائا وغنائم ثم عادت إلى إفريقية سالمة (١٠٥) ثم تبعها في العام التالي حملة بحرية أخرى تولى قيادتها عبد الملك بن قطن وتوجهت إلى جزيرة صقلية (١٠٦).

وفي سنة ١١٤هـ/٧٣٢م تناوب على إمارة البحر في إفريقية أميران هما: عبد الله بن قطن وعبد الله بن زياد الأنصاري، وعبد الله بن قطن خرج في حملة بحرية إلى صقلية، وعبد الله بن زياد توجه إلى جزيرة سرديانية، ولقد نجحت الحملتان وعادتا إلى تونس سالمين ومحملتين بالغنائم (١٠٧).

على أنه من أبرز الأحداث التي شهدتها السنين الأخيرة، من عصر الخليفة هشام بن عبد الملك: تصدي الروم للحملات البحرية الإسلامية وخروجهم إليها في البحر المتوسط، وملاحقتهم للسفن الإسلامية وضربها بالنار الإغريقية، كما نجح الروم كذلك في أسر عدد من المجاهدين المسلمين، ومن ذلك خروجهم، في سنة ١١٥هـ/٧٣٣م لحملة الأمير بكر بن سويد إلى جزيرة صقلية ورميها بالنار، ولقد أبلى أمراء البحر العرب المسلمون بلاء حسناً في التصدي للروم وهزيمتهم وتكبيدهم خسائر كبيرة، ويحدثنا خليفة بن خياط عن ذلك في أحداث سنة ١١٦هـ/٧٣٤م ويقول: " وفيها أغزى ابن الحبحاب عثمان ابن أبي عبيدة فأصاب ناحية من صقلية وقفل، فلقبته مراكب الروم في البحر، فهزمهم الله وأصابوا من المسلمين وأسروا ابني عثمان عمرا وسليمان أبا الربيع وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وأخاه المغيرة بن زياد، فلم يزالوا في أيدي الروم حتى ولي عبد الرحمن بن حبيب، ففدى ابني عمه وناسا من أساري المسلمين وعبد الرحمن بن زياد، وذلك سنة إحدى وعشرين ومائة (١٠٨).

وحاول الروم توسيع نشاطهم البحري ضد المسلمين، فهاجموا مصر في سنة ١١٨هـ/٧٣٦م، فخرجت لهم، من مصر حملة بحرية بقيادة امير البحر نافع ابن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع، واصطدمت مع سفن الروم في البحر وهزمتهم وأبعدتهم عن السواحل المصرية، وكان من نتيجة هذا الهجوم أن أسرت الروم عدداً من المجاهدين المسلمين (١٠٩). وفي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م استعمل عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقية: حبيب ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع على البحر، وسيره غازياً إلى جزيرة صقلية، حيث وصل الجزيرة وأرسل ابنه عبد الرحمن إلى مدينة سرقوسة فهزم أهلها وصالحهم على دفع الجزية (١١٠). وممن تولوا إمارة البحر، في مرحلة الضعف في البحرية الأموية: الأسود ابن بلال المحاربي الذي استعمله الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) على البحر وبعثه في سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م في حملة بحرية إلى جزيرة قبرص، وأمره أن يخير أهلها بين العيش في جوار المسلمين في بلاد الشام أو العيش في بلاد الروم فانقسم الناس، منهم من اختار المسلمين فنقلوا إلى بلاد الشام، ومنهم من اختار بلاد الروم، فنقلهم الأسود بن بلال إلى هناك، وللأسف لم يتمكن من العثور على معلومات عن الأسباب التي دفعت العرب المسلمين إلى إخلاء الجزيرة لكن يمكن الاستنتاج بأنها كانت أسباباً أمنية، أو ربما بسبب الفتن وتردي الأوضاع السياسية والعسكرية الداخلية في الدولة الأموية، في ذلك الوقت، وعدم قدرة السلطة الأموية على تأمين الحماية اللازمة لسكان الجزيرة (١١١).

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الخاتمة:-

لقد تمخضت هذه الدراسة عن نتائج جديرة بالاهتمام لأنها تبين بشكل واضح وجلي الدور الذي أداه أمراء البحر في تقوية النفوذ البحري للدولة الأموية، وتقييم السياسة البحرية التي اتبعتها الخلفاء الأمويون في تعيين واستعمال أمراء البحر ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج على النحو التالي :-

١- مروت إمارة البحر عند العرب المسلمين بخمس مراحل مختلفة .

المرحلة الأولى :

هي مرحلة النشوء والتطور، وقد بدأت هذه المرحلة في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)، رضي الله عنه، و تميزت هذه الفترة بتحفظ الخليفة وتردده في ركوب الجيوش الإسلامية البحر، خوفاً على أرواح المسلمين، ومع ذلك فقد ظهر عدد من القادة والأمراء ممن كان لهم فضل السبق في قيادة الحملات الإسلامية المبكرة ذات الإمكانات المتواضعة، ومواجهة الأساطيل الماسانية في الخليج العربي، والأساطيل البيزنطية في شرق البحر المتوسط، ويسط سيادة المسلمين على سواحل بلاد الشام ومصر .

المرحلة الثانية :

هي مرحلة النشاط والقوة، واستمرت من سنة ٢٤هـ/٦٤٤م حتى سنة ٣٥هـ/٦٥٥م حيث أسهم فيها أمراء البحر في توسيع نفوذ الدولة العربية الإسلامية في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، وهزيمة الأباطول البيزنطي واضعافه، وكان يرافق الأمراء في غزواتهم المبكرة من بلاد الشام ومصر، زوجاتهم وذلك حتى يهوتوا على جندهم الخوف من البحر ويشجعونهم على ارتياده.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المرحلة الثالثة :

وكانت مرحلة التفوق، واستمرت من سنة ٤١هـ/٦٦٠م وحتى سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وتمثلت أولاً: بتكثيف أمراء البحر الحملات البحرية، وتوسيع قاعدة الفتوح الإسلامية لتشمل الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام مثل: جزيرة قبرص وجزيرة أرواد وجزيرة رودس، وثانياً: بالدور الكبير الذي لعبه أمراء البحر في الحفاظ على هذه الجزر والاستماتة في سبيل الدفاع عنها.

المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة انتقال النشاط البحري الإسلامي إلى غرب البحر المتوسط (٦٥-١١٤هـ/٦٨٤-٧٣٢م) حيث نجح أمراء البحر الأمويون في تأمين النفوذ العربي الإسلامي في شمال إفريقيا، عن طريق شن حملات بحرية متكررة، من بلاد الشام ومن إفريقية على القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في جزيرتي صقلية وسردينيا، الأمر الذي مهد السبيل لاستكمال العرب المسلمين لفتح المغرب، ومن ثم فتح الأندلس.

المرحلة الخامسة

هي مرحلة الضعف والتي بدأت من سنة ١١٥هـ/٧٣٣م، واستمرت سنة ١٣١هـ/٧٤٨م وتميزت بالمواجهة مع الروم البيزنطيين الذين أخذوا يتعرضون للسفن الإسلامية في البحر

المتوسط، في الوقت الذي كانت تشهد فيه الدولة الأموية حالة من التدهار والانهيار السياسي الداخلي. وبالرغم من ذلك فقد تمكن أمراء البحر العرب المسلمون من درء الخطر البيزنطي، ونجحوا في هزيمة الأسطول البيزنطي، في غرب البحر المتوسط وأوقفوا توغله.

٢- استحدثت وظيفة أمير البحر في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وأول من تولاهما: سيد الله بن قيس الجاس، وكان ظهورها مرافقاً لنشاط العرب المسلمين في البحر المتوسط واختص بها أهل الشام ومصر والمغرب العربي والأندلس. ولم تستخدم هذه التسمية عند غيرهم من العرب المسلمين.

٣- كانت وظيفة أمير البحر في بلاد الشام ومصر وظيفة عسكرية ثابتة ومحددة مثل غيرها من الوظائف الأخرى كوظيفة صاحب الشرطة، وصاحب البريد، وصاحب الخراج، أما في شمال إفريقيا والأندلس فكانت وظيفة أمير البحر وظيفة غير دائمة، حيث يتولى قيادتها الوالى أو من ينوب عنه، ويتم تعيين أمراء البحر عند الضرورة، وخاصة في أثناء تجهيز الحملات البحرية للغزو الخاطف والسريع، ضد الروم البيزنطيين في البحر المتوسط.

٤- بعد أن فتح العرب المسلمون إفريقية تقاسم أهلها من أهل الشام وأهل مصر قيادة الأساطيل الإسلامية في البحر المتوسط فكان يتولى قيادة أهل الشام أمير من الشام، ويتولى قيادة أهل مصر أمير من أهلها، ويقود أهل إفريقية (تونس) أمير للبحر من إفريقية، وبذلك كثف العرب المسلمون من غزواتهم وحملاتهم البحرية ضد الروم البيزنطيين في الحوضين الشرقي والغربي من البحر المتوسط.

٥- كان لنشاط أمراء البحر في العصر الأموي وحملاتهم المفكرة. منذ خلافة معاوية، على جزيرتي صقلية وكريت في البحر المتوسط أبلغ الأثر في إضعاف تحصينات الروم وقواتهم الدفاعية في هذه الجزر، الأمر الذي مهد السبيل للعرب المسلمين، فيما بعد، لفتح جزيرة صقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م وجزيرة كريت سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م.

الهوامش

١. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، مصر، مكتبة الخاتجي، ج ١٥، ١٩٦٧، ص ٢٧٩. لمزيد من التفصيل عن الإمارة أنظر: الأزهري، وابن منظور، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط ٣، جمهورية مصر العربية، ج ١، ص ٢٦-٢٧.
٢. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب المحيط (أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة، يوسف خياط، الطبعة الأولى، ٧ مجلدات، بيروت، دار الجليل ١٩٨٨، ص ٩٦. ٩٩. مزيد من التفاصيل عن البحر لغة أنظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١-٤٢.
٣. مونترجرى وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص ١١٦.
٤. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م، ص ١١٢؛ الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة، مكتبة القدسي، دون تاريخ، ج ٥ ص ٢٨١؛ المتقي الهندي، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي بيروت، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٧٦.
٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبو داود، تركيا، ١٩٨١م ج ٣ ص ١٣.
٦. أبو داود، سنن أبو داود، ج ٣، ص ١٦.
٧. المتشطح: شحط القتل في الدم اضطرب، وشحطه في دمه، ويدهمه: جعله يضطرب ويختبط فيه. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٩٣.
٨. ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، تركيا، ١٩٨١م، ج ٢ ص ٩٨٢.
٩. صفح البلاذري هذا الاسم والصواب هو: عرفة بن هرثمة بن عبد العزى بن زهير بن ثعلبة بن عمرو، للمزيد أنظر ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، عبدالسلام هارون، مصر دار المعارف، ١٩٨٢م، ص ٣٦٧؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، ٧ أجزاء، مصر، دار الشعب، ١٩٧٠م، مج ٤ ص ٢٣.
١٠. العلاء بن الحضرمي: واسم الحضرمي عبدالله - بن عباد بن أكبرين ربيعة بن مالك ابن أكبرين عوف بن مالك بن أبي بن الصدف - وقيل: عبدالله بن عمار - وقيل: عبدالله بن ضمار - وقيل: عبدالله بن عبيدة بن ضمار بن مالك. ويقال: إن العلاء كان مجاب الدعوة وأنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها... ابن الأثير، أسد الغابة تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب، ج ٤، ص ٧٤.

١١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق، عبدالله وعمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٨٧ م، ص ٥٤٤.
١٢. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، مج ١، ص ٢٦٦.
١٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٨٧م، مج ٤، ص ٧٩.
١٤. عثمان بن أبان بن سيار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن ثقيف الثقفي، يكنى أبا عبدالله. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٥٧٩.
١٥. أبركاوان: جزيرة في البحر بينها وبين سيرا ف مائة وخمسون فرسخا وفيها قلاع شتى وفيها أجوان كثيرة ومستقى ومحتطب كثير، وفيها معادن الحديد، وطولها اثنا عشر فرسخا، وبينها وبين ساحل بحر فارس فرسخان. الحميري، الروض المعطار، ص ٩.
١٦. ياقوت لا يوافق ما جاء في رواية البلاذري ويقول: "افتتحها عثمان بن أبي العاصي الثقفي أيام عمر بن الخطاب لما أراد غزو فارس في البحرين مر بها في طريقه... للمزيد انظر ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، بيروت. دار إحياء التراث، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ١٣٩.
١٧. توج: توج يفتح أوله وتشدّد ثانيه مدينة بفارس شديدة الحر لانها غور من الارض ذات نخل ويناؤها بالثمن ويعمل أهلها بصناعة النسيج المطرز بالذهب، وهي مدينة صغيرة واسمها كبير وقد فتحت أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٦.
١٨. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٠٧.
١٩. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٨؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥٨-٢٦٢؛ الكوفي، أبو محمد بن أعثم، الفتوح، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، مج ١، ص ٣٤٧-٣٥١؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبو الكرم محمد بن محمد عبدالكريم، الكامل في التاريخ، تحقيق: كارلوس تورنبيير ليدن ١٨٧١م، مج ٣، ص ٩٥-٩٧. Robert Browning, The Byzantine Empire, (Weidenfels and Nicolson, London) 1980, p.47
٢٠. النواتية: هم الملاحون الذين يقودون السفن في البحر، أنظر ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ٧٣٨.
٢١. الشوانى: السفن الحربية الكبيرة للمزيد أنظر: درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص ٨٣.

٢٢. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر مج ١، ص ٢٦٦.
٢٣. يعرف أيضاً بعبد الله بن قيس الفزاري والأنصاري للمزيد: أنظر ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق، سكيئة المشاهي ، دمشق، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٦م ، مج ٣٨، ص ١٦ . ١٨ .
٢٤. تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ ؛ وانظر أيضاً ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٩٧ .
٢٥. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٣م ج ٥ ص ٤١٣ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مج ٣٨ ، ص ١٦ .
٢٦. ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، مج ٣٨ ، ص ١٨ .
٢٧. عند ابن الأثير في الكامل (المرفأ)
٢٨. الغمرات، هي الشذائد وهو مثل للأغلب العجلى يضرب في مسائل الأمور العظام والصبر عليها . أنظر الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج ٢ ص ٤١٥ .
٢٩. الطبري، تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٩٧ .
٣٠. أغلب الظن ان ذلك الخليفة كان هو الخليفة العباسي.
٣١. والتألب أنه المقنن بالله (٢٩٥ . ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ . ٩٣٢م).
٣٢. الماوردي، الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م، ص ٤٣ .
٣٣. للمزيد أنظر، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ، الأحكام السلطانية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م ص ٢٨ . ٥١ .
٣٤. للمزيد أنظر الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٧ . ٣٩ ، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ، الأحكام السلطانية، ص ٣٩ . ٥١ ؛ ابن أعثم الكوفي، مج ١، ص ٣٥٠ ؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي ، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١م ، ص ٤٧ . ٥٠ ؛ ابن جماعة الحموي، بدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله، مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد ، بغداد ، دار الوطنية للتوزيع والإعلان ، ١٩٨٣م ، ص ٣٥ . ٥٢ .
٣٥. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٣٧ ، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٣٩ .
٣٦. ابن جماعة ، مستند الأجناد ، ص ٤٥ .
٣٧. الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٣٧ .
٣٨. الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٣٨ .
٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٥ ، ص ٤١٣ .
٤٠. ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ١، ص ٣٥٠ .
٤١. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٧ .

٤٢. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٨ .
٤٣. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .
٤٤. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٩ .
٤٥. العباسى ، الحسن بن عبدالله ، آثار الأول فى ترتيب الدول ، تحقيق ، عبدالرحمن عميرة ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .
٤٦. خليفة بن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط العصفري ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ، أكرم ضياء العمرى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٧٧ ، ص ١٥٩ .
٤٧. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .
٤٨. الحميرى ، محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م ، ص ١٥ .
٤٩. يختلف المؤرخون فى تاريخ هذه الموقعة فالبعض منهم يرى أنها وقعت فى سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م بينما يعتقد البعض الآخر أنها كانت فى سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤ م . أنظر خليفة بن خياط ، تاريخ بن خياط ، ١٦٨ : المنبجى ، أغابىوس قسطنطين (من القرن ٤ هـ / ١٠ م) ، المنتخب من تاريخ المنبجى ، تحقيق : عبدالسلام تدمرى ، لبنان ، دار المنصور ، ١٩٨٦ م ، ص ٥٩ - ٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ١٧١ .
٥٠. يختلف المؤرخون فى سبب تسميتها بذات الصوارى فيرجع البعض سبب التسمية إلى كثرة صوارى السفن فى هذه المعركة ، بينما يرى البعض الآخر ذات الصوارى اسم المكان الذى قامت فيه المعركة ، كما يختلف المؤرخون كذلك فى تحديد مكان المعركة والذى هو فى الغالب قرب الساحل التركى الجنوبى أمام منطقة Lycia وبالقرب من موضع يسمى phoenix للمزيد أنظر ، ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة ، أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٩١ ؛ محمد جمال الدين على محفوظ ، فجر البحرية الإسلامية ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٩٧ م ، ص ٥١ - ٥٥ ؛ إبراهيم العدوى ، قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ، مصر ، نهضة مصر ، ١٩٦٣ م ، ص ٤٦ .
٥١. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .
٥٢. ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ١١٨ .
٥٣. ابن عبدالحكم ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق شارلز تورى ، بالقاهرة ، مكتبة مديولى ، ١٩٩١ م ، ص ١٩٠ - ١٩١ .
٥٤. فى أسد الغابة : جنادة ، بالهاء ، هو جناد ، بن أبى أمية الأزدى ، ثم الزهرانى ، وأسم أبى أمية مالك ، وكان جنادة بن أبى أمية على غزو الروم فى البحر لمعاوية ، زمن عثمان رضى الله عنه إلى أيام يزيد ، إلا ما كان من أيام الفتنة وشتا فى البحر سنة ٦٧٨/٥٩ . للمزيد عن سيرته انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ١ ، ص ٣٥٣ ؛ ابن منظور ، محمد بن مكرم ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر ، ج ٦ ، تحقيق ، محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٤ م ، ص ١١٨ - ١٢٠ .

٥٥. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، ويذكر ابن الأثير أن فتح جزيرة رودس كان في سنة ٦٧٢/هـ م ، أنظر الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٩٣ .
٥٦. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
٥٧. ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ١ ، ص ٣٦٧ .
٥٨. يروي أحمد بن حنبل عن مجاهد قال كان جنادة بن أبي أمية أميراً علينا في البحر ست سنن ، أنظر المسند ، ج ٥ ، ص ٤٣٤ .
٥٩. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .
٦٠. هو عقبة بن نافع بن عيس بن عمرو بن عدى الجهني ويكنى أبا حماد ، من صحابة الرسول أسلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وعاش في المدينة المنورة ونما ولاء معاوية مصر سار عليها وسكنها ، وتوفي بمصر سنة ٥٨/هـ ٦٧٧ م . للمزيد أنظر ترجمته عند ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٤ ، ص ٥٣ ، ٥٤ . ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ، المعارف ، تحقيق ، ثروت عكاشة ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٨١ م ، ص ٢٧٩ .
٦١. محمد بن يوسف الكندي ، كتاب الولاة وكتاب القضاء ، تحقيق ، رفن كمت ، بيروت ، مطبعة الأبناء اليسوعيين ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .
٦٢. المقرئ ، نفق الدين أبو العباس بن علي ، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .
٦٣. قال ابن الأثير : معاوية بن حديج بن جفنة السكوني ، وقيل الخولاني ، غزا إفريقية ثلاث مرات ، فأصبحت عنه في إحداهما ، وقيل غزا الحبشة مع ابن أبي سرح فأصبحت هناك . للمزيد أنظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٥ ، ص ٢٠٦ . ٢٠٧ .
٦٤. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .
٦٥. ابن عساکر ، تاريخ مدينة دمشق ، مخطوط مصور ، ج ١٧ ، الأردن ، دار البشير ، دون تاريخ ص ٤٠٧ .
٦٦. هو عمرو بن عويمر بن عمران يكنى أبا عبد الرحمن ، ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنتين ، اشترك في فتح مصر ورافق جنادة بن أبي أمية في غزواته البحرية وتوفي بالمدينة أيام معاوية ، وقيل بالشام أيام عبد الملك بن مروان ، أنظر ' ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ١ ، ص ٢١٣ . ٢١٤ .
٦٧. الطبري . تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٤٠ .
٦٨. هو مالك بن هبيرة بن خالد الكندي السكوني ، كان أميراً لمعاوية على الجيوش للمزيد أنظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٥ ، ص ٥٤ .
٦٩. الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢٣١ ، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٥٧ .

٧٠. هو يزيد بن شجرة (الرهاوى نسبة إلى قبيلة رهااء المتفرعة من مذحج ، نزل الشام واستعمله معاوية على الجيوش الإسلامية البرية والبحرية واستشهد في غزوة ضد الروم سنة ٥٥هـ /٦٧٤م) وقيل سنة ٥٨هـ/٦٧٧ م. للمزيد أنظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٥، ص ٤٩٥ .
٧١. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٥٨ .
٧٢. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٠١؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٥٠٣ .
٧٣. هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية القرشي الفهري ، ولاء عمرو بن العاص إفريقية لما كان على مصر فسار إليها وفتح أجزاء كبيرة منها كما فتح بلاد البربر ، وأسس مدينة القيروان في خلافة معاوية، وإلى عقبة يعود الفضل في فتح السوس الأقصى، توفي عقبة في سنة ٦٣هـ ٦٨٢م للمزيد أنظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٦٠ .
٧٤. الطبري تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٥٨ .
٧٥. هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب الأنصاري الأوسي العمري، صحابي جليل أسلم قبل معركة أحد، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم معركة أحد والمعارك التي بعدها ولما فتحت بلاد الشام انتقل إليها وأقام فيها وتولى القضاء في دمشق ثم استعمله معاوية على البحر وأرسله لغزو الروم في البحر المتوسط توفي فضالة في سنة ٥٣هـ/٦٧٢م للمزيد أنظر؛ ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٣٦٤ .
٧٦. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٤؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٦١ .
٧٧. لم نعر على ترجمة له في المصادر الإسلامية المتوفرة بين أيدينا
٧٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٠٩؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٥١٥ .
٧٩. البكري : عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، ج ٢، تحقيق : أدريان فان ليوفن وأندري فيري، جزءان، تونس، بيت الحكمة، ١٩٩٢م، ص ٦٩٥، الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦٦ .
٨٠. اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ تحقيق : هوتسمان، جزءان، لندن، ١٩٦٩م، ص ٣٣٧ .
٨١. ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج ٢ جزءان، قم، منشورات، الشريف الرضي، ١٩٦٩م، ص ٧٠ .
٨٢. سردانية في المصادر العربية القديمة وهي جزيرة سردينيا الفرنسية حالياً وتقع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط للمزيد عن هذه الجزيرة أنظر : ياقوت الحموي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٠٩ .
٨٣. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢ ص ٧٠ .
٨٤. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١ .
٨٥. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧٠-٧١ .
٨٦. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١؛ ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١، تحقيق ومراجعة، ج . س . كولان وإ . ليفي يروفتسال، ٤ أجزاء، بيروت دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص ٤٢ .

٨٧. للمزيد عن مدينة سرقوسة أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٤.
٨٨. لم أوافق في العثور عليها في المصادر المعنية بتاريخ جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا والغالب أنها مدينة من مدن سردانية .
٨٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٠.
٩٠. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١؛ وذهب ياقوت إلى أن فتحها كان في سنة ٩٢ هـ وهو على ما يبدو تاريخ استقرار العرب المسلمين فيها . انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٩.
٩١. خليفة بن خياط، ص ٣٠٢.
٩٢. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٤٢؛ وبيع فتحي عبد الله، علاقات السياسة بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م، ص ٧٩.
٩٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥٠؛ الطبري، تاريخ الطبري ج ٦، ص ٤٩٥.
٩٤. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٢٣، ٥٣٠؛ خليفة بن خياط، ص ٣١٤ - ٣١٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥٩، النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، دون تاريخ، ج ٢١، ص ٣٤٧-٣٤٨، الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيريوجينيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق : محمد سعيد عمران، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ٨٧؛ A.A. VASILIEV, HISTORY OF THE BYZANTINE EMPIRE, 2vol, (the university of Wisconsin press, Milwaukee) 1978, p.236
٩٥. المراكشي، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩؛ وقارن مع النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٧.
٩٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٨-٣٣٠.
٩٧. جاء في الهامش في تاريخ خليفة بن خياط أن " جزيرة - عربية - هي جزيرة قورسيقا الآن، وهي وسردانية جزيرتان متقابلتان في البحر المتوسط " . انظر، ص ٣٦٦.
٩٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٦.
٩٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.
١٠٠. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٦.
١٠١. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٦٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤١٤.
١٠٢. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤١.
١٠٣. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٢١٦.
١٠٤. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٣.
١٠٥. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٥.
١٠٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.
١٠٧. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٧؛ انظر أيضاً ابن الأثير، الكامل، ص ١٩١، ٥.

١٠٨. الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص ٧٩ - ٨٠، المقرئ، كتاب المواعظ والاعتبار، مج ١، ص ٣٠٣.
١٠٩. ابن الأثير، الكامل، مج ٥، ١٩١.
١١٠. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٢٧، وأنظر أيضا المنبجي، المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ٩٥.



المراجع والمصادر

أولاً: المصادر

- ١- ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم) ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م الكامل في التاريخ، تحقيق : كارلوس تورنيرج، ١٣ مجلدات، لندن، ١٨٧١ م.
- ٢- ابن الأثير : أسد القابة في معرفة الصحابة، تحقيق، محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، دار الشعب، مصر ١٩٧٠ م.
- ٣- ابن جماعة الحموي: (بدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله) ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م، مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد، دار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد، ١٩٨٣ م).
- ٤- ابن حزم الأندلسي: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت ٥٠٦ هـ / ١٠٦٢ م، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢ م).
- ٥- ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م.
- ٦- ابن سعد : (محمد بن سعد بن منيع البصري) ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م، الطبقات الكبرى، ٩ أجزاء، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٧- ابن عبد الحكم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق : شارلز توري، مكتبة مديبولي، القاهرة، ١٩٩١ م.
- ٨- ابن عذاري المراكشي: (أبو عبد الله محمد) كان حياً سنة ٧١٢ هـ / ١٣٢١ م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة : ج . س كولان و إيفي بروفتسال، ٤ أجزاء، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٩- ابن عساکر : (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله) ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق مكتبة الشهابي، المجلد الثامن والثلاثون، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦ م؛ المجلد السابع عشر، مخطوط مصور، دار البشير، الأردن، دون تاريخ.
- ١٠- ابن قتيبة الدينوري : (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م، الإمامة والسياسة، (منسوب لابن قتيبة)، جزآن، الطبعة الأخيرة، منشورات الشريف الرضي، رقم، ١٩٦٩ م.
- ١١- ابن قتيبة الدينوري: المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة دار المعارف، مصر، ١٩٨١ م.
- ١٢- ابن ماجة : (أبو عبد الله محمد بن يزيد الغزويني) ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م، سنن ابن ماجة، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، جزآن، تركيا، ١٩٨١ م.
- ١٣- ابن منظور : (محمد بن مكرم بن علي) ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م، لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة : يوسف خياط، الطبعة الأولى، ٧ مجلدات، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٨ م.

- ١٤- ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق مكتبة الشهابي، الجزء الثالث عشر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.
- ١٥- أبو داود: (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي) ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م، سنن أبي داود، ٥ أجزاء، تركيا، ١٩٨١م.
- ١٦- أبو يعنى الفراء الحنبلي: (محمد بن الحسين) ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٧- أحمد بن حنبل : ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٦ أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٨- الأزهري: (أبو منصور محمد بن أحمد) ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م تهذيب اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، ١٥ جزءاً المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، ١٩٦٧-٦٤م.
- ١٩- البخاري: (محمد بن اسماعيل) ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م، صحيح البخاري، ٨ أجزاء استنبول، ١٩٨١م.
- ٢٠- البكري: (عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، المسالك والممالك، تحقيق، أدريان فان ثيوفن وأنثري فيري، جزيان، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٢م.
- ٢١- البلاذري: (أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م، فتوح البلدان تحقيق، عبد الله وعمر أنيس الطباع، الطبعة الأولى . منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢٢- الحميري: (محمد بن عبد المنعم ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٩م، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٢٣- خليفة بن خياط: (عمر بن خياط العصفري البصري) ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م، تاريخ ابن خياط تحقيق، أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٢٤- الرقيق القيرواني: (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم) ت القرن الخامس الهجري ، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق : المنجي الكعبي، رفيع السقطي، تونس، ١٩٦٨م.
- ٢٥- الطبري: (محمد بن جرير) ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ جزءاً الطبعة الخامسة دار المعارف، مصر، ١٩٨٧م.
- ٢٦- العباسي: (الحسن بن عبدالله) ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الجبل، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٢٧- ثداسة بن جعفر ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- ٢٨- قسطنطين السابع: (بورفيريو جنيثوس) ت ٩٥٩م إدارة الإمبراطورية البيزنطية عرض وتحليل وتعليق، محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٩- الكوفي: (أبو محمد بن أعثم) ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م، الفتوح، ٨ أجزاء، الطبعة الأولى، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

- ٣٠- الماوردي: (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب) ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م الأحكام السلطانية والولايات الدينية الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٣١ - المقرئ: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار جزءان طبعة بالاقلم، دار صادر بيروت، دون تاريخ
- ٣٢- المنبجي: (أغابويوس قسطنطين) من القرن ٤هـ/١٠م، المنتخب من تاريخ المنبجي، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار المنصور، لبنان ١٩٨٦م.
- ٣٣- الميداني: (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم) ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م، مجمع الامثال، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٧م.
- ٣٤- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١ جزءاً، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مصر، دون تاريخ .
- ٣٥- ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، ٥ أجزاء، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٣٦- اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/٩٧٨م، تاريخ اليعقوبي، تحقيق : هوتسما، جزءان، الطبعة الثانية، لندن، ١٩٦٩م.



<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

ثانياً المراجع:

١. وفيق بركات :

فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، (١٩٩٥م)

٢. أريسان جرونفيل :

التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة : حسام محي الدين الالوسي، الطبعة اثنائية، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٨٦م.

٣. خالد جاسم الجنابي :

تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، الطبعة الثانية دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦م.

٤. محمد حميد الله :

مجموعة الوثائق في العهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة السادسة، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. نجدة حماش :

الشام في صدر الإسلام، من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م.

٦. وفيق الدقوقي :

الجندية في عهد الدولة الأموية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٧. تقي الدين عارف الدوري :

صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو التورمندي، دار الرشيد للنشر بغداد، ١٩٨٠م.

٨. عصام سالم سيمالم :

جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٩. محمد علي الشبول :

نشأة البحرية الإسلامية في صدر الإسلام ، ابحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في اللاذقية ٢٢-٢٤ نيسان ١٩٨٦م منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٨٩م.

١٠. أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم :

تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية في بيروت، ١٩٨١م.

١١. أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم :

تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.

١٢. إبراهيم أحمد العدوي :

قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٣م.

١٣. بسام الصلي :
فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
١٤. إسمت غنيم :
الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٧٧م.
١٥. علي محمود فهمي :
التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٧م.
١٦. أرشيبالد لويس :
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دون تاريخ.
١٧. محمد جمال الدين علي محفوظ :
فجر البحرية الإسلامية، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٨. محمد كرد علي :
خطط الشام، ٥ أجزاء الطبعة الثانية، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م.
١٨. مونتجومري وات :
فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، دار القبراق، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٠. وديع فتحي عبد الله :
العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
٢١. نسيم يوسف جوزيف :
تاريخ الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

وسائل الدعاية عند الفاطميين

(٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)

د. إبراهيم أحمد القلا (*)

مقدمة :

يهدف هذا البحث إلى دراسة وسائل الدعاية عند الفاطميين، وشقيها المادى والمعنوى، منذ بداية دعوتهم فى اليمن وإفريقية، وحتى استيلائهم على مصر والشام والحجاز، وتكوين دولتهم الكبرى التى كانت تقف على قدم المساواة مع الدولة العباسية، حيث لم يحظ هذا الموضوع، من قبل، بدراسة مستفيضة ومتخصصة فى هذا الجانب المهم بالنسبة لتاريخ وتطور الدولة الفاطمية، سواء فى المشرق والمغرب. وقد قسمت هذا البحث إلى محورين ممكن عرضهم على النحو التالى:

المحور الأول: بعنوان وسائل الدعاية المعنوية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب التمسب إلى آل بيت الرسول (ﷺ)، وأسلوب الزهد والتقصيف والعلم والتشيع، والقول بوصايا على بن أبى طالب (عليه السلام)، وأسلوب وضع الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤيد دعوتهم، والثورة ضد الحكام أو ضد النظام، والقول برجعة الإمام وتأويل الشريعة، ومن أساليبهم أسلوب التفريق بين قبائل العرب ونشر الدعوة فى الخفاء والسر والكتمان، وأسلوب استتار الإمام والقول بغيبته، وبت الدعاة وسط الجند، وأسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام، والإدعاء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لتنقذ المصريين، والاحتفال بالأعياد واتخاذ أعياد جديدة، وإيجاد اللغات غير العربية، ومن أساليبهم أيضاً: تأليه الحاكم والإمام، وأسلوب التناسخ، وأسلوب قتل الغيلة، وأسلوب التائيس والتدليس والخلق، والإدعاء بأن حقهم فى الخلافة قد اغتصب منهم، ولعنهم أبا بكر وعمر وعثمان على منابرهم، وإقامة الخطبة.

أما المحور الثانى: وعنوانه وسائل الدعاية المادية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب ضرب العملة والسكة، ولباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية، وبناء العواصم والحواضر واتخاذ أسمائها نسبة إليهم، وإنشاء دور العلم وتعميم المذهب الشيعى، إنشاء المساجد الشيعية والأضرحة، بث الدعاة وسط الجند، إعداد الجيوش، اختيار مصر مقراً للدعوة، الاهتمام بالعمران. هذا وأنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج، وبعض الملاحق التى تخدم الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

(*) أستاذ مساعد التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى.

الدولة الفاطمية إحدى الدول الشيعية القوية التي قامت في بلاد المغرب ومصر، وظلت تحكم مصر مدة قرنين من الزمان، إلى أن أسقطها صلاح الدين الأيوبي، سنة ٥٦٧ هـ/ ١١٧١ م، وأعاد مصر مرة أخرى إلى خلافة بني العباس السنية^(١).
وقد حاول الفاطميون نشر مذهبهم الشيعي بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، بادنين ببلاد المغرب وصقلية واليمن، ثم مصر والشام والعراق^(٢) وغيرها متخذين أساليب عديدة في دعوتهم.

وقد فتح جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩ م، وأسقط الدولة الإخشيدية، كما أسقط الخطبة للخليفة العباسي المطيع لله أبو القاسم (٣٣٤-٣٦٣ هـ/ ٩٤٥-٩٧٣ م)^(٣)، وأقامها للمعز لدين الله الفاطمي^(٤)، وبنى مدينة القاهرة لتصبح حاضرة مصر الفاطمية^(٥).
ومن بلاد المغرب واليمن ومصر؛ انطلق الدعاة بالدعوة الفاطمية محاولين نشرها بالأسلوب السلمي تارة، والحري تارة أخرى، معتمدين على ضعف الخلافة العباسية، وانقسامها إلى دويلات عديدة، وملائمة البلاد التي دخلها الفاطميون كالمغرب ومصر واليمن للدعوة^(٦).
ومن أساليب الفاطميين في الدعوة:

١- أسلوب النسب إلى آل بيت الرسول (ﷺ):

نسب الفاطميون أنفسهم إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) فاتخذت الدولة اسمها، مدعين أنهم من نسل الحسين بن فاطمة شهيد كربلاء^(٧)، فهم علويون ينسبون إلى علي بن أبي طالب وأولاده الحسن والحسين (رضي الله عنهما) مما هيا الفرصة لاكتساب ثقة الناس، وخاصة أولئك الذين كانوا يكرهون بني العباس من الموالى (المسلمين من غير العرب).
وادعى عبد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب^(٨) وأولاده: أنهم من سلالة إسماعيل بن جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ/ ٧٦٥ م، أو من سلالة الإمام موسى الكاظم ت ١٨٣ هـ/ ٧٩٩ م^(٩)، وهم من أئمة الشيعة الاثنا عشرية، والذين كان الفرس وغيرهم يكنون لهم كل تقدير واحترام^(١٠).

إلا أن النسب الصحيح لهؤلاء أنهم ينسبون إلى ميمون القداح وابنه عبد الله، وهو فارسي وكان يخطط لتكوين دولة فارسية، أو دولة يهودية نسبة إليهم^(١١).
وقد نقل ابن خلكان رواية تبين مبلغ إنكار المصريين صحة نسب الفاطميين، ذلك أن الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦ هـ/ ٩٧٥-٩٩٦ م) صعد المنبر يوم الجمعة، أوائل خلافته في مصر، فرأى ورقة فيها هذه الأبيات:

إنا سمعنا نسباً منكراً
 إن كنت فيما تدعى صادقاً
 يتلى على المنبر في الجامع
 فإنكر أبا بعد الأب الرابع
 فانسب لنا نفسك كالطائع
 وإن ترد تحقيق ما قلناه
 أو فدح الأنساب مستورة
 فإن أنساب بنى هاشم
 يقصر عنها طمع الطامع^(١١)

وقد روى الثعالبي حكاية أخرى تؤيد هذا الرأي إذ يقول: إن عبد الرحمن الثالث الأموي الأندلسي تلقى من العزيز كتاباً يسبه فيه ويهجو، فجاءه رد عبد الرحمن عليه: "أما بعد فإني عرفت أن هجوتنا ولو عرفناك لأجبتك والسلام" وهذا بسبب عدم إفصاح الفاطميين عن أي نسب رسمي لهم^(١٢).

٢- أسلوب الزهد والتقصيف والعلم والتشجيع:

وهو أسلوب اتخذته معظم الدعوات الشيعية^(١٣)، ومنها الفاطمية، فحاز به عبد الله ميمون بن القداح، وعبد الله المهدي وأئمة الدعاة والخلفاء - ثقة الناس، ونجحوا في تأسيس جمعيات سرية، ثم أخذوا يعلمون الناس أسرار الدعوة التي قسموها إلى سبع درجات (وزادات فيما بعد) وكثر أنصارهم^(١٤).

٣- أسلوب كتمان الدعوة وسريتها:

وهو من أشهر أساليب الدعاية عند الشيعة الإسماعيلية وكل طوائف وفرق الشيعة، وكان الداعي الفاطمي يبدأ بإظهار بعض مشكلات القرآن، حتى إذا طلب الناس منه حل هذه المشكلات؛ أخذ عليهم العهود والمواثيق بأن يجعلوا هذه الدعوة سرا مكتوماً، ثم يطلب منهم أن يدفعوا ضريبة مقررّة تساعد على نشر مذهبه^(١٥).

وإذا تم للداعي ما أراد، دخل الطالب في المرحلة الثابتية، وموذاها أن فرائض الإسلام لا تؤدي إلى مرضاة الله؛ إلا إذا كانت عن طريق الأئمة السبعة، من ولد إسماعيل ابن جعفر الصادق، فإذا وصل الطالب إلى المرحلة الرابعة، اعتقد أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، ومن تقدم هذه المرتبة لا يعلم سوى نظريات فلسفية لا تمت للإسلام بصلة، حتى يصل به الاعتقاد إلى أن الإمام هو عبد الله بن ميمون القداح، وأنه بمنزلة هارون من موسى، أو بمنزلة علي بن محمد^(١٦) (ع).

٤- أسلوب شراء الناس بالمال:

من أسهل أساليب الدعوة، فقد ذكر ابن خلكان^(١٨) أن جماعة من أهل السنة في مصر طغوا في نسب المعز لدين الله واتصاله بعلي بن أبي طالب عليه السلام، حتى إن الخليفة المعز لما وصل إلى مصر، اجتمع به الأشراف وسأله أحدهم، وهو ابن طباطبا: "إلى من ينتسب مولانا"، فأجابه المعز بأنه سيعقد مجمعا يضم كافة الأشراف ويسرد عليهم نسبه، حتى إذا ما انعقد المجلس في القصر، سل المعز سيفه إلى النصف وقال "هذا نسبي"، ثم غمرهم بالذهب الكثير وقال "وهذا حصبي"، ومن هنا نشأ القول المأثور (سيف المعز وذهبه) للإشارة إلى بطلان الشيء أو أنه مأخوذ كرها^(١٩).

اهتم المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥ هـ / ٩٥٢-٩٧٥ م) بأمر الحجاز، حيث تدخل في حسم الخلاف بين بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب، وأرسل سرا مالا ورجالا سعوا بين الفريقين حتى عقدوا الصلح في المسجد الحرام، وقام المعز بأداء دية قتلى بني الحسن سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م، مما كان له أكبر الأثر في نفوسهم، ولما فتح جوهر مصر، سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م بادر الحسن بن جعفر الحسني بالاستيلاء على مكة، ودعا للمعز على منابرهما، وكذلك أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة، وعمل المعز على تثبيت سلطته على مكة والمدينة بالأموال التي صار يرسلها إليهما، ويذكر المقرئ أنه في سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م: "أنفذ المعز عسكرا وأحمال مال عدتها عشرون حملا للحرمين وعدة أحمال متاع" وبذلك تيسر له نشر نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز.^(٢٠)

واستطاع الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦ هـ / ٩٧٥-٩٩٦ م) بفضل اهتمامه بأمر الدعوة، وإنفاقه الأموال الكثيرة لهذا الغرض أن يستميل بعض أمراء العرب أعلى العراق إلى جانب الدولة الفاطمية، ففي سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م أعلن حاكم الموصل "أبو الدرداء بن المسيب العقيلي" ولاءه للفاطميين، فأقام الخطبة في الموصل للعزيز بالله وأمر أن ينقش اسمه على الأعلام والسكة^(٢١)، كما نجح الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢٠ م) في استمالة قرواش ابن المقلد الملقب بمعتمد الدولة أمير بني عقيل في الموصل، فخرج عن طاعة الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤٠١ هـ وأظهر طاعة الحاكم بأمر الله وأقام الدعوة له^(٢٢)، كما أمر قرواش عماله في البلاد التي كانت في حوزته أن يقيموا الدعوة الفاطمية فيها^(٢٣)، فخطب للحاكم بأمر الله في كل من الأنبار^(٢٤) والقصر^(٢٥) والمدائن^(٢٦) والكوفة^(٢٧) والجامعين^(٢٨) وغيرهم مما حمل العلويين والعباسيين المقيمين بالكوفة على الهروب إلى بغداد^(٢٩).

حسان وأبيه مفرج بن الجراح وغيرهما بالأموال التي بذلها لهم، وتقدر بخمسين ألف دينار عينا، سوى الهدايا والنياب، من أجل التخلي عن أبي الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة ومبارحته بالخلافة وذلك سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م^(٣٠)، كما نجح الحاكم بأمر الله في شراء الناس بالمال.

كان دعاة الإسماعيلية في بلاد اليمن لا يألون جهدا في القيام بنشر الدعوة للخلفاء الفاطميين، فظل يوسف بن الأسد يدعو سرا للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢١ م) حتى توفي، فخلفه داع جري يدعى عامر بن عبد الله الزواحي، كان كثير

المال والجاه، وقد استغل ماله ونفوذه في سبيل نشر الدعوة الفاطمية، واستمال عدداً كبيراً من أهالي اليمن إلى المذهب الإسماعيلي، وظل يدعو للفاطميين خلال عهد الحاكم والظاهر، وأوائل عهد المستنصر بالله^(٣١).

ويذكر ابن ظافر ذلك بقوله: "السبب في خفاء زورهم في إدعائهم الشرف: أن القوم كانوا وقت ابتداء منكرهم، ووقت إدعاء زورهم، لا يسمعون بمنكر لأمرهم طاعن على مذهبهم إلا يادروه بالعطايا، وأتحفوه بالأموال والרגائب، وطلبوا الكف منه، فإن رفض عملوا على قتله بأنواع من الحيل والمكر التي بنى عليها مذهبهم"^(٣٢).

٥- القول بوصايا علي بن أبي طالب (ع) وأحقية بالخلافة:

اعتقد الشيعة أنهم وحدهم الأحق بالخلافة، وأن أبا بكر وعمر وعثمان (ع) وكذا الخلفاء من بني أمية، وبني العباس، انتزعوا حق الإمامة المقدس من علي (ع)، وقد صنف العلماء الشيعة من المؤرخين الأسفار الطوال في تأييد هذه المقالة، وذهب بهم الاعتقاد إلى القول بأن الخلافة سببت من علي أو بعبارة أخرى اغتصبت من بيت النبي (ص)^(٣٣).

لا يقف الحال عند هذا الحد، فقد اشتط الغلاة من الشيعة فقالوا: إن الإمامة في بيت علي (ع)، وأن الأنمة معصومون، وإن صفات الله تعالى قد حلت فيهم وتقمصت أجسادهم، وإن من قال بغير ذلك، من الفرق الإسلامية: خارجون عن الدين: ودلوا على ذلك بأن علياً كان أول من اعتق الإسلام من الرجال قبل أبي بكر، وأن ما قام به في سبيل رفع منار هذا الدين لا يستطيع أحد من المسلمين أن يبدله^(٣٤).

٦- أسلوب وضع الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد دعوتهم:

استند غلاة الشيعة، ومنهم الفاطميون، على مجموعة كبيرة من الأحاديث الموضوعة والتي تشهد لآل علي كرم الله وجهه بالحق في الخلافة، ويذكرون أن علي (ع) جمع الناس سنة ٣٥هـ/٦٥٥م في الرحبة^(٣٥) ثم قال لهم: "أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس فشهدوا أن رسول الله (ص) قال: "من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من ولاء وعاد من عاداه"، وأخرج الترمذى والنسائي وابن ماجه عن حبشى بن جنداه قال: قال رسول الله (ص): "علي مني وأنا من علي"، وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال: "أخى رسول الله (ص) بين أصحابه فجاء علي (ع) تدعم عينه، فقال: يا رسول الله أخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله (ص): "أنت أخى في الدنيا والآخرة"^(٣٦).

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ص) خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك سنة ٩هـ/٦٣٠م فقال: "يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أوما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي"^(٣٧).

ومن ذلك ما عزي إلى النبي (ص) أنه قال "أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن عدل عنها غرق"، وفي رواية أخرى أهل بيتك كسفينة نوح، من تعلق بها نجا، ومن تخلف عنها هلك^(٣٨)، وقوله أيضاً "من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد

مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة، فهذه الأحاديث لاشك في أن الشيعة احترموها بعد موت الرسول (ﷺ) تأييداً لعقيدتهم التي كان مبناها مبالاة على وخلفائه من بعده^(٣١).

ونحن نعلم أن النبي (ﷺ) ترك مسألة الخلافة من غير أن يترك فيها وصية لأحد، وتم اختيار أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لخلافته بطريقة ديمقراطية حيرت أهل الديمقراطية لأن^(٣٢).

٧- أسلوب الثورة ضد النظام:

وقد بدأت هذه الثورات في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فيما يسمى بالفتنة الكبرى، والتي قيل في أسبابها، أن عثمان فضل أقاربه على غيرهم في الحكم، فرفع الشيعة راية العصيان، وادعوا أن علياً عارض عثمان، والواقع يقول غير ذلك، غير أن الذي قاد الثورة سرياً هو ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) اليهودي الذي أسلم ظاهرياً، وكان له دور حطير جداً في انقسام الأمة الإسلامية إلى سنة وشيعة^(٣٣)، ويث ابن سبأ دعائه وكتابه من كان استفسد في الأمصار وكتابه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يعلنون^(٣٤)، ألقى ابن سبأ تعاليمه ومن ضمنها: أنه كان لله ألف نبي ووصى وكان على الله وصى محمد (ﷺ)، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء، ثم بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية نبي الله (ﷺ) ووثب على وصيه، وإقال إن عثمان (رضي الله عنه) أخذها بغير حق وهذا وصى رسول الله (ﷺ) فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وأبدأوا بالطنن على أميركم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استتير الناس، وأدعواهم على هذا الأمر، فبث دعائه وكتابه وكتابه في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم من مصرهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأ أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى أوسعوا في الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون، غير ما يعلنون^(٣٥).

واستغل ابن سبأ وجود معاوية بن أبي سفيان في ولاية الشام، واعتلاه منابر المسجد الأموي وتحريض الناس على الأخذ بالثأر من فتنة عثمان: وجرس الناس تمهيداً لإسقاط خلافة عثمان (رضي الله عنه)، وهو أول من وضع عقائد مذهب الشيعة المغالية في الإسلام، وهو أول من بذر بذوره وحقق ابن سبأ غرضه من إثارة الولايات الإسلامية على عثمان وولاته فكانت الفتنة الكبرى وقتل الخليفة الثالث عثمان (رضي الله عنه)^(٣٦) مما أضعف الإسلام، وزاد كلمة المسلمين تفرقاً حتى الآن.

ثورة الحسين بن علي ابن أبي طالب، رضى الله عنه، على يزيد بن معاوية، واستشهاد الحسين في كربلاء سنة ٦١هـ/٦٨٠م^(٣٧)، وثورة التوابين وهم جماعة من الشيعة اعترفوا بتقصيرهم وخطيئتهم في حق الحسين بن علي، حينما تركوه يواجه القتل وحده، ولذا ثاروا ضد الدولة الأموية بقيادة سليمان بن صرد، والتقى معهم عبيد الله بن زياد في معركة يقال لها "عين الورد" هزم فيها التوابين وذلك سنة ٦٥هـ/٦٨٤م^(٣٨)، وثورة زيد بن علي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م حيث خرج على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ولكنه هزم بعد أن خذله أهل الكوفة، وإليه

تنسب جماعة الزيدية إحدى فرق الشيعة^(١٧)، وثورة يحيى بن زيد، سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، الذي استطاع الهروب من السجن وواجه نصر بن سيار في معركة عنيفة انتهت بمقتل يحيى^(١٨).

ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي سنة ٦٥هـ/٦٨٤م :

وقد كثرت الثورات الشيعية في العصر الأموي منها: ثورات الكيسانية^(١٩) والمختارية: ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، ولد المختار في السنة الأولى، ولقب أحياناً بكيسان لأنه تلقى العلم عن كيسان، أو لأن كيسان حثه على الأخذ بثأر الحسين وعرفه بقاتليه، ويذكر البغدادى أن كيسان كان لقباً أصيلاً للمختار^(٢٠).

ادعى المختار أن محمد بن الحنفية هو الذى أرسله وأنه وزيره، ويعمل باسمه للطلب بحق آل البيت، والثأر من قاتلى الحسين وصحبه، وادعى أنه يسير على نهج القرآن وهدى الإسلام، ولكنه كان به ضلالات تبعده عن الإسلام منها: أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالدبياج وزينه وقال هذا من ذخائر أمير المؤمنين على (عليه السلام) وهو عندنا بمنزلة التابوت عند بنى إسرائيل، كما ادعى علمه بالغيب وله أسجاع يقفد بها القرآن. قتل المختار على يد مصعب بن الزبير^(٢١)، وكانت مدينة الكوفة العراقية أشد المدن تأييداً وخذلاناً لهم في نفس الوقت^(٢٢).

ثورة زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قامت خلال عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) والتي انتهت بهزيمته وقتله سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م^(٢٣).

ثورة يحيى بن زيد بن علي بن زين العابدين الذي فر إلى خراسان، وإقام بها حتى توفي هشام بن عبد الملك، وخلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) فعمد نصر بن سيار لمطاردته والتقى به في الجوزجان - إحدى قرى خراسان - فظل يقاتل حتى قتل^(٢٤).

٩- أسلوب القول برجعة الإمام الغائب:

يعتقد معظم الشيعة بعودة رجعة الإمام، وفي ذلك يقال: إن محمد الإمام الثاني عشر من أئمة الشيعة، الذى اختفى في سرداب بمدينة سامراء، أنه سيعود ليملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأنه المهدي المنتظر، واعتقدوا أنه يقيم في جبل رضوى (على مسيرة سبعة أيام من المدينة المنورة وأن عوبته ستكون في هذا المكان، ويقول الشيعة: إن الإمام قد يكون مستوراً مكتوماً عن الناس خبره وقال شاعرهم كثير عزة في ذلك^(٢٥):

ولا الحق أربعة سوا	ألا أن الأئمة من قريش
هم الأسباط ليس بهم خفاء	على والثلاثة من بنيه
وسبط غيبته كريلاء	فسبط سبط إيمان وير
يقود الخيل يقدمها اللواء	وسبط لا يذوق الموت حتى
يرضوى ^(٢٦) عنده غسل وماء ^(٢٧) .	تغيب لا يرى فيهم زماتاً

١٠- تأويل الشريعة الإسلامية:

يعتقد ويعتمد أغلب الشيعة على أسلوب التأويل في أحكام الشريعة الإسلامية، فالدين عندهم طاعة رجل، حتى حملهم الاعتقاد على تأويل الشريعة، وأن طاعتهم ذلك الرجل ستبطل

ضرورة التمسك بقواعد الإسلام كالصيام والصلاة والحج والزكاة وغيرها، بل اعتبروا الأئمة محاطين بهالة قدسية معلوم ما وراء الطبيعة^(٩٨).

١١- أسلوب التفريق بين قبائل العرب:

وهذا أسلوب اتبعته الدعوة الشيعية بعد انتقالها للعباسيين سنة ١٩٨هـ/٧١٦م، حينما تنازل عنها أبو هاشم عبد الله عند الشيعة، لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس في الحامية، وهي قرية صغيرة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة^(٩٩)، وقد نشط العباسيون بالدعوة لآل البيت دون تحديد شخص المدعو إليه، والدعوة إلى المساواة والعدل، فدخل في طاعتهم أهل خراسان (إيران - تركمنستان - أفغانستان) حالياً على يد أبي مسلم الخراساني الذي استطاع أن يفرق بين اليمانية والقيسية، أو بين عرب الشام وعرب اليمن، مما سهل سقوط خلافة بني أمية وقيام دولة بني العباس^(١٠٠).

١٢- أسلوب تصويرهم أمام الناس أنهم المظلومون دائماً:

صور أئمة الفاطميين، وغيرهم من الشيعة للناس أنهم دائماً مظلومون، فهم قد ظلموا باستخلاف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وبني أمية وبني العباس، بل اعتبروا أن بني العباس قد سلبوهم الخلافة والإمامة، حينما دعوا لأنفسهم بها سنة ٩٩هـ/٧١٧م، وكتبوا عن العلويين ذلك، ولما قامت الخلافة في بني العباس، سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وقامت الثورات العلوية مطابقة بحقها في الخلافة، موصلين الناس أنهم أحق بها من بني العباس الظالمين لهم^(١٠١).

١٣- نشر الدعوة في الخفاء والسري والكنه:

كانت النتيجة الطبيعية لما حل بالعلويين الشيعة، من حبس وقتل طوال العصرين الأموي والعباسي، أن عمدوا إلى نشر دعوتهم في الخفاء، وتلمسوا أماكن يختفون فيها، ويتخذونها ملاجئ يدرعون بها عن أنفسهم الحبس والآلام، إلى أن تقوى دعوتهم، ثم يظهرون كلها. سئحت لهم الفرصة^(١٠٢).

ودخل المذهب الشيعي إلى إفريقية، بصورة أكثر سرية وتنظيماً، قبل وصول الداعي الإسماعيلي أبي عبد الله الشيعي، حيث وصل أول تمثيل شيعي إسماعيلي إلى إفريقية في أواسط القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، قبل نحو ١٣٥ عاماً من وصول أبي عبد الله الشيعي إلى هناك وهي بعثة الداعيين أبي سفيان والحواتي، حيث قدما من الشرق للاستقرار في بلاد المغرب سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، وأن الذي بعثهما، فيما يقال، الإمام جعفر الصادق، وأمرهما أن يبسطا ظاهراً علم الأئمة وينشروا فضلهم^(١٠٣).

١٤- أسلوب استتار الإمام:

استتر أكثر أئمة الشيعة، وخاصة الفاطميون، في بلاد المغرب ومصر، وهناك أئمة يقال لهم المستورون في ذات الله تعالى^(١٠٤)، وذلك لرد ما عسى أن يحيق بهم من مكروه، ولذلك اتخذوا ما يسمى بدار الهجرة في البلاد التي قاموا فيها بنشر مذهبهم، فبعضهم استتر لمدة عشر سنوات أو أكثر، وبإيعاض الناس دون رؤيته^(١٠٥).

ومن أساليب الإسماعيلية في التخفي والتستر: اتخاذ الدعاة عدة ألقاب ففى سبيل المثال: تسمى المهدي عبيد الله استتاراً، و كان أبو عبد الله الشيعي يلقب بالمحتسب لاشتغاله بالحسبة فى البصرة^(٦٦)، ويلقب بالمعلم لأنه كان يعلم مذهب الإمامية^(٦٧)، ويلقب بالأهوازى لأنه ولد فى الأهواز، والمشرقى صاحب البقعة الشهباء أو البلقاء^(٦٨)، ولقبه البعض بالصنعانى مع أنه لم يملك فى صنعاء إلا فترة وجيزة، وعرف بهذا اللقب لأنه قدم على حبيج كنامة من صنعاء^(٦٩).

وذكر أنه سبق عبد الله المهدي، مؤسس الخلافة الفاطمية فى إفريقية سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م سلسلة من الأئمة المستورين من أبناء محمد بن إسماعيل، فالأئمة الذين يصلون عبد الله المهدي بمحمد بن إسماعيل - أشخاص عاشوا فى ظل ظروف يكتفها الكثير من الغموض، كما أن الأئمة الفاطميين، فيما بعد، لم يحاولوا كشف أسمائهم، وذلك لإبطال الحملات التى شنّها ضدهم أعداؤهم، أو الرد عليهم بسبب إصرارهم على عدم إذاعة أى نسب رسمى لأصولهم؛ اعتماداً على مبدأ معروف لدى الشيعة هو "عدم كشف أولئك الذين سترهم الله، وهم المستورون فى ذات الله"^(٧٠).

ويذكر أن المعز كان مغرمًا بالتجوم والنظر فيما يقتضيه الطالع، فنظر فى مولده وطالعه فحكم له بقطع فيه، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه، فأشار عليه أن يعمل سرداباً تحت الأرض ويتوارى فيه إلى حين جواز الوقت فعمل على ذلك، وأحضر قواده وكتابه وجعل نزار ابنه ولّى عهده من بعده، ولقبه العزيز بالله واستخلفه، ثم نزل إلى سرداب اتخذّه وأقام فيه سنة، وكان المغاربة إذا رأوا غماماً سائراً ترجل الفارس منهم إلى الأرض وأومأ بالسلاسل يشير إلى المعز فيه، ثم خرج المعز بعد ذلك وجلس للناس فدخلوا عليه على طبقاتهم ودعوا له^(٧١).

١٥- القول بغيبة الإمام:

فى شهر شعبان سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م أتجب الإمام الحسن الصكرى، الإمام الحادى عشر عند الشيعة، ولداً أسماه محمداً، فلما توفى الحسن سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، كان ابنه فى الخامسة من عمره، فأصبح محمد الإمام الثانى عشر عند طائفة الإسماعيلية الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية الإثنا عشرية، ويقال إن محمداً دخل سرداباً فى مدينة سامراء وأمه تنظر إليه، ولكنه لم يعد، ولم يبق له أشياء على أثر من ذلك الحين، ومن هنا تنسب للإمام الثانى عشر غيبتان: الغيبة الصغرى، وتبدأ بموت الحسن الصكرى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، والغيبة الكبرى، وتبدأ من اختفاء ابنه محمد سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م حتى الآن، ولا يزال أنصاره ينتظرونه إلى اليوم، ولهذا يعتقد الإمامية الاثنا عشرية: أن محمداً الإمام الثانى عشر سيظهر ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ومن ثم سعى الإمام المنتظر، وصاحب الزمان، والقائم بالأمر، والحجة^(٧٢).

١٦- اختيار بلاد ملانمة للدعوة وبعيدة عن سلطة العباسيين:

اختار دعاة الدولة الفاطمية بلاد ملانمة تماماً لدعوتهم وبعيدة عن سلطة بنى العباس مثل: المغرب ومصر واليمن، كان المهدي فطناً ذكياً موهوباً، كما كان سياسياً قديراً؛ أدرك بثاقب فكرة أن بلاد اليمن بعيدة عن قلب العالم الإسلامى فمن الصعب أن تصلح مركز لنشر الدعوة فى جميع البلاد، فاختار المغرب وهو البلد الذى نشأت فيه الدولة، وكان ملانمة تماماً لدعوتهم لبعده

أولاً عن مقر الخلافة في العراق وأهله من البربر كانوا يكونون حقناً كبيراً على بني العباس لظلمهم لهم ووعورة تضاريسه في قيام دولة شيعية مثل دولة الأدراسة وضعف سلطة الخلافة العباسية عليهم، وإنسلاخ بلاد الأندلس عن سلطاتهم أيضاً^(٧٢)، وكان اختيار بلاد المغرب دون غيرها من الأطراف الإسلامية لتشهد بداية الدولة الفاطمية مقصوداً وذلك لإسكانية التوجه منها لمصر بسهولة، فكانت إفريقية مدخلاً لمصر، كما كانت خراسان مدخلاً للعراق^(٧٣).

أما مصر فكانت صالحة تماماً للدعوة الفاطمية لثرائها وهدوء الأمر فيها، واستتاب الأمن بها^(٧٤)، هذا بجانب قربها من الأماكن المقدسة التي يهدف الفاطميون إلى فرض سيطرتهم عليها، وكانت مصر ولا تزال - بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي في قلب العالم الإسلامي، وثرواتها - أكثر البلاد صلاحية للدعوة ومركزاً للدولة الفاطمية نفسها، هذا فضلاً عن أن مصر أقرب إلى المشرق الذي دأب المعز وأتباعه على إخضاعه، وخاصة أنها قريبة من الشام والعراق، ومما قاله المعز لمشايخه حينما رحل جوهر إلى مصر: "والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، لتدخلن مصر بالأردية من غير حرب، ولتزلزلن في خراب ابن طولون (يعني مدينة القطائع) وتبنى مدينة تقهر الدنيا"^(٧٥).

وهناك دليل مادي يوضح نية المعز للانتقال إلى الشرق، وإلى مصر بوجه خاص، قبل فتحها بوقت طويل، فقد وصل إلينا ثلاثة دنانير فاطمية تحمل مكان الضرب مصر، مؤرخة في السنوات ٣٣٤هـ/٩٤٥م، ٣٤١هـ/٩٥٢م، ٣٥٣هـ/٩٦٤م. ضربت قبل دخول الفاطميين مصر وتأسيس القاهرة، بغرض ترويجها بواسطة الدعاة على الأفراد الذين يتوسمون فيهم الاستجابة للدعوة، بالإضافة إلى طرز عمل باسم المعز عمل بمصر سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م^(٧٦).

١٢- بث الدعاة وسط الجند:

يذكر أبو المحاسن أن أمور الديار المصرية قد اضطربت، في أواخر عصر الإخشيديين، بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب، وقد استمال هؤلاء الدعاة نفراً من القواد ووجهه الرعية أنفذ إليهم المعز بنوداً ففرقوها على من استجاب لهم، وأمروهم أن ينشروها إذا ما قاريت عساكره مصر^(٧٧).

ولجأ الفاطميون إلى أسلوب بث دعائهم وسط الجند المسلمين المرسلين لاحتلال مصر، أعوام ٣٠١/٣٠٢/٣٠٣/٣٠٧/٣٠٩/٣٢٢هـ، وقد صادفت الدعوة الفاطمية نجاحاً عظيماً بين الجنود الذين لم يكن أغلبهم على المذهب العلوي الشيعي، لدرجة أن جموعاً كبيرة اعتنقت المذهب الشيعي قبل دخول الفاطميين مصر^(٧٨).

١٨- أسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام السنيين:

لم يقتصر الفاطميون في سبيل نشر دعوتهم على الدعاة فقط، بل كان لخلفائهم أيضاً نصيب وافر في تشجيع هذه الدعوة، فقد أثر عن بعضهم أنهم كانوا يرسلون كتباً يكتبونها بأيديهم ويرسلونها بتوقيعاتهم، فقد كتب الخليفة القائم الفاطمي، ٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٥م، قبل دخولهم مصر كتاباً خاصاً بعث به مع رسول من قبله إلى محمد بن طغج الإخشيدى حاكم مصر رغبة منه في أن تفعل سياسة اللين والمسامحة ما لم تفعله سياسة العداء والحرب، تلك السياسة

التي أخفق فيها غيره، وعن نص الكتاب (انظر ملحق رقم ١) :، ويحث مثلها إلى كافر الإخشيدى وغيره من حكام مصر^(٨٠) ولكنها لم تجد معهم تفهماً.

١٩- إعداد الجيوش:

لكل دعوة جيوشها المعدة لمساندتها عسكرياً، وهذا ما فعله الخلفاء الفاطميون، فقد أعد المعز لدين الله الفاطمي جيوشه لغزو مصر، والقضاء على سلطات العباسيين فيها وفي الشام، لمد نفوذهم إلى بلاد الحجاز إن لم يكن إلى أبعد منها، وقد أعد هذا الجيش بعناية فائقة من ناحية العدد والعتاد، وكذلك من الناحية النفسية، عن طريق الدعاية السياسية المنظمة التي مهد بها الفاطميون لفتح مصر، وتذكر المصادر: أن جوهر حمل معه أكثر من ألف ومائتي صندوق مليئة بالأموال غير الذهب الذي جمعه الفاطميون طوال فترة إقامتهم بإفريقية تحسباً لهذا اليوم، وحمله جوهر على ظهور الجمال على هيئة أرحية الطواحين^(٨١)، وبلغت النفقة على هذا الجيش ما يقرب من ٢٤ مليون دينار. ويذكر المقرئ عن جيش الفاطميين بأنه مثل: "جمع عرفات كثرة وعدة"^(٨٢) وقد تحقق هدفه بدخول قائده جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م^(٨٣).

٢٠- الادعاء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لتنفيذ المصريين من ظلم العباسيين وعبث ولائهم:

كانت رسل الفاطميين التي ترسل في صور تجار وجواسيس وعلماء، تدعى أن جيوشهم ما جاءت إلا لإنقاذ المصريين من ظلم العباسيين، وعبث الحكام والولاة من الترك والإخشيديين وبيعدون عنهم خطر القرامطة والبيزنطيين^(٨٤) <http://Archivebeta.Sa>
٢١ - بناء الحواضر والعواصم واتخاذ أسمائها نسبة إليهم:

بنى الفاطميون عواصم اتخذت أسماءهم في المغرب هي: المهديّة نسبة إلى أبي عبيد الله المهدي، التي بنيت سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م^(٨٥) حيث أورد التجاني عن المهديّة قوله: "وكان ابتداء بنائه لها لخمس خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة... وكان أول ما ابنتى منها سورها الغربى الذى فيه أبوابها ... وأمر بعمل باب الحديد للمدينة ... وابنتى دار الصناعة ... وأنزل المهديّ جنده وخاصته فيها"^(٨٦)، كما أنشأ المهدي مدينة زويلة، حيث يذكر ذلك التجاني بقوله: "وابنتى لعامة الناس المدينة الأخرى المسماة بزويلة ... فكانت كالرياض لمدينة المهديّة"^(٨٧)، والمنصورية نسبة إلى الخليفة المنصور أبو طاهر إسماعيل (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)^(٨٨)، وقيل إن أصل اسمها مدينة صيرة، حيث يذكر البكرى ذلك بقوله: "ومدينة صيرة متصلة بالقيروان، بناها إسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة واستوطنها وسماها المنصورية ..."^(٨٩) ثم بنى جوهر القاهرة لتصبح عاصمة جديدة ينتقل إليها سيده المعز لدين الله، وقيل إن اسمها شق على طلوع كوكب رصده أحد الحكماء الشيعة الذين كانوا بديار مصر، وهو كوكب يقال له القاهر، فسموها القاهرة تيمناً أنها سوف تقهر أعداءها، ونحن لا نستبعد ذلك لأن المعز كان مغرباً بالنجوم وعلموها، وقيل إنها سميت بالقاهرة لأنها تقهر من شذ عنها وحاول الخروج على أميرها^(٩٠).

٢٢- إنشاء دور العلم لتعليم وتعميم المذهب الشيعي:

كانت سياسة الفاطميين الدينية تقوم على نشر عقائد الإسماعيلية، مما ساعد على قيام مجالس لدراسة المذهب الشيعي في مصر، ولا سيما في عهد الخلفاء أمثال: العزيز بالله ووزيريه اليهودي يعقوب بن كلس، حيث رتب يعقوب، سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، في داره المجالس للعلماء والشعراء والفقهاء وأجرى لجميعهم الأرزاق، وكان يقرأ على الناس كتاب مختصر الفقه المعروف بالرسالة الوزيرية، وهي كتاب ألفه في فقه الإسماعيلية يتضمن ما سمعه من المعز وابنه العزيز^(١١)، وبنوا الجامع الأزهر وعقدت به حلقات الدرس، ولم تقتصر حلقات الدرس الشيعي على القاهرة وحدها، وإنما امتدت إلى بقية المدن المصرية، فأقيمت فيها في نهاية العصر الفاطمي، حلقات للدرس لنشر المذهب الشيعي بين أهلها^(١٢)، وأنشأ الحاكم بأمر الله، سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م دار الحكمة بالقاهرة، وأطلق عليها هذه التسمية نظرا للدعوة الشيعية، لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة^(١٣)، وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء وغيرهم^(١٤)، وأغلقها بدر الجمالي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م^(١٥).

٢٣- إنشاء المساجد والأضرحة والمشاهد الشيعية:

ومن المساجد الشيعية التي أقامها الفاطميون جامع المهديّة، حيث ذكره البكري عند حديثه عن المهديّة بقوله: «والجامع سبع بلاطات متّقة البناء حسنة»^(١٦)، وأنشأ الخليفة الفاطمي أبو القاسم بن عبيد الله مسجداً في أجدابية، وأورد ذلك البكري عند ذكر مدينة أجدابية بقوله: «وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله» وله مجموعة من مئة بدعة العمل^(١٧)، وأيضاً جامع طرابلس الذي بناه بنو عبيد في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م على يد خليل بن إسحق^(١٨).

لما أتم جوهر الصقلي فتح مصر وأسس القاهرة: ثم يرى أن يفاجئ السنين في مساجدهم بإقامة شعائر المذهب الشيعي حتى لا يثير كراهية المص: يدم، لذلك وضع أساس الجامع الأزهر في يوم السبت ١٤ رمضان سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وتم بناؤه في مدينة أجدابية، وأقيمت الصلاة لأول مرة في ٧ رمضان ٣٦١هـ/٩٧١م^(١٩)، ثم بنت تغريد، زوجة المعز لدين الله، مسجدها بالقرافة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، جامع الحاكم الذي بدأ العزيز بناؤه خارج باب الفتوح سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م وسماه جامع الخطية، وأكمل بناءه ولده الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٣م وتم يفتح رسمياً للصلاة إلا سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م^(٢٠)، ثم بنى الخليفة الحاكم بأمر الله مسجد المقس وراشده، وجامعه الذي ما زال يحمل اسمه لأن، لنشر المذهب الشيعي^(٢١)، ثم بنى الخليفة الأمر بأحكام الله أمام قصره سنة ٥١٩هـ، الجامع الأقصر^(٢٢)، ثم بنى الصالح طلائع بن رزيق مسجده خارج باب زويلة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، الذي عرف باسمه لأن (جامع الصالح)^(٢٣)، والجامع الظافري الذي بناه الخليفة الفاطمي الظافر، سنة ٥٤٤هـ -)، وكان يقال له الجامع الأفخر، وسمى بجامع الفكاهنيين، وقد بنى الظافر هذا المسجد سنة ٥٤٨هـ، وعرف بجامع الفكاهنيين لأن سوق الفاكهة كان بالقرب من بابه^(٢٤).

أما المشاهد الشيعية فمنها: مشهد السيدة رقية، والمشهد مؤرخ سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م^(١٠٧)، ومشهد الجعفرى^(١٠٨)، ومشهد السيدة عاتكة يذكر أن بناه كان سنة ٥١٥هـ^(١٠٩)، ومشهد السيدة كلثوم^(١١٠)، ومشهد السيدة نفيسة^(١١١)، ومشهد يحيى الشبيه أنشئ سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م^(١١٢).

٢٤- الاحتفال بالأعياد وإيجاد أعياد جديدة لم تكن في الإسلام:

تقريباً من المصريين شاركهم الفواطميون أعيادهم كعيد الفطر والأضحى ورأس السنة الهجرية، وغرة المحرم، وليلة الرؤية، وليلة القدر، إلا أنهم أوجدوا أعياداً جديدة لإحياء مذهبهم بالدعاية لهم، ومنها:

عيد غدير خم^(١١٣): كان رسول الله (ﷺ) عند عودته من مكة بعد حجة الوداع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٠هـ/ ٦٣١م نزل به وأخى بينه وبين علي بن أبي طالب (ع)^(١١٤)، وأول ما احتفل الشيعة بعيد الغدير في العراق سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م، في أيام معز الدولة بن بويه^(١١٥)، وأول ما عمل في مصر سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م، بعد وصول المعز إليها^(١١٦)، وهو عيد احتفل به المعز ولا يزال الشيعة يحتفلون به حتى اليوم، ويقول أصحابه إن علي ابن أبي طالب، كرم الله وجهه ولي الرسول (ﷺ) وخليفته، لأن الرسول عندما عاد من حجة الوداع وقرب المدينة نزل بغدير خم وهو مكان يقع بين مكة والمدينة، وأمسك بيد علي وقال علي مني وأنا من علي من أذى علي فقد أذاني ومن ولي علياً فقد ولاني وفي رواية أخرى من كنت مولاه فعلي مولاه^(١١٧) ومن يومها اعتقد الشيعة أن علي (ع)^(١١٨) خليفة الرسول (ﷺ) وأن أبا بكر وعمر وعثمان وبنو أمية وبنو العباس اغتصبوا حق الخلافة من علي وأبنائه^(١١٩)، وقد ورد خبر غدير خم في زيادات عبد الله على مسند الإمام أحمد عن علي بن الأرقم قال: نزلنا مع رسول الله (ﷺ) بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها جهراً، قال فخطبنا وظلل لرسول الله (ﷺ) بثوب على شجرة من الشمس فقال: ألسنتم تعلمون، ألسنتم تشهدون أنني أولى بكل مسلم من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عادي من عاداه ووالي من والاه^(١٢٠).

ونلاحظ أن خبر غدير خم قد نقله عدد من الرواة الشيعة وغير الشيعة، وأما ما يستدل به الشيعة بهذه الواقعة على إثبات خلافة علي، فقد أجاب عنه الإمام ابن تيمية في منهاج السنة فقال: نيس في هذا الحديث حديث غدير خم ما يدل على أنه نص على خلافة علي إذ لم يرد به الخلافة أصلاً وليس في اللفظ ما يدل عليه ولو كان المراد به الخلافة لوجب أن يبلغ مثل هذا الأمر العظيم بلاغاً بيناً^(١٢١). وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني: هذه فضيلة بينة لعلي بن أبي طالب (ع) ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) والوالى والموالى في كلام العرب واحد^(١٢٢).

وقد عني المعز بالاحتفال بعيد الغدير عناية فائقة، وحذى حذوه الخلفاء من بعده، فأصبح الاحتفال بيوم ١٨ ذي الحجة من كل سنة من أهم الاحتفالات الدينية خلال العصر الفاطمي، التي كانت تهتر لها جوانب القاهرة فرحاً وسروراً، ويقف منها السنيون موقف المتفرجين المعجبين،

لأنها كانت من عوامل تسليتهم، ويهتئ الشيعة بعضهم بعضاً، ومنهم من ينحرون كما ينحرون في الأضاحي، لأنهم يفضلون عيد الغدير على عيد الأضحية^(١٢٠)، وكان الخليفة يتوجه بنفسه، في الصباح الباكر من هذا اليوم، إلى النحر يذبح بنفسه الأضاحي الكثيرة التي تفوق ما يذبح في عيد الأضحية، وهذا العيد عندهم أعظم من عيد الأضحية، كما يذبح الجزارون أعداداً كبيرة من الأضاحي من الكباش وغيرها توزع لحومها على الخاصة والمتشيعين وأنصار المذهب الفاطمي^(١٢١).

يوم عاشوراء: يوم العاشر من المحرم وهو شهر مبارك يجله العرب قبل الإسلام ويعدّه، فقد روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: "أيها الناس سارعوا إلى الخيرات في هذا اليوم، فإنه يوم عظيم مبارك، قد بارك الله فيه على آدم^(١٢٢)". ومن مظاهر احترام المسلمين لهذا اليوم أنهم يصومونه، وقد روى عن الرسول (ﷺ) أنه لما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون هذا اليوم، فسألهم عنه، فأخبروه أنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون ونجا فيه موسى ومن معه، فقال (ﷺ) نحن أحق بموسى منكم^(١٢٣) فصام وأمر الصحابة بصومه، وصار الخلفاء الراشدون على سنته فكانوا يصومونه، وظل الأمر على ذلك حتى كان استشهاده الحسين في كربلاء، في يوم عاشوراء سنة ٦٢هـ/٧٨١م، فتكرمت هذه المناسبة في نفوس المسلمين أثراً مختلفاً، واتخذته الشيعة مأمناً إلى اليوم، يكون فيه الحسين ويظهرون أشد مظاهر الحزن لقتله^(١٢٤).

وظل الشيعة يحتفلون بهذا اليوم في العشرين الأموي والعباسي، ولا يزال الشيعة في البلاد الإسلامية: كإيران والمعودية وبعض دول الخليج والعراق، إلى اليوم، يحتفلون بهذه الذكرى فيبيكون الحسين، وينبسون السواد، وتتعلل الأعمال تماماً حداداً عليه، وقد جعل الفاطميون عيد عاشوراء عيداً رسمياً من أعياد الدولة تحتفل به الحكومة والشعب احتفالاً يليق وما له من مكانة سامية في نفوس المسلمين، فتتعلل الأسواق، ويخرج المنشدون ويسيرون إلى الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) ويخرجون يبيكون ويشقون جيوبهم وينظمون خدودهم؛ حزناً على الحسين وآل البيت الكرام^(١٢٥) ويحتجب الخليفة عن الناس في هذا اليوم، وكان من عاداتهم إقامة سماء كبير (موالد للطعام) فيها خبز الشعير والعدس والمملحات والمخللات والأجبان وعسل النحل، ويجلس الخليفة على كرسي بغير مخدة مثلثاً وحوله حاشيته^(١٢٦)، وإذا ما انتهى السماء طاف النواح بالقاهرة وأغلق الباعة حوانيتهم إلى ما بعد صلاة العصر، وكاتوا ينحرون يوم عاشوراء الإبل والبقر والغنم عند مشهد الإمام الحسين^(١٢٧)، الذي يجله المسلمون عامة والشيعة خاصة إلى اليوم، ويوزعون لحومها على الفقراء والمساكين^(١٢٨)، وما زال لأن يحتفل المصريون بهذا العيد ولكن ليس بطريقة الفاطميين.

ولما رأى السنة ما فعله الشيعة في أعيادهم، جعلوا لأنفسهم عيدين لمناسبتهم، فجعلوا يوم ١٨ محرم وهو يوافق مقتل مصعب بن الزبير يوم حزن يزورون فيه قبره ويبيكون عليه^(١٢٩)، وأقاموا عيداً آخر عرف بيوم الغار، ويوافق السادس والعشرين من ذي الحجة، وهو يوم دخول النبي (ﷺ) وأبى بكر (رضي الله عنه) غار ثور أثناء الهجرة إلى المدينة، وجعلوا هذا اليوم سراً لهم^(١٣٠). **ليالي الوفاة:** وهي أربع ليال مباركة مشهورة وهي أول رجب ونصفه، وأول شعبان ونصفه^(١٣١)، و يرجع الاحتفال بها إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي كان يطلب إلى أهل مكة أن

يوقدوا النار ليلة غرة المحرم ليهتدى الحجاج^(١٢٢)، أما ليالى الوقود الأربع في العصر الفاطمي فاختلفت، فهي الليالى التى تسبق أول ومنصف شهرى رجب وشعبان، ولذلك كان الناس تبعاً لتعاليم الشيعة يصومون بعض هذين الشهرين كصومهم رمضان وكانوا يحتفلون بهذه الأيام الأربعة كما يحتفلون بـرمضان، وكان خطباء مساجد الأزهر والحاكم والأقمر يخطبون بين يدي الخليفة كما يخطبون على منابر مساجدهم^(١٢٣).

ومن أهم مظاهر الاحتفال بهذا العيد: إضاءة المساجد والجوامع من الداخل والخارج كما تضاء المآذن والأسطح فتتلألأ بالأضواء الساطعة، ويحتشد الناس على مختلف طبقاتهم للتبديد ومشاهدة الزينات والاستمتاع بما يوزع عليهم من أصناف الطعام والحلوى، وما يطفأ عليهم من مجامر البخور المعطرة المصنوعة من الذهب والفضة^(١٢٤)، وكانت الموالد تمتد في ليالى الوقود في أروقة الجوامع والمساجد، وتحوى أصنافاً مختلفة من الطعام والحلوى، وتعم الصدقات على الفقراء والمتعبدين^(١٢٥).

والمناسبات الشيعية كانت كثيرة على رأسها يوم عاشوراء في ١٠ محرم، ومولد الحسين ٥ ربيع الأول، ومولد السيدة فاطمة ٢٠ جمادى الآخر، ومولد الإمام على ١٣ رجب، مولد الحسن ١٥ رمضان، مولد الإمام الحاضر، هذه الموالد الخمسة - بالإضافة إلى المولد النبوى - أطلق عليها الشيعة الموالد الستة^(١٢٦).

٢٥- أسلوب إيجاد اللغات غير العربية:

من أقوى أساليب الدعوة الفاطمية نشر الدعاة وتثقيفهم، فقد كان أغلب دعاة الفاطميين من عليّة المتقنين، والعالمين بلغات من يدعون، سواء أكانوا من البربر أو الروم أو الفرس، وحتى لهجات القبائل، فعلى سبيل المثال: كان المعز لدين الله الفاطمي مثقفاً يجيد عدة لغات؛ منها اللغة الطليانية التى تعلمها فى صباة بجزيرة صقلية واللغة الصقلية التى كانت منتشرة فى هذه الجزيرة، كما عرف اللغة السودانية، واللغة الرومية والبربرية^(١٢٧)، وأحكم دراستها وحققها قراءة وكتابة، فكان يخاطب بها رسل الملوك من الروم والإيطاليين ويطلع بنفسه رسائلهم^(١٢٨)، وكان ذا ولع بالعلوم ودراية بالأدب، فضلاً عما عرف به من حسن التدبير وإحكام الأمور^(١٢٩)، ولم يكن اهتمام المعز والحاكم والظاهر والمستنصر، وغيرهم، بأقل من اهتمام المعز لدين الله بالعلم والتعليم فقد نبذوا فى مختلف العلوم وخاصة علم النجوم^(١٣٠).

٢٦- أسلوب النقية:

وهو أخطر أساليب الدعوة الإسماعيلية خاصة والشيعة عامة، ومعنى النقية إخفاء الشئ والتظاهر أمام الناس بأمر غيره، بقولهم إن الدين لمكتوم، ومازال هذا الأسلوب وهذا المبدأ معصول به إلى الآن فى كل فرق الشيعة. وتبعاً لمبدأ النقية، فى كتم أسماء الأئمة، روى عن جعفر الصادق قوله: "النقية دينى ودين أبائى ومن لا نقية له فلا دين له"^(١٣١). واتخذوا أسماء مثل: مبارك وميمون وسعيد، للفال الحسن فيها تبعاً لمبدأ النقية، واستتر الأئمة وكنى الدعاة عن أسمائهم نقية عليهم بما هو لهم وينبى بهم، وكان الدعاة وقت النقية يخفون اسم الإمام وربما تسمى أحد من الدعاة بأسمائهم نقية عليهم وسراً^(١٣٢).

٢٧- توجيه داعياً احتياطياً:

ومن أساليب الدعوة الإسماعيلية: توجيه داع احتياطي أو بديل مع الداعي الأصلي، لنلا حدث به مكروه فيكون معه من يخلفه، إلى أن يأتي أمر الإمام^(١٤٣)، وهذا ما حدث حين أرسل الإسماعيلية الداعيين أبا سفيان والحلواني إلى المغرب، وحينما أرسلوا أبا القاسم بن حوشب إلى اليمن ومعه علي بن الفضل، أما أبو عبد الله الشيعي فقد أرسل معه إلى المغرب عبد الله بن أبي ملاحف^(١٤٤)، وقد وصل ابن أبي ملاحف إلى بلاد كتامة، لكنه ما لبث أن أعيد إلى اليمن واستبدل بإبراهيم بن إسحاق الزبيرى^(١٤٥).

٢٨- أسلوب التشكيك في عقيدة المدعو:

أخفى الفاطميون ما يريدون أن يحملوا الناس على اتباعه، وتظاهروا أمامهم بأمور أخرى عبر تسع درجات نظموها كما يريدون: ففي الدرجة الأولى يجذبون الناس بالوعود الكاذبة عن طريق تفسير رموز الدين بقولهم: يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأكثر له لمنكرون وبه جاهرون ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأنمة من العلم لم تختلف، فالإمام سر الله المكتوم بأمره المستور الذي لا يطبق حملة ولا ينهض بأعباله إلا هو. ومن الأسئلة التي يسألها الداعي إلى المدعو في هذه الدرجة: ما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟، وما معنى الصراط المذكور في القرآن؟^(١٤٦)، وما إيليس وما الشيطان وما وصفه؟ وأين مستقره؟ وما ياجوج وماجوج؟، وهاروت وهاروت^(١٤٧)، ولم جعلت السموات سبعاً والأرض سبعاً ولما جعلت الشهور اثنا عشر شهراً، ثم يقول الداعي لمن حوله: فكروا أولاً في أنفسكم؟ أين أرواحكم، وكيف صورها؟ وأين مستقرها؟ وما أول أمرها؟ وما معنى قول الرسول (ﷺ) خلقت حواء من ضلع آدم؟ ولم كانت قامة الإنسان منتصبة دون غيره من سائر المخلوقات؟^(١٤٨)، وهكذا يشكك الداعي المدعو في أمر العقيدة، ثم يدخل في الدرجة الثانية وهي: إن فرائض الإسلام لا تؤدي إلى مرضاة الله إلا إذا كانت عن طريق الأنمة السبعة، ثم يكشف المدعو بقوله إن الناس قد خذلوا لأنهم لم يأخذوا عن أئمة نصيهم الله له. وبذلك يضعون أساس مبدأ الإمامة في نفس المدعو، فيتحول عن دينه أو مذهبه القديم^(١٤٩).

ثم يدخل في الدرجة الثالثة: وفيها يكشف الداعي للمدعو عن العقيدة بأن الأنمة سبعة، وأن الإمام الحقيقي هو السابع الذي يعلم كل رموز الدين وسرانه، ويستدل على ذلك بأن الله تعالى جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعة، وجعل الأرضين سبعة، والائمة سبعة، أولهم علي ثم الحسن فالحسين ثم علي زين العابدين بن محمد الباقر فجعفر الصادق فإسماعيل بن جعفر^(١٥٠).

ثم يدخل في الدرجة الرابعة باعتقاده أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، والعايز بالله لأنه ناطق، ثم يدخله في الدرجة الخامسة وهي: أن لكل إمام قائم حججاً متفرقين في الأرض عددهم اثنا عشر رجلاً، ويستدل على ذلك بأن البروج اثنا عشر، وأن نقباء بني إسرائيل اثنا عشر ونقباء النبي اثنا عشر، ثم يقول للمدعو إن شريعة محمد (ﷺ) تستنسخ، وإن كان فارسياً ذكره

بإذلال العرب لهم، ثم يدخله في الدرجة السادسة وفيها يفسر له شرائع الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصوم بقوله أن هذه الفرائض وضعت لشغل العامة عن خلافاتهم وتبعدهم عن الفساد، ثم يدعو إلى طور الفلسفة، ثم يدخل في الدرجة السابعة، وفيها يعلم المدعو أن الناصب للشرعية هو النبي لا يستغنى بنفسه ولابد له من أصحاب يكون أحدهم الأصل والآخر معاوناً له، ثم الدرجة الثامنة وفيها يدعى أن معجزة النبي الصادق الناطق وهو: محمد ابن إسماعيل ثم التاسعة أصبح المدعو جديراً بالتعمق في أصول المذهب الإسماعيلي^(١٠١).

٢٩- أسلوب تأليب الناس بعضهم على بعض :

اتبع دعاة المذهب الفاطمي أسلوباً خاصاً في دعوتهم وهو: تأليب الناس والشعوب ضد بعضها، فإذا كان المدعو فارسياً ذكره الداعي بإذلال العرب للفرس، وأنهم هم الذين دمروا ملك فارس، وهدموا إيوان كسرى وأسقطوا الدولة الساسانية العظمى وهدموا بيوت نيراتهم، وإن كان عربياً أقاموا حقيقتهم ضد الفرس، وأنهم هم الذين سلبوا العرب ملكهم وتربعوا على عرش الدولة، وإن كان يهودياً أو نصرانياً حدثوه بما يوافق عقيدته وميوله^(١٠٢).

٣٠- تقسيم الدعوة :

أسند الفاطميون رئاسة الدعوة الإسماعلية إلى موظف كبير أطلق عليه (داعي الدعوة)، وكان يلي قاضي القضاة في الرتبة، ويتزى برزيه في اللباس وغيره، ويساعد داعي الدعوة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيباً، وله ثواب بتقويون عنه في البلاد، وبذلك يعتبر الصلة بين الخليفة وبين أتباعه من الإسماعلية. ومن أهم أعمال داعي الدعوة رئاسة الدعوة الإسماعلية، وأخذ العهد على المريدين؛ إما مباشرة أو بواسطة نوابه في مصر وغيرها، وتدوين من يدفع من المال أكثر، ومن أشهر من تقلدوا وظيفة داعي الدعوة: أسرة أبي حنيفة النعمان المغربي، والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي أشهر دعاة الفاطميين^(١٠٣).

٣١- تأليه الحاكم والامام :

ادعى الخلفاء الفاطميون بأن لهم قوة إلهية، فقد اعتبروا عبد الله المهدي الخالق الرازي (والعياذ بالله) كما اعتقدوا في نبوته أيضاً، وهناك طائفة ثالثة تدعى أنه النبي حقاً^(١٠٤) بل نادوا بلعن الأنبياء، ولعن الفار ومن لاذ به، وأمروا بحرق الكعبة والمصاحف^(١٠٥).

عمل الشيعة على نشر الآراء الإسماعلية المتطرفة في كثير من النواحي وتجراً بعض غلاة التشيع في تحليل المحرمات، والإشارة إلى عبيد الله المهدي بالالوهية، ولما استقر المهدي بالمهدية؛ وكان أحد غلاة الشيعة وهو أحمد البلوي النخاس يقول له: أرق إلى السماء، كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق، وكان يقول لأهل القيروان عن عبيد الله المهدي: إنه يعلم سرهم ونجواهم^(١٠٦).

وفي عهد المعز لدين الله وجه لأنمة المساجد والمؤننين، مشدداً عليهم، بالآ يؤننون إلا بحى على خير العمل، وقراءة البسملة في أول السورة، والتسليم تسليمتين، وما إلى ذلك مما يأخذ به الإسماعلية، بل قيل إنه ادعى النبوة، ودس من نادى فوق صومعة جامع القيروان بقول أشهدوا أن معداً رسول الله، فارتج البلد لذلك فأرسل المعز من سكن الناس^(١٠٧).

وقد ظل المعز محتجباً عن الناس، ومتخفياً عن الناس سنة كاملة، فاعتقد الناس أنه صعد إلى السماء، وبلغ من هذا الاعتقاد أن الجندي الفاطمي كان إذا رأى سحابة في السماء، ترجل وقال (السلام عليك يا أمير المؤمنين^(١٥٨)).

وقد مدح ابن هاتى الأندلسي مولاه المعز بأبيات فيها صفات الألوهية والنبوة وبهذا مهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء، ومن قوله :

هو علة الدنيا ومن حقت له ولعة ما كانت الأثنياء.
ولك الجوارى المنشآت مواخراً تجرى بأمرك والرياح رخاء.
فغنت لك الأبصار وانقادت لك الأقدار واستحييت لك الأنواء.
لاتسائلن عن الزمان فإنه في راحتك يدور حيث تشاء^(١٥٩).

وقوله أيضاً:

تدعوه منتقماً عزيزاً قادراً غفار مويقة الذنوب صفوحاً
أقسمت لولا أن دعيت خليفة لدعيت من بعد المسيح مسيحاً
شهدت بمفكرك السموات العلى وتناول القرآن فيك مسيحاً^(١٦٠).

وقد بلغ تمجيد ابن هاتى الأندلسي، للخليفة الفاطمي المعز، أقصى حد يمكن أن نتصوره، حيث ينسب إليه الشاعر القدرة على إثبات المعجزات، فيقول :

فقد شهدت له بالمعجزات كما شهدت لله بالتوحيد والأزل^(١٦١).

ولكن خلفاء الفاطميين الأول لم يفلحوا في استمالة جميع المصريين لهذه الاعتقادات وامثالها، ولذلك نرى أن عقيدة تأليه الحاكم بالله قد أثارت عليه سخط الأهلين^(١٦٢)، وقد نسب الحاكم إلى نفسه الكثير من المعجزات، فقد نادى الخطباء في المساجد ويحضره قاضي القضاة (باسم الحاكم الرحمن الرحيم) والعاذ بالله، ويذكر نسب إليه الصفات التي هي من صفات الله سبحانه وتعالى، كما رجع له الناس في كل ولايات الدولة الفاطمية^(١٦٣) قائلين (أنت الواحد الأحد، والمحى المميت^(١٦٤)).

٣٢- نظرية التناسخ :

ادعى الفاطميون وأمنوا إيماناً قوياً بنظرية تناسخ الأرواح، وأن روح الله تعالى حلت في آدم، وتدرجت حتى وصلت إلى محمد (ﷺ) ثم انتقلت إلى علي وأولاده، ثم وصلت إلى الحسن بن إسماعيل، وأخيراً استقرت في جسد الحاكم الذي ادعى تجسم الإله في شخصه، ولهذا كان (إذا بدا للناس في الطرقات، خروا له سجداً وقبلوا الأرض، ومن أبى كان نصيبه الموت^(١٦٥)).

٢٢- أسلوب قتل الغيلة (الاعتقالات)

شكل الفاطميون فرقة خاصة عرفت باسم الفداوية الذين يضحون بأنفسهم فداءاً لربهم، ويشترط فيهم التفاني في خدمة الرئيس والتضحية إلى أبعد الحدود، وأصبح هؤلاء آلات انتقام فتاة، وخلفوا عصرًا مليئًا بالخوف والفرح، وكانوا يستخدمون في قتل الأعداء (أعداء الدعوة) غداً وغيلة^(١٦٦)، وشهدت السنوات ٤٠٨ هـ/ ١٠١٧ م وحتى ٤١٠ هـ/ ١٠١٩ م، سلسلة من المصادمات والاعتقالات والقتل لمعارضى الدعوة الفاطمية^(١٦٧).

٢٣- أسلوب التأسيس والتدليس والتأسيس والخلع:

فالتأسيس وهو يعنى الأمن والطمأنينة في نفوس المدعوين واتباع ميولهم، وإعطائهم كل ما يميلون إليه، كل حسب نزواته.

أما التدليس: وهو أن يلجأ الداعى إلى التموه، ويدعى ادعاءات كاذبة في إغراء المرید وتشويقه وإلهاب رغبته في الدخول في الدعوة.

أما التأسيس: وهو تثبيت المعلومات والحقائق التى أدلى بها الداعى للمستجيب، حتى تستقر في ذهنه ويقبل عليها ويؤمن بها.

والخلع ويقصد به إقصاء المريدين عن المذاهب السنية، نهائياً، بإسقاط الفرائض الشرعية في الإسلام، وذلك بالاستعانة بالتأويل غير المشروع^(١٦٨).

٢٤- الادعاء بأن حقهم في الخلافة قد اغتصب منهم اغتصاباً:

على يد الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان، والخلفاء من بنى أمية وبنى العباس^(١٦٩)، والشيعية بصفة عامة يكفرون الصحابة جميعاً، لأنهم من وجهة نظرهم خذلوا علماً واختاروا غيره، وبعضهم يفضل على ﷺ على محمد (ﷺ)، وبعضهم يجعل عنياً ﷺ إلهاً، وهو الذى أرسل محمداً، وزاد بعضهم، وجعل الأئمة كلهم آلهة يظهر الله بصورتهم وينطق بلسانهم ويأخذ بأيديهم^(١٧٠).

٢٥- لعنهم أبى بكر وعمر وعثمان ﷺ على منابرهم:

نصب العبيديون، فى عهد الخليفة القائم بأمر الله حسيناً الأعشى السيابى فى الأسواق، بسب الصحابة بأسجاع لقها، ومن تكلم أو اعترض من أهل السنة امتحن ومثل به^(١٧١)، ولما قدم عبيد الله المهدي إلى أفرقيقة، وتولى مقاليد الأمور فيها، حدث تصعيد خطير فى الدعوة الإسماعيلية ويذكر ابن عذارى ذلك بقوله: "أظهر عبيد الله المهدي التشيع القبيح وسب أصحاب النبي ﷺ وأزواجه عدا على بن أبى طالب ﷺ، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي وأبى ذر الغفاري، وزعم أن أصحاب النبي ﷺ ارتدوا بعهده غير هؤلاء الذين سميانهم..."^(١٧٢)

كان لدخول البويهيين بغداد، سنة ٤٣٤ هـ/ ٩٤٥ م، أثره فى ازدياد نفوذ الشيعة فى دولة الخلافة العباسية السنية، ونتيجة لذلك تجرأ الشيعة سنة ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م، وقاموا بالكتابة على أبواب المساجد ببغداد لغة معاوية ولغة من غصب فاطمة حقها من فدك^(١٧٣) - ويقصدون أبى بكر ﷺ - (١٧٤)، ومن أخرج العباس من الشورى - ويقصدون عمر بن الخطاب ﷺ -، ولغة من نفى أبى ذر الغفاري^(١٧٥) - ويقصدون عثمان بن عفان ﷺ -، ومن منع الحسن أن يدفن مع جده

(١٧٦) - يقصدون مروان بن الحكم -، ولما ثار السنيون لذلك قاموا بإزالة هذه الكتابة فأشير على معز الدولة البويهى أن يكتب بدلاً منها "لعن الله الظالمين لآل رسول الله" ولا يصرح إلا بلعن معاوية فقط (١٧٧)، ولأن يلعن أبو بكر وعمر بالذات على منابر الشيعة.

٣٦- ضرب العملة والنسكة:

لما كان الفاطميون من الشيعة؛ فإن عملتهم كانت بالضرورة تحمل صفاتهم المذهبية الشيعية فيما عدا ما يشير من نصوصها إلى شهادة التوحيد أو إلى الرسول (ﷺ). وقد أقدم الداعى أبو عبد الله الشيعى بعد استيلائه على رقادة (١٧٨) على عدة إجراءات إدارية ومذهبية أرسى بها دعائم الدولة الشيعية الناشئة وكان منها تعيين أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودى، ناظراً للنسكة ونقش فيها: "الحمد لله رب العالمين" وسميت بالعملة السيدية (١٧٩)، واهتم الداعى الشيعى بإحلال العناصر الشيعية على العملة ونقش على وجهها: "بلغت حجة الله" وعلى الظهر تفرق أعداء الله (١٨٠)، وضرب الدينار باسم الخليفة الفاطمى دون الخليفة العباسى وهذا ما فعله جواهر الصقلى عند دخوله مصر مباشرة حينما أمر بقطع الخطبة للعباسيين على كافة منابر مصر، وأمر بضرب العملة باسم الخليفة الفاطمى، ف ضرب على أحد وجهيها (باسم مولاي المعز) وفى الوجه الآخر (المعز لدين الله أمير المؤمنين ومحمد رسول الله ﷺ) (١٨١)، وذكر المقرئى أنه ضرب على أحد وجهيها: دعى الإمام معد بتوحيد الإله الصمد وفى السطر الثانى (المعز لدين الله أمير المؤمنين) وفى السطر الثالث (باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)، وضرب على الوجه الآخر (لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين) (١٨٢). (انظر الشكل)

الوجه :

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين.

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

الظهر :

باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

دعى الإمام معد لتوحيد الإله الصمد.

أمير المؤمنين المعز لدين الله.

تشير الكتابات على الدينار إلى رسالة محمد وإلى تمجيد على "أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين" كما يظهر لقب المعز الإمام وأمير المؤمنين (١٨٣).

٣٧- لباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية:

أزال المعز السواد - شعار العباسيين - وألبس الخطباء في الجوامع الثياب البيض - شعار الفاطميين (١٨٤)، ونهى عن التكبير بعد صلاة الجمعة، وكان من العادات المألوفة عند أهل السنة (١٨٥).

٢٨- إقامة الخطبة:

من الإجراءات المذهبية التي اتخذها أبو عبد الله الشيعي، في بلاد المغرب، أنه عين خطباء الجوامع من الشيعة، وأمر في الخطبة بالصلاة على محمد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين على وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء، وأمر بالأذان بحى على خير العمل، وأسقط من أذان الفجر عبارة الصلاة خير من النوم، وأمر بإسقاط صلاة التراويح^(١٨٦).

أقام جوهر الصقلي الخطبة للمعز في الجامع الأزهر وغيره من مساجد مصر وكانت فكرته وخطبته ترمى إلى بث الدعوة الفاطمية باسم الفاطميين^(١٨٧)، وقد أدخل عبارات مثل: (اللهم صلى على عبدك ووليك، ثمرة النبوة، وسليل العترة الهادية المهدية، عبد الله الإمام معد أبى تميم المعز لدين الله، أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين، اللهم ارفع درجته، وأعلى كلمته، وأوضح حجته، واجمع الأمة على طاعته، والقلوب على موالاته وصحبته، واجعل الرشاد في موافقته، وورثته مشارق الأرض ومغاربها، فقد امتعض لدينك.... ودرس الجهاد في سبيلك، وانقطع عن الحج إلى بيتك وزيارة قبر رسولك، فأعد للجهاد عدته وأخذ لكل خطب أهبته فسير الجيوش لنصرتك، وأنفق عليها الأموال، ويذل المجهود في رضاك.... فاتصر الله جيوشه التي سيرها.... اللهم اجعل رايته عالية مشهورة، وعساكره غالبة منصوره، وأصلح به وعلى يديه، واجعل لنا منك وإقية عليه)، ثم زادوا في الأذان (بحى على خير العمل) ثم قرئت البسملة بصوت مرتفع^(١٨٨)، وأمر الفاطميون أن يقال في الخطبة: اللهم صلى على محمد النبي المصطفى وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم صلي على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله، الهادين المهديين^(١٨٩).

وأقام قرواش بن المقتد أمير بنى عقيل في الموصل الخطبة للخليفة الفاطمي في ربيع المحرم سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م^(١٩٠) (انظر الملحق رقم ٢)

٢٩- الاهتمام بال عمران الداخلي:

وخاصة أمور الزراعة والصناعة والتجارة، فنظمو الرى وأصلحوا الجسور، وقد عرفت مصر بثروتها الهائلة في عهدهم، وقامت فيها مصانع للنسيج وغيره^(١٩١)، كان العمران كثيراً ووسائله كثيرة والدور فخمة تصل إلى عشرة طبقات يسكنها الخلفاء، أما الشعب فإنه يمتلك داره وحواليته ومصانعه^(١٩٢).

وهكذا بلغت الدعوة الفاطمية إلى اتباعها بهذه الأساليب، ولكن الشيء العجيب أنه: لم يتشبع المصريون بالصورة والدرجة التي كان يتمناها الفاطميون، حتى عندما سقطت الخلافة الفاطمية في مصر، ٥٦٧هـ / ١١٧١م، لم يتناطح عليها عززان كما ذكر المؤرخون.

ملاحق البحث

ملحق رقم ١ :

نص خطاب الإمام المعز لدين الله الفاطمي إلى محمد بن طغج الإخشيدى:

قد خاطبتك أعزك الله في كتابي المشتمل على هذه الرقعة بما لم يجر لى في عقد الدين وما جرا به الرسم من سياسة أنصار يستجيبون وضمنت رفعتى مالم يطلع على أحد من كتابي ونوى المكاة عندي، وأرجو أن تردك صحة عزيزتك وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه، فقد شهد الله على ميلى إليك وإيثاري لك ورغبتي في مشاطرتك ما حوته يميني واحتوى عليه ملكي، وليس يتوجه لك العسر في التخلف عن إجابتي لأنك قد استغرقت مجهودك في مناصرة قوم لا يرون إحسانك ولا يشكرون إخلاصك يخلفون وعدك ويخفرون ذمتك لم يعتقد منهم أحد حسن المكافاة ولا جميل المجازاة، وليس ينبغي لك أن تعزل عن منهج من نصحك وإيثار من أترك إلى من يجهل موضعك ويضيع حسن سعيك، وإذا تكبرت هذا الأمر علمت أن الذي يحملني على التناطلي لك وقبول الميسور منك إنما هو الرغبة فيك، وأنت حقيق بحسن مجازاتي على ما بذلته والله يريك حسن الاختيار في جميع أمرك وهو حسبنا ونعم الوكيل. (١٩٣)

ARCHIVE

ملحق رقم ٢ :

نص خطبة الجمعة في الموصل للحاكم بأمر الله، في ربيع المحرم سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م (١٩٤) :

... اللهم وصلى على وليك الأزهر وصديقك الأكبر على بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين المهديين، اللهم وصلى على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار، من أقام وظهر ومن خاف فاستتر، اللهم صلى على الامام المهدي بك والذي بلغ أمرك وأظهر حجتك ونهض بالعدل في بلادك. اللهم وصلى على الخاتم بأمرك والمنصور بنصرك اللذين بذلا نفوسهما في رضائك وجاهدوا أعدائك، اللهم وصلى على المعز لدينك المجاهد في سببك ... اللهم وصلى على العزيز بك الذي مهدت به البلاد وهديت به العباد. اللهم وأجعل نواصي صلواتك وزواكي بركاتك، على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحسن الأمان وصاحب الدعوة العلوية، والملة النبوية، عبدك ووليک المنصور أبي على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين. كما صليت على آباءه الراشدين. اللهم وفقاً لطاعته واجمعاً على كلمته ودعوته، اللهم وأعنه على ما وليته وأحفظه فيما استرعيته ... واتصر جيوشة وأعلى أعلامه في مشارق الأرض ومغاريها إنك على كل شئ قدير.

الخاتمة :

وإذا كنا قد انتهينا من الحديث عن النقاط التي حددناها لمعالجة هذا البحث، وإخراجه على هذا النحو، فإنه لجدير بنا أن نختمه بالإشارة إلى بعض النتائج التي يمكن أن نستخلص منها، وهذه النتائج يمكن أن نجعلها في نقاط محددة، وذلك على النحو التالي:

- استخدم الفاطميون وسائل عديدة ومتنوعة ما بين مادية ومعنوية، في سبيل نشر دعوتهم.
- استخدموا أيضاً الأساليب السلمية تارة والأساليب الحربية تارة أخرى.
- تخير الفاطميون أماكن نشر دعوتهم، بعد دراسة متأنية دلت على ذكائهم وتفوقهم في ذلك باختيار اليمن والمغرب ومصر.
- نجح الفاطميون في اتخاذ أسلوب السر والكتمان، والترغيب والترهيب، في سبيل نشر دعوتهم في يادئ الأمر حتى صارت لهم قوة فأعلنوها.
- اختار الفاطميون دعائهم بدقة وكانوا يرسلون مع كل داع داعياً آخر احتياطياً وكان ذلك سبب نجاح دعوتهم.
- أنفقوا الكثير من الأموال في سبيل تحقيق هدفهم سواء لشراء أفكار المريدين، أو لإعداد الجيوش.
- اعتمدوا على بعض الأحاديث النبوية التي اعتقدوا أنها تعد مياحة للإمام على، ولكنها لم تكن مياحة.
- اهتموا بالاحتفالات الدينية الشيعية، وأنفقوا خلالها الكثير من الأموال والهدايا، لإرضاء الناس وكسب ودهم.
- تبين من البحث أن الفاطميين أنشأوا العديد من المدن والعواصم التي تنسب إليهم، واتخذوها حاضرة لهم، كما أنشأوا العديد من المساجد والأضرحة والمشاهد، لنشر المذهب الشيعي.
- اهتموا بالنواحي العمرانية من خلال نهضة البلاد في النواحي الاقتصادية وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ابن الأثير: (على بن أحمد بن أبي الكرم) ت ٦٣٠هـ
 - الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، راجعه وصححه، د. محمد يوسف الدقاق، ١٩٨٧م.
- ابن أبيك الدوادري: (أبو بكر عبد الله بن أبيك) ت بعد ٧٣٦هـ.
 - كنز الدرر وجامع الغرر المسمى الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م.
- الاصطخرى: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي) ت ٣٤٦هـ.
 - المسالك والممالك، طبعة لندن، ١٩٧٢م.
- البخارى: (محمد بن إسماعيل)
 - صحيح البخارى، طبعة مصطفى ديب البغى، ط٤، دار ابن كثير واليامة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٨٦٥.
- البكرى: (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ.
 - المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، نشر دى سنان، الجزائر، ١٨٥٧م.
- المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م.
- الترمذى: (محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمى) ت ٢٧٩هـ
 - سنن الترمذى تحقيق أحمد شاكر وآخرين، ط٣، مطبعة الحلبي القاهرة، ١٣٩٨هـ.
- التجاني:
 - رحلة التجاني (تونس - طرابلس، ٧٠٦-٧٠٨هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١م.
- الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) ت ٤٢٩هـ.
 - يتيمة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد قسيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن الجوزى: (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادى) ت ٥٩٧هـ
 - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩م.
- الحميرى: (محمد بن عبد المنعم) ت ٩٠٠هـ.
 - الروض المطار فى خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بلبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن حنبل: (الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل) ت ٢٤١هـ
 - المسند، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط٤، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ابن حوقل: (أبو القاسم محمد البغدادى النصيبى) ت ٣٨٠هـ.
 - المسالك والممالك صورة الأرض طبعة بيروت، دى جويه ١٨٧٠م.

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مؤسسة الإعلیمی للمطبوعات، بيروت، د.ت.

ابن خلكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد ابن إبراهيم) ت ٦٨١ هـ

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ م.

أبو داود: (سليمان بن الأشعث)

- سنن أبي داود، ط محمد محي الدين عبد المحي، المكتبة الإسلامية، استانبول، د.ت.

ابن سعد: (محمد بن سعد كاتب الواقدي)

- الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت

ابن سعيد: (على بن سعيد المغربي) ت ٦٨٥ هـ

- المغرب في حلى بلاد المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق: زكى محمد حسن،

سيده كاشف، شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣ م.

السيوطي: (عبد الرحمن بن بكر جلال الدين) ت ٩١١ هـ.

- تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩ م

أبو شامة: (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي) ت ٦٥٥ هـ.

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي أحمد، محمد

مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢ م.

ابن شداد: (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع) ت ٦٣٢ هـ

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشيال، الدار

المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢ م.

الشهرستاني: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت ٥٤٨ هـ

- الملل والنحل، تخریج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،

١٩٥٦ م.

الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤ هـ

- الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من العلماء، النشرت الإسلامية (٦) استانبول-

بيروت، ١٩٤٩-١٩٨٨ م.

ابن الصيرفي: (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن سليمان) ت ٥٤٢ هـ.

- القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة.

الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ.

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩ م.

ابن الطوير: (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهرى) ت ٦١٧ هـ

- نزهة المقتنين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، النشرات الإسلامية (٣٩)، شتوتجارت، ١٩٩٢م.
- ابن ظافر: (جمال الدين أبو الحسن بن منصور الأزدي) ت ٦١٢هـ
- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ابن عذاري المراكشي:
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠م
- أبو الفدا: (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة) ت ٧٣٢هـ
- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبى، القاهرة.
- القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) ت ٦٨٢هـ.
- آثار البلاذ وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م.
- القلقشندی: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١هـ
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن ماجة: (محمد بن يزيد القزويني)
- سنن ابن ماجة، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت
- ابن المأمون: (الأمير جمال الدين أبو علي موسى) ت ٥٨٨هـ
- نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م
- أبو المحاسن: (جمال الدين يوسف بن تقي يزدي) ت ٨٧٤هـ
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
- المسبحي: (الأمير المختار عز الملك محمد بن أحمد) ت ٤٢٠هـ
- أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد و تيارى بينكي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م
- المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين) ت ٣٤٦هـ
- مروج الذهب، ومعادن الجواهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م.
- التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، د.ت.
- مسلم: (مسلم بن الحجاج القشيري)
- صحيح مسلم، ط محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- المقرئزي: (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ
- المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعقوب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.
- إعتاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق، ١٢٧٠هـ.
- ابن ميسر: (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف) ت ٦٧٧هـ.
- المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م.
- النسائي: (أحمد بن شعيب)
- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندی، ط عبدالفتاح أبوغدة، ط٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- النويختي: (أبو محمد بن موسى بن الحسن) ت ٣١٠هـ.
- كتاب فرق الشيعة، تحقيق هيلموت ريتز، استامبول، ١٩٣١م.
- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ابن واصل: (جمال الدين محمد بن سالم الحموي) ت ٦٩٧هـ.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشلال، القاهرة ١٩٦٣م.
- ابن هاتئ الأنلسي:
- ديوان ابن هاتئ، بيروت، ١٣٢٦هـ.
- هبة الله الشيرازي: (المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي) ت ٤٧٠هـ
- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ابن هشام: (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ت ٢١٣هـ.
- السيرة النبوية، تعليق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)
- هلال الصابئ: (أبو الحسن الهلال بن المحسن) ت ٤٤٨هـ.
- كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء الياسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م.
- ابن الوردي: (زين الدين بن عمر) ت ٧٤٩هـ.
- نكتة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ياقوت الحموي: (شهاب الدين بن عبد الله الحموي) ت ٦٢٦هـ.
- معجم البلدان، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
- يحيى بن سعيد الأنطاكي: ت ٤٥٨هـ.
- تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق، بيروت، ١٩٠٨م.
- اليقوي: (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ.

- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

ثانياً المراجع العربية:

إبراهيم جلال:

- المعز لدين الله وتشييد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة،

القاهرة، ١٩٦٣م

إبراهيم حركات:

- السياسة والمجتمع في العصر الأموي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م

إبراهيم سلمان الكروي:

- البويهيون والخلافة العباسية، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م

أحمد الشامي:

- الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٨٢م

أحمد أمين:

- ظهر الإسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م

أحمد صادق سعد:

- تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦م.

أحمد عبد اللطيف:

- المقاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي

الثاني، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

٢٠٠٥م

أحمد فكري:

- مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م

أيمن فؤاد سيد:

- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م

بدر عبد الرحمن محمد:

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع

الهجري حتى ظهور السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م.

حسن إبراهيم حسن:

- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م

- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٨١م

حسن عبد الوهاب:

- تاريخ المساجد الأثرية، ١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م

حورية سلام:

- الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، القاهرة، ٢٠٠٨م

خطاب عطية على:

- التظيم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت.

سعاد ماهر:

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، خمسة أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة. سيدة كاشف:

- مصر في عصر الاخشيديين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م

شحاتة عيسى إبراهيم:

- القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م

الشيخ محمد الخضري:

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م

عبد الله كامل موسى:

- الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الأفاق العربية.

عبد الحليم عويس:

- قضية النسب الفاطمي أمام النقد التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧م

عبد الرحمن فهمي، سامح عبد الرحمن فهمي:

- المسكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والعصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة، ٢٠٠١م

عبد المنعم سلطان:

- المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، القاهرة

عبد المنعم ماجد:

- الحاكم بأمر الله المفترى عليه، مكتبة الأنجلو، القاهرة

- الدولة الفاطمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م

- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٧٨م

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي:

- دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م

عطية القوصي :

- تاريخ وحضارة مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠١٢م

فلهوزن:

- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م.

كريسويل:

- قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م

كي لسترنج:

بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.

محمد أبو الفرج العشي:

- مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة.

محمد بركات البيلي:

- التشيع في بلاد المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.

- استيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس

عشر الميلادي التاسع الهجري) ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص ١٩٩٧م.

محمد جمال الدين سرور:

- النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ط ٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤م

- سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م

- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م

- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة،

دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.

محمد حمدي المناوي:

- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة

محمد عبد الفتاح عليان:

- تاريخ الخلفاء الراشدين، دراسات وبحوث، ط ٣، مكتبة المتنبى، المملكة العربية

السعودية، ٢٠٠٢م

محمد كامل حسين:

- طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،

١٩٥٩م.

فالسا: المراجع الأجنبية:

Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861

Creswell K. A.C: The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids and Fatimids, Oxford, 1952

Wiet: The Mosques Of Cairo, Translated From French By John.S HardMan. Librairite Hachette 1966. '١٩



الحواشي

- (^١) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م، ق ٢، ج ١، ص ٤٩٣، ابن شداد: النوادر المملطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٤٤، ٤٥، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٣م، ج ١، ص ١٣٧-١٣٩، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبى، القاهرة، ج ٢، ص ٥٠، ٥١.
- (^٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤، ١٩٨١م، ص ٥٧.
- (^٣) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق على عمر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٢١-٣٢١.
- (^٤) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م، ص ١١٠.
- (^٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١١٥.
- (^٦) عصام الدين عبد الرؤوف الفتى: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٩-١٠.
- (^٧) عبد الحليم عويس: قضية التنسب الفاطمي أمام النقد التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٣-١٤.
- (^٨) عبد المنعم ماجد: الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٣٥.
- (^٩) المقرئ: المقرئ الكبير، تحقيق محمد اليعلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٤، ص ٥٢٣، المقرئ: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٦.
- (^{١٠}) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٥٩-٦١.
- (^{١١}) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٥، ص ٧٥ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٠٣-١٠٥، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٦١، محمد بركات البيلى: التشيع في بلاد المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٠، إبراهيم جلال: المعز لدين الله وبشيد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١١.

- (12) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٢، ص ٢٠٠، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ١١٦، ٧٧، ٧٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٦٩.
- (13) الثعالبي: يتيمة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص ٢٢٤، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٠٠.
- (14) الشيعة: أصل معنى اللفظ أنصار، وقد أطلقت أول الأمر على أتباع علي بن أبي طالب عليه بعد وفاته، يقول الأثعري: "قيل لهم شيعة لأنهم شابعوا علياً وقدموه على سائر الصحابة لمزاياه الشخصية أو لاعتقادهم بحقه الوراثي في خلافة المسلمين" ثم أطلقت الشيعة اسماً للحزب الذي يشايح أبناء علي رضي الله عنهم يقول: "بالإثر في الحكم وتحول هذا الرأي بعد كربلاء من رأى سياسى نظرى إلى عقيدة إيمانية وحدث ما بين الشيعة على اختلاف فرقها وقد ظهرت فرق عديدة للشيعة يمكن تقسيمها إلى قسمين: فرق المعتدلين وهي ترى أن الإمامة بالنص، وأنها في آل علي ومن هؤلاء الزيدية أنصار زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
- فرق المغالاة: وهي عديدة وأهم منابعا الكوفة والبصرة، وقد غالوا ويطرقوا رغم تبرأ آل البيت منهم وأهم هذه الفرق السبئية والمختارية والكيسانية والرافضة والخطابية. الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٢٨-٣٠، حورية سلام: الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٧١، هامش ٢.
- (15) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٦١.
- (16) هبة الله الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٣، ١٨، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ج١، ص ١٧٧-١٨١.
- (17) السبوطي: تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص ١٥٢.
- (18) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص ٦٠١.
- (19) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٠٦، ابن أبيك الدوادري: كنز الدرر وجامع الغرر المسمى "الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م، ج٦، ص ١٤٦.
- (20) المقرئزي: اتعاط الحنفا، ج٢، ص ١٧٢، جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٥.
- (21) ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص ٥٢-٥٤، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ١٢١.
- (22) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص ٢٤٨، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٨٣، بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية، ص ٨١.

- (23) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٨٣، ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص٢٢٢، الدرة المضلّة، ص٢٨٣.
- (24) الأنبار: إحدى المدن العراقية تقع على الفرات وهي من المدن الآهلة. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م، ص١٧.
- (25) القصر: مدينة كبيرة تقع بين بغداد والكوفة وتعرف بقصر ابن هبيرة وهي قريبة من نهر الفرات، وهي من أعمر نواحي السواد. ابن حوقل: المسالك والممالك صورة الأرض طبعة بيروت، دى جويه ١٨٧٠م، ص٢١٨.
- (26) المدائن: تقع على بعد سبعة فراسخ جنوب بغداد بالقرب منها قبر سلمان الفارسي، كانت مدينة صغيرة آهلة. لسترنج: بلدان الخلافة، ص٥١.
- (27) الكوفة: تقع على الجانب الغربي لنهر الفرات وهي في حجم البصرة. لسترنج: بلدان، ص١٠١.
- (28) الجامعين: مدينة على نهر الفرات تقع على طريق بغداد الكوفة وتعتبر أساس مدينة الحلة التي بنيت في مقابلها على ضفة الفرات الغربية. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٠-١١.
- (29) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢٥١، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الإعلیمی للطبوعات، بيروت، دت، ج٢، ص٤٤٢.
- (30) المقرئ: الخطط، ج٢، ص٢٨٨، جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص١٨-١٩.
- (31) جمال سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٧٩، جمال سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٧٥.
- (32) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص٩١.
- (33) الشهرستاني: الملل والنحل، تخريج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ج٢، ص١١، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٣٠-٣١، عصام الفقى: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٠، إبراهيم حركات: المياسة والمجتمع في العصر الأموي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م، ص٢٩٦.
- (34) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩م، ج١، ص٩٢٣، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٥٢.
- (35) الرحبة: هي قرية بحداء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة، والرحب بالضم في اللغة السعة، والرحب بالفتح الواسع، والرحبة ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى والأصل في الرحبة القضاء بين أفنية البيوت أو القوم والممسجد. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٣.

- (36) أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٨٤، ١١٨، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٥١، إبراهيم سلمان الكروى: البيهقيون والخلافة العباسية، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م، ص ١٨٤.
- (37) ابن هشام: المسيرة النبوية، تعليق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)، ج ٢، ص ١٣، ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٣، ص ١٤، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٥٠، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.
- (38) الرواة عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأبو ذر وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك روى بأسانيد ضعيفة. ابن حجر: أسئلة وأجوبة، ص ٥٧، ابن القيسراني: ذخيرة الحفاظ، ج ٢، ص ٢١٣٠.
- (39) الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٩٦، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.
- (40) النويختي: كتاب فرق الشيعة، تحقيق هينوت ريتز، استامبول، ١٩٣١م، ص ٢٠، عصام الفقى: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ١٠.
- (41) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ج ٢، ص ١٦٢-١٧٥، محمد عبد الفتاح عثمان: تاريخ الخلفاء الراشدين، دراسات وبحوث، ط ٣، مكتبة المتنبى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م، ص ٣٠٠-٣٠٣.
- (42) محمد عبد الفتاح عثمان: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص ٣٠٦.
- (43) الشيخ محمد الخضرى: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص ٣٢٤، ٣٢٥.
- (44) المقرئى: الخطوط، ج ٢، ص ٣٣٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٣٠.
- (45) الطبرى: تاريخه، ج ٥، ص ٣٤٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٢٦٦.
- (46) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٦٢، محمد جمال الدين سرورو: الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة، دار الفكر العريى، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٣٩، ١٤٠، محمد الخضرى: تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٣٦.
- (47) الطبرى: تاريخه، ج ٧، ص ١٨٠، ابن الطقطقى: الفخرى، ص ١٠٥.
- (48) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٠٨، حرية سلام: الحركات المعارضة، ص ٢٥، محمد الخضرى: تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٤٠.
- (49) الكيسانية: تنسب الطائفة الكيسانية إلى كيسان مولى على بن أبى طالب ؑ الذى قُتل في موقعة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، وهم الذين ساعدوا محمد بن على المعروف بابن الحنفية وقالوا بغيبته ورجعته وتضامنوا مع المختار بن أبى عبيد الثقفى فدعوا لمحمد بن الحنفية بالإمام المهدي المنتظر. البغدادي: الفرق بين الشرق، ص ٢٧، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٩٦، إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع، ص ٢٩٧، ٢٩٨.
- (50) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٦.

- (51) الشهرستاني: الملل، ج١، ص ١٢٢-١٢٣.
- (52) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٣١-٣٣، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٧-٣٢.
- (53) الطبري: تاريخه، ج٥، ص ٤٨٨، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٨٩، ٩٠، فلهوون: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٢٥٧-٢٥٨.
- (54) الطبري: تاريخه، ج٥، ص ٥٣٦-٥٣٨، جمال سرور: الحياة السياسية، ص ١٥١-١٥٢.
- (55) محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٨١، ٢٨٢، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٤٩.
- (56) رضوى: جبل قريب من ينبع ذو شعاب وبه أودية ومياة كثيرة وأشجار. الاصطخرى: المسالك والممالك، طبعة لندن، ١٩٧٢م، ص ٢١، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨٨.
- (57) النويختي: فرق الشيعة، ص ٢٠.
- (58) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م، ج٨، ص ٣٣٨.
- (59) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ج٥، ص ٢١٦.
- (60) أحمد الشامي: الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٣-١٤.
- (61) أحمد الشامي: الدولة الإسلامية، ص ٢٥-٢٧.
- (62) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من العلماء، النشرات الإسلامية (٦)، استانبول، ١٩٤٩م، ج١٧، ص ٤٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٧، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤-٣٥.
- (63) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٣١، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ج٢٨، ص ٧٤، محمد الخضري: الدولة العباسية، ص ٢٨٤.
- (64) المقرئ: المقرئ الكبير، تحقيق: محمد يعقوب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ج٤، ص ٥٢٤.
- (65) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٣١١، البيهقي: التمشيع، ص ٢٩، محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ص ١١٣.
- (66) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٣١.
- (67) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٣٤.
- (68) البيهقي: التمشيع، ص ٦٥.

- (69) أين الأثير: الكامل، ج٦، ص ٢١٧.
- (70) ابن أبيك: كنز الدرر، ج٦، ص ١٤٧، الصفدي: الوافي، ج١٧، ص ٤٢، أبو المحاسن: النجوم ج ٥ ص ٧٦.
- (71) أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٧٠.
- (72) النويختي: فرق الشيعة، ص ٣٤، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٢١.
- (73) المقرئزي: اتعاظ، ج١، ص ٢١، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٠٤، ١٠٥، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص ٢٩، ٣٠.
- (74) محمد بركات البيني: إستيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري) ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص ١٩٩٧م، ص ١٠٠-١٠١.
- (75) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ١١٨.
- (76) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ٤٨، سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١٦٧.
- (77) محمد أبو الفرج العث: مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة، ص ٩١١، ٩١٢، ٩٤٧، ٩٤٨. Miles, G, Fatimid coins p.51
- (78) المقرئزي: المقفى الكبير، ج٣، ص ٨٩، أبو المحاسن: النجوم، ج٣، ص ٣٣٦.
- (79) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٨٩، <http://Archive.Sachr.com>
- (80) النويختي: فرق الشيعة، ص ٢٣، ابن سعيد: المغرب في حلى بلاد المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق: زكى محمد حسن، سيده كاشف، شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٣٥-٣٦، سيده كاشف: مصر في عصر الاخشيدين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣١١، ٣١٠، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص ٨٩-٩٠.
- (81) أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٢٩، ٤١.
- (82) المقرئزي: الخطط، ج١، ص ٣٥٣، المقرئزي: اتعاظ، ج١، ص ٩٧، ١٠١.
- (83) المقرئزي: الخطط، ج١، ص ٩٤، المقرئزي: اتعاظ، ج١، ص ١١٣، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٢٩-٤١، القلقشندي: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م، ج٣، ص ٣٤٥.
- (84) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١١، أحمد عبد اللطيف: المقاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي الثاني، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٤٥-٤٨، يوسف العث: الخلافة العباسية، ص ٢١١.

- (85) المهديّة: أسسها الخليفة المهدي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م وانتقل إليها سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م. أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦١٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٩.
- (86) التجاني: رحلة التجاني (تونس - طرابلس، ٧٠٦-٧٠٨هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ص ٣٢٠-٣٢٤. عبد الله كامل موسى: الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الأفاق العربية، ص ٤٢.
- (87) التجاني: رحلته، ص ٢٢٠.
- (88) المنصورية: أسسها الخليفة المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) وكان ذلك سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م في الموضع الذي دارت فيه الواقعة بينه وبين أبي يزيد بن مخلد بن كيداد التي بدأت بوادها سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م في أواخر عهد المهدي على مقربة من القيروان واتخذها حاضرة له. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دي سلان، الجزائر، ١٨٥٧م، ص ٢٥، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦١١، الببلي: التشيع، ص ١٢٨، يوسف العث: الخلافة، ص ٢٠٩.
- (89) البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن، وأندرى فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٦٧٦.
- (90) البكري: المغرب، ص ٢٥، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ٩٥، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٦٨.
- (91) ابن الصيرفي: القاتون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ص ٤٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٠٠.
- (92) سرور: قيام الدولة الفاطمية في مصر، ص ٧١، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٥٧٣-٥٩٠.
- (93) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٢٨.
- (94) المسبحي: أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيارى بينكي، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢٢.
- (95) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٤٥٩.
- (96) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٨٣.
- (97) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٥١.
- (98) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٨٣.
- (99) كريسويل: قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٦.
- (100) المسبحي: أخبار مصر، ج ٢، ص ٢٧٧، أحمد فكري: مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ١، ص ٨٣-٨٥.
- (101) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٢٣-١٢٨.

Wiet: The Mosques Of Cairo, Translated From French By John.S HardMan. Librairiate Hachette 1966. P.103.

(102) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٩١، المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠، أبو المحاسن: النجوم، ج ٥، ص ١٧٣.

(103) جامع الصالح: الذى بناه خارج باب زويلة سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م، وهو آخر المساجد الجامعة التى أقامها الفاطميون في مصر. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦٢٠، شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٠٦-١١٠، أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١١٠-١٢١، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٩٧-١٠٥.

(104) المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٣.

(105) سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون خمسة أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١، ص ٢٩٩.

Creswell K. A.C: The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids (106) and Fatimids, Oxford, 1952 PP. 228,229.

(107) سعاد ماهر: مساجد مصر، ج ٢، ص ١٢٠، عيد الله كامل: الفاطميون، ص ٢١١.

(108) المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٤٤٢.

(109) المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٤٣٦.

(110) عيد الله كامل: الفاطميون، ص ٢٠٩، Creswell K. A.C: The Muslim P.266,267.

(111) غدير خم: نسبة إلى خم وهى موضع بين مكة والمدينة، وهو وادى عند الجحفة على بعد ثلاثة أميال بين مكة والمدينة ويسمونه اليوم الغرية به غدير وحوله شجر كثير، يقع شرق رابغ بما يقرب من ٢٦ كيلومتر، وخم اسم رجل صباغ نسب إليه الغدير. ياقوت: معجم البلدان، دار الكتاب اللبنانى، بيروت (د.ت)، ج ٢، ص ٣٧١، سرور: الدولة الفاطمية في مصر، هاشم ٢، ص ٨٠.

(112) أحمد بن حنبل: المسند، ص ٩٥٠، ٩٥٢، ٩٦١.

(113) ابن لأثير: الكامل. ج ٨، ص ٥٤٩، إبراهيم الكروى: البويهيون والخلافة العباسية، ص ١٨٤.

Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861, p.574.

(114) المسبجى: أخبار مصر، ص ٨٥.

(115) الطبرانى: المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٧١-١٧٢، الألبانى: السلسلة الصحيحة، ج ٤، ص ٣٣٥.

(116) الشهرستاني: الملل والنحل، ج٢، ص ١٦٧، ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص ١٣٦، أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م، ج١، ص ١٤٩، عبد المنعم ماجد: نظم، ج٢، ص ١٢٦.

(117) أحمد بن حنبل: المسند، ج٤، ص ٣٧٢، ابن ماجه: سنن ابن ماجه، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت، ج١، ص ٤٣، الترمذی: سنن الترمذی، ج٥، ص ٢٥٧، إسناد صحيح.

(118) ابن تيمية: منهاج السنة، ج٤، ص ٨٤-٨٥.

(119) أبو داود: سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، إستانبول، د.ت.

(120) أبو المحاسن: النجوم، ج٥، ص ١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج١، ص ٥٢.

(121) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، القاهرة، ص ١٥٧-١٥٩.

(122) أبو داود: السنن باب صوم عاشوراء، ص ٦٥.

(123) انظر الترمذی: سنن الترمذی، تحقيق أحمد شاكر وأخريين، ط٣، مطبعة الحلبي القاهرة، ١٣٩٨هـ، انظر البخاري: صحيحه، طبعة مصطفى ديب البغي، ط٤، دار ابن كثير واليمامة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٨٦٥.

(124) المقرئ: الخطط، ج١، ص ٤٣١، أبو المحاسن: النجوم، ج٥، ص ١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ص ٢٢٨.

Muir: The Caliphate, p. 573.

(125) المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص ١٩٨.

(126) المقرئ: الخطط، ج١، ص ٤٢٧.

(127) المقرئ: الخطط، ج١، ص ٤٢٧.

(128) أبو المحاسن: النجوم، ج٥، ص ١٥٣، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٥٥.

(129) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١٥٥، النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٢١١.

(130) هلال الصابي: كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء الياسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م، ج٨، ص ٣٧١، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١٥٥.

(131) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٨٢، ٨٣.

(132) ماجد: نظم الفاطميين، ج٢، ص ١٢٠.

(133) المقرئ: الخطط، ج٢، ص ٤٧٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٦.

(134) المقرئ: الخطط، ج١، ص ١٦٥.

(135) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٣٤-١٣٥.

- (136) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، ص ٦٢، ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، النشرات الإسلامية (٣٩)، شتوتجارت، ١٩٩٢م، ص ٢١٧، المقرئى: المقلتي الكبير، ج ٦، ص ٤٨٤.
- (137) المقرئى: انعاظ، ج ٢، ص ٦١، ٦٥، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٢٦.
- (138) خطاب عطية على: التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت، ص ٦٨، ٦٧، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٣٠.
- (139) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٩٣.
- (140) خطاب عطية على: التعليم في مصر، ص ٦٨.
- (141) أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية، ص ١٠٤، هامش ١، البيهقي: التشيع، ص ١٤٤.
- (142) Ivanow: The Alleged founder of Ismailism, Bombay, 1946, p. 152.
- (143) البيهقي: التشيع، ص ٦٧.
- (144) المقرئى: المقلتي، ص ٢٣، البيهقي: التشيع، ص ٦٧.
- (145) البيهقي: التشيع، ص ٦٨.
- (146) يشير بذلك إلى قوله تعالى: "إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم" الفاتحة آية ٥ و ٦.
- (147) يشير إلى ما ورد في سورة البقرة بقوله تعالى: "وما أتزل على المكلين ببابل هاروت وماروت آية" ١٠٢.
- (148) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٣٩٣، <http://Archivebeta.Sakh>.
- (149) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤١.
- (150) محمد بركات البيهقي: التشيع، ص ٣٩-٤٠.
- (151) لمزيد من التفصيل راجع الشهرستاني: الملل والنحل، البغدادى: الفرق بين الفرق، النويختى: كتاب فرق الشيعة.
- (152) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص ١١٠، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤٣.
- (153) المؤيد في الدين الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ٥-٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٤٣٦، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ٥٤.
- (154) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٣٣، عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله المقتدى عليه، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص ٥٤.
- (155) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩م، ج ٦، ص ٢١١.
- (156) البيهقي: التشيع، ص ١٢٧.
- (157) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٥.

- (158) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٣٩، المقرئ: اتعاط، ج ٢، ص ٢٣١.
- (159) ابن هاني الأندلسي: ديوان ابن هاني، بيروت، ١٣٢٦هـ، ص ١١.
- (160) ابن هاني: ديوانه، ص ٧-١١.
- (161) ابن هاني: ديوانه، ص ١٦٤.
- (162) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٢٩.
- (163) أبو المحاسن: النجوم، ج ٢، ص ٣٠٩.
- (164) عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله، ص ٥٩.
- (165) أبو المحاسن: النجوم، ج ٢، ص ٣٠٩، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١٧.
- (166) المقرئ: اتعاط الحنفاء، ج ١، ص ٦٦-٦٨، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٧٠.
- (167) يحيى بن سعيد الأنطاكي: تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق، بيروت، ١٩٠٨م، ص ٢٢٣، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٩٦.
- (168) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٧٠.
- (169) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٢٥، p. 574. Muir: The Caliphate.
- (170) الشهرستاني: الملل، ج ١، ص ١٥٦، ١٦٠، ١٦٨.
- (171) البيهقي: التشيع، ص ١٢٩.
- (172) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٥٩، البيهقي: التشيع، ص ١١٣.
- (173) فذك: تقع بالقرب من المدينة المنورة على مسيرة يومين. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بليان، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٣٨.
- (174) الطبري: تاريخه، ج ٣، ص ١٥، ٢٠٨.
- (175) المسعودي: التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، د.ت، ص ٢٥٥.
- (176) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣، ص ٣٣٢، البيهقي: التشيع، ص ١٤٣.
- (177) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣، ص ٣٣٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٠، إبراهيم سلمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص ١٨٣.
- (178) رقاد: أنشأها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م وهي تقع على بعد أربعة أميال من مدينة القيروان. البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٧٩.
- (179) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٥١.
- (180) المقرئ: اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، ط ٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٦٤، البيهقي: التشيع، ص ٨٧.
- (181) المقرئ: اتعاط، ج ١، ص ١١٦.
- (182) المقرئ: اتعاط، ج ١، ص ١١٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص ١١٨، البيهقي: التشيع، ص ١٤٥.

- (183) عيد الرحمن فهمي، سامح عيد الرحمن فهمي: المنسكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والعصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٤٨.
- (184) أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ١٣٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٦٧، عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١٢م، ص ٦١.
- (185) الصقدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص ٢٢٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١٩، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص ١٤٣.
- (186) ابن عذاري: البيان، المغرب، ج١، ص ١٥١، الببلي: التثبيح، ص ٨٧.
- (187) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ١٤٩.
- (188) المقرئ: اتعاظ، ج١، ص ١٣٧، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٢١، الببلي: التثبيح، ص ١٤٥.
- (189) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ٣٧٦، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٣١، الصقدي: الوافي، ج١١، ص ٢٢٥، المقرئ: المققى الكبير، ج٣، ص ١٠١، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٣٢، عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر، ص ٦١.
- (190) بدر عيد الرحمن: الحياة السياسية، ص ٨١، ٨٢.
- (191) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ١١٤، أحمد صادق سعد: تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٢٨٣.
- (192) يوسف العش: الخلافة العباسية، ص ٢١٨.
- (193) المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج١، ص ١٣٧.
- (194) أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٢٢٤-٢٢٧، ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص ٢٤٩-٢٥١.

الخنجر نموذج لتطور صناعة السلاح في الأندلس
دراسة أنارية فنية لنماذج الخناجر الأندلسية ومستلزماتها
 د. حنان عبد الفتاح مطاوع (*)

أدوات الحرب في الأندلس وعوامل إزدهارها :

حرص المسلمون في الأندلس منذ البداية على أن تكون لديهم قوة عسكرية مرهوبة الجانب؛ يخشى بأسها ويخطب ودها أعدائهم في الداخل والخارج، وبهذا المفهوم بذلوا جهداً كبيراً لتسليح جيوشهم تسليحاً جيداً، بكل أنواع الأدوات الحربية اللازمة لها والتي أخذت في الإزدهار، بصورة واضحة، في فترات القوة والإزدهار. حيث نشطت صناعة السلاح في الأندلس، وتعددت مصادر الحصول عليها منذ عصر الدولة الأموية (١٣٨هـ - ٣١٦هـ) (٧٥٥م - ٩٧٨م) وما تلاه من عصور حتى نهاية عصر بني نصر (٦٣٥هـ / ٨٩٧هـ - ١٢٣٨م - ١٤٩٢م) وغدت أدوات الحرب تصدر من الأندلس إلى جميع أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية على السواء^(١).

وقد ساعد على إزدهار صناعة أدوات الحرب في الأندلس، وولع الأندلسيون بها، عوامل كثيرة من أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لتلك الصناعة ببلاد الأندلس، لاسيما معدن الحديد والفولاذ المخصصين لصناعة السيوف والخناجر والتفصيل والزريبات.

فمن بين أهم المناطق التي اشتهرت بغزارة إنتاج هذين المعدنيين: جبال مدينة طليطلة^(٢)، قرية فريش الواقعة بالقرب من قرطبة^(٣)، وكورة البيرة بقرطبة^(٤) وحصن قسنطينة^(٥)، وفي جبال إشبيلية^(٦)، وجبال البرانس قرب فحص البلوط^(٧) وجبال المرية^(٨) وينفخ القدر من الشراء توافرت أيضاً المواد المساعدة التي تدخل في صناعة أدوات الحرب مثل: الأخشاب التي اشتهرت بانتاجها مدينة طرطوشة^(٩) وشلطيش^(١٠).

فضلا عن الأحجار الكريمة التي تستخدم في ترصيعها وتزيينها، والتي كانت توجد بكثرة في العديد من مناطق الأندلس : مثل اللازورد بمدينة لورقه^(١١)، وجبل شلير^(١٢)، والياقوت بحصن مونت ميور بكورة مالقه^(١٣) وبقرية ناشره بالقرب من بجائه^(١٤) وحجر البجادي^(١٥) بمدينة لشبونه^(١٦) وحجر الشادنخ أو الشاذنخ^(١٧)، بجبال قرطبة^(١٨)، وحجر المرقشيتا الذهبية بجبل أبذه^(١٩)، ولأن بلاد الأندلس كانت غنية بكل هذه الأنواع من الأحجار الكريمة فقد شاع استخدامها في زخرفة أدوات الحرب، لاسيما والخناجر وأدوات الخيل^(٢٠)، أما بقية المواد الأخرى المساعدة التي لم تكن تتوافر ببلاد الأندلس، فكان يتم استيرادها بكميات كبيرة مثل: العاج الذي كان يدخل في صناعة مقابض السيوف والخناجر وبعض أنواع أسلحة الزينة، وكان يتم استيراده من بلاد المغرب، وساحل غانا بالسودان.

(*) أستاذ مساعد الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

وكذلك ساعد على تطور أدوات الحرب بالأندلس وفرة الصناعات الماهرة من الأندلسيين، ممن أظهرها قدره فائقة على الاستفادة من المواد الخام اللازمة لتلك الصناعة التي أولوها عناية خاصة بسبب إهتمام الأندلسيون بها، ومنافعها في الحرب والسلام، وهو ما عبر عنه المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (وأما آلات الحرب من الترس والرمح والسروج والجم (اللجم أو الألجم) والدروع والمغافر، فأكثر هم أهل الأندلس كانت مصروفه في هذا الشأن^(٢١))، وثمة ملاحظة هامة وهي: أن هذا الإهتمام بأدوات الحرب قد دفع صناعات السلاح الأندلسيين إلى تطويرها، وقد اتخذ هذا الإهتمام مظاهر عديدة منها:

(١) الحرص على إقامة دور صناعة متخصصة لأدوات الحرب وإصلاح ما تداعى منها، على نحو ما فعله الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط من ترميم دار صناعة السلاح بمدينة طليطلة عام (٢٠٧هـ/٨٢٢هـ)^(٢٢).

وظلت هذه الدار تؤدي دورها في إنتاج أدوات الحرب حتى نهاية عصر الطوائف، وحقيقت في هذا المجال مزيداً من الإزدهار والتطور، حتى أصبح إنتاجها يقدم كهدايا من قبل الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ/٣٦٦هـ - ٩٦١م - ٩٧٦م) إلى ملوك قشتالة^(٢٣). بل كان يصدر في عصر الطوائف (٤٢٢هـ/٤٨٤هـ - ١٠٣١م - ١٠٩١م) إلى كل أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية^(٢٤).

وقد امتدح ابن سعيد وفرة إنتاج دار صناعة هذه المدينة من السلاح وتنوعه وجودته بقوله (كان يصنع فيها من آلات الحرب العجائب)^(٢٥)، وفي عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ/٣١٦هـ - ٩١٢م - ٩٢٨م) شيد العديد من دور الصناعة في كثير من مدن الأندلس، كان من بينها دار بمدينة الزهراء تخصصت في إنتاج آلات الحرب والحنى والزينة، وغير ذلك من المهن^(٢٦).

وتعتبر دار صناعة السلاح التي أقامها المنصور بن أبي عامر (٣٧١هـ/٣٩٣هـ - ٩٨١م - ١٠٠٢م) بقصره المعروف بقصر العامرية، من أهم إن لم تكن أهم دور صناعة السلاح في الأندلس، نظراً لما كان يتوافر لهذه الدار من إمكانيات تفوق غيرها من دور الصناعة الأخرى، فهذه الإمكانيات كانت من الوفرة والتنوع بحيث كان لكل نوع من الأسلحة قسم أودار تخصصت في إنتاجه.

ويجرب المؤرخون العرب عن هذا الإزدهار فيما كتبه عن هذه الدار، فإبن الخطيب يشير إلى أنه كان بها دار مخصصة لصناعة التروس عرفت بدار التراسين^(٢٧) كان يزيد إنتاجها في العام الواحد عن ثلاثة عشر ألف، كما كان بنفس الدار دار أخرى لصناعة القسي كان إنتاجها في العام ما يقرب من اثني عشر ألف^(٢٨). وكان لكل دار طائفة حرفية لها معلم يعرف بشيخ الصنعة يتولى تمثيلهم، ويعتبر مسئولاً أمام المعلم الأكبر أو كبير المعلمين الذي يقيم بمدينة قرطبة والزهراء^(٢٩) وفي مدينة مرسية حظيت صناعة السلاح بمكانة كبيرة عبر عنها المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (يصنع فيها من آلات الجندي ما يبهز العقول)^(٣٠).

وقد كانت تلك الصناعة مصدراً أساسياً لثروتها، فوفرة إنتاجها من السلاح فتح أمام أهالي هذه المدينة أفاقاً واسعة للعمل التجاري في قطاع التصدير، فكانت أدوات الحرب تعالج

وتصنع بها، قبل تصديرها إلى معظم البلدان لاسيما أفريقية، حيث أشار المقرئ إلى ذلك بقوله (وفيها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد إفريقية وغيرها)^(٢١).

وقد أخذت بعض المدن شينا فشينا تحتل مركز الصدارة في إنتاج نوع واحد من الأسلحة تشتهر به، ومن ذلك على سبيل المثال: مدينة المرية التي ذاع صيتها في صناعة السيوف الجود السود^(٢٢) ومدينة برزيل التي عرفت سيوفها بالبرزنليات المشهورة بالجودة^(٢٣). كما اشتهرت إشبيلية بسقى الفولاذ الأشبيلي الشهير الذي كانت تُصنع منه الدروع وتجايف الخيل، وفي مدينة وشقة بالشغر الأعلى كانت تصنع الدروع والبيضات^(٢٤).

ومثل هذه المدن التي كانت تشتهر بصناعة نوع معين من الأسلحة كان يوجد بها أماكن للتدريب عليها مثل: سبته التي اشتهرت بصناعة القسي، وكان بها أربع وأربعون مرمى لرمى الن سهام^(٢٥).

٣- جرى حكام الأندلس، منذ عصر الدولة الأموية، على إقامة دور لحفظ أدوات الحرب عرفت بدار أو خزانة السلاح مثل: الدار التي أقامها الأمير عبد الرحمن الأوسط بمدينة قرمونه^(٢٦)، ودار أخرى في غرناطة من عصر المرابطين، ودار بمدينة إشبيلية^(٢٧).

وكان يتولى الإشراف على تلك الخزائن أحد كبار موظفي الدولة النقاد، ممن كان على درايه بأنواع الأسلحة ليعرف ما توافر منها وما نقص، ويقدم تقريراً بمحتويات مخازن السلاح ويدون في سجلات ديوان العسكرية^(٢٨) **يطلع عليه الحاكم أو الخليفة** بشكل دوري، حتى لا يخرج إلى الحرب إلا بعد أن يتأكد من اكتمال كل أنواع السلاح والعدة^(٢٩).

٤- كانت أدوات الحرب من أفضل الهدايا بين الحكام وكبار رجال الدولة، سواء أهديت لهم أو هادوا بها المقربين إليهم لكسب ولائهم، فعبد الرحمن الناصر كان يخلع على وزرائه - أمثال أحمد بن عبد الملك بن سعد - أنواعاً متعددة من آلات الحرب أحصاها ابن خلدون بقوله (والعدة ثمانمائة من تخافيف الزينة أيام البروز والمواكب، وألف ترس سلطانية، ومائة ألف سهم من من النبال البارة الصنعة).

كما هادى الخليفة عبد الرحمن الناصر أمراء البربر، بالعدوة المغربية، بكثير من تلك الآلات الحربية، أمثال موسى بن أبي العافية، ووفقاً لما ذكره ابن حبان كان من بين محتويات تلك الهدايا (أربعة بنود من غرائب السلاح)^(٣٠).

ولقد واصل الخليفة الحكم المستنصر سياسة اصطناع وجوه أمراء المغرب، فأرسل مع الخازن أحمد بن محمد لعدد كبير منهم في جيش غالب بن عبدالرحمن - مجموعة هدايا معظمها من آلات الحرب، مع كتاب موضح فيه اسم كل شخص وتفاصيل محتويات هديته^(٣١).

وبهذه المناسبة، يجدر بنا أن نشير إلى أن من بين العوامل التي ساعدت على بلوغ أدوات الحرب في الأندلس، أوج إزدهارها، أنها كانت من مظاهر التعبير عن الأبهاء والفخامة والتفوق العسكري، فالباحث في تاريخ الأندلس يستطيع أن يلاحظ بوضوح أهميتها في الاحتفالات والمراسيم والعروض العسكرية والاستقبالات الرسمية، حيث كان يرتديها كبار الوزراء والفتيان والأكابر والكتاب والخصيان الصقالية، وغيرهم من طبقات أهل الخدمة، عند استقبال الخلفاء والاحتفال بقدمهم^(٣٢).

وجرت العادة أن يقوم حكام الأندلس باستعراض أدوات الحرب أثناء الاحتفال باستقبال سفراء وحكام الدول المجاورة، لاسيما ملوك إسبانيا المسيحية، وذلك من أجل استعراض القوة العسكرية وبث الرعب في نفوسهم . ويستدل على ذلك مما ورد في المصادر العربية من أوصاف تفصيلية لمواكب استقبال زيارات السفراء والملوك المسيحيين، بقصر قرطبة وقصور الزهراء والزهرة^(١٣).

٥- من العوامل التي ساعدت على ازدهار صناعة السلاح في الأندلس: تعدد مصادر الحصول عليها فلم يكتفوا بما كان يصنع منها محليا ويبيع ويشترى من أسواق خاصة بها، فرغم إشارة المؤرخين بمهارة الأندلسيين في صناعة أدوات الحرب^(١٤) كما سبق الإشارة، لم يترددوا في شراء الأسلحة الجديدة من إسبانيا المسيحية والبلاد المجاورة لها، أو من الأسواق المشرقية والهندية، حيث وردت إشارات عديدة عن تسليح الجيش الأندلسي بمثل هذه الأسلحة المشتراه من الخارج^(١٥) رغم ما كان يفرض أحيانا من حظر لبيع، أو نقل هذه الأسلحة، بين الطرفين الإسلامي الأندلس والإسباني النصراني^(١٦).

وأخيرا، تجدر الإشارة إلى أن ازدهار صناعة أدوات الحرب والعناية بها، في مختلف مدن الأندلس، كان ضرورة فرضها تاريخ الأندلس الحافل بالثورات والحروب المتتابعة، فضلا عن جنوح أهل الأندلس، لاسيما في عصر الطوائف إلى الخروج على السلطة مما كان له أكبر الأثر في اعتماد كل مدينة في الدفاع عن نفسها. ونستدل على ذلك من قول القلصاوي بأن مدينة غرناطة حققت تقدما في صناعة السلاح مكنتها من الدفاع عن نفسها وزيادة مناعتها^(١٧).

وبعد هذا العرض لعوامل ازدهار صناعة أدوات الحرب في الأندلس، يجدر بنا أن نفرق بين أنواعها التي كانت تستخدم في ميادين الحرب، والمستخدم للزينة، أو كانت تقدم كهدايا. ومع أن إثبات هذا الفرق بالأساليب التاريخية المعتادة لا يخلو من صعوبة؛ إلا أنه من خلال الإشارات التي وردت بشأن النوع الثاني المستخدم في الزينة؛ يمكن إثبات هذا الفرق، فألآت الحرب التي كانت تستخدم في أيام البروز والمواكب والإهداء تتميز بخفة وزنها، والمبالغة في زخرفتها وتحليتها بخطوط الذهب والفضة وترصيعها بالأحجار الكريمة، وتطلق المصادر العربية على هذا النوع من أدوات الحرب اسم: تجافيف أو تخافيف الزينة والصلطانية أو الخاصة^(١٨) ومنها السيوف الحالية^(١٩) والسيوف المرصعة العمود بالجواهر المثمنة والحرايب المزينة العصي بأنابيب الفضة والبيضات المذهبة^(٢٠).

بينما الأسلحة المستخدمة في ميدان الحرب يراعى فيها: أن تكون قوية الشكل غليظة المظهر خالية من الزخرفة، بحيث تتناسب وطبيعة الوظيفة التي تؤديها.

وقبل أن نختم الحديث عن عوامل ازدهار صناعة أدوات الحرب الأندلسية، نود الإشارة إلى أننا لا نكاد نرى فنا من الفنون الصناعية الأندلسية أهدت المصادر الأندلسية على أنه قد تأثرت أشكاله بالفنون الصناعية المسيحية المعاصرة مثلما حدث في فنون صناعة أدوات الحرب، ونستدل على ذلك من إشارة ابن الخطيب: وزيهم (أهل الأندلس) شبه زى اقتالهم وأضدادهم من جيرانهم القرنج إسباغ الدروع وتعليق الترسه وحفا البيضات واتخاذ عراض الأسنه ويشاعه

قرايبس المروج واستركاب حمته الريات خلفه كل منهم بصفة تختص بسلاحه وشهره يعرف بها^(٥١).

ويشير المقرئ في هذا الصدد أيضا بقوله (وكثيرا ما يتزين سلاطينهم وأجنادهم بزي التنصاري المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم وأقبيتهم كأقبيتهم وكذلك أعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس^(٥٢) والرماح^(٥٣) الطويلة للظعن ولا يعرفون الدبابيس قسي^(٥٤) العرب بل يعدون قسي الأفرنج للمحاصرات في البلاد أو تكون للرجال عند المصافقه للحراب^(٥٥)).

ولا يؤخذ من هذا أن تلك الآلات الحربية المسيحية كانت تعتبر مقاييسا، أو كان صناع الأندلس يتخذونها نماذج يقلدونها مبرفين في هذا التقليد، بل على العكس تجد أن صناع آلات الحرب الأندلسيين فيما بعد منذ عصر بني نصر، قد اتخذوا لأنفسهم أساليب وأنواعا تختلف عن نظائرها المسيحية ولا ترجع في شيء إلى الأساليب المسيحية الموروثة من مجموعات الأسلحة التي غنموها من القوط في بداية الفتح الإسلامي، أو في أثناء الحروب الجهادية الطويلة التي خاضها المسلمون في الأندلس ضد التنصاري الأسبان، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الخطيب أيضا، في موضع آخر، عن التجديد الذي أحدثه صناع السلاح في عصر بني نصر بقوله (ثم عدلوا الآن عن هذا الذي ذكرناه إلى الجواشن^(٥٦) المختصرة والبيضات المرهفات والسروج العربية، والبيت المظمية^(٥٧) والأسل العطفية^(٥٨)).

الخناجر الأندلسية :

تعريف الخنجر واستخداماته:

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الخنجر سلاح قاطع صغير أشبه بسيف مصغر، ولكنه أكثر وأسهل في الحمل والاستخدام، إذ يحمله المحارب في منطقته أو حزامه أو تحت ثيابه، فإذا التحم بعدوه قطعته به خنسه^(٥٩)، والخنجر من أقدم الأسلحة التي استخدمها الإنسان في الدفاع عن نفسه، فهو من الأسلحة الدفاعية التي عرفها العرب منذ جاهليتهم، ويعتبر سلاحا شخصيا أكثر من كونه رئيسيا في المعارك، وهي أسبق في الظهور من السيوف وأقدم استخداما، وكانت بعض المجاهدات، في العصور الأولى، يحملن الخنجر في الغزوات تحت ثيابهن للدفاع عن أنفسهن.

وبصفه عامة، إرتبط الخنجر، منذ قرون طويلة، بعادات الشعوب وتقاليدهم وتراثهم المنقول، ويعد رمزا للرجولة، كما أن نوع الخنجر، في بعض البلدان مثل اليمن، يدل على المكانة الإجتماعية لصاحبه، وما تزال الخناجر، حتى يومنا هذا، من مستلزمات المظهر الخارجي في بعض المجتمعات الإسلامية، فضلا عن كونها سلاحا فهي حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حامليها ومكانته^(٦٠)، ومع أن الخنجر من ملحقات السيف لأنه من فصيلته، إلا أنه عكس السيف فقد إرتبط في الأذهان بالخيابة والغدر، حيث اغتيل به العديد من الشخصيات الهامة في صدر الإسلام، ومن ذلك خنجر أبو لؤلؤة المجوسي الذي قتل به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يصلى.

أجزاء الخنجر:

يتكون الخنجر عادة من جزعين رئيسيين هما: رناسة الخنجر أو قائمه ونصله، وللقالم والنصل عناصر مهمة لا يكاد خنجر عادة يخلو منها، وخاصة إذا كان من الخناجر الأصيلية إضافة إلى عمد الخنجر أو قرابة ويتكون قائم الخنجر أو رناسته من المقبض، وهو مقبض كف الضارب أو الطاعن أو مكان قبضه اليد، والقبضة وهي الحديدية التي تلبس أعلى المقبض وتسمى القلة أحيانا، إذا كانت مستديرة أو كروية، كما تسمى في بعض المصادر الأندلسية بالقرون الجاموسية^(١١). ويفصل النصل عن رناسة الخنجر وقائمه الواقية وهي حديدة المقبض المعترضة على قم الغمد؛ لوقاية يد المحارب من الإصابة وطعنات الخصم.

وقد أوليت مقابض الخناجر عناية خاصة، حيث صنعت من مواد ثمينة مثل قرن وحيد القرن، وعاج الفخمة، وعاج الفيل، والذهب والفضة.

أما النصل فهو حديدة الخنجر، ويصنع في الغالب من الفولاذ أو البرونز، ويتميز الخناجر الجيدة الأصيلية باحتواء تصولها على ما يعرف بالأنثر أو الجوهر الفاخر^(١٢) وهو مصطلح استخدم لبيان ظاهرة الخطوط المتداخلة المتباينة الأشكال والأوضاع على صفحات النصول، فهي خطوط ناعمة متداخلة على شكل النسيج الشبكي، أو على شكل تقسيم خطوط النصل إلى مسافات قصيرة متساوية، أو شكل عقد متتالية متقاربة متلاصقة، وأحيانا تكون على شكل خطوط عريضة تشكل بقعا مستديرة أو مستطبة، أو خطوط متعرجة أو متوازية.

ويرجع هذا الاختلاف إلى التغيير في نسب الشوائب الداخلة في الخليط الفولاذي للنصل، والتي تدرس كمياته بدقة كالكربون والمغنيسيوم والسليسيوم والكبريت والفسفور وبعض المواد العضوية، أو إلى اختلاف في الطرق الحرارية من إسقاء وإحماء وتبطين وتحكم في درجات حرارة كل منها^(١٣) ويخالف الجوهر تمتاز صفحات النصول بإشتمالها على: (١) شطوب أو قنوات تحفر في متونها وفاندتها أن تجعل الخنجر أكثر ليونة (٢) حد الخنجر أو حرفه، وهو جزء النصل القاطع، وما بين حد الخنجر الجزء البارز في وسط نصله شفرتا الخنجر أو حرفاه المرتفعان، ثم المضرب وهو حد الخنجر أو الموضع الذي يطعن به (٣) السنيك وهو طرف نصل الخنجر.

وعلى هذا الأساس يمكن إجمال مكونات الخنجر في جزئين رئيسيين هما: المقبض والنصل، ولكل منهما عناصر مهمة لا يكاد خنجر يخلو من معظمها، وبذلك فإن الخنجر أشبه في تكوينه بالسيف، فهو صورة مصغرة له.

أغصان الخناجر :

يكون للخنجر في العادة قراب أو أبقان أو أغصان Scabards تحفظ فيها، يطلق عليها ابن حيان الغلائف^(١٤) وهي عبارة عن جراب من الخشب، في الغالب، مغطى بالحرير أو القטיפاة أو الجلد أو المعدن، ويعرف الجزء الذي يلبس منها في قائم الخنجر باسم السفن، وهي جلده مصنوعة بشكل جيد، زودتنا بعض المصادر بأوصاف تتم عن نوعها مثل: غمد سفن^(١٥) وسفن حوت بنصل^(١٦) وفي نهاية أغصان الخناجر من أسفل: جلدة مفرغة مزينة تنتهي عادة بحديدة

ملبسه فيها يطلق عليها النعل^(٧١) ويبطن القدم من الداخل أحيانا بجلود تعرف بالحلل، ويرصع من الخارج بحلي مستديرة على شكل حلقات أو شرائيب من المواد النسجية، كالقطن أو الكتان أو الحرير، التي كانت تستخدم في تزيين الأسلحة وأدوات الخيل^(٧٢).

الخناجر الأندلسية:

وإذا كان المؤرخون قد أشادوا بمهارة الأندلسيين في صناعة كل أدوات الحرب، كما سبق الإشارة، حتى قيل عنهم بأنهم تركبون في معاتاه الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها^(٧٣) كما أسهبوا في وصف أنواعها وأشكالها، فيما عدا الخناجر، فمن الطبيعي أن يكون لأهل الأندلس نفس المهارة في مجال صناعة وزخرفة الخناجر التي تنوعت تنوعا كبيرا، وأوليت مقايضها ونصولها وأغمارها عناية شديدة، ويبرهن على ذلك مصدران: الأول تاريخي والثاني مادي، أما التاريخي فهو وصف وحيد نادر، للمؤرخ القرطبي ابن حيان لمحتويات الهدية التي بعث بها الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى عامله على المغرب أبي موسى بن العافية وكان من بينها أربعة خناجر، وذلك بقوله (وكان في هذه الهدية من غرائب السلاح أربعة بنود رابع أحمر مكتوب بالفضة في جوائبه الثلاث كتاب عريض وفيها سيقان وهلالان مذهبان مذوقان وأربعة قرون للضرب (أي خناجر) جاموسية مجزعة الأطراف الضيقة غلافها ديباج وعلقها أديم أحمر ولكل واحد منهما أربع حلقات فضة للعلاق حلية، أحدهما فضة مذهبة ملوزة بلوز أبيض بصيغتين مذهبتين مشمع الطرف الأضيق فيه أربع حلقات فضة وحليه الثاني فضة بصور وحليه الثالث فضة منقشة مشعمة وحلية الرابع فضة مذهبة منقشة مشجرة^(٧٤)).

ويؤكد المقرئ أيضا على: أن تلك الخناجر كانت مما يهادى بها من قبل كبار رجال الدولة للخليفة، كتعبير عن ولائهم وطاعتهم، حيث أشار إلى أن الحاحب أبا جعفر المصحفي بعث منها إلى الخليفة الحكم المستنصر خمسة وعشرين قرنا مذهبة من قروون الجاموس^(٧٥).

ويعتبر عصر الموحدين العصر الذهبي لصناعة الخناجر الحربية، حيث أشار البيهقي إلى أنها كانت من الأسلحة التي استعملها الجيش في عصر الموحدين^(٧٦)، وإذا كنا نأسف على اختفاء كل هذه الخناجر، والتي وردت بعض الإشارات عنها في المصادر التاريخية، ولم يصل إلينا منها أي أثر مادي؛ فإن ما نقله ابن حيان عنها هو أصدق صورة وضعت عنها، فبفضل هذا الوصف الدقيق نستطيع أن نتصور ما كانت عليه - صناعة الخناجر الأندلسية وزخارفها من روعة وجمال، منذ عصر الدولة الأموية، لاسيما وأن هذا الوصف لمؤرخ معاصر، ولذلك فقد جاء شاملا دقيقا، يسهل من خلاله التعرف على بعض الأنماط الزخرفية للخناجر ووسائل تنفيذها. فالوصف يكاد ينطق بكل التفاصيل الزخرفية التي كانت تكسو مكونات تلك الخناجر، حيث يذكر أن أطرافها (أي الموضع الذي يطعن به) كانت محزوزة بحزوز بارزة مجزعة، وأن أغمارها أو أغلافها كانت مكسوة بأنواع الديباج والحرير، ومحلاة بدلايات على شكل حلقات مصنوعة من موائد ثمنية من الفضة الخالصة والفضة المذهبة المرصعة بالأحجار الكريمة، والمنقوشة بالتوريقات النباتية وصور الكائنات الحية.

كما نستنتج، من الوصف نفسه، أن الصناع الذين اهتموا أجزاء تلك الخناجر قد صنعوا لها علاقات من الفضة؛ لتحمل منها عن طريق أشرطه من قماش الحرير القرمزي. ويخلاف ما ذكره ابن حيان والمقرئ عن الخناجر، في عصر الدولة الأموية، تصمت المصادر العربية عن ذكر شيء آخر يتعلق بها، سواء في عصر الدولة الأموية أو ما تلاه من عصور، ويزيد الأمر غموضاً أننا لا نجد رسوماً لها في المخطوطات والرسوم الجدارية، أو على الفنون التطبيقية الأندلسية، ولكن النماذج التي وصلت إلينا منها، برغم قلتها، تكفى لإعطاء صورة واضحة لما كانت عليه مكونات وأشكال الخناجر، سواء في عصر الدولة الأموية، أو ما تلاه من عصور.

والنماذج التي وصلت إلينا من الخناجر الأندلسية يبلغ عددها ستة خناجر، كلها محفوظة في متاحف إسبانيا التي قمت بزيارتها، وفي تتبعي لتلك المجموعة ودراستي الشخصية لها في أماكن حفظها: لاحظت أنها تنتمي إلى فترات زمنية مختلفة، تبدأ بعصر الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بني نصر.

أولاً: نماذج الخناجر الموزعة بالفترة من عصر الخلافة وحتى نهاية عصر المرابطين :

لم يصل إلينا من خناجر هذه الفترة سوى نموذجين.

(١) النموذج الأول: (لوحة ١)

عبارة عن خنجر نصله مصنوع من البرونز عثر عليه بمدينة أنبيرة، محفوظ في المتحف الأثري بقرطاجنة تحت رقم ٨٢٧، وموزع بواخر القرن ١٠هـ/١٠م وبداية القرن ١١هـ/١١م، ولهذا الخنجر مقبض طوله ١٠سم يتكون من واقية قوامها قطعة من البرونز مستطيلة المقطع مسطحة الجوانب، يتصل بها رأسياً عن طريق اللحام قضيب (رأسه الخنجر أو قائمة) ملفوف إسطوانياً المقطع، ويتوسط بدن هذا القضيب، أو القانم، انبعاج مخروطي يمثل محورا مركزيا لموضع قبضة اليد (مقبض كف الضارب) وينتهي هذا القانم، أو القضيب، بقبضة تتميز ببساطة تشكيلها الفني، فهي تتكون من لوح برونزي مصبوب، جوانبه ملفوفة بحيث تشكل مخروطاً مقطوعاً.

وتخلو جميع أجزاء هذا المقبض من أي زخارف، باستثناء القضيب الذي يصل بين القبضة والواقية، فقد ازدان بدنه بزخارف هندسية بسيطة، عبارة عن لفائف دائرية منفذة بأسلوب الحز، الذي يعد أقدم طرق زخرفة المعادن الأندلسية وأكثرها انتشاراً في الفترة المنسوبة إليها بقايا هذا الخنجر^(٧٢).

(٢) النموذج الثاني: (لوحة ٢)

خنجر عثر عليه بمدينة قرطاجنة وحفظ في متحفها الأثري، تحت رقم ٨٢٨، طول نصله ٢٥سم، وطول مقبضه ١٢سم، ويبلغ طول هذا الخنجر بما في ذلك مقبضه، ٣٧سم ويتألف من نصل ومقبض، والنصل مستقيم طوله ٢٥سم مصنوع من الفولاذ، له شفرتان، وينتهي بطرف مدبب (سنبك) مستدق البدن.

أما المقبض فمصنوع من البرونز، ويتصل في قالب واحد بالنصل، عن طريق وإقيته المحزوزة بلفائف دائرية متراكبة منسواء، مركب عليها قبضته المشكلة في هيئة كائن حي أشبه ببطنين رؤوسهما مستديرة، وأبداهما التي تمثل مقبض كف الضارب (موضع قبضته اليد) مضغوطة في شكل كروي منبعج الجوانب، والتي تسمى (قله) ويخلو مقبض ونصل هذا الخنجر من أية زخارف، مما يشير إلى أنه كان من نوع الخناجر الحربية التي شاع استخدامها في عصر الموحدين، كما سبق الإشارة.

ويؤرخ المتحف هذا النموذج بالقرن ٥-٦/١١-١٢م، أي أواخر عصر الطوائف وبيداتية العصر المغربي الأندلسي (عصر دولتي المرابطين والموحدين).

ثانياً: نماذج الخناجر المؤرخة في الفترة من عصر الموحدين وبداية عصر بني نصر :

ما وصل إلينا من خناجر هذه الفترة نموذج (لوحة ٣).

وقد عثر عليه بمدينة إشبيلية، ومحموط حالياً في المتحف الوطني بمريد، تحت رقم ٨٤/٤٦٠، ويؤرخه المتحف بالقرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، أي أنه يرجع إلى نهاية عصر الموحدين، وبداية عصر بني نصر.

ويتسم الخنجر بجلال الشكل وجمال النسب، ويعبر عن مرحلة من مراحل التطور التي مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية، حيث دخلت عليه بعض التعديلات التي أفقدته بساطة الخناجر السابقة عليه - ويلاحظ هذا التطور في شكل النصل والمقبض بأجزائه المختلفة .

فبالنسبة للنصل نلاحظ أنه طويل ومستقيم، ينتهي بسنك عبارة عن طرف شديد التدبيب، ويتحول قبل هذا الطرف إلى نصل ذي حدين عليه شطبه واحدة كما يلاحظ أيضاً بأن هذا النصل يتضمم إلى حد ما في أعلاه لاسيما عندما يُعرف بسنك الخنجر الذي يدخل في القائم. ثم يميل من الخنجر وجانبه (حصىرته) إلى النحافة وحتى حدية، ليتحول عند طرفه المدبيب (السنبك) إلى ما يشبه رأس الإبرة، وهذه الخصائص تجعل هذا الخنجر سلاحاً جيداً للقطع والطعن معاً.

أما المقبض فبرغم أن الصانع قد شكله مع النصل في قالب واحد، على غرار النماذج السابقة إلا أن الجديد الذي نلاحظه هنا هو التطور الذي طرأ على حجم المقبض ككل، إذ زاد طوله زيادة ملحوظة، مع العناية بتجزئة عناصره، فالواقية صبت مع نهاية النصل، وتشكلت من بدن أسطوانى يتصل به في قطعة واحدة رقيقة ناقوسية، بحيث اتخذت الواقية في مجموعها شكل زهرية، ويلي الواقية موضع قبضة اليد (مقبض كف اليد) التي تتجه رأسياً بحيث تصل بين الواقية والقبضة، وقد عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض على نحو رائع، ففي كل من طرفيه بدن كروي مركب فيه رقيقة ناقوسية، بحيث يتخذ كل منهما شكل قلة، إحداها مقبوضة والأخرى معدولة يصل بينهما إطار رقيق يتألف من قرصين دائريين، بينهما قرص أوسط مسنم، بحيث تظهر في مجموعها على شكل حبات المسبحة التي تزين محاور رؤوس التيجان.

أما عن قبضة هذا الخنجر، التي تعد من العناصر الهامة في تكوين مقابض الخناجر، فقد اهتم بها الفنان الأندلسيون، وحرصوا على تنويع أشكالها. إذ ما لبثت أن تطورت هنا واتخذت طابعاً أو طرازاً له ذاتيته، منذ القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، إلى أن بلغ غاية التطور في

عصر بنى نصر، فمما بلغت النظر فى طراز هذه القبعة أنها تشكلت من قطعة مستطيلة أرضيتها مجوفة وجوانبها القصيرة مقصوفة فى شكل أذان ريع دائرية ذات أطراف مدببة.

ويطلق على هذا الطراز من الخناجر ذات القبيعات المشكلة على هذا النحو فى المصطلح الإسباني: اسم (punales de orejas) بمعنى الخناجر ذات الأذان^(٧٤).

وهذا الطراز من الخناجر سوف يتابع انتشاره فيما بعد عصر الموحدين فى الأندلس، ومنذ بداية عصر بنى نصر إلى نهاية هذا العصر وبداية القرن ١٠-١١ هـ/ ١٦-١٧ م، ولكن بشكل أكثر تطوراً، بحيث يمثل آخر مراحل التطور التى مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية ذات الأذان التى بدأ يظهر الطابع الزخرفى فى تشكيل مقابضها وتقسيم أبدانها بدقة بالغة، ثم اتجهت فى تطورها نحو مزيد من الزخرفة بحيث غلبت فكرة الحلية على فكرة التيسيط، وهذا ما سوف نلمسه فى بقية الأمثلة الإسلامية والمسيحية التى صنعت على غرارها، حيث تحول شكل أذان القبيعة إلى قرصين أسطوانيين منفرجين متقاربين من أسفل ومتباعدين من أعلى^(٧٥).

وقد أكدت المدونات المسيحية على أن الخناجر التى صنعت على هذا الطراز، خلال هذه الفترة الطويلة فى الأندلس، تندرج فى ثلاث مجموعات أولها وأقدمها يرجع إلى عصر بنى نصر، أما المجموعة الثانية والثالثة فقد اتفقت الأراء على أنها صنعت فى العصر المسيحى، ولكنها اختلفت بشأن مكان صناعتها فى إسبانيا المسيحية، أم فى مدينة فينسيا الإيطالية (لوحة ٨-٩-١٠)^(٧٦).

ثالثاً: نماذج الخناجر الأندلسية المؤرخة منذ بداية عصر بنى نصر وحتى نهايته:

تضم هذه المجموعة ثلاثة خناجر (لوحة ٤، ٥، ٦، ٧) كانت قد غنمها الجيوش المسيحية من السلطان أبى عبدالله فى موقعه الليساته، واثنان من تلك الخناجر كانت بحوزه الكونتيسة باجيا Condesa de Behague أحدهما كان محفوظاً فى أكاديمية السلاح الملكى بمدريد، ثم نقل إلى متحف المتروبوليتان فى نيويورك، والثالث محفوظ فى متحف بلنسية دى دون خوان.. أما الثالث فمحفوظ حالياً بالقصر الملكى فى مدريد.

الخنجران الأول والثانى من تلك المجموعة :

تضم هذه المجموعة خنجرين متشابهين إلى حد التطابق (لوحة ٤، ٥) فكلهما مصنوع من الفولاذ المذهب؛ الذى اصطلح على تسميته، فى المصادر العربية الأندلسية، بإسم طلاء الذهب الإبريز أو المذهب^(٧٧). وفيه يتم تذهيب السطح المعدنى بعد عملية التشكيل مباشرة، وقبل نقش الزخارف عليه، ومن شأن هذا الأسلوب أن يحدث تناوباً لونياً بين اللون الذهبى لسطح التحفه وبين الزخارف المحفورة على المعدن الأصلى، فضلاً عن إكسابها لوناً براقاً وحماية التحفه من الصدأ وينفذ هذا الأسلوب بطرق ثلاثة هى:

(١) عمل رقائق من معدن الذهب تثبت على المعدن الأصلى، إما بالطرق أو اللصق بمادة لاصقه مثل الصمغ أو الغراء.

(٢) طريقة التذهيب بواسطة النار أو الحرق.

(٣) طريقة التذهيب بدعك أوحك السطح المعدنى للتحفة بنوع من الأحجار يعرف بحجر الشادنه أو جدر الطلق^(٧٨) اشتهرت به مدينة قرطبة كما سبق الإشارة بحيث يكسب التحفة لونا ذهبيا طبيعيا^(٧٩).

أجزاء الخنجرين:

يتكون كل منهما من نصل قصير ومتن ضيق، وهما من النوع المستقيم ذى الحدين، وتتميز صفحتا النصل باشتمالهما على شطبة واحدة ممتدة بطول النصل، وتبرز عن أرضيته فى إنحناء مقعر. بحيث تكون ما يعرف بالخير، أى الجزء الناشز فى وسط نصل الخنجر أو السيف وخيريه، أى حرفاه المرتفعان، وقد ترتب على ذلك أن ظهر النصل كما لو كان هيكلا مكونا من أوتار أو ضلوع بارزة، تقوم على أرضيته المسطحة فى أعلاها والمستدقة أنهارها، على نحو يذكر ببعض اتصال سيوف عصر بنى نصر ذات الشطبة الواحدة^(٨٠).

وينتهى النصل بكل من الخنجرين بمنك عبارة عن طرف مدبب شديد التحذب، أما المقبض فواقيته ملبسه فى أعلى النصل؛ عند الجزء الذى يعرف بالسيلان الذى يدخل فى القائم والنصل، وقد شكلت من إطار مجوف مضلع السطح فى تموج نصف دائرى بتوسطه حنيه دقيقة تمتد فى أعلاه وأسفله، بحيث تبدو فى شكل ذراع ينتهى بكف، ومثل هذه الحليه شاع ظهورها على بعض وإجهات العسائر فى عصر بنى نصر^(٨١) وهى بمثابة تماثيل أو تعاويذ أو شارات سحرية لها دلالات رمزية، ربما كان الغرض منها تحصين الخنجر من الحسد والسوء أو الضياع، ولكى تؤدى عملها فى يد صاحبها على خير وجه، وقد ظهرت مثل هذه الشارات أو التماثيل فى الأندلس منذ عصر دولة المرابطين والموحدين^(٨٢).

ولهذه الواقية قرص أسطوانى مجوف مصبوب مع موضع قبضة اليد، بحيث يدور مع حركة معظم اليد أثناء الطعن، ويتألف مقبض كف الضارب من ألواح معدنية، عبارة عن لوحين رأسيين يجمعهما لوح أوسط يملأ الفراغ الواقع بينهما. بحيث تظهر الألواح الثلاثة كقطعة واحدة مثبتة بواسطة مسامير صغيرة بالغة الدقة يطلق عليها (الفيتير) أى رؤوس المسامير التى فى قبضة الخنجر. ومن الواضح أن تلك المسامير، المستخدمة كوسيلة تثبيت وتقوية، قد أضيفت إلى بدن المقبض بعد عملية تجميعه وصبه.

ويتوج قمة كل طرف من أطراف اللوحين الرأسيين، فى كلا النموذجين، قرص دائرى أرضيته مقعرة قليلا، بحيث يظهران معا فى شكل أذنان يرتفعان بشكل ملحوظ عن ساق قبضه اليد، يتقاربان من أدنى ويتباعدان من أعلى فى إنفراج واضح، بحيث يمثلان قبضة الخنجر، ويعبران عن طراز الخناجر ذات الأذان punales de orejas. أما عن زخارف هذين الخنجرين، فقد تركزت فى أجزاء المقبض دون النصل، حيث تظهر فى اللوح الأوسط من موضع قبضه اليد، وعلى جوانب الواقية وفى الأوجة الداخلية للأذان القبيضة، وكلها منفذة بأسلوب الحفر الغائر على أرضيه مطروقة^(٨٣) برقائى من الذهب تم صهرها على السطح الفولاذى عن طريق التسخين إذ تظهر آثار هذه الطريقة الفنية فى الأجزاء البالية من المقبض.

وتتكون للزخارف من توريقات نباتية قوامها أزهار خماسية البتلات، محصورة داخل سيقان ملفوفة، فضلا عن تصاميم هندسية تبدو فى شكل صلبان محزوزو، وأخرى فى شكل

حرف T ، ويتخلل كل هذه الزخارف الموزعة في الأوجة الداخلية لأذان القبيعة وموضع قبضه اليد وفي الإطار المضلع للواقية - شعار بنى نصر الكتانى (لا غالب إلا الله تعالى) وتتميز كل هذه الزخارف بشدة تقصيرها وتداخل خطوطها، بحيث يصعب على غير المدقق تمييز أبعادها الحقيقية خاصة وقد تداخل معها أسلوب التذهيب الذى جعل من المتعذر أحيانا تمييز العنصر المحفور من المذهب، وتلك سمة من سمات زخارف المعادن في عصر بنى نصر..

الخنجر الثالث من المجموعة:

أما عن الخنجر الثالث من مجموعة الخناجر النصرية ذوات الأذان، فهو أروع الخناجر الأندلسية التى وصلت إلينا، وأفضلها احتفاظاً بمظهرها الأصلي، إذ كان بحوزة حاكم مدينة قرطبة دون ديجوا فرنانديث Don de go FernNmdez الذى غنمه فى موقعه الليسانه، عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، من جيش السلطان أبى عبدالله، ثم أهداه إلى القديس Viana ، ومنه انتقل إلى قاعة السلاح فى متحف القصر الملكى بمريد، حيث حفظ فى المتحف المذكور تحت رقم G ٣٦١ (لوحة ٦).

ويبلغ طول هذا الخنجر، بما فى ذلك مقبضه، ٣٥ سم ولا يزال هذا الخنجر محتفظا بجرايه أو غمده الذى يبلغ طوله ٢٥.١ سم (لوحة ٦) ويرغم وجود أوجه شبه وثيقة بين هذا الخنجر والخنجرين السابقين، سواء من حيث نوع المعدن المصنوع منه وهو الفولاذ المذهب، أو من حيث تكوينه العام، إلا أنه قد تميز عنهما بعدة خصائص فنية تمثل أقصى ما وصلت إليه صناعة الخناجر، فى عصر بنى نصر، من تطور ويزداد هذا التطور وضوحاً فى شكل المقبض المصنوع من الفولاذ المكسو بالخشب المطعم بالعاج، وقد تم تثبيت الخشب على الفولاذ بواسطة مسامير من البرونز، بطريقة التجميع أو التركيب^(٨٤).

وتختلف مكونات هذا المقبض جوهرياً عن النموذجين السابقين، ليس فقط من حيث تعدد مادة صناعته، ولكن أيضاً من حيث أسلوب التشكيل؛ برغم إحتفاظ قمته أو قبيعه بشكل الأذنين، فقد رتبته أجزاؤه بحيث تمتد امتداداً رأسياً، روى فيه عنصر المثانة والجمال من ناحية، والتقليل من مكونات كل جزء من أجزاء المقبض، من ناحية أخرى.

فالواقية تتكون من قطعة واحدة فى شكل مخروط هرمى قاعدته أسطوانية، ويدنه مسحوب فى الحناء مقعر نحو الداخل، بحيث تتخذ الواقية فى مجموعها شكلاً يقرئها من شكل الكأس أو الناقوس.

وينتصف قمه القاعدة الأسطوانية للواقية موضع قبضة اليد، التى تشبه إلى حد كبير نظائرها فى النموذجين السابقين، وإن تميزت عنهما بشدة استطالتها ويدنها الانسيابية الممشوق مضلع الجوانب مسطح الأوجه، مع ملاحظة شدة تفلطحه عند منتصفه، وهو ما يمثل تطوراً فى شكل ساق موضع قبضة اليد، التى يشبه طرفها العلوى عنق المزهريات الفخارية الخزفية التى ترجع إلى عصر بنى نصر.

أما عن قبيعة هذا المقبض، فبرغم أنها تحاكي من حيث الشكل نظائرها السابقة، إلا أن الأذنين قد انتصبا فى وضع رأسى منتظم، بتوسطه فراغ ضيق، بحيث يتخذان صورة جديدة تختلف عن صورتها المنفرجة فى أذان النموذجين السابقين. ومن شأن هذا التكوين أن يتيح

عصر المتانة والثبات، وهو اتجاه التزم به الصانع في تشكيل كل أجزاء المقبض المصنوع لأول مرة بطريقة التجميع من العاج والفولاذ والخشب.

زخارف المقبض : لوحة (٧)

أما عن زخارف هذا المقبض فقد تطورت، فبعد أن كانت في الأمثلة السابقة بسيطة أخذت هنا تتعدّد وتمتلك بها جميع أجزاله، فهي ذات طابع ملكي تستجيب إستجابة واضحة لما كانت عليه زخارف عصر بنى نصر، التي تميزت بتعدد عناصرها وتداخلها فيما بينها، سعياً لشغل الفراغات العارية، فبرغم أن الزخارف النباتية تحتل مكان الصدارة في زخرفة أجزاء هذا المقبض، إلا أنها تنوعت فيما بينها، حيث عمد الفنان إلى تقسيم مسطحات أوجه المقبض إلى أسطرحة أو حشوات، زينها بتشكيلات زخرفية متنوعة، على نحو يثير الإعجاب، بكل جزء من أجزاء المقبض.

زخارف الواقعة : (لوحة ٧)

إزدان وجهها بدنها المقر بزخارف نباتية محورة، قوامها زهرتان متراكبتان في تدابر أشبه بزهرتي لوتس تنبتان من برعم دائري، ويبدو الطابع التجريدي واضحاً في شكل البتلات التي تحولت في الزهرة السفلى إلى بتلات رحبية مدببة. ويظهر في الفراغ الذي يعطو البرعم الدائري رؤوس المسامير البرونزية، المستخدمة في تثبيت الخشب على البدن الفولاذي للمقبض. أما عن الوجه السفلى للقرص الإسطواني الذي يعطو الواقعة، فيزدان بسيفان نباتية مزدوجة، تنتهي برؤوس مدببة وخطافية، تمتد في خطوط منكسرة ومتسوجة، بحيث تثبت مدى البراعة الفائقة في الاستعانة بالساق بعنصر أساسي في الزخرفة النباتية، دون أن ينبثق منها أية توريقات أو أزهار نباتية.

زخارف موضع قبضة اليد (لوحة ٧) <http://Archivebeta.Sakhr>

أما الجزء الثاني من المقبض، وهو موضع قبضة اليد، فتعتمد زخارفه على حشوات متنوعة موزعة حتى نهايته، وتضم تلك الحشوات وحدات من عناصر نباتية قوامها توريقات تنبثق من فروع متموجة، وثمار وأزهار تملأ ما يتخلف من فراغات، ومن هذه التشكيلات النباتية تبرز الساق المحورية الممثلة لشجرة الحياة، ومنها تخرج فروع ملتفة متداخلة، راعي الفنان فيها تطبيق التماثل في توزيعها، مما جعلها تبدو كما لو كانت متكررة، وهي في حقيقتها متباينة حيث عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض إلى قطاعين متباينين: العلوي إزدان بأزهار لوتس ثلاثية الشحمات، تدل في رسمها على التطور الذي طرأ عليها في عصر بنى نصر^(٨٩) ومن أبرز ملامح هذا التطور، الذي يبعدها عن أصولها المصرية القديمة استطالة الشحمة الثالثة العلوية وتحويلها أحياناً إلى شحمة رحبية محذبة الرأس، بالغ الفنان في شدة إتقانها، وإتسمت حركاتها بالرشاقة، بحيث تعانقت أحياناً رؤوس زهرتين معاً، على نحو يذكر بمشكلاتها في زخارف المنسوجات النصيرية، والحشوات الجصية بقصور الحمراء.

وتنتبت تلك الأزهار من ساق نباتية ملفوفة، تخرج من ساق محورية تذكر بشجرة الحياة، تتوزع على جانبيها أزهار اللوتس متقابلة، تطبيقاً لنظرية التناسق والتماثل التي التزم بها الفنان المسلم في رسم شجرة الحياة المنقولة عن الفن الساساني والروماني والبيزنطي^(٩٠).

أما القطاع السفلى من المقيض، فمقسم إلى ست حشوات، ثلاثة بكل وجه، تزدان الحشوات الجانبيتان بزخارف نباتية قوامها أنصاف مراوح نخيلية، تتألف من فصين يمتد أحدهما في إستطالة واضحة عن الآخر، يتوسطها برعم مركزي يظهر أحيانا، ويختفى أحيانا أخرى، وينبت الفصان من ساق نحيفة متموجة، تتصل ببراعم دقيقة، وتمثل هذه الصورة أقصى ما بلغت أنصاف المراوح النخيلية في الفنون النصرية من تطور، حيث صغرت أحجامها واشتدت فصوصها نحافة بحيث تثير بشكلها الذي أصبحت عليه وكأنها سنابل قمح، أو أجنحة طيور صغيرة تثير إعجاب الناظر المتأمل في تكوينها.

أما عن الحشوة الوسطى من هذا القطاع، فيتوجها محارة نباتية مفصصة تتخذ شكل مروحا رشيقا أسطوانيا تقريبا على نحو تدريجي، ينتج من تدرجها شكل يشبه شعاع الشمس، وتقوم هذه المحارة على إطار من عناصر هندسية تؤلف في مجموعها خطوط معقوفة، منها ما نفذ على شكل حرفي L أو حرف S أو رقم ٨ .

زخارف القبيعة (لوحة ٧)

تعتمد أيضا في زخارفها على العناصر النباتية كموضوع رئيسي، وتتألف هذه العناصر من أوراق غنب خماسية البتلات^(٨٧) تثبت من سيقان مستقيمة ملفوفة تشبه تعاريش الغنب هذا بالإضافة إلى أشكال من أوراق الأكنثس التي تنوعت أشكالها واتخذت صورتين: الأولى تميزت بانتثاتها، بحيث أصبحت تشبه المراوح النخيلية، والثانية تألفت من ثلاث شحمات^(٨٨).

وقد تم توزيع الموضوع النباتي في تماثل، على جانبي القبيعة، بحيث يلتقي الجانبان من أعلى عند ثمرة أناتاس، ويتوسط الموضوع النباتي تشكيل هندسي قوامه دائرة تحصر بداخلها خطوطا مجدولة، وتنتهي الدائرة من أعلى بخطوط مزدوجة معقوفة الطرف، تحصر بداخلها ثمرة الأناتاس سالفة الذكر .

النصل :

نصل هذا الخنجر مصنوع من الفولاذ المذهب، يبلغ طوله ١٩ سم، وهو نصل عريض مستقيم يتميز باستطالته وانتهائه برأس مفلطحه تشبه قط قلم البوص، حين يقطع رأسه غرضا في بره، بحيث يتحول قبيل نهايته إلى نصل ذي حدين.

ويعد هذا النصل فريدا من نوعه بين أنصال الخناجر الأندلسية التي وصلت إلينا حيث طرأ تطور واضح في شكله وزخرفته، وامتاز بجماله ودقة تنفيذ عناصره، مع إبرازها في صورة جديدة تختلف عن نظائرها السابقة، وقد تمثل ذلك فيما يلي :

(١) إشمئل النصل على شطبتين: واحدة عريضة على شكل قناة عميقة شديدة الانحدار تمتد من أعلى النصل حتى بداية الثلث الأخير منه والشطبة الثانية عريضة عميقة ولكنها قصيرة، تمتد في سيلان النصل، أي سطحه الذي يدخل في الواقية، لمسافة لا تتجاوز ٣ سم، وقد نتج عن ذلك وجود خطوط رفيعة مذهبه ومفصصة، كونت ضلوعا أو أوتارا متقاربة تبرز بروزا طفيفا، عكس نظائرها في النموذجين السابقين.

(٢) تحمل صفحتا النصل خطوطاً دقيقة متداخلة متباينة في موجات هندسية، بحيث ترسم شكلاً أشبه بعقود مفصصة، تحصر بينها بقعاً مختلفة الأشكال والأوضاع، ألوانها رمادية تميل إلى اللون الأبيض الفاتح، تؤلف في مجموعها جوهر النصل الذي تشكل من خطوط ناعمة على شكل النسج، على نحو يذكر بشكل الجوهر الدمشقي الذي شاع ظهوره على أنصال السيوف الإسلامية^(٨١).

زخارف النصل :

الجديد الذي تلحظة هنا: أن الفنان على غير المألوف في أمثله الخناجر الأندلسية؛ إهتم بزخرفة نصل هذا الخنجر، بحيث يكاد يكون الوحيد، بين الأنصال الأندلسية، الذي يتميز بأن صفحته منقوشة بزخارف تجمع بين الانسجام والتنوع، ما بين عناصر نباتية وهندسية وكتابية، حيث حفر على سطحه الفولاذي المذهب أزهار لوتس محصورة داخل أشطره دقيقة، يعطوها ويدونها نص كتابي يخط الثلث الأندلسي^(٨٢) يصعب قرأته ونطالع في هذا النص الذي يملأ صفحات النصل عبارات مديح وإطراء متكررة، نصها (السلامة - العز القالم - السعد القالم - العز القالم - السعد الدائم - السلامة) مع توقيع صانعه ويدعى (رضوان).

وبالتدقيق في حروف هذا النص نلاحظ أنها تتسم بقصرها وامتدادها في زوايا حادة يابسها، على نحو يقرئها من حروف الخط الكوفي البسيط، بحيث تحاكي على هذا النحو نظائرها على سيف أندلسي، محفوظ في المتحف الحربي بمadrid، ينسب إلى السلطان أبي عبد الله^(٨٣).

الجراب (الجفن - القميد - الغراب) :

لهذا الخنجر جراب طوله ٢٥,١ سم، مصنوع من الخشب المصفتح بأسلاك من البرونز ومغطى بالجلد، وقد عمد الصانع إلى تقوية الجراب وتجليته بقطعتين: الأولى من أعلاه عند الجزء الذي يليه منه في قائم الخنجر، المعروف بإسم السفن، برقبة عبارة عن إطار مجوف يتخذ شكلاً مخروطياً منتظماً بدنه، مصنوع من الخشب المبطن من الداخل بالجلد، فيما يعرف بإسم الحنل والمصفتح من الخارج بالفولاذ المكفت بالفضة، زخارفه عبارة عن حلقات دائرية موزعة بالتناوب على مسافات منتظمة، واحدة تضم شعار بنى نصر الكتابي (لا غالب إلا الله) والأخرى تملؤها زهرة زنبق.

أما القطعة الثانية فملبسة في نهاية الجراب من أسفل، وهي عبارة عن جلدة مفرغة تعرف بالعزيقة، تأخذ نفس شكل نهاية النصل، مصفحة بالفولاذ ومكفتة بالفضة، في شكل فصوص متراكبة تشبه حبات اللؤلؤ، ويشغل ما بين الفصوص ويتصل بها أسلال مجدولة من البرونز المذهب تحصر بينها زخارف نباتية وهندسية، يغلب عليها الطابع التجريدي، تدور في جميع الاتجاهات، بحيث لا تترك فراغاً دون أن تملأه، ويتعذر على غير المدقق تمييز شكلها الحقيقي.

ويستلظف النظر، في زخارف هذا الجزء من الجراب، وجود سلكه ملفوفة من البرونز في شكل دبلة، بداخلها صورة كائن حي ذات طابع تجريدي أشبه بشكل النسر .

أما عن بدن الجراب المرئي، المحصور ما بين رقبتة وعزيقته والمصنوع من الخشب المكسو بالجلد، فقد ازدان بتوريقات نباتية محورة، قوامها أزهار زنبق وأنصاف مراوح نخيلية

متراكبة، في أوضاع متقابلة ومتدايرة، موزعة داخل أشرطة رأسية عريضة تتناوب مع أخرى ضيقة، زخارفها هندسية، قوامها أشرطة مجدولة.

ولهذا الجراب علاقة من حبل مقتول من خيوط الكتان^(١١) يتدلى منه شراية من خيوط الحرير^(١٢) تشبه نوابه الطريوش، ويبدو الشكل العام لهذه العلاقة على نحو يقربها من شكل القرنشة في الستائر الحديثة.

بعض مستلزمات الخناجر الأندلسية (لوحة ١١-١٢)

إذا كان الخنجر يعد أحيانا للقتال، فهناك عدة أنواع أخرى من الخناجر استخدمت ولا زالت تستخدم، لأغراض أخرى غير القتال، منها خناجر الزينة التي كانت من مستلزمات المظهر الخارجي في المجتمعات الإسلامية، ففضلا عن كونها سلاحاً شخصياً، فهي حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حاملها ومكانته، من خلال مقابضها وأغصانها المصنوعة من مواد ثمينة.

واستكمالا للمظهر الخارجي، لمن يحمل هذا النوع من الخناجر، أعدت لها حمائل عبارة عن أحزمة تدور حول الوسط أو الأكتاف، يعلق فيها معاليق عبارة عن جعب في شكل حقائب من الجلد المطعم بخيوط الفضة والذهب، إذ كان الخنجر لشخصية كبيرة، وكانت هذه الحقائب تستخدم في أغراض أخرى غير حمل الخنجر، منها حفظ المتعلقات الشخصية بصاحب الخنجر ومنها المصحف والغمد، وتميزت أحزمة تلك الخناجر، أو بالأحرى حقائبها، باشتمالها على إبريمات معدنية غالبا ما تكون من الحديد المذهب.

وفي رأى أحد مؤرخي الفن: أن الصناع الأندلسيون قد تفننوا في صناعة مثل هذه الأحزمة ومعاليقها، في نهاية عصر بنى نصر، أي منذ أواخر القرن ١٥هـ/١٥٠٥م^(١٣). وللأسف أن نماذج هذا النوع من الأحزمة ومعاليقها قد ضاعت نهب الفتن والحروب التي سقطت على أثارها مملكة غرناطة، آخر معاقل دولة الإسلام في الأندلس ولم يبق شاهدا عليها سوى حزام من عصر بنى نصر محفوظ في المتحف الحربي بالقصر الملكي بمدريد، وهو مصنوع من الجلد، طوله ١٠٤ سم، تزيينه أسلاك من الفضة موزعة في صفوف أفقية منقوشة متوازية، وعليه كتابة نسخية بخط الثلث الأندلسي في سطر واحد نطالع فيها شعار بنى نصر الكتابي (ولا غالب إلا الله تعالى) محصور داخل خراطيش بطاقيه سداسية الشكل، ويملأ الفراغ الواقع بين تلك الأسلاك والشعار الكتابي؛ توريقات نباتية أشبه بزهرة الزنبق، وينتهي طرفا الحزام بإبريم من البرونز المذهب يتخذ في الطرف الأيسر شكل حلقة بيضية مصنوعة من سلك سميك، مركبة في قطعة معدنية قاعدية ينتصفها الإبريم، وفي الطرف الآخر الأيمن عبارة عن قطعة قاعدية مربعة مسطحة، يدخل فيها الطرف الآخر من الإبريم.

ويسترعى النظر وجود إبريم آخر مصنوع من البرونز المذهب أيضا، استخدم كنقطة وصل بين أجزاء الشريط الحزامي وكسمة زخرفية إضافية، ومعلق بهذا الحزام جعب حجمها ١٢.٥ سم × ١١.١ سم، مصنوعة من الجلد ومرصعة بأسلاك من الفضة، تتقاطع وتتشابك فتؤلف إطارات تبدو من الخارج في هيئة حبيبات مجدولة، ومن الداخل في هيئة خطوط أو صفوف من سلكين متجاورين، وتحصر تلك الإطارات بداخلها شعار بنى نصر الكتابي (ولا غالب

إلا الله)، ونلاحظ في كتابة هذا الشعر مدى التطور في حجم الحروف، فهي تتميز بالمبالغة في كبر حجمها، لتصبح عنصراً زخرفياً يحنأ، فضلاً عن إسباغ بعض القيم الجمالية عليها، عن طريق تزويدها بتوريقات نباتية تنفجر من نهايتها أحياناً، أو تملأ الفراغات الواقعة بينها، ونلمس ذلك على سبيل المثال والتخصيص في حرف (الباء) في كلمة (غالب)، فقد بالغ الخطاط في مدّها أفقياً أسفل حروف الكلمة جهة اليمين، وزودها بتوريق نباتي قوامه أنصاف مرواح نخيلية ذات فصين، كما أضفى على حروف الكلمة حيوية وأسبغ عليها جمالاً حين وصل بين حرف اللام وحرف الباء بنفس التوريق النباتي.

ومن الملاحظات التي يمكن أن نستخلصها من هذا النقش؛ أنه موزع على سطرين أحدهما مقلوب يقرأ في عكس اتجاه الآخر، ونص الأول جهة اليمين كلمة (ولا غالب) ونص الثاني (إلا الله تعالى) وعلى ظهر الجعبة صورة أصابع اليد الخمسة، التي شاع ظهورها في معظم واجهات عمائر بني نصر، والتي تمثل، في رأي أحد مؤرخو الفن، كف السيدة فاطمة وكرمز إلى البركة وتحصين تلك الحقيقة وما يداخلها من السوء والضياح^(١٥) وتغليظ وجودها ربما الإشادة بالتحفة التي تزدها جمالاً وصناعة^(١٦).

وجميع هذه الزخارف، سواء على الحزام أو جعبته، ظهرت مجسمة ومنفذة بأسلوب الترصيع؛ الذي يعد من أبداع وأميز الوسائل الفنية التي أقبل الصناع، في عصر بني نصر، على الاستعانة بها بقصد الزخرفة.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

خاتمة

- من خلال دراسة هذا الموضوع نستخلص بعض النتائج أهمها:
- (١) أن ازدهار صناعة السلاح، بوجه عام في الأندلس؛ كان ثمرة عوامل كثيرة أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لها، وعناية حكام الأندلس بتلك الصناعة، والتي إتخذت عدة مظاهر منها: تعدد مصادر الحصول على أدوات الحرب، وإقامة دور لصناعتها في مختلف مدن الأندلس .
 - (٢) أثبتت الدراسة أن الصانع الأندلسي، لاسيما في الفترة النصرية، وضع بصمته على كافة منتجات السلاح الأندلسي، حتى أنه من النظرة الأولى لأى من هذه المنتجات؛ ندرك أصولها الأندلسية لتمييزها عن غيرها.
 - (٣) فى مجال دراسة الخناجر: أكدت الدراسة على أن عصر بنى نصر هو العصر الذهبي لصناعة الخناجر الدفاعية أو الحربية، فى حين أصبح فى نهاية هذا العصر سلاحاً شخصياً للزينة والإهداء، أكثر من كونه سلاحاً رئيسياً يستخدم فى المعارك.
 - (٤) تمثل الخناجر التى تناولتها بالدراسة، معظم الخناجر الأندلسية التى وصلت إلينا حتى الآن، والبالغ عددها ستة خناجر، معظمها ينشر لأول مرة، وكلها محفوظة فى متاحف إسبانيا، وقد قمت بدراستها عن قرب، فى أماكن حفظها بتلك المتاحف.
 - (٥) كان من نتائج الدراسة التحليلية، والمقارنة بين أمثلة الخناجر الأندلسية، الخروج بأن بعضها يشترك فى سمات فنية واحدة تقريبا، والبعض الآخر انفرد بسمات فنية لا نجدها فى غيرها من الخناجر، لاسيما فى عصر بنى نصر؛ الذى كان نقطة تحول فى كثير من السمات الفنية المتعلقة بمكونات الخناجر، وأساليب صناعتها وزخارفها.

فهرس اللوحات :

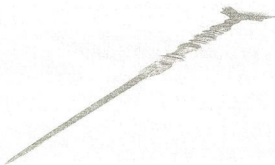
- (١) لوحة (١) : خنجر أندلسى عثر عليه بمدينة البيرة، محفوظ فى المتحف الأثرى بقرنطة مؤرخ فى أواخر القرن ١٠هـ / ١٠م وبداية القرن ١١هـ / ١١م (تصوير الباحثة).
- (٢) لوحة (٢) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينة قرنطة، ومفوظ حاليا فى متحفها الأثرى مؤرخ فى القرن ١١هـ / ١١م - ١٢هـ / ١٢م (تصوير الباحثة)
- (٣) لوحة (٣) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينة أشبيلية، ومفوظ حاليا فى المتحف الوطنى بمدريد مؤرخ فى القرن ٧هـ - ٨هـ / ١٣م - ١٤م (تصوير الباحثة)..
- (٤) لوحة (٤) : خنجر أندلسى محفوظ فى متحف بنى نصر، محفوظ فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك - (عن توريس بلباس).
- (٥) لوحة (٥) : خنجر أندلسى محفوظ فى متحف بلنسية دى دون خوان بمدريد - (عن توريس بلباس).
- (٦) لوحة (٦، ٧) : خنجر أندلسى من عصر بنى نصر، محفوظ فى القصر الملكى الحرسى فى مدريد - (تصوير الباحثة)
- (٧) لوحة (٨، ٩، ١٠) : نماذج من الخناجر الأندلسية المقلدة فى العصر المسيحى فى إسبانيا وإيطاليا - (عن فرنانديث جونثالث).
- (٨) لوحة (١١، ١٢) : ممثلزمات حفظ الخنجر الأندلسى وتشتمل على الحزام والحقيبة، محفوظان حاليا فى المتحف الملكى بمدريد - (تصوير الباحثة).



لوحة (١) خنجر أندلسي عثر عليه بمدينة البيرة محفوظة في المتحف الأثري بقرنطة مؤرخ في أواخر القرن الرابع الهجري - ١٠م وبداية القرن الخامس الهجري - ١١م (تصوير الباحث)



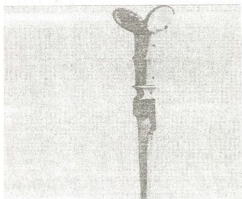
لوحة (٢) خنجر أندلسي عثر عليه في مدينة قرنطة ومحفوظ حالياً في متحفها الأثري مؤرخ في القرن الرابع الهجري - السادس الهجري (١١م) (تصوير الباحث)



لوحة (٣) عثر عليها في مدينة غرناطة محفوظة في المتحف الوطني بمدريد مؤرخ في القرن السابع الهجري - الثامن الهجري (١٣م - ١٤م) (تصوير الباحث)



لوحة (٤) خنجر اندلسي من عصر بني نصر محفوظة في متحف المتروبوليتان في نيويورك (عن - توريس بلباس)



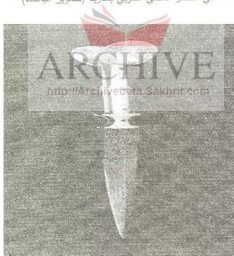
لوحة (٥) خنجر أندلسي من عصر بني نصر محفوظ في متحف بلنسية دي دون خوان في مدريد
(عن - تورييس بلناس)



لوحة (٦) خنجر أندلسي من عصر بني نصر محفوظ في القصر الملكي الحربي بمدريد
(تصوير الباحث)



لوحة (٧) صورة توضيحية لمقبض الخنجر الاندلسي المحفوظ
في القصر الملكي الحربي بمدريد (تصوير الباحث)



لوحة (٨) نموذج للخنجر الاندلسي المقلد في العصر المدجن محفوظة في متحف فينسيا
(عن - فرنانديث جونزالث)



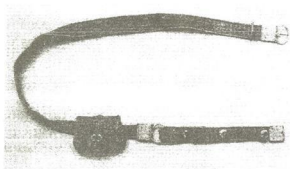
لوحه (٩) نموذج للخنجر الاندلسي المقلد في العصر المدجن محفوظة في متحف فينسيا
(عن - فرنانديث جونزالث)

ARCHIVE

<http://Archive.org/details/akhrit.com>



لوحه (١٠) نموذج للخنجر الاندلسي المقلد في العصر المدجن محفوظة في متحف فينسيا
(عن - فرنانديث جونزالث)



لوحة (١١) مستلزمات حفظ الخنجر الاندلسي محفوظ في متحف القصر الملكي الحربي بمدريد
(تصوير الباحث)



لوحة (١٢) صورة توضيحية لحقيبة حفظ الخنجر
المحفوظة في متحف القصر الملكي الحربي بمدريد
(تصوير الباحث)

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر العربية :

- (١) ابن الخطيب (إسمان الدين أبو عبدالله محمد): الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عنان - القاهرة - ١٩٧٢ .
- (٢) ابن الخطيب : (لسان الدين أبو عبدالله) كتاب أفعال الأعلام فيمن بويغ قبل الإحتلام من ملوك الإسلام - القسم الثاني - الخاص بإسبانيا الإسلامية - تحقيق - ليفي بروفنسال الطبعة الثانية - بيروت ١٩٥٦ .
- (٣) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي) : كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس - القطعة الخاصة بالأمير محمد بن عبد الرحمن - ج ٥، نشرها بدور شاميتا - كورينطي - محمود صبح - نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط - مدريد - ١٩٧٩ .
- (٤) ابن حيان : أبي مروان بن حيان حلف بن حيان القرطبي المقتبس من أنباء أهل الأندلس - قطعة خاصة بالحكم المستنصر - نشر عبد الرحمن الحجى - بيروت - ١٩٨٣ .
- (٥) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير - دار الكتاب - بلنجان - ١٩٨٣ .
- (٦) ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) : كتاب الجغرافية - تحقيق : إسماعيل العربي - بيروت - ١٩٧٠ .
- (٧) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) : المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٦٤ .
- (٨) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد): تاريخ المن بالإنمامة، تحقيق عبد الوهاب النازي - دار الغرب - بيروت - ١٩٨٧ .
- (٩) ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق أويثي فيراند - محمد بن تاويت وإبراهيم الكنتاني - تطوان - ١٩٦٠ .
- (١٠) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أيوب) : قطعة من كتاب فرجه الأتفس من تاريخ الأندلس، نشر وتحقيق - نطفى عبد البديع - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - ج ٢ - نوفمبر ١٩٥٥ .
- (١١) ابن هذيل (علي بن عبد الرحمن): حلية الفرسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبد الغنى حسن - دار المعارف - القاهرة - ١٩٤٩ .
- (١٢) الإدريسي (الشريف محمد بن عبدالعزيز): صفه المغرب والأندلس من كتاب تزهه المشتاق في إختراق الأفاق - نشر المكتبة الثقافية ببورسعيد - بدون تاريخ .
- (١٣) الاتصاري السبتي (محمد بن القاسم): اختصار الأخبار عما كان يثغر سبته من سنى الآثار - تحقيق عبد الوهاب منصور الرباط ١٩٦٩ .
- (١٤) البكري (أبو عبدالله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك - تحقيق عبد الرحمن الحجى - بيروت ١٩٦٨ .
- (١٥) البيهقي (أبو بكر علي الصنهاجي): أخبار المهدي بن تومرت ويداية دولة الموحدين - تحقيق عبد الوهاب منصور - الرباط - ١٩٧١ .

- ١٦) البيروني (محمد بن أحمد) : كتاب الجماهر في معرفة الجواهر - القاهرة - بدون تاريخ
- ١٧) الحميري (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق - إحسان عباس - مكتبة لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٤.
- ١٨) الزهرى (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) : كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق - منشورات مجلة الدراسات الشرقية - دمشق - ١٩٦٨ .
- ١٩) شيخ الريوه (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصارى الدمشقي) : نخبه الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى ببغداد - مصورة عن طبعة لينج ١٩٢٣.
- ٢٠) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - نشر دار الشرق العربي - بيروت - بدون تاريخ .
- ٢١) القلصادي (أبي الحسن علي القلصادي) : رحلة القلصادي - تحقيق محمد أبو الألفان - تونس - ١٩٧٨.
- ٢٢) القلقشندي (أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مجموعة تراثنا - بدون تاريخ.
- ٢٣) مؤلف مجهول / الحثل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشيه - تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه - الدار البيضاء - ١٩٧٩.
- ٢٤) مؤلف مجهول : خزائنه السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك - تحقيق نبيل عبدالعزيز - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ١٩٨٧.
- ٢٥) مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار - تحقيق سعد زغلول عبد الحميد - مطبعة جامعة الإسكندرية - ١٩٥٨.
- ٢٦) المقرئ (أحمد بن محمد) : نفع الطبيب في فحص الأندلس الرطبية، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق : إحسان عباس - بيروت - ١٩٦٨.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ثانياً : المراجع العربية :

- ١) أحمد الطوخي - مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر - مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٩٧ .
- ٢) أحمد فكري - مساجد القاهرة ومدارسها - دار المعارف المصرية - ١٩٦٩
- ٣) أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس - منشأة المعارف - الإسكندرية - ٢٠٠٠م.
- ٤) الأسلحة الإسلامية : السيوف والدروع - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - ١٤٢٢هـ
- ٥) بلال عبد الوهاب الرفاعي - الخط العربي (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٠.
- ٦) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة - ١٩٨٦ .
- ٧) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - مؤسسة شباب الجامعة - إسكندرية - ١٩٩٨ .
- ٨) صبحي عبد المجيد إدريس - أسلحة الجيش وأدواته في عصر الموحدين - مجلة كلية التربية بكمف الشيخ - العدد الأول - السنة السادسة - ٢٠٠٦ م .

- ٩) عبد الرحمن زكى - النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الإسلامية - مجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد - المجلد الخامس - العدد ١-٢-١٩٥٧ م / ١٣٧٧هـ.
- ١٠) عبد الرحمن زكى : الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ - المكتبة الثقافية - عدد - ١٠٨ - مايو - ١٩٤٤.
- ١١) عبد المجيد نعنقى: الإسلام فى طليطلة - دار النهضة - بيروت - بدون تاريخ .
- ١٢) عمر آغا - ملامح من تطور الخط العربى - مجلة كلية الآداب - العدد ١٨
- ١٣) فريد شافعى: العمارة العربية فى عصر الولاة (٣١هـ - ٣٥٨هـ) (٩٣٦م - ٩٦٩م) - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة - ١٩٧٠.
- ١٤) كمال عنانى : الميوف الأندلسية فى ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية - مجلة المؤرخ العربى - عدد ١٣ - مجلد ١ - ٢٠٠٥م.
- ١٥) محمد عبدالله عنان : الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا والبرتغال - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٥٦
- ١٦) محمود فيصل الرفاعى: الأسلحة الخفيفة فى التراث العربى الإسلامى، مجله أفاق الثقافية والتراث الإماراتية - عدد - ٧ - ١٩٩٤
- ١٧) يوسف ذى التون، خط الثلث ومراجع الفن الإسلامى - مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامية - دار الفكر - دمشق ١٩٨٩

ثالثا : المراجع الأجنبية المهرية :

- ١) أونيفيا كونستيل : التجارة والتجار فى الأندلس - ترجمة فيصل عبدالله - مكتبة العبيكان - الرياض - ٢٠٠٠م .
- ٢) جروهمان - النسخ والثلث - ترجمة غانم محمود - مجلة المورد، العدد الرابع - بغداد - ١٩٨٦.
- ٣) ليفى بروفنسال - محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها - ترجمة محمد الهادى شعيره - عبد الحميد العبادى - مطبوعات جامعة الإسكندرية - ١٩٥١.

رابعا : الرسائل العلمية :

- ١) حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية فى الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر - مخطوط رسالة دكتوراه - ١٩٩٦.
- ٢) كمال السيد أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولة المرابطين والموحدين - مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٨٥.

خامسا : المرجع الأجنبية :

- 1) Allouche, (I,s): La vie économique et social a Grenada, Melange d'Historie et d'Archeologia d'occident Musulman, I, II, 1954.
- 2) Basilio pavon (Maldonado): arte simbolo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985
- 3) Bernis (CARMEN): trajes y modas en l'a espana de los reyes catolicos vol,2 , Los Hombres , Artes y artistas Madrid , 1979

- 4) Emilio (de santiago) y Angela (Eguras): Algunas piezas Hispano arabes del Museo Arquelalologio de Granada, Revista, Awraqs 1981
- 5) Etting Hausen (R): Notes in the luster are of spain, Ars opientalis, I, Washington, 1954.
- 6) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Museo espanol de Antiguedades vol-5 Madrid 1875
- 7) Golvin (Lucien) Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al – Zahra, al – Andalus , vol , XXv, 1960
- 8) Gomez (Emillio Garcia) : Armas En las anaes de Al – Hakam, II, Al Andalus v , XXXII, Madrid , 1967.
- 9) Labarta (ANA): Procescos contra Moriscas val encian, al quantra, vol,I, 1980.
- 10) Mann, (James): The Influence of art on instruments of war, procedings of the royal society of arts , October, 1941
- 11) Migeon (Gaston) : Manuel d'art Musulman les plastiques et industrielles , T, I, Paris 1927.
- 12) Soler (Alvaro) : Ear dagger scabbard knife, belt , pouch , and case, Al – Andalus the art of islamic spain , new york 1992.
- 13) Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origins au XIII, Siecle Paris 1932
- 14) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jneta (Archivo Espanol de Art , N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943
- 15) Torres Balbas (Leoplade) : ARs Hispaniae , T. IV art Al Mahade, arte Nasari, art Mudejar, Madrid , 1949.
- 16) Torres Balbas : (leoplado) : plazas, zocosy tiendas de las ciudades Hispanomuslimans AL – Andalus – Vol , XII , 1947

هوامش البحث :

- (١) المقرئ (أحمد بن محمد): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق: إحسان عباس - بيروت ١٩٦٨ - ١، ص ٢٠١، ٢٠٢.
- Torres Balbas (Leopoldo): *Ars Hispaniae t iv, art Almohade, arte Nasari arte Mudejar*, Madrid, 1949.
- (٢) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى): المغرب في حلى المغرب - تحقيق شوقي ضيف القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٦٤ - ٢، ص ١٩٠.
- (٣) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أيوب): قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن تاريخ الأندلس نشر وتحقيق - لطفى عبد البديع - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - ٢ - نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٩٥.
- (٤) نفس المصدر: ص ٢٨٣.
- (٥) الإدريسي: (الشريف محمد بن عبد العزيز): صفه المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق - نشر المكتبة الثقافية ببورسعيد - بدون تاريخ ٢ - ص ٥٧٤.
- (٦) الأزهري (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر): كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق - منشورات مجلة الدراسات الشرقية - دمشق - ١٩٦٨ - ص ٨٨.
- (٧) شيخ الريوه (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى ببغداد - مصورة عن طبعة لينج ١٩٢٣ - ص ٢٤٢.
- (٨) الإدريسي: المصدر السابق - ص ٥٦٢.
- (٩) نفس المصدر: ص ٥٥٥، (الأزهري: المصدر السابق، ص ١٠٣).
- (١٠) الحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس - مكتبة لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٤ - ص ٣٤٤.
- (١١) البكري (أبو عبدالله بن عبد العزيز): جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك تحقيق عبد الرحمن الحجى - بيروت ١٩٦٨ ص ١٢٧ - المقرئ: المصدر السابق - ١، ص ١٤٢.
- (١٢) ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد): الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله علان - القاهرة - ١٩٧٢ - ١، ص ٩٨.
- (١٣) ابن غالب: المصدر السابق ص ٣٠٨، ٣٠٩، المقرئ: المصدر السابق، ١، ص ١٤٢، ١٤٣.
- (١٤) البكري: المصدر السابق ص ١٢٨، ابن غالب: نفسه - ص ٣٠٩.
- (١٥) أصل هذا الحجر في الفارسية بيجادة وهو حجر كريم يشبه الياقوت وأجوده ما إشتدت حمرة وكثر بريقه (عبد الرحمن زكى): الأحجار الكريمة في الفن والتاريخ - المكتبة الثقافية - عدد ١٠٨، مايو ١٩٦٤ ص ١٠٤ - ١٠٦.
- (١٦) البكري: المصدر السابق - ص ١٢٨، القزويني (زكريا بن محمد بن محمود): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - نشر دار الشرق العربي - بيروت بدون تاريخ - ص ٤٩٧.

- (١٧) يسمى هذا الحجر بالحجر الذى يقطع الدم وله إستخدامات عديدة منها أنه يستخدم فى التذهيب - البيرونى (محمد بن أحمد): كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر - القاهرة - بدون تاريخ - ص ٢١٧.
- (١٨) البكرى : المصدر السابق - ص ٢٨ .
- (١٩) المرقشيتا حجارة صلبة مقصصه وهى أنواع أجودها الذهبية وأرداها الحديدية والذنبقية (كمال السيد أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولة المرابطين والموحدين - مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٨٥ - ص ٢٢٢، حاشية (٥) .
- (٢٠) Imamuddin (S.M.) : the Economic of History of spain under the umayyed, Dacc 1963 , pp.167-168
- ولمزيد من التفاصيل حول الأحجار الكريمة بالأندلس راجع: كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق ص ٢٢٠-٢٢٢، حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية فى الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر مخطوط رسالة دكتوراه - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٦ ص ٣٦-٣٧.
- (٢١) المقرئ: المصدر السابق ج١، ص ٢٠٢.
- (٢٢) Migeon (Gaston) : Manuel d'art Musulman les Arts plastiques et industrielles , T, I, Paris, 1927, p.412
- (٢٣) Migeon : Op cit , p.413
- (٢٤) عبد المجيد نيعنغ: الإسلام فى طنجة - دار النهضة - بيروت - بدون تاريخ - ص ٢٢٣.
- (٢٥) ابن سعيد : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٩.
- (٢٦) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): كتاب العبر والديوان المبتدأ والخبر - دار الكتاب بلبنان - ١٩٨٣ - ج ٧ - ص ٣١٢ .
- (٢٧) ابن الخطيب : (لسان الدين أبو عبد الله): كتاب أعمال الأعلام فىمن بويغ قبل الإحتلام من ملوك الإسلام - القسم الثانى - الخاص بإسبانيا الإسلامية - تحقيق - ليفى بروفنسال الطبعة الثانية - بيروت ١٩٥٦، ص ١٠١.
- (٢٨) المقرئ: المصدر السابق ج١، ص ٥٨٥.
- (٢٩) ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، ص ١٠١.
- (٣٠) المقرئ: المصدر السابق ج١ ص ٢٠١، ٢٠٢، الزهرى: كتاب الجغرافية: ص ٨٢
- (٣١) المقرئ : المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٢
- (٣٢) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠٢
- (٣٣) صبحى عبد المجيد إدريس - أسلحة الجيش وأدواته فى عصر الموحدين - مجلة كلية التربية بكفر الشيخ - العدد الأول - السنة السادسة ٢٠٠٦م - ص ٥ .
- (٣٤) الأنصارى السبتي (محمد بن القاسم): إختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار - تحقيق عبد الوهاب منصور - الرباط - ١٩٦٩ - ص ٥١.
- (٣٥) الحميرى : المصدر السابق ص ٤٦١.

- (٣٦) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد): تاريخ المن بالإمامة.
- (٣٧) ابن عذاري - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - ج٣ - ص ١٨٥ .
- (٣٨) كان هذا الديوان يعرف بديوان العسكرية أو التمييز وكان من بين من تولي رئاسة هذا الديوان أبو عبيد الله بن محسن كاتب الديوان في عهد يوسف بن عبد المؤمن الموحدي: ابن صاحب الصلاة نفس المصدر - ص ٣٤٧
- (٣٩) لمزيد من التفاصيل راجع: محمد المنوني - ورقات من حضارة المرينيين - الرباط - ١٩٩٦ ص ٨٥، صبحي عبد المجيد إدريس: المرجع السابق - ص ٩ .
- (٤٠) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي): كتاب المقتبس من أبناء أهل الأندلس - القطعة الخاصة بالأمير محمد بن عبد الرحمن - ج٥، نشرها بدرو شالميتا - كورينطي - محمود صبح - نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط - مدريد - ١٩٧٩ ص ٣٥٣.
- (٤١) ابن حيان: أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي المقتبس من أبناء أهل الأندلس وقطعة خاصة بالحكم المستنصر - نشر عبد الرحمن الحجى - بيروت - ١٩٨٣ - ص ١١٦ - ١١٧ .
- (٤٢) ابن حيان : المصدر السابق - القطعة الخاصة بعصر الحكم - ص ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩
- (٤٣) ابن الخطيب : أعمال الإعلام ص ٧٣-٨٤، حيث الإشارة فيما نقله عن ابن حيان إلى حفل الاستقبال الرسمي الذي إقامة المنصور بن أبي عامر بقصر الزاهرة بمناسبة زيارة صهره شانجه (سانشو) ملك نافارا سنة ٣٨٢هـ وذلك بقوله (فوصل الملك شانجه لثلاث خلون من رجب سنة ٣٨٢هـ وأركب المنصور الجيوش والمطوعة لتلقيه من دخوله إلى قصر الزاهرة فكان يومه أحد أيام الدنيا الشهيرة حتى بهت الذي كفر ورأى من وقود المسلمين ونباهه أسلحتهم وجمال زيهم وكثرة عدهم ما لم يكن ظاناً أن الدنيا تجمعهم .. ولا الخزائن تكنفه .. وصار بين صفى حدين حقاقى الطريق أميالا ما ثم إلا الدروع السابرية والجواش المذهبة والأبطال قد لبسوا والواعد واسبقوا الحلق وعلقوا الدرق وخلفهم صفوف الرماة مشدودا عليها المناطق المذهبة والملك الرومي يقتب الطرف قد غشى قلبه ذعرا .
- (٤٤) أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس - منشأة المعارف - الإسكندرية ٢٠٠٠م - ص ٤٢ .
- (٤٥) راجع على سبيل المثال: ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) : كتاب الجغرافية تحقيق : إسماعيل العربي - بيروت ١٩٧٠ - ص ١٣٩ .
- المقرى : المصدر السابق - ج١ - ص ٢٠٢، السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - مؤسسة شباب الجامعة - إسكندرية ١٩٩٨ - ص ٥٧، كمال غناني: الميوسف الأندلسية في ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية - بحث بمجلة المؤرخ العربي عدد ١٣ - مجلد ١ - ٢٠٠٥م - ص ٢٨١، مختار العبادي - المرجع السابق ص ٤٣ .

- (٤٦) أوليفيا كونسيل : التجارة والتجار في الأندلس - ترجمة فيصل عبدالله - مكتبة العبيكان - الرياض - ٢٠٠٠م - ص ٢٠٨، ٣٤٧، صبحي عبد المجيد أدريس - المرجع السابق - ص ٧
- (٤٧) القلصادي (أبي الحسن علي القلصادي) : رحلة القلصادي - تحقيق محمد أبو الأظفان - تونس ١٩٧٨ - ص ١٧

(٤٨) ابن حيان : المصدر السابق - تحقيق عبدالرحمن الحجى ، ص ٤٩، ١٩٧، ١٩٨

(٤٩) نفس المصدر : ص ٧٩، ١٩٩

(٥٠) نفس المصدر : ص ٥١

يرجع الاتصال بين الفنون الجميلة وأنواع السلاح إلى أقدم العصور، فقد اعتاد الناس منذ أيام بدايتهم الأولى أن ينقشوا على نصال أسلحتهم الرسوم والزخارف الجميلة والطلاسم والكتابات البديعة، ولعل هذه الشعوب قد لجأت إلى تحنية سلاحها بالنقوش والزخارف لإعتقادها في سلطانها السحري أو لعوامل دينية أخرى فضلا عما لها من أثر جميل - راجع:

Mann, (James): The Influence of art on instruments of war, proceedings of the royal society of arts, No.4599, Vol. LXXXIX, October, 1941, p.740

وكذلك راجع أحمد تيمور وزكى محمد حسن - التصوير عند العرب - ١٩٤٢ - ص ٣٠

وكذلك راجع - عبد الرحمن زكى - النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الإسلامية - مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - المجلد الخامس - العدد ١-٢-١٩٥٧م / ١٣٧٧م - ص ٢٢٧

(٥١) ابن الخطيب (لسان الدين) : الإحاطة في أخبار غرناطة - المجلد الأول ص ١٣٦

(٥٢) الترس من أسلحة الدفاع ويستخدمها المحارب في أثناء ضربات السيوف ونحوها ويصنع من الحديد أو الخشب أو عيدان تضم إلى بعضها بواسطة خيط من القطن (مؤلف مجهول : خزائنه السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك - تحقيق نبيل عبدالعزيز - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ١٩٨٧ - ص ٥٦ .

(٥٣) الرماح من أسلحة الهجوم الفردي وتصنع من عيدان الخشب أو الخيزران ويتراوح طولها ما بين ثلاثة إلى عشرة أذرع ويركب في نهايتها نصل فولاذي قاطع مدبب يظن به (أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ص ٤٤، صبحي عبد المجيد: المرجع السابق ص ١١ .

وقد اشتهرت بلاد الأندلس بصناعة الرماح الطويلة وعرفت في المصادر العربية بأسماء عديدة منها العوالي والسمر (راجع: مؤلف مجهول / الحل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشيه - تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامه - الدار البيضاء - ١٩٧٩ - ص ١١٥، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٧٧ .

(٥٤) القسي من أدوات الرمي وهي مقوسة كالهلال وتصنع من أعواد الخشب اللين والمتين ويشد فيها وتر من الجلد أو العصب الذي يكون بعضه البعير وترمى بالسهم والنبال (صبحي عبد المجيد - المرجع السابق - ص ١١) والقسي عدة أنواعها أهمها نوعين قوس اليد التي تستعمل باليد وهي القسي العربية وتتميز بسرعتها في الرمي. أما النوع الثاني فيعرف بقوس الرجل الأفرنجية وهي تدفع

بالرجلين ولذلك فهي أنسب للرجل منها للفارس لأنها أنكى من قوس اليد في حصار القلاع وعلى المراكب البحرية (ابن القيم الجوزية (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) : الفروسية، مكتبة عاطف - القاهرة - بدون تاريخ - ص ١٤٠، ابن هذيل (علي بن عبدالرحمن): حلية الفرسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبدالقنى حسن - دار المعارف - القاهرة ١٩٤٩ ص ٢١١.

Gomez (Emillio Garcia) : Armas en los an las de Al - Hakam, II, Al andalus v , XXXII, Madrid , 1967 , p.165 .

(٥٥) المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ص ٢٢٣.

(٥٦) الجواش من أسلحة الوقاية التي يستخدمها المحارب في حماية جسده فضلا على أنها تستخدم في تلقى ضربات السيوف والسهم ونحوها وهي تصنع من زرد الحديد في شكل حلقات متداخلة بينها صفائح مستطيلة لتقويتها وتوضع في الغالب على الصدر.

Garcia Gomez, Op cit , p.166

العبادي : المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ص ٤٦

(٥٧) استخدم الأندلسيون أغصادا أو قريبا لحفظ بعض أدوات الحرب كانت تصنع من الخشب وتغطي بنوع من الجلد اللصطي نسبة إلى حيوان اللصطي الذي كان يعيش في صحراء إفريقيا (مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأسفار - تحقيق سعد زغلول عبد الحميد - مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ - ص ٢١٤) .

(٥٨) ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٥٩) محمود فيصل الرفاعي: الأسلحة الخفيفة في التراث العربي الإسلامي، مجله أفاق الثقافية والتراث الإماراتية - عدد ٧ - ١٩٩٤ ص ١٤٨ <http://Archivebeta.Sajil.net>

(٦٠) الأسلحة الإسلامية : السيوف والدروع - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - ١٤٢٢هـ - ص ٢٩

(٦١) ابن حيان : المقتبس - ج٥ - نشر بدرو شالميتا ص ٣٥٢

(٦٢) المقرئ - فنج الطيب - الجزء الأول - ص ٣٨٢ .

Garcia Gomez : Op cit p,164

(٦٣) الأسلحة الإسلامية : المرجع السابق ص ١٦

(٦٤) ابن حيان: نشر بدرو شالميتا - ص ٣٥٢

(٦٥) ابن حيان: المقتبس - نشر الحجى - ص ١٣٢

(٦٦) ابن حيان : نفسه - نشر بدرو شالميتا - ج٥ - ص ٢٦٨ ، ٢٦٩

(٦٧) ابن حيان : المصدر السابق ح٥ ، ص ٢٦٨

(٦٨) البيهقي (أبو بكر علي الصنهاجي): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين - تحقيق عبد الوهاب منصور الرياض ١٩٧١ - ص ٨٤.

(٦٩) المقرئ: فنج الطيب - ج٣ - ص ١٥١ .

(٧٠) ابن حيان : المقتبس ج٥ - ص ٣٥٣

(٧١) المقرئ: المصدر السابق - ج، ص ٣٨٢.

(٧٢) البيهقي: أخيار المهدي - ص ٦٥، ٧٩

(٧٣) تجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى أن أسلوب الحز قد تمثل على معظم المعادن الأندلسية منذ أوائل عصر الدولة الأموية مثل التحف المصنوعة من الرصاص كالطلاسم ومن البرونز كالتماثيل وفي الشماعد وتلفايج الثريات البرونزية غير أنه في أواخر هذا العصر تراجع الإقبال على استخدام أسلوب الحز حيث نشهده فقط على بعض التحف البرونزية مثل الفتاتى واستمر الأمر كذلك حتى ثلاثي استخدام هذا الأسلوب في عصر بنى نصر: حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بنى الأحمر (١٣٨هـ - ٨٩٨هـ) (٧١٢ - ١٤٩٢م) مخطوط رسالة الدكتوراة - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٦ - ص ٣٩٥ - ٣٩٨ .

(74) Torres Balbas : Ars Hispaniae p.234

(75) Torres Balbas : Ars Hipaniae , p.234

(٧٦) في عام ٨٨٨هـ / ١٣٨٣م وقع السلطان الغرناطي أبو عبدالله محمدا أسيرا في يد الأسبان بعد هزيمته في موقعه النيسانية التي درات بين المسلمين والنصارى ثم أطلقوا سراحه بعد أن قضى في أسيرة ببلاط الملكين الكاثوليكين فرناند وإيزابيلا ثلاثة أعوام ثم عاد إلى غرناطة بعد أن أملو عليه كل شروطهم. وربما أخذ منه سلاحه وثيابه الملكية يومئذ عنوا لظفر النصارى وتذكارا من هذا الأسير الملكى (راجع : مؤلف مجهول - نبذة العصر في أخبار ملوك بنى نصر أو تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، تحقيق الفريد البستاني - وترجمة كار لوس كيروس - العرائش - ١٩٤٠م - ص ١٠ - ١٢، عبد الحميد العبادى - المجمل في تاريخ الأندلس - القاهرة - ١٩٥٨ - ص ١٩٢، محمد عبدالله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٦ - ص ٢٦٤

(٧٧) المقرئ : نفح الطيب - ج١، ص ٤٦٤

(٧٨) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٦ - ص ١٤٦

(٧٩) من بين المعادن الأندلسية التى شاع تذهيبها البرونز والفضة والنحاس والفضة وذلك بالطريقة الثانية والثالثة فى عصر الخلافة وعصر الطوائف وعصر بنى نصر وإن كان فى كل عصر من تلك العصور ساد تذهيب نوع معين من المواد المعدنية فمعادن الفضة شاع تذهيبه فى أواخر عصر الخلافة وعصر الطوائف ثم بدأ ينحصر ظهور الفضة المذهبة منذ عصر المرابطين وحتى نهاية عصر بنى نصر وحل محلها فى تلك الفترة البرونز المذهب .
حنان عبد الفتاح مطاوع : المرجع السابق ص ٤١٠، ٤١١

(80) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jineta (Archivo Espanol de Art , N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943, p.162

(81) Cossan (Le Barande): Le cabinet d'armes de Maurie de Talleyrand, perigord Duc, de Dimo, Paris, 1901 , p.43

Basilio (pavon Maldonad): arte simbolo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985, p.434

(82) Emilio (de santiago) y Angela (Eguras): Algunas piczas Hispano arabes del Museo Arqueologio de Granada, Revista, Awraqs1981—p.p.143-147

(٨٣) من أساليب زخرفة المعادن أسلوب الطرق الذي يبدأ بقطع الصفائح حسب شكل التحفة ثم توضع الصفيحة على قالب خشبي أعدت فيه الزخارف المطلوبة سواء كانت بارزة أو غائرة ثم يدق أو يضغط ضغطاً شديداً على الصفيحة المراد زخرفتها بحيث تأخذ شكل الزخارف المنقذة على القالب الخشبي (سعاد ماهر : الفنون الإسلامية : ص ١٥٢)، وقد تنوعت وسائل تنفيذ هذا الأسلوب على المعادن الأندلسية حيث نفذت زخارفها المطروقة بطريقتين الأولى اتسمت بخطوطها بشدة بروزها وشكلها المقبب وأيدانها المشدوخة المنقذة فوق أرضية من خطوط جزجائية دقيقة للغاية أما الطريقة الثانية فتختلف عن الأولى في أن الزخارف أصبحت أقل عمقاً وأكثر تسطحاً بحيث فقدت شكلها المسنم وظهرت متعددة الشدوخ.

حنان عبد الفتاح مطاوع: المرجع السابق، ص ٣٩٩ .

(٨٤) لقي أسلوب التركيب أو التجميع رواجاً كبيراً في صناعة التحف المعدنية منذ القرن ٤هـ وحتى القرن ١٠هـ/١٠-١٢م وتقوم هذه الطريقة في جوهرها على تحديد شكل التحفة بواسطة نماذج وقوالب مصبوبة من البرونز أو اللاطون يتم تركيبها إما بطريقة اللحام أو الضغط أو المسامير التي يخصص لها أثناء عملية الصب تجاويف نافذة وقد ظهرت هذه الطريقة الأخيرة خلال القرنين ٥-١١هـ/١١-١٢م وإن كنا نلاحظ أنه في القرن ٥هـ اقتصر استخدامها على تثبيت بعض أجزاء التحف المشكلة في صورة كائنات حية في حين تتطور في القرن ١٢هـ/١٢م فتستخدم في تجميع كافة أجزاء التحفة وقد تجلت هذه الطريقة المتطورة بصفة خاصة في التحف المصنوعة من اللاطون (النحاس الأصفر) وواصلت استخدامها في عصر بني نصر، ولكن يجدر بالتنويه أن الفنان كان يعتمد في إخفاء المسامير المستخدمة كدعامة إقرار وتثبيت إلى تغطيتها بواسطة زخارف مخزومة .

راجع حنان مطاوع - المرجع السابق ص ٣٢٠ .

(٨٥) حظيت زهرة اللوتس بقبول واسع النطاق لدى الفنان الأندلسي منذ العصر الأموي وحتى نهاية عصر بني نصر وانفردت دون غيرها من الأزهار بطابع مميز يتسم بالدقة في الأداء وخضعت لغاتون التطور أثناء مواصلة نشاطها في مجال الزخرفة النباتية فكانت أشكالها وصورها تتطور في سرعة جعلتها تختلف عن أصولها المصرية والقوطية والساسانية والرومانية والبيزنطية المشتقة من أصولها المصرية .

Maldonado (Basilio pavon): el arte Hispano Musulman en su decoracion Floral, Madrid, 1981 . table VIII .

(٨٦) تعد شجرة الحياة من العناصر الزخرفية التي لعبت دوراً كبيراً في الزخرفة النباتية الإسلامية عامة والأندلسية بصفة خاصة، ويرجع استخدام هذا العنصر الزخرفي إلى أصول قديمة للغاية، فقد لعبت دوراً كبيراً في فنون المشرق حيث ظهر لها نماذج في زخارف الفن الروماني والبيزنطي والقوطي،

ومن المعروف أن موضوع شجرة الحياة يرجع فى حقيقته إلى أصول ساسانية حيث تمتعت هذه الشجرة فيه بمكانة سامية : راجع :

Golvin (Lucien) : Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al – Zahra, al – Andalus , vol , XXv, 1960 , p.175

(٨٧) تعد ورقة العنب من العناصر النباتية الهامة التى كثر استخدامها فى الزخرفة الإسلامية منذ نشأة الفن الإسلامى، ولقد شاع استخدامها فى الفنون الشرقية حيث عرفها الفن الإغريقى والرومانى والبيزنطى :

راجع: فريد شافعى: العمارة العربية فى عصر الولاة (٣١هـ - ٣٥٨هـ) (٩٣٦م - ٩٦٩م) - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة - ١٩٧٠ - ص ٩٥، ولكنها لم تثبت أن تطورت تطورا أبعدا عن صورتها فاختلعت أشكالتها وتوعدت صورها وخضعت لعملية الإستنباط الإسلامية التى تعتمد على حيوية الملكات الفكرية عند العرب - راجع : أحمد فكرى - مساجد القاهرة ومدارسها - دار المعارف المصرية - ١٩٦٩ - ص ٣٨

وقد عنى بها الفنان الأندلسى عناية كبيرة إذ أضاف إليها الحزوز والتفصيلات العديدة التى تتمثل فى أشكال الثمار والبراعم وظهرت أجمل نماذجها فى زخارف العلب العاجية والأقاريز والطرر التى تحيط بالعقود :

Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origins au XIII, Siecle Paris 1932 , p.96

(٨٨) شاع استخدام ورقة الاكنثس (شوكة اليهود) فى الفن الإسلامى الأندلسى منذ عصر الخلافة وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف ثم اختلفت عن الأتظار خلال العصر المغربى الأندلسى لتظهر مرة أخرى على إستحياء فى الفن النصرى حيث يمثل مقبض هذا الخنجر أروع أمثلتها.

(٨٩) تنقسم الجواهر إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى الجواهر الدمشقى والفارسى والهندي لكل نوع منها عدد من الأنواع، وكان الأوروبيون قد شاهدوا أثناء الحروب الصليبية النصول الإسلامية المجوهره فى أسواق دمشق، وكان من بينها النصول الدمشقية والفارسية والهندية غير أنهم أطلقوا اسم الجواهر الدمشقى Wave Damask على كل هذه الجواهر فلما منهم أنها تصنع جميعا بدمشق، ولكن لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة سمات خاصة يتميز بها، فالجواهر الدمشقى يتسم بكثرة تموجاته التى تشبه البقع الهندسية المحكمة وألوانه المائلة إلى البياض وعدم قابليته للصدأ ولدائه وتركيبه الذى يتألف من حبوب ناعمة متقاربة المسام رمادية اللون مع ميلها إلى البياض كما أنه إذا طرق نصله ظهر فيه الجواهر حسنا عكس الأنواع الأخرى فإنه كثيراً ما يحصى: راجع الأسلحة الإسلامية - معرض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص ١٦- ١٨ .

(٩٠) يعتبر خط الثلث من أهم الخطوط المدورة وقد سمي بهذا الاسم لأنه لثث الطومار الذى تقدر مساحته بأربعة وعشرون شعرة من شعر البرذون والثلث يقدر بثمانى شعرات وهو نوع من أنواع الخطوط اللينة - راجع بلال عبد الوهاب الرفاعى - الخط العربى (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٠ - ص ٧٥ ، غير أن حجمه الكبير لم يجعله مناسباً لكتابة

التصووس والمؤلفات، ولذا اقتصر استخدامه على كتابة عناوين الكتب والعبارات الدعائية والبسملة ونقوش واجهات العمارات والمباني والتحف الفنية - راجع جروهمان - النسخ والتث - ترجمة غاتم محمود - مجلة المورد، العدد الرابع - بغداد ١٩٨٦، ص ١١٣-١١٤، وكذلك راجع: يوسف ذى النون، خط التث ومراجع الفن الإسلامى - مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامية - دار الفكر - دمشق ١٩٨٩ - ص ١٠٧-١٠٩، وقد أطلق الخط التث الأندلسى على خطوط المغرب والأندلس تميزاً له عن خط التث المشرقى لما تعرض له من تحويرات جمالية على يد الخطاط الأندلسى بأسلوب مخالف للأسلوب المشرقى - راجع عمر آغا - ملامح من تطور الخط العربى - مجلة كلية الآداب - العدد ١٨ - ص ٨٠، ولعل ما يؤكد على هذه الحقيقة ما ذكره المقرئ نقلاً عن ابن غالب من أن أهل الأندلس كانت لهم خطوط مخصوصة لهم ورونى وترتيب يشهد لصاحبه بحسن الخط والتجويد - المقرئ - نفح الطيب ج ٣ - ص ١٥١

(91) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Museo espanol de Antigüedades, vol5, Madrid 1875, p.390

(٩٢) من المعروف أن مدينة غرناطة قد اشتهرت بنسج الكتان بل كان كتانتها أجود من كتان مصر يستدل على ذلك بقول الحميرى الذى أشار فيه إلى مدى جودة كتان غرناطة عن مصر (الذى يربو جيده على كتان النيل ويكثر حتى يصل إلى أقاصى بلاد المسلمين) راجع الحميرى (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميرى) صفح ٩ جزيرة الأندلس مفتحة من الروض المعطار فى خبر الأقطار - نشر ليفى بروفيسال - القاهرة ١٩٣٨ - ص ٢٤

(٩٣) تقدمت صناعة الحرير فى مملكة غرناطة تقدماً كبيراً لاسيما فى غرناطة العاصمة التى يمتدح ابن الخطيب حريرها ويذكر أنه لا يمكن مقارنته إلا بحرير العراق الذى رغم تلك المقارنة كان الأخير يقل عنه رقة ولدونة وعناقة راجع ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) - اللحة البدرية فى الدولة النصرية - صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٤٧ - ص ١٣، أحمد الطوخى - مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر - مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٩٧ - ص ٣٠٥ وكذلك راجع :

Allouche (i.s) : la vie economique et social a Grenada, Melanges d'Historie et d'Archeologia de l'occident Musulman , I, II, 1954, p.9

(94) Bernis (CARMEN): trajes y modas en la espana de los reyes catolicos vol,2, Los Hombres , Artesy artistas Madrid , 1979 , p.79

من المعروف أن غرناطة قد ورثت عن قرطبة فن الصناعات الجلدية لاسيما فى مدينة المرية - وكانت مملكة متخصصة فى إنتاج الأغشية والحزم والمدورات، راجع : الفتشندى (أحمد بن على) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء - مجموعة تراثنا، الجزء الخامس ص ٢١٩، وكان الدباغون ينزلون أطراف المدينة على ضفاف الأنهار اتقاء لرائحة صناعتهم - ليفى بروفيسال - محاضرات فى آدب الأندلس وتاريخها ترجمة محمد الهادى شعيره - مراجعة عبد الحميد العبادى - مطبوعات جامعة الإسكندرية - ١٩٥١ ص ٦٦ وكذلك راجع :

Torres Balbas (leopoldo) : plazas, zocos y tiendas de las ciudades Hispanomuslimans AL – Andalus – Vol , XII , 1947 , Fasc 2, p.459

(95) Soler Alvaro : Ear dagger scabbraed knife, belt , pouch , and case Al – Andalus the art of is lamic spain , new york 1992 p.292

(٩٦) تجدر الإشارة هنا إلى أن مجمل ما وصلنا عن ما يعرف بيد فاطمة La mano de fatima على العمارة والفنون الأندلسية يشوبه الغموض وذلك لاختلاف الآراء حولها فبعض الباحثين يرى أن لها مدلولاً دينياً في الفكر الإسلامي من حيث أنها تقى من شرور الحمى والأمراض لاسيما منذ عصر الموحدين الذي شاعت فيه تلك الزخرفة في حين يرى البعض الآخر بأنها ترمز للفظ الجلالة حيث تشبه في رسمها الحروف التي تتألف منها ومن ثم فهي شكل من أشكال الكتابة الرمزية التي لها علاقة بالدين

Labarta (ANA) : procescos contra Moriscas, Vlenciano AL Quontra vol, I , 1980, pp. 129-138

Etting Hausen (R) : Notes On the lusterware of spain , ars orientalis I was hington, 1954, p.152



معركة الصنبرة أحداث ونتائج

(٥٠٧هـ/١١١٣م)

د. عائشة بنت مرشود حميد الحربي (*)

مقدمة

شهد تاريخ الحملات الصليبية - الذي امتد لمدة قرنين من الزمان (من أواخر القرن الخامس الهجري حتى أواخر القرن السابع الهجري / من أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي) - كثيرا من المعارك الحاسمة بين الجانبين الإسلامي والصليبي، كتب النصر في بعضها - بإذن الله - للمسلمين، وهذا النصر بدوره أسفر عن نتائج بعيدة المدى.

والحقيقة أن الصليبيين قد نجحوا في غزو الأراضي الإسلامية في فلسطين وبلاد الشام بسهولة، ويعود نجاحهم في المقام الأول، إلى حالة التمزق السياسي والضعف العسكري الذي كانت تعاني منه أقوى خلافتين، فقد كانت منطقة الشرق الإسلامي منقسمة، في ولائها الديني والسياسي، ما بين خلافتين متناحرتين، وهما الخلافة العباسية السنية في بغداد، والخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة، وفي ظل هذا الانقسام السياسي، وغياب الوحدة الإسلامية. تمكن الصليبيون في أعقاب الحملة الصليبية الأولى من تأسيس أربع كيانات صليبية وهي: الرها، وأنطاكية، ومملكة بيت المقدس، وطرابلس.

ويعد هذه الصدمة التي هزت أركان العالم الإسلامي؛ ظهرت أصوات إسلامية تنادي بضرورة توحيد الجبهة الإسلامية كحجر أساس لمواجهة العدوان الصليبي، وفي مقدمتهم: مودود بن التونتكين أمير الموصل (٥٠٢-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٣م)، حيث كان له دوره الرائد في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، إذ قام بالدعوة للوحدة الإسلامية ونسيان الخلافات الداخلية بين الأمراء المسلمين، رغبة في دفع الخطر الصليبي.

فقام بتوجيه حملتين ضد الصليبيين: الأولى عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م، والثانية عام ٥٠٥هـ/١١١١م. وبالرغم من أنه لم يكتب لتلك الحملتين إلا نجاحا محدودا، إلا أنها أسفرت عن توطيد العلاقات بين مودود وطفنكتين أمير دمشق (٤٩٧-٥١١هـ/١١٠٣-١١١٧م). وهذا مما شجع الأخير في أواخر عام ٥٠٦هـ/١١١٢م لطلب النجدة من مودود ضد بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤-٥١٢هـ/١١٠٠-١١١٨م) ملك بيت المقدس الذي اشتدت هجماته على دمشق، وقد سارع مودود بالخروج بجيشه من الموصل.

(*) أستاذ مساعد التاريخ الوسيط بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة طيبة بالمدينة المنورة.

ولما علم طغتكين بخروج مودود سارع للقتاله عند سلمية، وتوجهوا جميعا إلى طبرية. والتقت القوات الإسلامية بالقوات الصليبية حول طبرية، عند جسر الصنيرة في محرم سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وكان بلدوين قد استنجد بروجر صاحب أنطاكية (٥٠٦-٥١٣هـ/ ١١١٢-١١١٩م) Roger prince of Antioch، ويونز صاحب طرابلس (٥٠٦-٥٣١هـ/ ١١١٢-١١٣٧م) Pons count of the tripoli، فاستجابا سريعا وقدما لنجدته، فحدثت موقعة الصنيرة الحاسمة، وانتهت بهزيمة الصليبيين، وقُتل عدد كبير من رجالهم، ووقع الملك بلدوين في الأسر، ولكنه لم يعرف فأخذ سلاحه، وأطلق أسره. وغرق في بحيرة طبرية ونهر الأردن عدد كبير من الصليبيين، فاستولى المسلمون على أموالهم وسلاحهم.

ومن خلال هذا البحث سنقف على تفاصيل أحداث معركة الصنيرة ومقدماتها ونتائجها، على الجانبين الإسلامي والصليبي، إذ تعد هذه المعركة بمثابة صفحة مشرقة من صفحات الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.

حكم مودود للموصل وحملاته ضد الصليبيين :

عهد السلطان السنجوقي محمد بن ملكشاه (٤٩٨ - ٥١١ هـ / ١١٠٤ - ١١١٧ م) بأمر الموصل إلى الأمير شرف الدين مودود بن التونتكين (٥٠٢ - ٥٠٧ هـ / ١١٠٨ - ١١١٧ م) في صفر عام (٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م)^(١).

ومنذ ذلك الحين أخذ دوره يتضح في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، وكانت البداية الواضحة لذلك؛ عندما تلقى مودود الأوامر من السلطان محمد بن ملكشاه يدعو للجهاد ضد الصليبيين بدءاً من الرها، وأمره ببعض القوات، كما أمر سقمان القطبي (٤٩٥ - ٤٩٨ هـ / ١١٠١ - ١١٠٤ م) صاحب خلاط^(٢) وميفارقين^(٣)، وإيلغازي بن أرتق صاحب ماردين^(٤) (٥٠٢ - ٥١٦ هـ / ١١٠٨ - ١١٢٢ م). إضافة لذلك فإن السلطان محمد طلب من أتابك دمشق ظهير الدين طغتكين (٤٩٧ - ٥١١ هـ / ١١٠٣ - ١١١٧ م) أن يتضم لهذا الجيش، فاشتراط أن تكون إمرة الجهاد له، لكن شرطه لم ينل القبول^(٥).

وتعلل الباحثة ذلك من وجهة نظرها بعدة أمور :

- تخوف السلطان محمد بن ملكشاه من اشتداد نفوذ طغتكين، مع ظهور بوادر ميله للتقارب مع الصليبيين.
- من الأفضل أن تكون الموصل هي نقطة انطلاق القوات؛ بحكم موقعها واتصالها ببلاد الجزيرة.
- استقلال الحماس الديني والسياسي لدى مودود، لأنه حديث التولي للموصل.
- خشية السلطان محمد بن ملكشاه من تطلع طغتكين لضم الموصل إلى دمشق؛ إذا ما انتصرت القوات المتحالفة.
- وبالرغم من عدم قبول شرط طغتكين؛ إلا أنه قدم بقواته لمساندة القوات الإسلامية^(٦).

وقرروا التوجه بهذا الجيش نحو الرها، وذلك لخطورة موقعها بالنسبة للجزيرة^(٧) فضلاً عن أن الباحثة ترى أن السلطان محمد يهدف إلى معاقبة جاولي سقاوو (٥٠٠ - ٥٠٢ هـ / ١١٠٦ - ١١٠٨ م) - الحاكم السابق للموصل - نظراً لتحالفه مع الصليبيين ضده، وفي الوقت ذاته الضغط على الصليبيين بالسيطرة على الرها ذات الأهمية الكبرى لهم.

ولما قامت القوات الإسلامية المتحالفة بحصار الرها، في شوال ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م، أسرع أميرها بلدوين برج Baldwin of Bourg (٥٠٢ - ٥١١ هـ / ١١٠٨ - ١١١٨ م) يطلب النجدة العاجلة من الملك بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤ - ٥١٢ هـ / ١١٠٠ - ١١١٨ م) ملك بيت المقدس. فقدّم الملك الصليبي لندجتهم من بيروت ومعه تانكرد صاحب أنطاكية Tancred (٤٩٨ - ٥٠٦ هـ / ١١٠٤ - ١١١٢ م). وريموند الصنجيلي صاحب طرابلس Raymond of st. Gilles (٤٩٦ - ٤٩٩ هـ / ١١٠٢ - ١١٠٥ م) وهذا مما أعطى الجيش الصليبي الضخامة في العدد.

ولذا رأى مودود أنه من الأفضل الاتسحاب عن الرها، حتى يقابلوا الصليبيين بعيداً عن الحصون في المناطق المكشوفة، لكن معظم الصليبيين لم يلاحظوه، بل اكتفوا أن رفع المسلمون حصارهم عن الرها. وذلك لأنهم فطنوا لخطة مودود^(٨)، ومن وجهة نظر الباحثة أن الملك بلدوين الأول كان مشغولاً بمشروع الخطة الخاص بالسيطرة على مدن الساحل الشامي. وبالرغم من عدم وجود نتيجة حاسمة لحملة مودود السابقة، إلا أنها لفتت الأنظار إلى أهمية الجبهة الإسلامية الموحدة في تحقيق النصر أمام الأعداء وأن اتخاذ الخطة العسكرية المناسبة كقيل بتحقيق النصر.

وعادت القوات الإسلامية لديارها. أما الصليبيون فباتهم أخذوا، في طريق عودتهم، في تخريب البلاد الإسلامية التابعة لحلب، وفرضوا على رضوان بن تتش صاحب حلب (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥ - ١١١٣ م) جزية سنوية مقدارها اثنان وثلاثون ألف دينار^(٩)، يحملها إليهم مع خيول وثيراب، مقابل أن يوقفوا أذاهم عن حلب، وفرضوا الجزية على شيراز^(١٠) وحماة وصيدا^(١١).

وبالرغم من تعهد الأمراء المسلمين بدفع الجزية المفروضة عليهم؛ إلا أن الصليبيين لم يتوقفوا عن مهاجمة حلب، بل استولوا على قلعة الأثارب^(١٢) التابعة لها^(١٣).

لذا توجه أهل حلب إلى الخليفة العباسي المستظهر (٤٨٧ - ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ - ١١١٨ م) يطلبون منه وقف العدوان الصليبي^(١٤)، وتزامن ذلك مع وصول رسل الإمبراطور البيزنطي الكسبوس كومنين Alexius Comnenus (٤٧٣ - ٥١٢ هـ / ١٠٨١ - ١١١٨ م) إلى السلطان محمد ملكشاه؛ تطلب منه نفس الطلب^(١٥).

وفي الحقيقة أن وفادة الإمبراطور البيزنطي إلى السلطان لم يكن غرضها محبة المسلمين أو الدفاع عنهم، إنما جاءت بعد خلافات نشبت بين زعماء الروم والفرنج على امتلاك بعض الإمارات في ساحل الشام؛ كان الروم اشتروها على الفرنج عندما سمحوا لهم بالعبور من بلادهم في الحملة الأولى سنة ٤٩٠ هـ / ١١٩٦ م. فأراد الروم من هذه الوفادة أن يضربوا المسلمين بالفرنجة، وإشغالهم ببعضهم، فيستأثروا بالإمارات التي يطلبونها^(١٦).

وإزاء هذه الاستغاثة؛ طلب السلطان محمد بن ملكشاه من مودود أن يخرج بجيشه لجهاد الصليبيين، وطلب أيضاً من الأمراء، في الشام والجزيرة، أن ينضموا لجيش مودود، فاتفق له أحمد يل صاحب مراغة^(١٧)، وأبو الهيجاء صاحب إربل^(١٨).

وسقمان القطبي صاحب خلاط^(١٩) وتبريز، فضلاً عن طغتكين صاحب دمشق^(٢٠).

ويلاحظ هنا الرابطة الفعلية الجغرافية والتاريخية بين شمال الشام وشمال العراق، فهما امتداد واقعي لكل منهما، ناهيك عن أن الموصل وحب وحب مثلاً خطأ دفاعياً استراتيجياً، فأي خطر خارجي تتعرض له حب، سيؤثر بصورة أو بأخرى على شقيقتها الموصل، وهذا يكشف لنا عن حقيقة محورية وهي: أن غاية آمال الصليبيين أن يتعاملوا مع المسلمين ككيانات صغيرة هشة، متعزلة غير مترابطة، أما الآن فقد وضحت خاصية جغرافية وتاريخية مهمة في صورة ارتباط المدن الإسلامية أمام الشعور بالخطر الخارجي الداهم^(٢١).

على أية حال سارت هذه الجيوش بقيادة مودود أوائل سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م، نحو الرها وفرضوا الحصار عليها، لكن قوة تحصينها واحتوائها على الأسلحة، وطول مدة الحصار، أجبرت مودود أن يفك الحصار عنها، والزحف نحو سروج^(٢٢) وحصارها وبدأ على ذلك: قام الصليبيون بمهاجمة حب^(٢٣)، فاتجه المسلمون إلى حصار حصن تل باشر^(٢٤) دون أي نتيجة حاسمة لصالحهم^(٢٥).

وقد تعددت أسباب فشل مودود في السيطرة على تل باشر منها :

- تزامن حصار تل باشر مع محاصرة تاتكرد أمير أنطاكية لحلب، فطلب النجدة من المسلمين، فاقترح أحمد يل أمير مراغة رفع الحصار عن تل باشر والتوجه لإنقاذ حلب.
- يرى ابن القلاسي أن جوسلين، صاحب تل باشر، قد أرسل إلى الأمير أحمد يل يلاطفه بمال وهدية، وسأله الرحيل عن الحصن.
- مرض سقمان القطبي ويرسقي بن يرسقي، فانسحب كل منهما عائداً لبلاده^(٢٦).
- ومهما يكن من أمر، وسبب، فمن وجهة نظر الباحثة أن بقاء حلب في ظل الحكم الإسلامي خير من التفكير في السيطرة على تل باشر.

لكن مما يؤسف له، أن رضوان مائن علم بقدوم النجدة الإسلامية حتى أغلق أبواب حلب دونهم. ولعله كان يخشى من سيطرة مودود على حلب فيفقد سلطته. فضلاً عن ذلك قام رضوان بالقبض على بعض أعيان حلب ممن شك في ولائهم له واحتجزهم في القلعة، وأوكل مهمة حماية حلب إلى جنده وأتباعه من الباطنية.

وقام بمصالحة تاتكرد صاحب أنطاكية، وتحالف معه ضد القوات الإسلامية، وقام رضوان بتحريض النصوص على مهاجمة معسكر القوات الإسلامية، ونهب من يجدونه من الجنود في النواحي المتطرفة منه^(٢٧).

إن موقف رضوان السابق يعتبر موقفاً عدائياً، وذلك بإفساد حصار القوات الإسلامية وإنقاذ القوى الصليبية من ضياع هذه المدينة وسقوطها في أيديهم، وذلك بطلبه منهم واستعجاله لهم في التقدم إلى حلب^(٢٨).

ونتيجة لأعمال رضوان السابقة؛ قرر مودود الانسحاب بقواته عن حلب، والسير بها نحو معرة النعمان^(٢١) لقتال الصليبيين. لكن طغتكين بدأت تراوده المخاوف على دمشق من أن يسيطر عليها مودود، فشرع في مهادنة الفرنج سرّاً^(٢٢). وهكذا أدى التفكير في المصالح الشخصية إلى تفكك القوة الإسلامية، وكان المفروض أن يقدم كافة الأمراء والحكام، في ذلك الحين مصلحة الإسلام والمسلمين على مصالحهم الخاصة^(٢٣).

بعد ذلك خرجت القوات الصليبية، بقيادة بلدوين الأول، تساتده قوات طرابلس وأنطاكية والرها قرب أقامية^(٢٤) أي في الجزء الأوسط من حوض نهر العاصي، فعمار ابن منقذ صاحب شيزر إلى مودود وطغتكين وشجعهما على قتال الصليبيين، فرحلوا إلى شيزر، فقام المسلمون بالغارات الخاطفة عليهم، ولذا تراجع الصليبيون إلى أقامية^(٢٥). ثم عاد طغتكين إلى دمشق ومودود إلى الموصل.

وقد استأنف مودود جهاده ضد الصليبيين، فقام عام ٥٠٦هـ/١١١٢م، بحملة بمفرده لاسترداد الرها لكنه فشل، ولذا توجه نحو سروج، لكن جوسلين Joscelin صاحب تل باشر والرها (٥٠٦-٢٥٢هـ/١١١٢-١١٣١م) نجح في التصدي له وهزيمته^(٢٦).

من العرض السابق لجهاد مودود قبيل معركة الصنبرة نلاحظ عدة أمور :

- عدم وجود جيش نظامي متجدد من الأمراء المسلمين لجهاد الصليبيين.
- لم ترد أي إشارة عن وجود خطة تنظيمية لمقاومة العدوان الصليبي.
- أن تدعيم الجيش الإسلامي وقوته تعتمد بشكل رئيس على ما يصله من إمدادات.
- أن أمد حملات مودود قصير لا يتجاوز الشهرين.
- أن أسلوب حربه للصليبيين يعتمد على الحصار والغارات السريعة الخاطفة.
- أن الخلافات بين الأمراء المسلمين كثيراً ما تخذل مودود، وتجعل نتيجة حملاته محدودة الأثر.
- أن قادة الجهاد الإسلامي لا يلبثون أمداً طويلاً خارج بلادهم، فبعد تحقيق أي نصر يعودون سريعاً لبلادهم، وذلك تحسباً لغدوم أي غارة صليبية مفاجئة على بلادهم.
- ولكل ما سبق لم تسفر الحملات الأولى عام ٥٠٤هـ/١١١٠م و ٥٠٥هـ/١١١١م عن نتيجة حاسمة لأن الفرنجة حاربوا متحدين بقيادة بلدوين الأول ملك القدس، ولأن الجبهة الإسلامية لم تكن صلبة كما كانت تظهر^(٢٧).

الملك بلدوين الأول ومعركة الصنبرة :

تعرضت دمشق في أواخر عام ٥٠٦هـ/١١١٢م لهجمات صليبية^(٢٨)، ولذا استنجد طغتكين بحليفه مودود. فقام الأخير بدوره بطلب النجدة العاجلة من أمراء المسلمين بالجزيرة.

فلما سمع طغتكين بذلك خرج بقواته والتقى بالقوات الإسلامية عند بلدة سلمية^(٣٧)، ومنها توجهوا صوب بحيرة طبرية، لكنهم فشلوا في ذلك بسبب قوة حصانتها، فزحفوا نحو الأتقوانة^(٣٨) وعسكروا في جزيرة بين جسرين غرب بحيرة طبرية^(٣٩).

ولما علم بلدوين بهذا الزحف الإسلامي، وكان محاصراً لعكا، عرض في البداية على طغتكين المسالمة والموادعة مقابل أن يمنحه بلدوين حصن ثماتين وجبل عاملة، ونظير ذلك يمنح طغتكين الصليبيين حصن الحبس الذي في السواد ونصف السواد. وبموجب معاهدة السلام هذه يتوقف بلدوين عن الهجوم على أراضي دمشق، ويتوقف طغتكين عن مهاجمة أعمال الفرنج، ويترك التحالف مع مودود. لكن طغتكين رفض هذا العرض وظل منضماً لجيش مودود^(٤٠).

ومن وجهة نظر الباحثة فإن بلدوين كان يهدف من وراء هذا العرض إلى تحقيق الأمور التالية:

- ضرب تحالف جيش دمشق مع الموصل.
 - إضعاف جيش مودود إذا ما انسحب منه أقوى حليف.
 - تفرغ بلدوين لحصار عكا، لأنه يتطلع للسيطرة على مدن الساحل الشامي.
- وإزاء فشل بلدوين في التفاوض مع طغتكين فقد اضطر لترك حصار عكا، والتوجه بجيشه لتصد قوات مودود، وفي الوقت ذاته طلب سرعة النجدة والإمداد من روجر الصقلي حاكم أنطاكية Roger prince of Antioch (٥٠٦ - ٥١٣ هـ/ ١١١٢ - ١١١٨ م) وبيونز كونت طرابلس Bons count of the Tripoli (٥٠٧ - ٥٢١ هـ/ ١١١٣ - ١١٢٧ م)، لكن بلدوين لم ينتظر وصولهم بل سارع بالخروج بجيشه فوصل إلى جسر الصنبرة^(٤١) جنوبي غربي بحيرة طبرية^(٤٢)، وهناك أعد له مودود خطة عسكرية محكمة تتلخص في: أن يقيم المسممون خيامهم في الجزيرة، ثم يرسلوا عدداً من الجند بحدود ألفين لكن يخرج منهم خمسمائة لمهاجمة الصليبيين.

ولذا تبادر إلى الملك بلدوين أن عدد الجند قليل، فجد مسرعاً نحوهم، وتظاهر الجند المسلمون بالهزيمة والتراجع نحو الجزيرة، لكن كانت المفاجأة أن خرج ألفان من جند المسلمين من كمينهم. وهذا الأمر قد غير موازين المعركة لصالح المسلمين، إذ شنوا هجوماً عنيفاً على الصليبيين^(٤٣).

وقد تكلفت هذه الخطة بنجاح، إذ أدت إلى وقوع عدد من المشاة في أيدي المسلمين، حتى إن بلدوين نفسه هرب من الأسر بصعوبة^(٤٤)، فضلاً عن غرق عدد من الجند في نهر الأردن وبحيرة طبرية، حتى قدرهم المؤرخين بألف ومائتين من المشاة، وثلاثين من الفرسان^(٤٥).

وعبر مؤرخي الحروب الصليبية عن هذه الهزيمة بكل ألم، حيث قال فوشيه الشارترى: «يا له من حزن عميق!! ففي ذلك اليوم جلبت علينا خطايانا الكبيرة عارا عظيماً»^(٤٦). ووصفها ابن القلانسي بقوله: «وغرق منهم خلق كثير في البحيرة واختلط الدم والماء وامتدح الناس من الشرب منها أياماً حتى صفت منه وراقت»^(٤٧).

وقال وليم الصوري : «جرت مذبحة مروعة في صفوف الهارين، حتى أن الملك ذاته ألقى بعلمه الذي كان في يده إلى الأرض، وكانت نجاته هو إحدى المعجزات. وهكذا استولى العدو على مخيمنا، وعوقبنا على خطايانا»^(١٨).

من القراءة التحليلية للباحثة للنصوص السابقة يتضح لنا عدة أمور :

- عظم الهزيمة التي لحقت بالصليبيين وكثرة قتل جنودهم، حتى وصفت أرض المعركة بالمذبحة المروعة.
- تعجب واستنكار فوشيه للمصيبة العظمى التي حلت بهم.
- عجز الصليبيون عن الصمود بأرض المعركة، ولذا ولوا هارين وفي مقدمتهم ملكهم.
- اليأس الكبير الذي سيطر على الصليبيين، لذا اعتبروا نجاة ملكهم بلدوين الأول من القتل وهرويه من المعجزات الخوارق.
- الأثر النفسي الأليم الذي تركته هذه المعركة في نفوس الصليبيين حيث سطرت في أنفسهم الحزن العميق، وهذا دلالة واضحة على انهيار روحهم المعنوية.
- استيلاء المسلمين على المخيم الصليبي وخيمة بلدوين وما فيها من أثاث وأواني فضية.
- اتفاق وليم وفوشيه أن هذه الهزيمة المنكرة، والمذبحة المروعة، قد حلت بهم كنوع من عقاب الرب لهم، لأنهم غرقوا في الخطايا والآثام.
- كثرة القتلى في الجيش الصليبي، حتى إنها أثرت في صلاحية مياه البحيرة للشرب.
- جرح عدد كبير من جنود الجيش الصليبي.
- أن سرعة فرار الصليبيين من أرض المعركة، نتيجة للذعر الشديد، أدى إلى غرق عدد كبير منهم في البحيرة.
- ولنا أن نقف على أسباب هزيمة الصليبيين في معركة الصنيرة، فإن ذلك من وجهة نظر الباحثة يتمثل في عدة نقاط، وهي:
- عدم وضع بلدوين لأي خطة عسكرية لمواجهة الجيش الإسلامي، بل كان هجومه مفاجئاً وعشوائياً، كما وصف : «واندفاعه ضد العدو بطريقة عشوائية متهورة»^(١٩).
- توجه بلدوين من عكا مباشرة نحو الصنيرة، دون أن يعطي جيشه فرصة للراحة وتجهيز العتاد، قبل الانتقال لجهة أخرى.
- استعجال بلدوين بالمسير نحو الصنيرة، دون انتظار وصول قوات روجر ويونز. حيث قال وليم الصوري : «ويرجع السبب في هذه النكبة إلى الملك الذي لم يطق صبراً حتى تصل إليه النجدة اطمئناً منه إلى شجاعته الذاتية»^(٢٠). ومن وجهة نظر الباحثة أن استعجاله بالمسير بسبب خوفه من سرعة تقدم الجيوش الإسلامية، مما يعد نذيراً بتطلعهم لاسترداد بيت المقدس.
- عدم انتباه بلدوين لطبوغرافية أرض المعركة، حيث قال الشارترى : «وقد أدانوا عدم فطنة الملك»^(٢١).
- فشل خطة بلدوين في ضرب التحالف الإسلامي، فلم ينجح عرضه في استمالة طغتكين لجانبه.

- لم يترك حامية عسكرية لحماية مؤخرة الجيش من أي هجوم مفاجئ.
- أما بالنسبة للمسلمين فإن أسباب النصر لديهم تمثلت فيما يلي :**
- اتحاد قوات الموصل مع دمشق.
- انتظار مودود لوصول النجندات الإسلامية وضمها إلى جيشه.
- حسن اختيار المناطق المحصنة، حيث تمركزوا في ناحية طبرية، وفي هذه المنطقة عسكروا عند جسر الصنيرة في الجزيرة الآمنة، كما قال عنها الشارثي : «وكانت آمنة جداً بحيث أن أي أحد يتخذ موقعه هناك لا يمكن مهاجمته، بفضل المداخل الضيقة المؤدية إلى الجسور»^(٥٢).
- استخدام الخطة العسكرية المناسبة، والتي اعتمدت على عنصر المفاجأة للجيش الصليبي، بظهور بقية جنود مودود بعد ملاحقة بلدوين لهم.
- وأهم النتائج لهذه المعركة :**
- أنها أدت إلى ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين، ولفتت أنظارهم إلى أهمية الوحدة الإسلامية في تحقيق النصر على الصليبيين، وأن جهاد مودود كان بمثابة الفجر المشرق الذي ينبئ عن بناء الجبهة الإسلامية الموحدة.
- أسهمت في تأكيد المودة ووحدة الهدف والمصير بين أمراء المسلمين، بشمال الشام والجزيرة، مع إخوانهم في العراق ووسط بلاد الشام^(٥٣).
- أن عصر مودود - رغم قصوره - أصبح نقطة تحول في تاريخ الصراع الإسلامي الصليبي، خلال تلك المرحلة المبكرة، فقد صارت فكرة الجهاد حقيقة واقعة؛ جعلت مملكة بيت المقدس تركز قواها للدفاع عن حدودها الشمالية، فاقصر بلدوين الأول، خلال السنوات الباقية من عمره، على الدفع عن الكيان الصليبي^(٥٤).
- وعن الأحداث بعد هذه المعركة: فإنه وصلت قوات روجر ويونز، وهذه القوات جددت الأمل في نفوس الصليبيين، لكن الهزيمة التي أصابت جيش بلدوين فرضت عليهما اللجوء إلى القتال غير المباشر، فقاموا بالاحتواء بمرتفعات غرب مدينة طبرية. فقام المسلمون برميهم بالنشاب، وقطعوا عنهم الميرة، لكنهم استمروا على نفس أسلوبيهم في القتال. ولم يحسم هذا القتال بنتيجة حاسمة لأحد الطرفين^(٥٥).
- ومما زاد الأمر سوءاً شدة حرارة الصيف^(٥٦)، وإذا استخدم المسلمون أسلوبي آخر في القتال وهو الغارات الخاطفة، وذلك بغرض الضغط على قوات أنطاكية وطرابلس، حتى يضطروا لانسحاب، وحتى يحصلوا على غنائم يتقوى به الجيش الإسلامي، فساروا إلى بيسان^(٥٧) ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس^(٥٨)، كما زحفت حامية عسقلان الفاطمية على بيت المقدس، وهذا مما يضعف الجبهة الصليبية عندما تنتوع عليها أسكن الضرب الإسلامية، وتمكنت الحامية الفاطمية من الوصول إلى أسوار مدينة القدس الخارجية، وأشعلوا النيران في المحاصيل هناك. لكنهم ما لبثوا أن انسحبوا عائدين إلى عسقلان^(٥٩).

ومن الواضح أنه لو كانت هناك عندئذ خطة شاملة توحد جهود القوى الإسلامية، لأمكن أن تقوم الدولة الفاطمية بعمل حربي كبير يهدد الصليبيين تهديداً خطيراً ويجعلهم بين نارين^(١٠) كمن وقع بين السندان والمطرقة.

أما بالنسبة لمودود، فقد قرر العودة بقواته إلى بلاده، لأنهم مكثوا فترة شهرين دون تحقيق أي نصر يحسم الموقف، خاصة أن وصول الحجاج من بلاد ما وراء البحار، أدى إلى زيادة عدد الجيش الصليبي، بالإضافة إلى صعود رجال أنطاكية^(١١).

ولكل ماسبق أذن مودود لحلفائه بالعودة إلى بلادهم، لحلول الشتاء، كي يأخذوا فترة من الراحة، ويجتمعوا به في الربيع القادم، لكن مودود ماثب أن قتل على يد أحد النباطية في جامع دمشق^(١٢).

الخاصة :

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث المعنون معركة الصنبرة أحداث ونتائج ١١١٣ هـ/١٥٠٧ م. فمن خلال هذه الدراسة توصلت للنتائج التالية:

- لعبت الموصل دوراً كبيراً في تزعم مشروع الجهاد ضد الصليبيين، ودعوة أمراء الشام والجزيرة للمشاركة معهم.
- لما اتضح دور الموصل الرائد للجهاد، استغاث بهم أهل حنب عام ٥٠٥ هـ/١١١١ م، لدفع الخطر الصليبي عنهم.
- قاد شرف الدين مودود أعظم أدوار الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في الفترة (٥٠٢ - ٥٠٧ هـ/١١٠٨ - ١١١٣ م).
- إن تقديم بعض الأمراء المسلمين مصالحهم الشخصية على الصالح العام، كما فعل رضوان بن تنش وقف حجر عثرة لإتمام الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.
- إن الدولة العباسية، بالرغم من ضعفها إلا أنها ظلت الحارس الحامي للمسلمين، فدائماً تصل لل خليفة العباسي رسل الاستغاثة، وطلب النجدة ضد العدوان الصليبي.
- أوضحت الدراسة أهمية ارتباط المدن الإسلامية، كوحدة واحدة، أمام الشعور بالخطر الصليبي المشترك، ونيز الخلاقات الداخلية بينهم.
- أوضحت الدراسة أهمية تكامل الجهود بين الخليفة العباسي، وأمراء الدويلات الإسلامية المستقلة، في دفع الخطر الصليبي.
- أهمية تحقيق الوحدة بين شمال الشام والعراق لدفع الخطر الصليبي.
- كشفت الدراسة عن مدى حنكة مودود السياسية والعسكرية، في خطواته وقراراته أثناء قيادته للعديد من الحملات ضد الصليبيين.
- أثبتت الدراسة أن المكان والخطة نهم دور كبير في تحديد مصير أي معركة.
- كشفت الدراسة عن أهمية مراعاة قائد المعركة للجند في أخذ رأيهم بعد المعركة؛ بالاستمرار في الجهاد أو العودة لموطنهم.
- اتضح دور النباطية العدائي ضد المسلمين، فكثيراً ما قاموا باغتيال قادة الجهاد الإسلامي مثل مودود عام ٥٠٧ هـ/١١١٣ م.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية والمحرية

- ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن محمد، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ١٩٦٣م.
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م.
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ط ١٩٧٢م.
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٢م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- أبو شامة : شهاب الدين محمد، ٦٥٥هـ/١٢٦٧م.
- الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢، دار الجيل، بيروت، د(ت).
- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، الجزء الأول - القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.
- ابن العربي : غريغوريوس أبو الفرج بن هارون، ت ٦٦٠هـ/١٢٨٦م.
- تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد، ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م.
- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط١٩٥١م.
- العظيمي : محمد بن علي العظيمي الحلبي، ٥٥٦هـ/١١٦١م.
- تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م.
- أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م.
- تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
- المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- فوشيه الشارترى :
- الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٩٣م.
- ابن القلانسي : أبو يعلى حمزة بن القلانسي، ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م.

- ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة، د (ت).
- ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م.
- البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- ابن الوردي : أبو حفص زين الدين، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م.
- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- وليم الصوري : - الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله، ت ٦٢١هـ / ١٢٢٨م.
- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د (ت).
- ثانيا : المراجع العربية والمحربة :**
- إبراهيم محمد المزيني :
- إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين، الرياض، ط ٢٠٠٣م.
- أحمد عطية :
- القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- إرشيد يوسف راشد :
- سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م.
- أرمنت باركر :
- الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت.
- رينيه جروسيه
- الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أبيش، دار فتيبة، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.
- ستيفن رنسيمن
- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
- سعيد أحمد برجاي :
- الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور :
- الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م.
- عصام عبد الرؤوف الفقي :
- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٥، ١٩٧٥م.
- عليه عبد السميع الجنزوري :
- إمارة الرها الصليبية، ط القاهرة، ١٩٧٥ م.
- عماد الدين خليل :
- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- فايد حماد عاشور :
- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

محمود سعيد عمران

- تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

مسفر سالم الغامدي :

- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م.

محمد مؤنس عوض :

- الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

موضي عبد الله السرحان :

- بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين، دار الأوقاف، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

- هانس ماير

- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غاتم، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ط١، ١٩٩٠م.

هنادي السيد محمود :

- مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.



الهوامش

- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م، ج ١٠، ص ٤٥٧ - ٤٥٩، ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبى، القاهرة، ص ١٦٠، ابن العربي : تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧م، ص ١٧٣، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٤٣.
- (٢) خلاط : قصبة أرمنية الوسطى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢م، ص ٢٤١.
- (٣) ميفارقين : أشهر مدينة بديار بكر، الحموي : معجم البلدان، ٤م، ص ٣٤٩.
- (٤) ماريين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة، الحموي : معجم البلدان، ٤م، ص ١٩٤.
- (٥) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٦٩، ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ج ٢، ص ٢٦٩، ستيغن رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ط ٣، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ١٨٧.
- (٦) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٦٩ - ١٧٠.
- (٧) ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٤، عليّة الجنزوري : إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٣٧.
- (٨) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٦٩ - ١٧٠، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٦٥، محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ٢٠٠٦م، ص ٤٥، هنادي السيد محمود : مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٩٩، ستيغن رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٨٨.
- (٩) أبو الفدا : المختصر، ج ٢، ص ٤٤، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٠.
- (١٠) شيزر : قلعة تشتمل على كوره بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم. الحموي : معجم البلدان، ٣م، ص ١٧١.
- (١١) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٢، ابن القلائسي : ذيل، ص ١٦٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٦.
- (١٢) الأنارب : قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية. الحموي : معجم البلدان، ١م، ص ٨٠.
- (١٣) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٧٣، العظمي : تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعور، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٣٦٥.
- (١٤) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٧٣، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٧ - ١٥٨، آرنست باركر : الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١٥٤.
- (١٥) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٣.
- (١٦) إرشيد يوسف : سلافة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م، ص ١٢١.
- (١٧) مراغة : بلدة مشهورة من أعظم بلاد أذربيجان، الحموي : معجم البلدان، ٤م، ص ٢٣٨، أبو الفدا : تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص ٣٩٩.

- (18) إريل : مدينة حصينة تعد من أعمال الموصل، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ١١٦.
- (19) تبريز : أشهر مدن أذربيجان وهي ذات أسوار محكمة، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ٤٣٠، أحمد عطية : القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ج ١، ص ٦١.
- (20) ابن الأثير : الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر ظليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص ١٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٨، ابن خلدون : العبر، بيروت، ط ١٩٧٦م، ج ٥، ص ٤١، ابن كثير : البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ص ١٩٨٥م، ج ١٢، ص ١٨٥، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م، ج ٥، ص ١٩٩.
- (21) محمد مؤنس عوض : الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط ١، ص ٢٠٠، ص ١٥٣.
- (22) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مصر، الحموي : معجم البلدان، م ٣، ص ٤٣.
- (23) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٥، ابن خلدون : العبر، م ٥، ص ٤١.
- (24) تل باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ٤٥١.
- (25) ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٨، ابن شداد : الأعلق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، الجزء الأول - القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، ص ١٠٣، عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ص ١٩٨٠، ص ٢٢٣.
- (26) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٧٥.
- (27) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٧٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٩، رنسيان : تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٩٧.
- (28) إبراهيم محمد المزني : إمارة حلب، الحميصي، الرياض، ط ١٣٧٣م، ص ١٢٥.
- (29) معرة النعمان : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحمص، الحموي : معجم البلدان، م ٤، ص ٢٨٧.
- (30) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٧، عصام الفقهي : بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٤٤.
- (31) فايد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٥٥.
- (32) أقامية : مدينة حصينة من سواحل الشام وكوره من كور حمص، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ١٨٣.
- (33) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٧.
- (34) ابن العربي : تاريخ مختصر الدول، ص ١٧٣، ابن خلدون : العبر، ج ٥، ص ٤١، مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات، جدة، ١٩٨٦م، ص ١٤٥.
- (35) هانس ماير : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، ليبيا، ١٩٩٠م، ص ١١٤.
- (36) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٨٤، ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٥.
- (37) سلمية : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة وكانت تعد من أعمال حمص، الحموي : معجم البلدان، م ٣، ص ٦١.

- (38) الأقحوانة : موضع بالأردن من أرض دمشق على شاطئ جزيرة طبرية، الحموي : معجم البلدان، ١م، ص ١٨٨.
- (39) ابن الأثير : الباهر، ص ٨١، ابن العديم : زبدة الحطب، ج ٢، ص ١٦٣، ابن خلدون : العبر، ج ٥، ص ٤٢.
- (40) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٨٤.
- (41) الصنبرة : موضع بالأردن مقابل لقبة أفيق بينه وبين طبرية ثلاثة أميال، الحموي : معجم البلدان، ٣م، ص ٢٠٣.
- (42) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٦، ابن القلائسي : ذيل، ص ١٨٥.
- (43) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٣م، ص ٢٤٨، موضي السرحان : بيروت تحت الحكم الصليبي، ط ١، ٢٠٠١م، الرياض، ص ٩٠، أبو شامة : الروستين، دار الجبل، بيروت، ج ١، ص ٢٧.
- (44) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨، رتيه كروسية : الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أبيش ن دار فكتيبة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٥٧.
- (45) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٣٠١.
- (46) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨.
- (47) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٨٥.
- (48) وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (49) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٩.
- (50) وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (51) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٩.
- (52) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨.
- (53) مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين، ص ١٤٨ - ١٤٩.
- (54) هنادي السيد : مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ١٠٤ - ١٠٥.
- (55) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٦، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (56) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠.
- (57) بيمسان : مدينة بالأردن بالغور الشامي، الحموي : معجم البلدان، ١م، ص ٤١٤.
- (58) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (59) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (60) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٦٠.
- (61) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥١ - ٢٥٢، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٣، سعيد برجوي : الحروب الصليبية في الشرق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢٢٨.

(⁶²) العظمى: تاريخ حلب، ص ٣٦٦، ولیم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٠٣، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٧، ص ١٢٣. عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، ص ٢٢٦.



مدارس أسيوط في العصر المملوكي

د. محمد أحمد محمد أحمد الكردوسي (*)

أولاً: ظهور المدارس في أسيوط

من الثابت والمعروف، لدى كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين، أن المدارس ظهرت في مصر لأول مرة مع بدايات العقد الرابع من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في العصر الفاطمي، وأنها أنشئت في الأصل للدعوة للمذهب السنّي، وكان في ظليعتها مدرستان سنيتان تأسستا بالإسكندرية^(١).

وهناك من الباحثين من يُقر بوجود المدارس في أسيوط منذ ذلك العصر، فيقول الدكتور محمد زغلول سلام^(٢): إن الخليفة الفاتح^(٣) الفاطمي بنى بأسيوط مدرسة عُرفت باسمه "الفانزية"، تولى التدريس بها بعض الشيوخ والعلماء. ويرى باحث آخر أن سبب بنائها إنما جاء تمسّياً مع رغبة الخلفاء الفاطميين في بناء المدارس بصعيد مصر، بعدما أخذ المذهب الشيعي ينتشر في تلك البلاد، حتى اعتنق أعداد كبيرة من أهلها هذا المذهب^(٤).

وليس لدينا في الواقع من المادة المصيرية ما يجعلنا نقطع بأن الخليفة الفاتح الفاطمي بنى مدرسة بأسيوط، أو حتى إن المدارس ظهرت أساساً في أسيوط في العصر الفاطمي، فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماماً من أية إشارات تفيد بوجود مدارس في أسيوط في ذلك العصر. ويبدو أن ما أورده الدكتور سلام، بخصوص مؤسس الفانزية، كان رأياً استنتاجياً ارتكز فيه على مسمى المدرسة نفسه، حيث اعتبر تسميتها بالفانزية أمراً يشير إلى الخليفة الفاتح الفاطمي، والمدّعى أنه أورد ذلك في كتابه: الأدب في العصر الأيوبي، والأدب في العصر المملوكي، في حين لم يشر إلى ذلك في كتابه المُعنون بالأدب في العصر الفاطمي، وكل ما أورده في ذلك الكتاب الأخير بخصوص وجود مدارس في أسيوط في ذلك العصر: أنه نقل عن التوطواط^(٥) قوله: "مدينة أسيوط على غربي النيل، بلد قرح بهيج، خطر، جليل، به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس...". ومعلوم أن التوطواط (أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن عليّ) لم يعيش في العصر الفاطمي، حيث ولد سنة ٥٦٣٢هـ/١٢٣٤م وتوفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م.

ولهذا فإن القول بأن الخليفة الفاتح الفاطمي هو باني المدرسة الفانزية؛ قول بحاجة إلى تدقيق ومراجعة، فالخليفة الفاتح، المشار إليه، ولي الخلافة في الخامسة من عمره، ولم تزد فترة

(*) مدرس بكلية الآداب جامعة أسيوط.

خلافته عن ست سنين ونصف (٥٤٩/١١٥٤-١١٦٠م)، ومات وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وست أيام، أي أنه كان طفلاً صغيراً^(١).

ولو أضفنا إلى ذلك ما اعترى هذا الطفل من اضطراب عقلي عند توليه الخلافة، ما شهدنا على أنه باتي تلك المدرسة. وسبب ذلك الاضطراب كما يقول المقرئ^(٢): "إن أباه لما قُتل وبكر عباس (أي الوزير أبو الفضل عباس) إلى القصر وفحص عن الخليفة الظافر وقتل أخويه وابن عمه لينفي عن نفسه وابنه التهمة، واستدعى ابن الظافر هذا وحمله على كتفه وبه من العصر نحو الخمس سنين، ووقف به في صحن القاعة وأمر الأسراء فدخلوا عليه. فلما مثلوا بالقاعة قال لهم: هذا ولد مولاكم وقد قُتل أبوه وعماه، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الطفل. فقالوا بأجمعهم: سمعنا وأطعنا، وصاحوا صيحة اضطرب منها الطفل وداخله من تلك الصيحة، مع ما شاهده من رؤية عمه والخدام وهم في دمائهم ما خيل عقله، ويال على كتف عباس، فسيروه إلى أمه؛ وأقام مختلاً يصرع وجنته تكفله".

هذا من جانب، ومن جانب آخر لم تكن المدارس قد انتشرت في مصر في تلك الآونة، ومن المستبعد أن تكون أسبوط قد شهدت طبيعة الحال بناء مدارس فيها في العصر الفاطمي، فمن المعلوم أن المدارس وإن كانت ظهرت في مصر مع أواخر العصر الفاطمي؛ إلا أنها لم تأخذ في الانتشار إلا بعد قيام الدولة الأيوبية، حيث عمد سلاطينها إلى الإكثار من بناء المدارس، لنشر المذهب السني ومحاربة المذهب الشيعي، وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي أنشأ عدة مدارس بالفسطاط والقاهرة، ثم اتقوى به أولاده وأمرأؤه، في بنائها بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر^(٣).

وبناء على ما سبق، لا نميل إلى الأخذ بالقول إن المدارس ظهرت في أسبوط منذ العصر الفاطمي، والأرجح أن ذلك كان في العصر الأيوبي؛ الذي جاء مقروناً بالانتشار المدارس في ربوع مصر شمالاً وجنوباً. ويقف معنا شاهداً ودليلاً على صحة ذلك، تلك الإشارات المتفرقة التي دلت على وجود مدارس في أسبوط في العصر الأيوبي، لعل أبرزها ما ورد بخصوص المدرسة "الفانزية"، حول قيام العالم المغربي تجم الدين أبو نصر الأموي المعروف بالقصري^(٤) بالتدريس فيها أواخر العصر الأيوبي ويدايات العصر المملوكي؛ وذلك بعد أن ارتحل وطوف بالبلاد في طلب العلم، فسافر إلى تونس وأقام بها مدة، ثم قدم دمشق وتلقه بها، وبخل حماة وبيقاد ودرس بهما^(٥)، ثم انتهى مطافه العلمي بدخول الديار المصرية سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، حيث حظ رحاله بمدينة أسبوط ودرس بمدرستها "الفانزية"، ثم غين قاضياً لها، وظل بها إلى أن توفي سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م.

وليس ثمة شك في أن مثل تلك الإشارات المصدرة الواردة بخصوص التدريس بالمدرسة الفانزية بأسبوط، في تلك الفترة، تحملنا على التسليم بوجود مدارس في أسبوط في العصر الأيوبي، لكن مما يؤسف له أننا لم نعثر، في المصادر التي بين أيدينا، على ما يدلنا على بداية ظهور المدارس في أسبوط خلال ذلك العصر، أو حتى ما يُعرفنا إن كانت المدرسة الفانزية هي

أول مدرسة بُنيت في أسبوط أم لا ؟ والأدهى من ذلك: أن تلك المصادر لم تُشر حتى إلى مؤسس الفانزية نفسها .

وعلى الرغم من هذا، ويحكم أن المدرسة الفانزية تعتبر أقدم مدرسة في أسبوط وردت إشارات إليها في المصادر التي بين أيدينا حتى الآن، أرى من الأهمية بمكان محاولة معرفة مؤسسها بطريق الاستنتاج. ولنبدأ ذلك بتحديد الإطار الزمني الذي تأسست فيه فانزية أسبوط، وليكن هو الفترة المحصورة بين سنتي ٥٨٩هـ/١١٩٣م و ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، فالأولى تمثل - فيما نراه صحيحا - الحد الأدنى لتاريخ تأسيس الفانزية، بوصفها السنة التي أنهت حكم السلطان صلاح الدين، ومن المستبعد بناء تلك المدرسة في عهده، والأجدد أن تكون بُنيت في عهد خلفائه، وذلك استنادا إلى ما أورده المقرئ (١٢) من أن السلطان صلاح الدين أنشأ عدة مدارس بالقسوط والقاهرة، ثم اقتدى به من بعده أولاده، وأمرأوه، "في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر"، أما السنة الثانية فيمكن اعتبارها الحد الأقصى لتاريخ تأسيس هذه المدرسة، ولا يمكن أن يكون بناؤها بعده، لأنه في تلك السنة جاء العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأموي إلى مصر، ودرس بالمدرسة المذكورة بأسبوط (١٣)، وهذا معناه أنها كانت موجودة بالفعل في تلك السنة.

وبالتنقيب في المصادر، عبر الإطار الزمني الذي تم تحديده آنفاً، لم يصادفنا غير رجلين من الممكن أن يُنسب لأحدهما تأسيس الفانزية بأسبوط، وذلك من حيث مُسمّاهَا، ومن حيث وجود علاقة لكلا الرجلين بالصعيد، الأول منهما هو: الملك الفائز إبراهيم بن السلطان العادل أبي بكر بن أيوب (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)، وكان يربطه بالصعيد تلك الإقطاعات (١٤) التي أقطعها له والده هناك، والتي تمثلت في إقطاعه "الأعمال القوصية" (١٥)، وإن كان وجود تلك الإقطاعات في الأعمال القوصية يجعلنا نستبعد نسبة الفانزية إليه، فلو كانت تلك الإقطاعات في السيوطية لكان من السهل علينا قول ذلك.

أما الرجل الثاني فهو: الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد، الفانزي، الذي خدم الملك الفائز إبراهيم بن السلطان العادل كاتباً، ونُسب إليه بالفانزي، ثم خدم من بعده السلطان "الكامل" ثم ولده "الصلاح نجم الدين أيوب"، وتدرج في الوظائف حتى صار وزيراً للسلطان "المعز أبيك التركماني" سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م مع بداية دولة المماليك البحرية. ولما قُتل المعز، يَاشِر الوزارة لابنه "المنصور علي" أبامَا، ثم قبض عليه سيف الدين "قطز" مدير دولة المنصور وصادره، وسجنه، فمات في حبسه مخوفاً سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م.

وذاك الرجل الثاني نتوقع، بنسبة كبيرة، أن فانزية أسبوط تُنسب إليه، والذي حدا بنا إلى ذلك التوقع، فضلا عن مُسمّاهَا، ما لمسناه في سيرته من وطيد علاقة كانت تربطه بأسبوط، فهو أسبوطي النشأة والهوى، والمتتبع لسيرته في المصادر يمكنه أن يلمس ذلك، فقد ورد عنه أنه كان من جملة نصارى صعيد مصر، وعمل كاتباً على المصايد بأسبوط (١٦)، ثم قدم إلى القاهرة وأسلم في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وتولى نظر الديوان في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة، ثم ولى بعض أعمال ديار مصر (١٧)، وهذه الأخيرة لم تُفصَح عنها المصادر، وقد يكون من بينها أسبوط، أو غيرها، من أعمال الوجه القبلي القريبة

منها. وربما تتأكد لنا علاقته الوطيدة بأسبوط والصعيد، في صورة أوضح، بعد توليه الوزارة وخروجه على رأس العساكر إلى تلك البلاد لمحاربة بعض الأمراء الخارجين على الدولة هناك^(٢٠).

زد على ذلك: أن هذا الرجل كان غده حسن تدبير، وسمو نفس، وأريحية، وكرم طباع^(٢١)، كثير الصدقات والهز والصلوات^(٢٢)، فأولى اهتماما بالإنشاء والتعمير بدافع فعل الخيرات، سواء قيل توليته الوزارة أو بعدها، فيما يجسده لنا تلك المدرسة التي بناها بمصر (القمسطاط) سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م أو ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، والتي نسبت إليه بالفانزية، وكذلك القيسارية التي أنشأها بالقاهرة^(٢٣)، والتي وُسمت على اسمه بقيسارية الفانزي، وهذا يجعلنا نزيد في ترجيحنا، إلى حد التأكيد مرة أخرى، على توقعنا أن فائزة أسبوط تنسب إليه، وأنها كانت من بين منشأته المعمارية الخيرية التي بناها قبل أن يلي الوزارة، فقد سبق وأسلمنا أن تلك المدرسة كانت موجودة بالفعل سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م.

وغاية القول، إن وجود المدرسة الفانزية بأسبوط في تلك الآونة، يُعد مؤشرا على كون أسبوط واحدة من الأعمال أو البلدان التي حظيت بظهور المدارس فيها منذ العصر الأيوبي، لاسيما وأنها كانت، وما زالت، واحدة من أبرز الحواضر المصرية في الصعيد.

ثانيا: أشهر مدارس أسبوط في العصر المملوكي :

سار سلاطين المماليك، وأمرؤهم وأتباعهم، على نهج أساتذتهم الأيوبيين في بناء المدارس^(٢٤)، وشهدت مصر في عصرهم ازدهارا غير مسبوق في الحركة المدرسية، حيث أكثر السلاطين والأمراء، وأصحاب اليسار من الأعيان وغيرهم، من تشييد المدارس في الوجهين البحري والقبلي^(٢٥). وبلغ من انتشار المدارس في الوجه القبلي أنه كان من الميسور على تلك المدارس استيعاب أعداد الطلبة؛ بما في ذلك الواقفين على هذه البلاد من طلاب العلم^(٢٦). وكانت أسبوط واحدة من بلاد الوجه القبلي التي تميزت بمدارسها في ذلك العصر، وقد وردت بالمصادر إشارات دلت على انتشار المدارس بها زمن المماليك، منها مثلا قول النوطاوي^(٢٧): "مدينة أسبوط على غربي النيل، بلد ... به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس"، وقول ابن دقماق^(٢٨): "وبها عدة مدارس"، وقول القلقشندي^(٢٩): "وبها مساجد ومدارس".

والمحاولة تنصب هنا على تتبع أشهر مدارس أسبوط التي وردت تسمياتها عبر إشارات مصدرية أو مرجعية، مع تنفيذ هذه الأخيرة على أضواء الأولى وعلى ما لدينا من مطبوعات واقعية، من خلال ما قمنا به من زيارات ميدانية لمنطقة أسبوط القديمة، فذلك كله يساعدنا في رسم صورة واضحة لتلك المدارس، من حيث نشأتها وموقعها وتطورها، وهي في الحقيقة مجموعة مدارس لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى تركيز اهتمام مؤرخي العصر المملوكي على مدارس العاصمة المملوكية، دون التطرق إلى مدارس الأقاليم، لدرجة أن كثيرا منها لم يحظ حتى بذكر أسمائها في المصادر. وعلى أية حال فننفسح المجال هنا للتعرف على أشهر مدارس أسبوط زمن المماليك.

١ - المدرسة الفانزية :

تُعد المدرسة الفانزية من أشهر مدارس أسبوط وأقدمها، أنشأها شرف الدين هبة الله بن صاعد الفانزي في أواخر العصر الأيوبي على نحو ما أسلفنا، واستمرت تلك المدرسة تؤدي رسالتها العلمية والثقافية زمن المماليك. وكان مبناها^(٢٢) يقع أمام الجامع العمري^(٢٣) أو المسجد الأموي^(٢٤)، أو الجامع الكبير كما اصطلاح الناس على تسميته.

وممن تولى التدريس بها في العصر المملوكي؛ الشيخ نجم الدين أبو نصر الأموي، وظل يُدرّس بها إلى أن توفي بأسبوط سنة ٨٦٣/١٢٦٥م، وكان يُدرّس فيها الفقه على مذهب الشافعي، والأصول والنحو والعروض والحكمة والمنطق^(٢٥) وإشارات ابن سينا^(٢٦).

وممن أسند إليه تدريسها أيضاً، الصلاح الحسني الميوطي، مُحمّد بن أبي بكر بن علي بن حسن بن مطهر (٧٨٣ - ٨٥٦/١٣٨١ - ١٤٥٢م)، الذي أورد عنه السخاوي^(٢٧) أنه ولد ونشأ بأسبوط، وقرأ القرآن وتلقى تعاليمه الأولى بها، ثم انتقل إلى القاهرة ودرّس على أيدي علمائها، ثم عاد إلى أسبوط وأقام بها إلى سنة ٨٠٦/١٤٠٣م، فلقى تركيا سكراتنا فراجعه كلاماً فطغى عليه فقتله، فانتقل بأهله إلى القاهرة ففطنها، ويرع في كثير من العلوم والفنون، وكتب الخط الحسن ونسخ به الكثير لنفسه ولغيره، وكان يقات منه لتخليه عن الوظائف الدنيوية، لكنه ولى بعد سنة ٨٣٥/١٤٣١م تدريس مدارس أسبوط ونظرها، وكان من بينها المدرسة الفانزية، فلم يتم له ذلك، فاستمر منقطعاً عن الانشغال بالكتابة إلى أن بنى قراقجا الحسني^(٢٨) مدرسة ... وجعله خطيبها وإمامها وكفاه مؤونة كبيرة.

وتستوفقنا هنا العبارة الأخيرة الواردة في كلام السخاوي . سالف الذكر . لأنها تدل على أنه على الرغم من إسناد تدريس المدرسة الفانزية، وبعض المدارس الأخرى بأسبوط، إلى الصلاح الحسني بعد سنة ٨٣٥/١٤٣١م، إلا أنه لم يَقم بالتدريس في تلك المدارس بالفعل، كما ظن بعض الباحثين^(٢٩)، ولو كان الصلاح الحسني قد مارس مهنة التدريس بها، أو النظر عليها، لرأينا على الأقل إشارة إلى ذلك بكتب التراجم التي وردت بها تفاصيل عن حياته العلمية والعملية، منذ ولادته بأسبوط وحتى وفاته بالقاهرة^(٣٠). والراجح أنه تم تحيينه عن هذه المدارس قبل أن يتوجه إليها، وهذا ما توضحه بجلاء عبارة "لم يتم له ذلك" الواردة في كلام السخاوي، وقد يكون سبب ذلك سعي غيره من العلماء لتولي تلك المدارس بدلا منه، بوصفها من المدارس المتميزة في صعيد مصر، مستغلين عزوفه عن الوظائف الدنيوية، وتخوفه مما قد يجابهه من مشكلات عند عودته لأسبوط، بسبب قتله رجلا تركيا فيها منذ زمن مضى.

٢ - المدرسة الشريفة :

أنشأها زين الدين محمد بن أبي بكر علي بن محمود الجعفري، المتوفى سنة ٨٧٨١/١٣٧٩م، وهو من أبناء أسبوط، وأحد قضاتها المشهورين، تفقه على الدمشوري^(٣١)، وكتب الخط الحسن، وشارك في الفضائل، وبنى بأسبوط المدرسة المذكورة، ونسبت إليه^(٣٢) بالشريفية لانتمائه إلى السادة الأشراف (آل البيت)، كما هو واضح من اسم الجعفري الوارد في

نسبه. ويزداد ذلك وضوحا عندما نعلم أنه ابن عم شرف الدين عبد الوهاب، والد جلال الدين، الشريف الجعفري الزينبي الأسيوطي^(١٣).

يقول ابن حجر العسقلاني^(١٤) عن زين الدين مؤسس تلك المدرسة: إنه زين الدين بن الناظر الأسيوطي، وهذا القول بحاجة إلى مراجعه، لأن ابن الناظر الأسيوطي رجل آخر غير زين الدين، وعاش في فترة لاحقة له، وربما حدث خطأ أو خلط بين الرجلين من كون اسم كل منهما محمد بن أبي بكر، لأن ابن الناظر كما يقول عنه السخاوي^(١٥) هو "مُحَمَّد بن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن عبد الغفار بن يحيى بن إسماعيل، الشريف الحمصي المغربي، الفاسي الأصل، الصعيدي المالكي، نزيل الحجاز ويلقب أبوه بالناظر. ولد في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، في نواحي الصعيد من بلاد مصر ورأس في نواحي أسيوط من بلاد الصعيد ... وارتحل للقاهرة في سنة ثلاث وأربعين ... وارتحل لمشرق في سنة أربع وأربعين ... ثم غاد لمصر وركب البحر من القصير، في سنة ثمان وأربعين، فدخل لبندر يثبع، فاتصل بصاحبها الشريف معزى، فجهزه للحج، ثم زار النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام عند معزى، فقرأ أولاده، إلى أن لقيه البقاعي في ربيع الآخر من التي بعدها ... وما علمت شيئا من خبره بعد ذلك".

أما عن موقع المدرسة الشريفة بأسيوط؛ فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماما من أية إشارات إليه، ونتوقع أنها كانت بدرب الشريفة، الذي من الواضح أنه سُمي كذلك لوجودها به، وهو درب مشهور ومعروف بأسيوط القديمة، وبه مسجد صغير يعرف بمسجد الشريفة، بُني مكان المدرسة الشريفة، ويمرور الزمان درج الناس على تسميته بمسجد الشريفة بدلا من الشريفة^(١٦).

ومن أسند إليه تدريس تلك المدرسة، الصلاح الحمصي البيروطي، مُحَمَّد بن أبي بكر بن علي بن حسن بن مطهر، وكان ذلك بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، عندما أسند إليه تدريسها مع مدارس أخرى بأسيوط^(١٧)، لكن لسوء الحظ لم يتم له التدريس بتلك المدارس، كما سبق وأوضحنا في سياق الحديث عن المدرسة الفانزية.

ومن بين مدرسيها المشهورين في العصر المملوكي، جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، المتوفى سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م، ووالده ابن عم زين الدين مؤسس تلك المدرسة كما أسلفنا. ومما يجب ذكره هنا، أن جلال الدين هذا ليس هو جلال الدين الأبهشي، كما اعتقده أحد الباحثين^(١٨)، لأن جلال الدين الأبهشي هو الجلال أبو الفضل بن البدر بن فتح الدين أبي الفتح، الشافعي، نزيل القاهرة^(١٩)، ولم يرد عنه أنه درس بأسيوط أو حتى زارها من الأصل.

وهناك من يعتبر أن الشيخ شرف الدين شارح المنارات (ت ٨٤٧هـ/١٤٤٣م) تولى التدريس بتلك المدرسة^(٢٠)، لكن تلك المقولة بحاجة إلى مراجعة^(٢١)، لأن شرف الدين المذكور لم يُدرس بها إطلاقا، وهو من علماء قيريم^(٢٢)، وتوفي بمدينة أدرنة^(٢٣) التركية.

٣. المدرسة الخضرية:

تُعد تلك المدرسة من بين المدارس التي عُرفت بأسيوط في العصر المملوكي، وأوردها السخاوي^(٢٤) تحت مسمى "البدرية الخضرية"، وتبعه في ذلك علي مبارك في خطته^(٢٥). وهناك

من المؤرخين المحدثين من قسم ذلك المسمى نصفين، معتبرين أن البدرية مدرسة، والخضيرية مدرسة أخرى^(٥٧)، والراجح أنهما مدرسة واحدة عرفت بالخضيرية وبالبدرية، كما هو ثابت بالمصادر، وإن كانت شهرتها بالخضيرية أوسع وأعم.

وليس لدينا في الواقع أية معلومات عن سبب تسميتها بالبدرية، أما بخصوص تسميتها بالخضيرية وفيما يتعلق بتاريخ إنشائها، فيرى أحد الباحثين - من خلال مطالعته لعدد من حجج الوقف الخاصة بتلك المدرسة في العصر العثماني - أنها وردت في الوثائق تارة مسبوقة بكلمة مسجد، وتارة مسبوقة بكلمة مدرسة، ويرجح أن مبناها كان مسجداً مخصصاً للصلوات الخمس، ومدرسة لتعليم علوم القرآن واللغة، خاصة وأن الخضيرية، إحدى الطرق الصوفية التي كانت موجودة بمصر في العصر العثماني، قد اتخذت من هذا المسجد مقراً لها^(٥٨).

وهو بذلك يوصل لتلك المدرسة من حيث النشأة والتسمية على أنها تعود إلى العصر العثماني، مستندا في ذلك، على حد قوله، إلى أن أقدم ذكر لها، في حجج الوقف الخاصة بها، يرجع إلى ١٩ رجب سنة ١١١٥هـ/ ١٧٤١م، حيث تشير حجة مؤرخة بهذا التاريخ إلى قطعة أرض مقدارها ثمانية قراريط، موقوفة على مسجد الخضيرية^(٥٩).

والحقيقة أن تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي، وليس إلى العصر العثماني، فقد يكون استدل هو، بوصفه متخصصاً في علم الآثار، من خلال مبناها على ما يوحي بأنها عثمانية الشكل من حيث طرازها المعماري، لكن هذا قد يكون من جراء إضافات أو تجديدات طرأت على مبناها زمن العثمانيين، لكنها هي في الأصل مملوكية، وهي مدرسة وليست مسجداً، وقد أوردنا السخاوي في كتابه الضوء اللامع^(٦٠) على أساس أنها مدرسة كما ذكرنا آنفاً. وربما أطلق عليها مسجد من جراء التشابه الكبير ما بين المسجد والمدرسة، نتيجة كآثر عمارة المدارس بعمارة المساجد والجوامع في العصر المملوكي، والذي لم يقف عند حد تخطيطها فحسب، وإنما أيضاً في انتقال بعض الوحدات والعناصر من المساجد والجوامع إلى المدارس، مثل: المنذنة والمنبر، ودكة المبلغ أو المؤذن، وخلوة الخطيب وكرسي المصحف^(٦١) لدرجة أن من المدارس ما كان على شكل المسجد تماماً، ومن هنا وجدنا المدرسة الخضيرية يطلق عليها، في الوثائق العثمانية، كلمة مسجد في بعض الأحيان.

وعلى أية حال فما دامت تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي؛ فنرجح أن باتيها أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، العالم الجليل، صاحب التأليف والتصانيف المشهورة، لاسيما وأن أجداده كان يطلق عليهم الخضيرية أو الخضرية، ويتضح هذا بجلاء عند قراءة ترجمته لنفسه، أو لوالده كمال الدين أبو بكر (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، في أكثر من مؤلف له^(٦٢)، لاسيما في كتابيه "حسن المحاضرة" و"التحدث بنعمة الله"، وعلى وجه الخصوص الكتاب الثاني منهما، الذي وضعه السيوطي ليتحدث فيه عن نفسه وعن نسبه وعائلته وولد والده، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بحياته، والذي علمنا من خلاله، ومن غيره، معلومات تفيد بأن جدّه الأعلى الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى، وهو الجد الثامن له^(٦٣)، تعود نسبته بالخضيرى إلى محلة ببغداد، تعرف بالخضيرية أو الخضرية^(٦٤)، على حد قول

الشيخ جلال الدين السيوطي، خاصة وأنه سمع من مصدر موثوق به، عن والده، أن جدّه الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق^(٧٥).

ولو ربطنا ذلك بما ساقه السيوطي^(٧٦) في موضع لاحق في ثنايا ترجمته لوالده، لتبين لنا بالفعل أن أحد أجداده هو باني المدرسة الخُضيرية بأسيوط، إذ يقول عقب انتهائه من الحديث عن جدّه الهمام الخُضيري: "وأما من دون جدي المذكور من أجدادي، فقد كانوا من أهل الوجهاء والرياسة، منهم من ولى القضاء بأسيوط، ومنهم من ولى الحسبة بها، ومنهم من كان في صحبة الأمير شيخو^(٧٧)، وبنى مدرسة بأسيوط، ووقف عليها أوقافاً، ويحكى أنه سأل الأمير شيخو أن يأمر البناء الذي بنى مدرسته بالصليبية^(٧٨) أن يذهب معه إلى أسيوط فيبني له مدرسة نظيرها، فأجاب به إلى ذلك....".

وثمة أمور ثلاثة مهمة يمكن استيحائها، أو استلهاها، من النص السابق الذي أورده السيوطي: أولها تاريخ بناء المدرسة الخُضيرية، والذي يمكن أن نحصره بين سنتي ١٣٥٥/١٣٥٨م و١٣٥٧/١٣٥٨م، فلا يعقل أن تكون تلك المدرسة بُنيت قبل السنة الأولى، لأنها السنة التي بُنيت فيها مدرسة أو خاتمة شيخو^(٧٩)، والتي على شاكلتها بُنيت الخُضيرية، كما لا يمكن أن تكون بُنيت، على وجه الترجيح، بعد سنة ١٣٥٨/١٣٥٧م، لأنها السنة التي قُتل فيها الأمير شيخو^(٨٠)، والبناء الذي بنى المدرسة ذهب إلى أسيوط بأمر منه.

والأمر الثاني الذي يمكن استلهاه من النص ذاته: أن باني المدرسة الخُضيرية بأسيوط، وهو أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، كان على اتصال بالأمير شيخو، وأن ثمة علاقة ربطت بينهما وساهمت في استجابة الأمير شيخو لإرسال البناء معه إلى أسيوط، ولا نستبعد أن يكون سفر الأمير شيخو إلى أسيوط، ونزوله بها مع أواخر سنة ١٣٥٤/١٣٥٣م، وأوائل سنة ١٣٥٥/١٣٥٤م، تلقّضاً على ثورات العريان هناك^(٨١) قد لعب دوراً فاعلاً في ربط أواصر الصلة بين الرجلين، حيث استقبله أهل أسيوط وأطلعوه على أمور العرب وعلى أعدادهم، ومدى عزمهم على المحاربة^(٨٢)، ومن دون شك أن جدّ الشيخ جلال الدين المشار إليه، كان من بين المستقبّلين للأمير شيخو بأسيوط، وكيف لا ؟ ! وهو يُعد واحداً من عليّة القوم بأسيوط، ومن وجهائها^(٨٣) الذين عملوا بالتجارة^(٨٤).

أما ثالث أمر يعكسه النص المذكور، ولا يقل أهمية عن سابقه، أن المدرسة الخُضيرية بأسيوط بُنيت على نسق المدرسة أو الخاتمة الشيوخونية بالقاهرة، وهذا في حد ذاته يعكس أن مدارس أسيوط في العصر المملوكي، كانت تُبنى على غرار مدارس العاصمة، الأمر الذي يجعلنا في ميسر الحاجة هنا إلى توجيه دعوة لعلماء الآثار، وعلى الأخص للمصريين منهم، لبذل مزيد من الجهود العظيمة المتأنية، لكشف النقاب عن مثل تلك المدرسة بأسيوط وغيرها، ومحاولة تقديم الدراسات الأثرية اللاتقة بها، التي يمكن أن تطلع من خلالها على أوصاف تلك المدارس جملة وتفصيلاً، لاسيما وأنها كانت على شاكله مدارس العاصمة من حيث مبانيها ومنحقاتها، ومن المؤكد أنه روعي عند بنائها الأغراض التعليمية، بحيث اشتملت على مواضع للتدريس، وخزانة للكتب، وأماكن للصلاة، ومساكن للطلبة وللوظفين. وذلك أمر لم تتفرد به مدارس أسيوط، وإما كان من الأمور المرعية عند تشييد مدارس صعيد مصر بصفة عامة^(٨٥)، والمطلع

على ما كتبه الأتقوي^(٧٦) (٨٢٧/٥٧٤٧م)، في العصر المملوكي، يصادف وسط كتاباته إشارات إلى مثل هذه الأمور.

وعن موقع المدرسة الخُضيرية بأسسيوط: فإنها كانت تقع بمنطقة الخُضيرية (أو الخُضرية)^(٧٧) جنوب غرب مدينة أسسيوط، وتطل واجهتها الغربية على شارع الخُضيرية، وواجهتها الشمالية على شارع الطويجي^(٧٨).

وظلت هذه المدرسة في أداء رسالتها العلمية والتعليمية، في أسسيوط، طوال العصر المملوكي، بل ويعد ذلك في العصر العثماني، وقد حفقت سجلات وقائع محكمة أسسيوط الشرعية، المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، بالكثير من حجج الوقف الخاصة بها^(٧٩) خلال ذلك العصر الأخير.

ومن أسند إليه تدريسها ونظرها في العصر المملوكي: الصلاح الحميني السيوطي، الذي وليها هي والشريفية والغانزية، وكان ذلك بعد سنة ٨٣٥/١٤٣١م، لكن لم يتم له التدريس بتلك المدارس^(٨٠) كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

٤- مدارس أخرى :

إلى جانب المدارس السابقة، وجدت مدارس أخرى في أسسيوط، وفي بعض توابعها في العصر المملوكي، وقد ورد ذكرها غرضاً في المصادر والمراجع، ولم نقف حتى على مسمياتها، والأمانة العلمية تقتضي هنا إعطاء لمحة سريعة عنها، لأن عدم ورود تفصيلات عنها في المصادر والمراجع، تصريحاً أو تلميحاً، لا يعني بالضرورة أنها لم تكن من المدارس المعروفة في العصر المملوكي، فمن المؤكد أنها كانت تُعرف لدى الدارسين آنذاك أو حتى على الأقل داخل الوسط الإقليمي الواقعة في إطاره، ومن المؤكد أيضاً أنها أسهمت مع نظيراتها من المدارس المشهورة سالفة الذكر، في تنشيط الحركة المعرفية والثقافية في أسسيوط في ذلك العصر، لكنها لم تحظ بتمليط الأضواء عليها عبر الكتابات التاريخية أو الأثرية أو غيرها، الأمر الذي ضاعت معه حتى مسمياتها نفسها.

ومن هذه المدارس: مدرسة كانت بمكان مسجد سيدي جلال الدين السيوطي، وهو ذلك المسجد المشهور الذي يقع بشارع القيسارية، وعلمنا أن ثمة مدرسة كانت هناك مما أورده سيد علي الطويجي^(٨١) في سياق مقدمة كتابه الذي كتبه عن أسسيوط في العصر الحديث (سنة ١٣٦٨/١٩٤٩م)، إذ يقول عن أسسيوط: "ولو لم أكن منها لتمنيت أن أكون منها، وقد سبقتني أبي وجدي، فجدي أثرها على بلده السلیمانیة عاصمة الموصل، فادى بها ثقافة علمية، تدريس اللغة التركية، بمدرسة كانت بمكان مسجد سيدي جلال، وكذا فقه الحنفية والحديث النبوي، وقد ذكر (ذلك) جدي أحمد في سند رسمي صادر من السيد أحمد رافع عفيف الدين، والسيد محمد عبد الرحيم عفيف الدين سنة ١٢٥٣/١٨٣٧م.

ويمطالعة ما كُتب في المراجع حول مسجد سيدي جلال، الذي كانت بمكانه المدرسة المذكورة، وجدنا عثمان فيض الله^(٨٢) يقول عنه: إنه كان يسمى قديماً باسم مسجد الجنصي نسبة إلى أحد أهالي بلدة جنص بالشام، والذي قدم إلى أسسيوط واستوطن به مدة، ولقد جدد المسجد عدة مرات، في العصر الحديث، بإشراف وزارة الأوقاف، ويقول عنه سيد علي الطويجي،

نقلا عن أحمد باشا تيمور: إنه عُرف بمسجد سيدي جلال عند العامة، وبمسجد الجنصي عند أهل العلم، وإن نسبته إلى الجنصي عند الخاصة ربما كانت لتجديده أو لتوحيده الإمامة أو التدريس فيه أو النظر عليه، ويُحقق ذلك، فكله مبني على الظن والاحتمال^(٨٢).

وبناء عليه، حاولت تحقيق تلك النسبة من خلال تقصي المعلومات الواردة بالمصادر المملوكية، عن كل من لُقِبَ بالجنصي، فتبين لي أن الجنصي، الذي نسب إليه ذلك المسجد بأسبوط قبل أن يُعرف بمسجد سيدي جلال، هو الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن الحسن، القرشي المخزومي الحمصي، ثم القاهري الشافعي، ويُعرف بابن الجنصي (ت ٨٦١هـ/١٤٥٧م)، فهذا الرجل ورد عنه بالمصادر: أنه وُلِيَ قضاء أسبوط سنة ٨٢٥هـ^(٨٤)/١٤٢٢م، وأقام في قضائها مدة طويلة، وعُثر بها جامعا^(٨٥)، فمن المؤكد أنه هو الجامع أو المسجد المذكور الذي نسب إليه، والذي لا نعلم على وجه اليقين هل كان جامعا بالفعل، كما قال السخاوي، أم كان مدرسة كما اعتبره الطوحي؟ وإن كنت أميل إلى الأخذ برأي الأخير، وخاصة في ظل الخلط الذي كان سائدا، في عصر المماليك الجراكسة، بين كل من المسجد أو الجامع، والمدرسة، والخانقاة، فمن المعروف أن المدرسة أصبحت زمن المماليك مكان عبادة ودرس، وكان أهم ما يميزها عن المسجد: مساكن الطلبة التي كانت تلحق عادة بالمدارس ليعيش بها الطلاب والمدرسون^(٨٦).

وهذه المساكن من الصعب علينا، بالطبع، معرفة وجودها من عدمه في المكان الذي نحن بصدد الحديث عنه، أو حتى معرفة أوصاف المبني الذي كان قائما هناك؛ من حيث تكوينه وعناصره المعمارية، فقد هُدم ذلك المبني، وأقيم مكانه المسجد المعروف حاليا بمسجد سيدي جلال، والذي طرأت عليه تغييرات وتجديدات لم تُبق للمبني القديم معالم أثرية مادية، كما لم يسجلها التاريخ، فضاعت تلك المعالم، وذهب معها الرسم والاسم.

ومهما يكن من أمر فقد اتخذ القاضي سراج الدين الحمصي من ذلك المكان الذي بناه بأسبوط سواء كان مدرسة، وهوالأرجح، أو جامعا اتخذ منه مكانا للتدريس، وممن تتلمذ على يديه فيه: والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، قبل انتقاله إلى القاهرة^(٨٧).

ولعل ارتباط اسم والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي بذلك المكان، وتخرجه منه يفسر لنا نسبة المسجد، الذي حل مكان المدرسة إلى الشيخ جلال الدين السيوطي، وذلك من الأمور المهمة التي يجب التنبيه إليها وتصحيحها هنا، لأنها من الأخطاء الشائعة بين الناس إلى الآن، ومما يزيد في خطورتها أن تلك النسبة لم تقف عند حد المسجد، بل امتسحت كذلك على الضريح الموجود بالمسجد، فقيل إنه قبر الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وصار ذلك من الأمور المُسلم بها، مع أن الشيخ جلال الدين السيوطي لم يأت إلى أسبوط ولم يرها، كما روى ذلك بنفسه، في قوله عن أسبوط: "وقد أفردت لها تاريخا حسنا في مجلد لطيف"^(٨٨)، اقتداء بمن أفرد من المُحدثين لبلده تاريخا، مع أني لم أرها إلى الآن، فإني إنما ولدت بمدينة مصر، ولم أسافر إليها البتة، وإنما فطعت ذلك لكونها بلد الوالد والأجداد^(٨٩). وقد حقق أحمد تيمور قبر الإمام السيوطي وموضعه بالقاهرة ونقل عنه سيد علي الطوحي^(٩٠) قوله: إن في مدينة أسبوط مسجدا يعرف بجامع سيدي جلال الدين السيوطي وبه ضريح تزعم العامة جهلا أنه

ضريحه، إلى أن قال: والذي أراه أن ذلك الضريح هو المكان الذي كان يدرس به كمال الدين أبو بكر والد الإمام جلال الدين السيوطي قبل انتقاله إلى القاهرة، فسمية المسجد إلى السيوطي إنما هي لوالده لا للمدفون في الضريح، فمن توالي الأيام ظنوه أنه السيوطي، مع أنه مكان أبيه.

ويمكن أن نضيف هنا: أن ذلك الضريح إنما هو للشيخ همام الدين الهمام الخُضيري، وهو الجد الأعلى للشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وذلك استناداً إلى ما قاله السيوطي^(١١) عن جده هذا: إنه كان أحد مشايخ الصوفية وأرياب الأحوال والولايات" إلى أن قال: "ولجدنا هذا ضريح بأسبوط يُزار ويُتبرك به".

فمن المؤكد أنه هو ذلك الضريح، ولما بنى السراج الحمصي بجواره المدرسة أو المسجد، عرف أولاً بمسجد الحمصي، ثم صار يطلق على ذلك المسجد اسم السيوطي، نسبة إلى والد الشيخ جلال الدين الذي تعلم به، ونُسب كذلك الضريح إلى السيوطي على اعتبار أنه نجله، ثم مع مرور الزمن، وغموض الحقيقة، نُسب المسجد والضريح إلى جلال الدين السيوطي نفسه لشهرته. وربما وجود هذا الضريح بالمسجد يجعلنا نعود لنؤكد، من جديد، على أن ذلك المكان الذي عُثره الحمصي إنما هو في الغالب مدرسة وليس مسجداً. ذلك لأن المدرسة لم تكن في عديد من الحالات، في ذلك العصر، بناءً مستقلاً قائماً بذاته، وإنما كانت جزءاً ملحقاً بالقبة المدفون بها أحد الأشخاص^(١٢).

وعلى كل حال، لم يقتصر وجود المدارس في أسبوط على المدارس آنفة الذكر، أو بمعنى آخر لم يقف عند حد مدينة أسبوط بوصفها قاعدة أو مركزاً للأعمال الميوطية، وإنما وجدت المدارس أيضاً في بعض المدن الأخرى التابعة لذلك الإقليم، وإن كنا لم نحظ في المصادر بإشارات كافية عن تلك المدارس، فيكفي للتدليل على وجودها، على سبيل المثال، ما أورده ابن دقماق^(١٣) (ت ٨٠٩/٤٠٦ م) في سياق وصفه لمدينة بوتيج^(١٤)، التي كانت - وما زالت - إحدى المدن التابعة لأسبوط، إذ يقول عنها: "وهي مدينة على ضفة النيل الغربية بعيدة عن النيل قليل، وبها جامع كبير قديم وبها مدارس..." .

ويمكن الاستدلال من وجود تلك المدارس في مدينة أبوتيج على المكانة التي تبوأها تلك المدينة كواحدة من المراكز العلمية المهمة بصعيد مصر في العصر المملوكي^(١٥)، وقد وردت بمصادر ذلك العصر إشارات إلى أسماء علماء وفقهاء نشنوا بتلك المدينة وتلقوا تعليمهم بمراكزها التعليمية^(١٦).

وصفوة القول: إن وجود هذه المدارس في أسبوط وفي بعض توابعها، في العصر المملوكي، يعكس وجود حركة مدرسية، ونهضة تعليمية، واسعة النطاق داخل الإقليم الأسبوتي في تلك الآونة.

ثالثاً: الحياة التعليمية في مدارس أسبوط في العصر المملوكي :

كانت مدارس أسبوط، وغيرها من المدارس، في العصر المملوكي تمثل المرحلة العليا من مراحل التعليم آنذاك، أو بمعنى آخر كانت عبارة عن كليات إسلامية عالية، يلتحق بها الطلاب لإتمام الدراسة. ويكون الالتحاق بها، في الغالب، عقب سن البلوغ بعد الانتهاء من مرحلة

التعليم الأولى بالكتاتيب (أو الابتدائية^(١٧)). فمن الثابت والمعروف: أن الطفل كان يلتحق بالكتاب أو المكتب وعمره سبعة أعوام، وإن كان كثير من الآباء، في العصر المملوكي، يلحقون أبناءهم به في سن أقل، ليستريحوا من تعبهم، وليس من أجل القراءة^(١٨)، ويستمر الطالب في المكتب منتقلا بين حلقاته: من حفظ للقرآن، أو سماع للحديث أو تعلم للغة، أو اشتغال بالقراءة والكتابة والخط، حتى سن البلوغ، ثم ينتقل إلى المدارس أو المساجد التي تروى له، ليلتحق بإحدى حلقاتها، وإن لم يرغب فيصرف لشؤون الحياة^(١٩).

وعندما يلتحق الطالب بالمدرسة يخرط في حياة تعليمية مفعمة يتلقى معارف مختلفة وعلوم متنوعة، وقد شهدت المدارس بصعيد مصر، بما فيها مدارس أسبوط، ذلك التنوع فيما كانت تقدمه لأبنائها من العلوم والمجالات المعرفية المختلفة، فكان يُدرس بها آنذ العلوم الدينية، كاللغة والأصول والحديث والتفسير والقراءات، فضلا عن العلوم اللغوية، كالنحو والصرف والبلاغة، كما اتمع المجال فيها لتدريس العلوم العقلية، كالفلسفة والمنطق، وكذلك العلوم العملية، كالطب والكيمياء والفلك والهندسة^(٢٠).

ولدينا من الشواهد ما يمكن الاستناد إليه للتدليل على التنوع المعرفي داخل مدارس أسبوط المملوكية، وأول هذه الشواهد: أن المدرسة الفائزية كان يُدرس فيها، في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ الفقه على مذهب الشافعي، والأصول، والنحو، والعروض، والحكمة، والمنطق^(٢١)، والأدب والشعر^(٢٢).

ومن الشواهد المثبتة لذلك، أيضا، أن السير الذاتية الواردة في ثانيا المصادر لبعض العلماء الذين تلقوا تعليمهم، أو بعضها منها، في أسبوط زمن المماليك، خوت في سياقها معلومات تفيد بذلك التنوع في العلوم والتخصصات التي سادت الوسط التعليمي في أسبوط وغيرها، ليس في عصر المماليك البحرية فحسب، وإنما كذلك في عصر المماليك الجراكسة، ويمكننا من خلال نظرات سريعة في مثل هذه السير، التأكد من ذلك، فعلى منبيل المثال: أورد جلال الدين السيوطي^(٢٣) في سيرة والده كمال الدين أبي بكر السيوطي أنه "ولد في أول القرن (أي التاسع الهجري) تقريبا، وأقبل على العلوم بأنواعها، فأخذ عن مشايخ عصره، ويرع في الفقه والأصول، والنحو والصرف، والمعاني والبيان، والفرائض والحساب بأنواعه، والمنطق، والوثائق".

وبمطالعة سيرة أخرى، مثل سيرة الشريف الحسني، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عبد الوهاب، المنقلب أبوه بالنظر، يمكننا التأكيد على ما سبق، بل إن هذه السيرة تمدنا بتفاصيل أدق عن التخصصات والعلوم التي كانت تُدرس بأسبوط، في العصر المملوكي، لأنها تفيد في معرفة أشهر الكتب والمؤلفات والمتون المعتمدة أو "الكراريس" التي كان المتعلمون ملزمين بحفظها، وعرضها على مشايخهم قبل أن يأخذوا معهم في مباحثها ويسط قواعدها، إذ ورد في ثانيا تلك السيرة أن صاحبها "ولد في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة في نواحي الصعيد من بلاد مصر ورُي في نواحي أسبوط من بلاد الصعيد فقرأ بها القرآن وتلا به لأبي عمرو على مؤدبه الشريف محمد بن أحمد بن علي التلمساني، وحفظ العدة^(٢٤)، وأربعي النووي (في الحديث)، والرسالة (في أصول الفقه للإمام الشافعي رحمه الله)، وأكثر المختصر الفرعيني (في الفقه)، وجميع جمع الجوامع (في أصول الفقه)،

وأللفية ابن مالك (في النحو)، والملحة^(١٠٥)، والجرومية^(١٠٦)، وتصريف العزى^(١٠٧)، والرحبية^(١٠٨) في الفرائض، وإساغوجي^(١٠٩) (في المنطق)، والنفحة الوردية (في النحو لعمر بن الورد المتوفى سنة ٨٧٤٩/٣٤٨م)، والبعض من المفصل (في النحو للزمخشري)، والحاجبية (في النحو والصرف لابن الحاجب)، وأكثر ناظر العين^(١١٠)، والصدقات في علم الهيئة (أي الفلك)، وألفية العراقي^(١١١)، والشاطبيتين^(١١٢)، والمباوية^(١١٣) في العروض، وارتحل للقاهرة في سنة ثلاث وأربعين...^(١١٤).

وفي الإطّار ذاته: يمكن أن نأخذ من سيرة محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، الشمس الأسبوطي المنهجي، شاهدا جديدا على صحة كلامنا، حيث يقول السخاوي^(١١٥) في سياق تلك السيرة: "ولد كما قال لي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وقيل سنة عشر بأسبوط، ونشأ بها فحفظ القرآن عند سعد الدين الواحي وغيره، والعددة، وأربعي النووي، والشاطبية والمنهاج الفرعي والأصلي، وسطور الإعلام في معرفة الإيمان والإسلام^(١١٦) للحمصي، فيما زعمه". ثم يستطرد السخاوي بعد ذلك بكلام عن هذا الرجل، يفيد أنه عرض محفوظاته وتلقى تعليمه في علوم الفقه والنحو والحديث والقراءات والأدب، على مشايخ وعلماء بالقاهرة وأسبوط. وعلى كل حال، ففي ظل هذا التنوع في العلوم والمجالات المعرفية، كان الطلبة في المدارس يختارون العلوم التي يدرسونها، وكثيرا ما اعتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته العالية^(١١٧).

وتكشف لنا الحياة التعليمية في مدارس أسبوط، في العصر المملوكي، عن وجود مدرسين أو أساتذة ومشايخ بارزين بتلك المدارس، عكفوا على تدريس صنوف العلوم بها، وسامهوا من خلال مؤلفاتهم التي وضعوها في تلك العلوم، ومن خلال قيامهم بشرحها وتدريسها، مع غيرها من مؤلفات سابقيهم من العلماء أو المعاصرين لهم، في نشر الثقافة والمعرفة بأسبوط في ذلك العصر، وتخريج جيل من العلماء المتميزين، كانوا على شاكلتهم، فجابوا كثيرا من مدن مصر وغيرها، تاركين بها بصمات واضحة في المجالين؛ العلمي والمعرفي، جاعلين بذلك من مدارس أسبوط ومؤسساتها التعليمية الأخرى، رافدا مهما من روافد التعليم في مصر في تلك الآونة، وليس أدل على ذلك مما أورده السيوطي في كتابه المَعْنُون بـ "التحدث بنعمة الله"^(١١٨)، عن كثير من أسماء العلماء الخارجين من أسبوط أو المنسوبين إليها، والذين يحمل كل منهم في اسمه لقب السيوطي أو الأسبوطي، فمنهم رواة للحديث النبوي ومستنون، ومنهم أدباء ونحاة وشعراء وأولياء، وغير ذلك، ومن المؤكد أن من بين هؤلاء العلماء من دُرِس أو دُرِسَ بالمدارس الأسبوطية، وللتدليل على ذلك يكفينا في مجال الحديث، على سبيل المثال لا الحصر، وبون الخوض في ذكر تفاصيل أو أسماء، أن نأخذ من كلام السيوطي في هذا الصدد قوله: "وقد خرج من أسبوط ونُسب إليها خلائق من رواة الحديث ... ورحل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة والخفاة".

ولنعرض هنا نماذج لبعض المدرسين الذين شغلوا وظائف التدريس في مدارس أسبوط، زمن المماليك، للتعرف على جوانب من حياتهم العلمية والتعليمية، ومكانتهم العلمية الرفيعة التي وصلوا إليها، ومدى مساهماتهم في حركة التعليم ونشر الثقافة في العصر المملوكي.

وأول أولئك المدرسين: العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأموي، الفتح بن موسى بن حماد، المعروف بالقصري، وهو من العلماء الذين اضطلّعوا بالتدريس بالمدرسة الفانزية بأسبوط، ومن قضائتها المشهورين، وتناولنا التعريف به من قبل^(١١٩)، ويطوفاه في كثير من بلدان العالم الإسلامي طلبا للعلم، وانتهاء ذلك المطاف بدخوله مصر سنة ١٢٤٥/٥، ثم استقراره في أسبوط لحين وفاته بها سنة ١٢٦٣/٥. وبقي أن نشير هنا إلى مؤلفاته، والتي من أشهرها: نظم المفصل^(١٢٠) للزمخشري في النحو، ونظم كتاب الإشارات (أي الإشارات والتنبيهات في الحكمة) لابن سينا، ونظم السيرة لابن هشام^(١٢١) المسمى بـ "الوصول إلى السؤل في نظم سيرة الرسول"^(١٢٢)، وهو على قافية رائية في اثني عشر ألف بيت^(١٢٣)، وله أيضا منظومة في العروض^(١٢٤).

ومن المدرسين والعلماء الأجلاء الذين درّسوا بأسبوط أيضا: الحسن بن عبد الرحيم بن الأثير، الفرشي، محبي الدين الأرمني، الفقيه الشافعي، الذي أورده الأذفوي ضمن من ترجم لهم في كتابه^(١٢٥)، وقال عنه: إنه كان من العلماء الصالحين الفقهاء العلماء العاملين، وتولى التدريس بمدينة أسبوط، وأقام سنين يُدرّس بها، وسافر من أسبوط، فتوفي في الطريق، وحمل إلى مصر، ودفن بسفح الجبل المقطم، وكان ممن يتبرك الناس به ويقصدون الدعاء منه، وكانت وفاته في سنة ١٢٩٧/٥م.

ومنهم أيضا: تقي الدين يحيى بن عبد الرحيم بن الأثير الأرمني، الذي يصفه الأذفوي^(١٢٦) بقوله: "كان من الفقهاء الشافعية المشاركين، درّس بمدرسة سيوط سنين كثيرة، وتولى الحكم بإطفيح"^(١٢٧) وبمنفلوط (إحدى مراكز أسبوط حاليا)، وسيرته فيه حميدة، وهو من بيت علم ورياسة، وجلالة ونفاسة، وحكم وعذالة، وسيادة وأصالة، وهولده سنة أربع وخمسين وستمائة، وتوفي بمدينة سيوط سنة ثمان وسبعمائة.

وجدير بالملاحظة هنا أن الأذفوي في ترجمته لتقي الدين المذكور؛ لم يوضح لنا في أي مدرسة كان يُدرّس، ونتوقع أنه كان يدرس بالفانزية، حيث لم تكن الشريفة أو الخضرية أنشئت بعد، وربما كانت الفانزية هي المدرسة الوحيدة في أسبوط وقت تدريسه بها، ولهذا نقرأ في كلام الأذفوي عبارة "درّس بمدرسة سيوط". فلو كان بأسبوط مدارس غيرها ما وصفها الأذفوي بأنها مدرسة أسبوط.

ومن كبار المدرسين كذلك: جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، الشريف الجعفري الزيّدي الأسبوطي، مدرس المدرسة الشريفة بأسبوط، وكان ممن أسند لهم الحكم أو القضاء بها مدة، وتوفي سنة (١٢٤٧/٥-١٢٤٣م). وقد سبق التعريف به في سياق الحديث عن المدرسة الشريفة.

ولا يغيب عن البال هنا: الشيخ كمال الدين أبو بكر الخضريري السيوطي (ت ٨٥٥/٥-١٢٥١م)، والد الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الذي يقول عنه ولده^(١٢٨): "إنه اشتغل بالعلم ببلده أسبوط وولي بها القضاء قبل قدومه إلى القاهرة. ونتوقع أنه درس بأسبوط بالمدرسة التي كانت مكان مسجد سيدي جلال الدين السيوطي حاليا، وهو المكان الذي تتلمذ فيه على يد القاضي سراج الدين الحمصي، كما سبق ذكره.

ومصادر العصر المملوكي المتأخرة، وما بعده، تحمل في طياتها مادة علمية غزيرة، ترجم فيها أصحابها لشخصية هذا العالم الجليل^(١٢٩) ومن بين تلك التراجم نسوق مقتطفات من ترجمة ابنه له في كتاب "التحدث بنعمة الله"، ففيها الكفاية للتعرف على مشواره العلمي، ومكانته العلمية، وبالتالي؛ مكانة خريجي مدارس أسيوط، وإسهاماتهم في إثراء الحياة العلمية في العصر المملوكي.

يقول السيوطي^(١٣٠) عن والده: "كان مولد والدي بأسيوط في أوائل القرن تقريباً ... واشتغل بالعلم ببذله، وولي بها الحكم نيابة. وقدم القاهرة سنة نيف وعشرين، فسمع صحيح مسلم على الحافظ ابن حجر، في سبع وعشرين. وكتب له الشيخ برهان الدين بن خضر^(١٣١) ... ولازم العلامة شمس الدين القاياتي^(١٣٢) فأخذ عنه الكثير في الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والبيان والمنطق، وأجازه بتدريس هذه الفنون كلها في سنة تسع وعشرين. وأخذ عن الشيخ باكير علم المعاني والبيان. وتلا على الشيخ محمد الجيلاني، وبرع في الفنون وتصدى للتدريس والإفتاء زمناً. وكتب الخط المنسوب الفائق. وبلغ في فن الإنشاء والبراعة والترسل والتوثيقات نهاية أذعن له فيها أهل عصره قاطبة، وانعقد الإجماع على انفراده بهذا الفن في عصره. وكان الأكابر من أهل هذا الفن يخضعون له ويأتون إليه ... وللوالد تعاليق وفوائد ضاعت. ولم أقف عليها. ومما رأيته من تعاليقه حواشي على "شرح الأنفية" لابن المصنف ... وحاشية على "العضد". ورسالة في إعراب قول "المنهاج": "فما ضيب يذهب أو فضة". وحواشي على "أدب القضاء" للغزي، وأجوبة اعتراضات ابن المقرئ على "الحاوي". وأخذ عن الوالد جماعة فضلاء وانتفعوا به..."

والملاحظ من خلال النماذج السابقة ومن غيرها من الأمثلة - منعتنا الخوف من الإطالة ذكرها هنا، لبعض المدرسين بمدارس أسيوط، في العصر المملوكي، أنهم كانوا يشغلون بجانب وظائف التدريس وظائف القضاء والنيابة في الحكم^(١٣٣).

كما نلاحظ أيضاً: أن المدرسين بمدارس أسيوط لم يكونوا كلهم من أبناء أسيوط، وإنما كان منهم علماء من البلاد المصرية الأخرى من الصعيد ومن الوجه البحري، بل كان من بينهم علماء غير مصريين، منهم من كان من المغرب مثل الفتح بن موسى بن حماد، ومنهم من كان من الشام مثل سراج الدين الحمصي، وهذا أمر طبيعي في ظل اعتبار مدن العالم الإسلامي مدينة واحدة، يحق للعالم والمتعلم التنقل بينها جميعاً، بل والاستقرار بأي منها، ما دام يجد بها ما يشبع شينا من نهمة العلمي على أيدي علمائها، أو تقديم ما ينفع طلاب مدارسها، دونما وجود عوائق أو عقبات تحول دون ذلك العطاء العلمي.

وفي ظل هذه الحرية في الحركة العلمية والتعليمية، داخل العالم الإسلامي في تلك العصور، لم يأل الطلبة في مدارس أسيوط جهداً في تحصيل العلم، سواء من المدرسين والعلماء القاطنين بها، أو حتى من العلماء وطلاب العلم الغريباء النازلين بها عبر رحلاتهم وأسفارهم، إذ كان نزول أمثال هؤلاء بالمدارس يعطى الفرصة لطلاب المدرسة لمناقشة ومناظرة القادم إليهم، ويوسع آفاق المتعلم للاطلاع على علوم أخرى غير التي يدرسها في مدرسته، ويحبب إليهم الرحلة، وكل ما يثري الحركة العلمية^(١٣٤)، وفي هذا الصدد يمدنا السخاوي^(١٣٥) بمثال في غاية الروعة عن:

مُحمَّد بن أحمد، الأسويطي المنهاجي، الذي تلقى نصيباً من تعليمه بأسويط ثم أكمله بالقاهرة، إذ يقول عنه: "وأخذ عن الشهاب السخاوي^(١٢٦) القادم عليهم أسويط؛ مجموع الكلاسي^(١٢٧) والملحة، وقيل الشهاب العجيمي^(١٢٨) وهو الذي سمعته منه".

لكن هذا ليس معناه أن يبقى الطالب في أسويط قابعاً في مدارسها، وإنما كان من الأمور المتعارف عليها في الحياة التعليمية آنذاك: أن يُيمم طالب العلم وجهه شطر أي بلد به عالم أو شيخ نال من الشهرة العلمية ما يستحق السفر إليه للتعلم من علمه، وبناء عليه كان طالب العلم يجول في مختلف البلاد، والأقطار ليسمع من مشاهير العلماء فيها^(١٢٩).

ويمكن استخلاص بعض الأمثلة على هذا الترحال والتنقل بين البلاد طلباً للعلم ويقصد الاستفادة والإفادة العلمية، مما سطره لنا أصحاب كتب التراجم في العصر المملوكي، ومن ذلك مثلاً: ما ورد عن يوسف بن أبي محمد بن أبي البركات، الميوطي (ت ٧٢٤هـ/٣٢٤م)، الذي يقول عنه الألفوي^(١٣٠): "...اشتغل بالفقه في بلده ويمصر، وناب في الحكم ببوتيج وطما^(١٣١) وغيرها من بلاد سيوط، ثم توجه إلى مصر واشتغل بها"، ثم يستكمل الألفوي سيرته بكلام يفهم منه أنه شغل وظائف القضاء والتدريس ببعض بلاد الصعيد؛ كقوص وأرمنت وإسنا وأدفو وأسوان.

وهناك عبد الرحمن بن غير بن علي بن أحمد بن يقوب، الزين العثماني البوتيجي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، الذي تلقى شطراً من تعليمه الأولى بمدينة أبوتيج، ثم سافر إلى القاهرة مع أبيه في سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وعرض على بعض علمائها، في سنة ٧٩٦هـ/١٤٩٤م وأجازوا له، ثم قطن القاهرة^(١٣٢).

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك: أن الصلاح الحسني الميوطي، مُحمَّد بن أبي بكر (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، بعد أن تلقى تعليمه الأولى بأسويط، انتقل به والده إلى القاهرة، ليعرض كتاب "العمدة" على الشيخ الزين العراقي، وبعد أن تأكد الشيخ من إلمامه به، كتب له إجازة، ثم عاد مع والده إلى أسويط، وأقام بها إلى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، وبعدها انتقل بأخيه إلى القاهرة ففطنها، ونهل من علم علمائها، ويرع في كثير من العلوم والفنون، ثم أسند له بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، تدريس بعض المدارس بأسويط، ولكن لم يتم له ذلك^(١٣٣)، كما سبقت الإشارة إليه في موضع متقدم من هذا البحث.

وهناك أيضاً محمد بن أحمد، الأسويطي المنهاجي، وكذلك كمال الدين أبو بكر الخضيرى والد الإمام جلال الدين السيوطي، اللذان تلقيا شطراً من تعليمهما بأسويط، ثم اتجها إلى القاهرة فحصلاً كثيراً من المعارف والعلوم على أيدي علمائها^(١٣٤).

وعلى أية حال، فمن الأمور المهم ذكرها هنا، والتي أماطت الحياة التعليمية في مدارس أسويط للثام عنها: أن تلك المدارس ضمت في نظامها التعليمي "معينين"، بوصفهم طرقاً معاوناً للمدرسين أو الأساتذة، وهو ذلك النظام المعمول به حالياً في نظم التعليم الحديثة بالجامعات العربية والأجنبية على حد سواء. ومن الذين شغلوا وظيفة الإعادة بأسويط: أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن، الأسفوني، الميوطي المولد والمنشأ، والذي يقول عنه الألفوي^(١٣٥): "إنه كان فقيهاً فاضلاً متديناً، تولى الحكم بأبي تيج، وتولى إسنا، وأعاد بمدرسة أسويط، وتوفي سنة

اثنان وعشرين وسبعائة، وجدَّ أبيه من أسفون^(١١٦)، وأقام جدُّه بها، وانتقل إلى سيوط، وتأهل بها.

وكان هؤلاء المعيدون يقومون بدور مهم في العملية التعليمية، من خلال جلوسهم مع الطلبة قبل الدرس أو بعده، لمساعدتهم على استذكار دروسهم ومراجعتها، ليستوعبوا ويفهموها^(١١٧)، فضلا عن تشجيع المتعلمين على طلب العلم وحثهم على تحصيله، والمعيد بهذا يساعد المدرس في أداء عمله ويوفر عليه بذل الجهد والوقت لإعادة شرح بعض الدروس، لمن يحتاج إلى ذلك من الطلبة، وكان القصد من قيام المعيد بمهمة الإعادة: المحافظة على وقت المعلم وعلى احترامه ومكانته، وتخفيف الجهد عنه وعن المتعلمين معا، والمساهمة في إعداد المعيد وتهينته للقيام بوظيفة المدرس مستقبلا^(١١٨).

وعن عملية التعلم أو طرق التدريس المتبعة في مدارس أسيوط في العصر المملوكي: فلم نسمعنا المصادر في الحصول على توصيف لها، لكن يمكن القول، بوجه عام، إنها لم تخرج عما كان مألوقا أو معهودا في كافة المدارس، خلال العصر المملوكي، من الثقافة الطلبة بقاعة التدريس حول أستاذهم، في صورة مجالس أو حلقات تدريسية، مستمعين لما يلقيه على مسامعهم، وما يقرأه زملائهم من الكتب المختلفة ليتم للباحث فيه^(١١٩)، فمن المعروف أن التدريس بالمدارس في تلك العصور، وما قبلها، عادة ما كان يعتمد على الإلقاء والتلقين والإملاء، وربما دارت مناقشات علمية بين المدرس وطلابه، وكان هناك تنظيم مطبق في قاعات التدريس بغية العمل والإفادة^(١٢٠).

ويخصوص مواعيد الدراسة بتلك المدارس: فمن المؤكد أنها لم تخرج عن إطار التقليد المعمول به في العصر المملوكي، والذي حددته وثائق الوقت بدقة تامة، وهو أن اليوم الدراسي كان ممتدا من طلوع الشمس إلى أذان العصر، وكان على المدرس أن يختار الوقت المناسب حسب إمكانات المكان، وحسب ظروفه، خلال اليوم الدراسي، أما أيام الدراسة فكانت تتراوح ما بين ثلاثة أيام وخمسة أيام، من كل أسبوع، حسب شرط الواقف، وكان هناك إجازات سنوية يحددها الواقف، وتتفق في الغالب والمناسبات الدينية التي تقام فيها شعائر دينية معينة، سواء كانت فرضا أم سنة^(١٢١).

ولم تخل الحياة المدرسية في أسيوط، كشأن كافة المدارس زمن المماليك، من ضروب الترويح عن النفس، فأقيمت بالمدارس، بين حين وآخر، حفلات لمختلف المناسبات العلمية، كختم البخاري، أو الانتهاء من تصنيف كتاب، وجرت العادة أن يقوم الداعي بإحضار الأطعمة من الحلوى والفاكهة، ويجلس الطلبة والشيوخ معهم الأعيان والقضاة، حيث يمشون بعض الوقت في أحاديث ومناقشات علمية مفيدة، وربما صرفت المدرسة على الحفل من أوقافها^(١٢٢).

وكان إذا أتم الطالب دراسته، يحصل من شيخه على إجازة (الشهادة حاليا)، وهي بمثابة ورقة كتابية يجيزه شيخه من خلالها بالفتيا والتدريس، يذكر فيها اسم الطالب ومذهبه وتاريخ الإجازة واسم مجيزها وغير ذلك^(١٢٣)، وهذا النوع من الإجازات يكون غالبا في تخصص بأكمله أو أكثر، ومن الأمثلة عليها ما ورد ببعض المصادر: من تلك الإشارات التي تفيد منح الشيخ سنَّيْغان البوتيجي^(١٢٤)، المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م بأسيوط - إجازات لعلماء من الصعيد في

علم القراءات^(١٠٠). ولم تقتصر الإجازات آنذاك على هذا النوع، وإنما وجدت أنواع أخرى من الإجازات عرفها المعاصرون، منها الإجازة "بِعَرْضِ الكُتُب"، فإذا حفظ الطالب كتابا في الفقه أو أصول الفقه أو النحو، أو غيره من الفنون، يعرضه على أحد مشايخ العصر، فيختبره فيه، ويستقرأه في عدة مواضع متفرقة منه، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلثم؛ استدل من ذلك على حفظه للكتاب، وكتب له إجازة بذلك^(١٠١)، ومن أمثلة هذا النوع: تلك الإجازة التي حصل عليها الصلاح الحسني السيوطي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)، من الشيخ، الزين البغزالي، عندما عرض عليه كتاب "العمدة"، وأجاز له^(١٠٢).

وهناك أيضا الإجازة بالمرويات^(١٠٣) ويمكن أن نسميها الإجازة الحديثية أو إجازة الرواية، وهي عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه بالرواية عن طريقه، وتكون بالسماع، أو أن الطالب قرأ على شيخه متنا من المتون، أو كتابا من كتب الحديث، فيجيزه بروايته، وأتوقع أن ذلك النوع من الإجازات كان يمنح بكثرة في أسبوط في تلك العصور، لاسيما وأنها خرج منها ونُسب إليها كثير من رواة الحديث، ورحل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة والخفّاء^(١٠٤). الأمر الذي يعكس معه توفر قاعدة علمية في أسبوط في هذا المجال منذ فترة قد تكون سابقة، لدرجة أن وجد بها نساء حافظات، كن يمنحن مثل هذه الإجازات، نخص بالذكر منهن هنا: سِتّ الشّام بنت أبي صالح زوّاجة بن علي بن الحسين بن زوّاجة، التي عاشت في القرن السابع الهجري، وسمعت من أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن زوّاجة الأربعين البلدانية للمتلفي^(١٠٥)، وغير ذلك، وحدثت عنه، وكانت تجيز بالرواية عنها، ويُقال لها شامية^(١٠٦).

وقبل أن تطوي الحديث عن الحياة التعليمية في مدارس أسبوط المملوكية؛ بقي أن نؤكد على أن الأوقاف كانت هي مصدر التمويل الأساسي، الرصين والمستديم، للصرف على هذه المدارس وضمان استمرار العملية التعليمية بها، فمن الثابت تاريخيا أن الأوقاف في العصر المملوكي هي التي ثبّتت أركان المدرسة، ودعمت نظامها، ومكنتها من القيام برسالتها^(١٠٧)، وكان الربيع الذي تغله الأعيان الموقوفة على المدرسة، شهريا أو سنويا، نقدا أو عينا، هو ضمان استمرار العمل بالمدرسة، حيث تدفع منه مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة والطلبة، بالإضافة إلى الأصناف العينية التي تصرف لهم يوميا، فضلا عن المخصصات السنوية لهم في المواسم والأعياد^(١٠٨)، وكل ذلك بالطبع حسب شروط الواقف.

ونتوقع أنه: ما من مدرسة بأسبوط، زمن المماليك، إلا وخصّصت لها أوقاف معينة من قبل مؤسسها للصرف على شئونها، وإن كنا، لسوء الحظ، لم نعثر حتى الآن على وثائق أو حجج وقف نستدل منها على ذلك الأمر، إلا أن ما ذكره السيوطي^(١٠٩) عن أحد أجداده من أنه: "كان في صحبة الأمير شيخو، وبني مدرسة بأسبوط، ووقف عليها أوقافا". لخبر شاهد على أن نظام الوقف على المدارس كان معمولا به، في أسبوط، في العصر المملوكي.

ومن الشواهد الأخرى على ذلك ما أورده السخاوي^(١١٠) عن الشيخ الصلاح الحسني السيوطي، محمد بن أبي بكر (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م) من أنه: "ولي بعد سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣١م تدريس "مدارس بأسبوط وهي: الشريفة والغازية والبدرية والخضرية ونظرها، فلم يتم له ذلك". فمعنى توليه نظر تلك المدارس، أي نظر أوقافها والإشراف عليها، وهذا يعكس أن تلك المدارس

خصصت لها أوقاف للصرف عليها، كما يعكس، معه أيضا، أن الإشراف على المدرسة لم يوضع، في كل الأحوال تحت تصرف المشرف على الوقف أو صاحبه، وإنما كان يعهد بذلك أحيانا لبعض المدرسين، فيجمع المدرس بذلك بين التدريس وبين نظر الأوقاف الموقوفة على المدرسة، أو بمعنى أدق: بين وظيفتي الإشراف العلمي والإداري^(١١٦) على المدرسة. وهذا أمر طبيعي وكان متبعاً في كثير من مدارس مصر المملوكية^(١١٧).

وختاماً: يمكن القول بناء على ذلك الطرح العلمي: إن مدارس أسبوط كانت في أوج نهضتها العلمية خلال العصر المملوكي، وإنها كانت بمثابة كليات إسلامية عالية ساهمت بشكل أو بآخر في تخريج أجيال من العلماء، كان لهم باع طويل في تنشيط الحركة العلمية والمدرسية، ونشر الثقافة العربية والإسلامية خلال ذلك العصر، ويكفي أن تلك المدارس ظلت في صيرورة عطائها كمنازل للعلم ببلاد الصعيد، خلال العصر الجراكسي، على الرغم مما منيت به بلاد الصعيد، خلال ذلك العصر، من تدهور في الحياة الثقافية وإغلاق الكثير من دور العلم بها، نتيجة الفتن والاضطرابات التي كانت تموج بها تلك البلاد من جراء ثورات العربان، فضلاً عما أصاب البلاد من مجاعات وأوبئة وطواعين، وغير ذلك من مؤثرات سلبية على الحركة التعليمية^(١١٨). والمدقق في صفحات ذلك البحث؛ يجد أن كثيراً من المعلومات الواردة في ثناياه، عن الحياة التعليمية وعن العلماء بتلك المدارس، إنما تعود إلى العصر الجراكسي، الأمر الذي يحمل معه التأكيد، من جديد، على النهضة العلمية بتلك المدارس طوال العصر المملوكي.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحصان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م، ج ٣ ص ٤١٧. القلقشندي: صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤، ٢٠٠٥م ج ١ ص ٤٥٨، ٤٥٩. جمال الدين الشيال: أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية، مقال منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد (١١)، ١٩٥٧م، ص ١٣، ١٤ وأعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٢١، ١٣٧. أيمن فؤاد سيد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية الذي تضمن أبحاث تدور المدارس في مصر الإسلامية التي عُقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية في أبريل ١٩٩١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١١٦، ١١٧.

Lane Poole (S.): A history of Egypt in the middle ages, London 1924, p.188.

(٢) الأدب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ١٨١. الألب في العصر المملوكي الدولة الأولى (٦٤٨هـ - ٧٨٣هـ)، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية) منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٥م، ص ١٣٣.

(٣) هو الخليفة الفائز بنصر الله: عيسى أبو القاسم بن الخليفة الظاهر بأمر الله.

(٤) نصر جمعة محمد نصر: الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩٤م، ص ٩٩، ١٠٠.

(٥) الطواط: من مباحج الفكر ومناهج العبر 'صفحات من جغرافية مصر'، دراسة وتحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١م، ص ٩٤. محمد زغول سلام: الأدب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٢م، ص ١١٤.

(٦) المقرئ: اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٦م، ج ٣ ص ٢٣٨.

(٧) المقرئ: اتعاط الحنفا، ج ٣ ص ٢٣٩.

(٨) المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أو (الخطط المقرئية)، مكتبة الآداب، القاهرة (د. ت)، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣.

(٩) هو فتح بن موسى بن خداد بن عبد الله بن علي بن عيسى، ولد سنة ٥٨٨/١١٩٢م بالجزيرة الخضراء بالأندلس، وغرف بالقصري لأن والده نقله إلى قصر ابن عبد الكريم المعروف بقصر كنامة

وعمره مقدار خمس سنين، فنشأ بالقصر، فلهذا نسب إليه (اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج ٢ ص ٣٢٧، ٣٢٨. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م، ج ٤٩ ص ١٥٣، ١٥٤). وسوف يتم استكمال الترجمة لحياة ذلك الرجل وإسهاماته العلمية في جزء لاحق من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(١٠) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٧م، مج ٢ ص ٥١٨، ٥١٩. ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ج ٨ ص ٣٤٨. ابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العظيم خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٩٧٩م، ج ٢ ص ١٨٥. السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، لبنان، (د. ت)، ج ٢ ص ٢٤٢. (١١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨.

(١٢) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروستين، تحقيق محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت ١٩٧٤م، ج ٢ ص ٢٣٣. الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، مج ٢ ص ٥١٨. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٩ ص ١٥٤. ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٣٤٨. المقرئ: الملوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج ٢ ص ٢٩. ابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، ج ٢ ص ١٨٥. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢. وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م، ج ١ ص ٣٥٨.

(١٣) الخطط، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣.

(١٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨.

(١٥) ساد نظام الإقطاع مصر في عصر الأيوبيين، وصارت أراضي مصر كلها تقطع للسلطان وأمرائه وأجنادهم، وكانت الإقطاعات توزع على المقطعين مقابل خدمات مدنية يؤديها المقطع في إقطاعه، فضلا عن الخدمات الحربية التي يلتزم بها (محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا في عصر سلاطين الدولتين الأيوبيه والمملوكية، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٨٧، ص ٥١).

- (١٦) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ، ج ٢٩ ص ٨٥. والأعمال القوصية المذكورة كانت عملاً متسعاً ينتهي آخره إلى أسوان آخر الديار المصرية في البر الشرقي والغربي، ويضم عدة مدن وقرى بالصعيد الأعلى، ومقر ولايته مدينة قوص الواقعة على الشط الشرقي للنيل (العصري: مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٣م، ج ٣ ص ٤٩٩ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٠٠، ٤٠١).
- (١٧) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٢٧ ص ١٦٣، ١٦٤.
- (١٨) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٩ ص ٤٥٩ - المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (١٩) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (٢٠) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٦ والملوك لمعرفة دول الملوك، ج ١ ص ٤٨٧ و ج ٤ ص ١٩١: ١٩٤.
- (٢١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ٨٠. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٨ ص ٢٢٠. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٧ ص ٥٥.
- (٢٢) ابن كثير: البداية والنهاية، دار التقوى، القاهرة ١٩٩٩م، ج ١٣ ص ٢٠١.
- (٢٣) المقرئزي: الخطط، ج ٤ ص ١٩٦.
- (٢٤) ابن دسوقي: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠٩، ج ٤ ص ٩٢.
- (٢٥) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (٢٦) المقرئزي: الخطط، ج ٤ ص ١٩٣.
- (٢٧) مصطفى عبد الله محمد شحبة: دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمينية، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٤٢٦.
- (٢٨) محمد أحمد محمد بديوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٩، ٢٦٠.
- (٢٩) من مباهج الفكر ومناهج العبر صفحات من جغرافية مصر، ص ٩٤.
- (٣٠) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٢٢.
- (٣١) صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٠٠.
- (٣٢) اعتبر الدكتور ضياء محمد جاد الكريم مبنى الفائزية ضمن الآثار الدارسة، وأدرجه ضمن القائمة التي أعدها بهذا الخصوص في ملاحق كتاب (تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤ (الآثار

الإسلامية والقبليّة)، أسبوط ٢٠٠٨م، ص ٢٤٠) وعندما زرت المكان الذي كانت به المدرسة، تبين لي من سؤال القاطنين هناك أن مبناها كان قائما حتى سنة ٢٠٠٦م حيث شب فيه حريق، فأهمل، ثم هُدم بعد ذلك، ويعاد الآن بناؤه تحت مسمى "مجمع الفائزية"، ولحسن الحظ عثرت على صور فوتوغرافية لهذا المبنى قبل أن يُهدم، التقطها الشيخ حسن سيد حسن الودّاع، إمام الجامع الكبير (الأموي)، وحصلت منه . مشكورا . على نسخة منها، وأدرجت بعضها كملحق لهذا البحث، خشية ضياعها، خاصة وأنها لم تحظ بالنشر من قبل، وكإسهامة للفت نظر المهتمين بعلم الآثار إلى مثل تلك المعالم الأثرية المهمة، التي تحتاج عناية ودراسات متأنية لإمطاة اللثام عن كثير من جوانبها الغامضة.

(٣٣) يقع هذا الجامع في وسط مدينة أسبوط تقريباً ويطل بواجهته الشرقية على شارع المحضر، ويطل واجهته الشمالية الغربية على شارع الجامع الكبير، ويشتمل جداره الجنوبي على فتحة باب تقضي إلى الميضأة التي تطل على شارع كوم الغزاة، وأسماء ذلك الجامع تدل على أنه من أوائل الجوامع التي أنشئت بمدينة أسبوط (ضياء محمد جاد الكريم: تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤ ص ١٧).

(٣٤) سيد علي الطويجي السيوطي: مجمل تاريخ حاضرة الصعيد أسبوط، ج ١ (المقال الموجز في مدينة أسبوط)، المطبعة الفاروقية بأسبوط، ١٩٤٩م، ص ٢. وعن سبب تسمية ذلك المسجد بالأموي، فلم أحظ بأية إشارة إليها في المصادر القديمة أو المراجع الحديثة، والذي يتبادر إلى الذهن من تلك التسمية أنها مرتبطة ببناؤه أو تجديده في العصر الأموي، وحسب ظني أن الأمر ليس كذلك، والأرجح أنه سمي بها في العصر المملوكي، نسبة إلى العالم الجليل نجم الدين أبو نصر الأموي الذي درس زمانا بالمدرسة الفانزية أمام ذلك المسجد، ثم عين قاضيا لأسبوط (اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨) ومن غير المستبعد أنه ولي إمامة ذلك المسجد والنظر عليه، فاشتهر ذلك المسجد بالأموي نسبة إليه.

(٣٥) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢. محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ص ١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)، ص ١٣٣.

(٣٦) سيد علي الطويجي السيوطي: المقال الموجز في مدينة أسبوط، ص ٢.

(٣٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (د. ت)، ج ٧ ص ١٧٨. التبر المسبوك في ذيل السلوك، المطبعة الأميرية، بولاق ١٨٩٦م، ص ٤١١، ٤١٢.

(٣٨) هو الأمير قراقجا الحسني الظاهري برقوق، رقي في الرتب إلى أن استقر به الظاهر رأس نوبة النوب في سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، ثم نقله فيها إلى الأخورية الكبرى، فأقام فيها سنين، وكان ذينا متواضعا عفيفا، مات سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م بالطاعون (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ٢١٦).

(٣٩) سيد علي الطويجي السيوطي: المقال الموجز في مدينة أسبوط، ص ٤. ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٢٤٥. كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسبوط في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، نُشر ضمن تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، أسبوط ٢٠٠٨م، ص ٣٢٣.

(٤٠) انظر: السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٤٠، ١٤١. ابن الجنصي: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عبد العزيز قباض، دار النفائس، بيروت ٢٠٠٠م، ج ١ ص ٦٠. خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م، ج ٦ ص ٥٧.

(٤١) هو سراج الدين أبو حفص، عمر بن محمد بن علي بن فتوح، الذمهوري، مولده بعد سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، برع في النحو والقراءات والحديث والفقه، وكان جامعا للعلوم، درس وأفتى، وحديث عنه أبو اليمن البصري، مات سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م (السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٢٣. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٨ ص ٢٩٤).

(٤٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق حمص حبشي، المجلس الأعلى للشنون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٨م، ج ١ ص ٢٠٧. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٨ ص ٤٦٩).

(٤٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٤ ص ٢٢٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥. وعن لقب الجعفري الزينبي، يقول المقرئ: إن العشيرة المعروفة ببني ثعلب التي نزلت بحرجة مير من أعمال سيوط، هم من الجعافرة الزياتية أولاد علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرف بنو علي هذا بالزياتية؛ لأن أمه السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، ويقال: فيمن هو في بني ثعلب؛ الثعلبي الجعفري الزينبي (المقرئ: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مطبعة المعارف، مصر ١٩١٦م، ص ٣٩، ٤٠).

(٤٤) إنباء الغمر، ج ٤ ص ٢٢٣.

(٤٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٥٤، ١٥٥.

(٤٦) بتيت ذلك الاستنتاج من خلال زيارتي لذلك المكان، وغرقت من الناس هناك أنه كان يوجد به فعلاً مسجد أو زاوية قديمة هُدمت وبني مكانها مسجد يسمونه مسجد الشريفة، وهم يعتقدون أن الشريفة هذه كانت ست صالحة، ومنهم من يقول إنها الست خضرة الشريفة، وهناك ضريح لها بغرفة أعلى المسجد، وهو من دون شك اعتقاد خاطئ، والذي يقرأ تاريخ أسبوط خلال فترات لاحقة على العصر المملوكي يمكن له تبين صحة ما توصلنا إليه من استنتاج، فعلى سبيل المثال يقول عثمان قبض الله عند حديثه عن أسرة الخازندار: رب هذه الأسرة هو الحاج حسن الخازندار، وغين في هذه الوظيفة في عهد محمد علي باشا، وكان منزله في صقع من مدينة أسبوط كان ينزل به الحكام والأشراف ويسمى درب الشريفة (حارة الخازندار الآن) ولا يزال البيت القديم قائماً إلى اليوم. أي سنة ١٩٤٠ م. (انظر: مدينة أسبوط بحث في بينتها بين الماضي والحاضر"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٠ م، ص ١٨٩).

(٤٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(٤٨) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٤ ص ٢٢٣، السخاوي: النور الممبوك، ص ٨٦ والضوء اللامع،

ج ١١ ص ١٥٥، ١٥٦.

(٤٩) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٤، ٢٤٥. قد يكون السبب الذي جعل الدكتور ماهر يقول: إنه هو جلال الدين الألبشيهي أنه تعجل في نقل أول اسم أورده السخاوي ضمن مجموعة أشخاص حوت أسماؤهم اسم جلال الدين، وكان من بينهم ابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري مدرس الشريفة بأسبوط، فالتبس الأمر على الدكتور الكريم واعتبر أن مدرس الشريفة هو جلال الدين الألبشيهي. حيث يقول السخاوي في ذلك: " (جلال الدين) بن الألبشيهي في الألبشيهي، وابن الأسبوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي، وابن الأمانة عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عثمان، وابن الميرجي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن يوسف، وابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري الزينبي الأسبوطي مدرس الشريفة بأسبوط وهي من إنشاء ابن عم أبيه زين الدين، وكان قد ولي الحكم بها مرة، مات سنة سبع وأربعين، وابن الملقن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن أبي الحسن و.... و.... والخ' (الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥، ١٥٦).

(٥٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٩ ص ٢٤٤.

- (٥١) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٥.
- (٥٢) في تقديري أن الذي حدا بالدكتور ماهر إلى القول بهذا؛ تصوره للعبارة التي اختتم بها السخاوي كلامه عن جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، في ثانيا كتابه التبر المسبوك (ص ٨٦). وكرر الكلام نفسه في الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥) والذي اعتمد عليه الدكتور ماهر في توثيق مقولته هذه، على أنها عبارة موصولة بترجمة شرف الدين شارح المنار الذي ترجم له السخاوي عقب ترجمته لجلال الدين مباشرة في الصفحة ذاتها، فتلك العبارة يقول فيها السخاوي "وكان قد ولى الحكم بها مرة". أي بأسبوط. وهنا ينتهي كلامه عن جلال الدين، وهذا هو الطبيعي، وللتحقق منه يمكن مراجعة كتاب إنباء الغمر (ابن حجر الصقلاني، ج ٤ ص ٢٢٣) وهو المصدر الذي نقل عنه السخاوي أصلا العبارة المذكورة. لكن الدكتور ماهر قرأها موصولة بما بعدها، فصارت العبارة حسب قراءته وكأنها تقول: وولى الحكم بها مرة شرف الدين شارح المنار. الأمر الذي عكس لديه أن شرف الدين ولى التدريس بالمدرسة الشريفة، مع أن هذا أمر لم يحدث.
- (٥٣) المقصود بها إقليم شبه جزيرة القرم، وتقع جنوب أوكرانيا على البحر الأسود.
- (٥٤) أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م، ج ٢ ص ١٤٢.
- (٥٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.
- (٥٦) الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠، ج ١٢ ص ١٠٧.
- (٥٧) محيي الدين الطعسي: الذهب المنقوط في تاريخ أعيان أسبوط، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١١٩. ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٥.
- (٥٨) ضياء محمد جاد الكريم: تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤ ص ٦٤.
- (٥٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج ٤ ص ٦٤.
- (٦٠) ج ٧ ص ١٧٨.
- (٦١) محمد حمزة إسماعيل الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، بحث نُشر بكتاب "تاريخ المدارس في مصر الإسلامية"، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٢٧٧.
- (٦٢) انظر: بغية الوعاة، ج ١ ص ٤٧٢. التحدث بنعمة الله، تحقيق الزايت ماري ساريتين، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٥: ١١. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٨٠، ٣٨١. نظم العقيان، ص ٩٥.

(٦٣) لأن والده هو كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى. وهذا النسب ورد في صداق لابن عم والده، نور الدين علي بن جمال الدين عبد الله بن سابق الدين أبي بكر (السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٥).

(٦٤) يقول ابن عبد الحق (ت ٨٧٣٩/١٣٣٨م) عن الخضيرية إنها: محنة كانت ببغداد، في الجانب الشرقي، وكانت المحنة التي يستونها الآن الخضرية، مجاور مشهد الإمام أبى حنيفة، ويعرف بسوق خضير. (مراسد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجبل، بيروت ١٩٩٢م، ج ١ ص ٤٧٢).

(٦٥) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٥، ٦. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٦٦) للتحدث بنعمة الله، ص ٧. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٦٧) هو سيف الدين شيخو العمري، اشتراه الناصر محمد بن قلاوون وجعله من مماليكه فعرف بالناصرى، تدرج في المناصب إلى أن صار من كبار رجال الدولة، وغين في وظيفة رأس نوبة الأمراء سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م في سلطنة الناصر حسن الثانية، ولقب بالأمير الكبير، وقُتل سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م (المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٣: ١١٥. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ١١٥، ٢٣٣).
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(٦٨) يقصد بتلك المدرسة خانقاة شيخو التي بخط الصليبية خارج القاهرة تجاه جامع شيخو (المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ٢٨٣ والسلوك، ج ٤ ص ٢١٩. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٢٣٣).

(٦٩) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ٢٨٣ والسلوك، ج ٤ ص ٢١٩.

(٧٠) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٥.

(٧١) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٤ والسلوك، ج ٤ ص ١٩١: ١٩٤.

(٧٢) المقريزي: السلوك، ج ٤ ص ١٩٣.

(٧٣) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٧.

(٧٤) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٧٥) محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٥، ٢٦١.

(٧٦) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م. على سبيل المثال لا الحصر ورد في ذلك الكتاب (ص ٥٨٠) أن خزانة الكتب بالمدرسة النجيبية بمدينة قوص كانت تحتوي على جملة كتب، من بينها كتاب يقع في ثلاثين مجلد .

(٧٧) عثمان فيض الله: مدينة أسيوط "بحث في بينها بين الماضي والحاضر"، ص ٩٢ .
(٧٨) زرت المنطقة التي كانت بها المدرسة الخضيرية، ووجدت تلك المدرسة قد هُدمت، ويبقى الآن مكانها مسجد يسمونه مسجد الخصري أو الخضير. ولحسن الحظ فقد احتفظ لنا الدكتور ضياء محمد جاد الكريم بصور لمدرسة أو مسجد . على حد قوله . الخضيرية قبل أن تُهدم، ونشرها في كتاب تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، وللإطلاع عليها انظر الكتاب المذكور، ج ٤ ص ٦٥، ٦٦ .
(٧٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج ٤ ص ٦٧ .

(٨٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨ . علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٢ ص ١٠٧ .

(٨١) المقال الموجز في مدينة أسيوط، ص ١ .

(٨٢) عثمان فيض الله: مدينة أسيوط "بحث في بينها بين الماضي والحاضر"، ص ٢٠٩ .

(٨٣) سيد علي الطوبجي: ملخص تاريخ فخر أسيوط الإمام جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي، مطبعة المنير بأسيوط، ط ١، ٩٣٣م، ص ١٠، ١١ .

(٨٤) سبط ابن العجمي: كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعث وفلاح البكور، دار القلم العربي بحلب، سورية ١٩٩٧م، ج ٢ ص ١٦٣، ١٦٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٣٩، ١٤٠ .

(٨٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٤٠، ١٤١ .

(٨٦) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٢٤٨-١٩٢٣/١٢٥٠-١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٣٨، ٢٣٩ .

(٨٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٤١ و ج ١١ ص ٧٢ .

(٨٨) يقصد كتاب "المضبوط في أخبار أسيوط"، وللأسف هذا الكتاب مفقود، وعلمت أن منه نسخة مخطوطة بمكتبة برلين بألمانيا محفوظة تحت رقم ٩٨٤٥ / ٥٧، فراسلت تلك المكتبة عبر موقعهم الإلكتروني، لطلب تلك النسخة، وجاءتني الإفادة أن رقم المخطوطة موجود بالفعل في الفهارس لديهم، لكن المخطوطة نفسها غير موجودة، وكان هذا ردهم نصا: "Dear Dr. Al-Kardousi,

Unfortunately, this manuscript is not in the state library. In the catalog it is mentioned only as an example for other manuscripts on this subject, but in Berlin we don't have this manuscript.

With best regards, T. Hanstein"

(٨٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ١٦.

(٩٠) ملخص تاريخ فخر أسيوط الإمام جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي، ص ١٠، ١١.

(٩١) التحدث بنعمة الله، ص ٥.

(٩٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية،

القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٦٦.

(٩٣) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٢٤.

(٩٤) هي مدينة ومركز أبوتيج الحالية، وتقع جنوبي مدينة أسيوط، وهي من المراكز المهمة بالمحافظة.

(٩٥) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٦.

(٩٦) انظر: الأنفوي: الطالع السعيد، ص ٥٣٠. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة

الثامنة، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م، ج ٤ ص ٧. السخاوي: الضوء التامع، ج ٢ ص ١٢٤، ٢٥٤.

و ج ٤ ص ١١٥ و ج ١١ ص ١٨٢.

Mahamid (Hatim): Curricula and educational process in Mamluk (٩٧)

Madrasas, Education Research Journal Vol. 1(7), December 2011,

<http://Archivebeta.Sakhrilibrary.com>
p.145, 146.

(٩٨) ابن الحاج: المدخل، بيروت ١٩٩٥م، ج ٢ ص ٤٥٨، ٤٥٩.

(٩٩) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية

الشرعية والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٢٨٨.

(١٠٠) محمد أحمد محمد يديوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٦.

(١٠١) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢. محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ص

١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)،

ص ١٣٣.

(١٠٢) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، مج ٢ ص ٥١٩. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة

لكتابه الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ج ٥ ق ١

ص ٥٣٣.

(١٠٣) نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص ٩٥.

(١٠٤) كتاب في فروع الشافعية، للإمام أبي بكر: محمد بن أحمد الشاشي (ت ١١١٣/٥٠٧م)، صنفه لعمدة الدين ولد المستظهر وهو: المسترشد الخليفة الفضل المتوفى سنة ٥٢٩/١١٣٥م، ثم اعتنى به العلماء فشرحه كثير منهم بعد ذلك، مثل ابن دقيق العيد (ت ٨٧٠٢/١٣٠٢م)، وتاج الدين الفاكهاني (ت ٨٧٣١/١٣٣٠م)، وعلاء الدين البغدادي (ت ٨٧٤١/١٣٤٠م)، وابن الملكن (ت ٨٨٠٤/١٤٠١م)، وغيرهم (انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت)، ج ٢ ص ١١٦٩، ١١٧٠).

(١٠٥) المقصود بها اللوحة البدرية، وهي في النحو، للشيخ أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٨٧٤٥/١٣٤٤م)، (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٨١٨).

(١٠٦) تعرف أيضا بالمقدمة الآجزومية، ألفها أبو عبد الله بن محمد الصنهاجي المعروف بابن آجروم، المتوفى سنة ٨٧٢٣/١٣٢٣م، وتعتبر من أهم متون النحو العربي، ولأهميتها تصدى لشرحها جهابذة العلماء والنحاة قديما (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٧٩٦).

(١٠٧) كتاب في علم الصرف لعز الدين إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني (ت بعد ٨٦٥٥/١٢٥٧م)، وشرحه التفننازي المتوفى سنة ٨٧٩١/١٣٨٩م (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١١٣٨، ١١٣٩).

(١٠٨) هي أرجوزة أو قصيدة تعرف بالقرائن الرحبية أو غنية الباحث، وهي للشيخ صلاح الدين يوسف بن عبد اللطيف بن الرحبي الشافعي الحموي (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٢١١).

(١٠٩) إيساغوجي: لفظ يوناني معناه الكليات الخمس: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، وهو: باب من الأبواب التسعة للمنطق، وصنف فيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين، والمشهور المتداول منه كتاب (المختصر) المنسوب إلى أثير الدين الأبهري (توفي حوالي ٨٧٠٠/١٣٠٠م)، وهو مشتمل على ما يجب استحضاره من المنطق، وسمي إيساغوجي مجازا من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل، أو تسمية الكتاب باسم مقدمته وله شروح وحواش كثيرة (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١ ص ٢٠٦).

(١١٠) كتاب في المنطق لشمس الدين أبو الثناء الأصبهاني، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد، المتوفى سنة ٨٧٤٩/١٣٤٨م (ابن حجر الصقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٣٢٧، ٣٢٨).

(١١١) منظومة في علوم الحديث، المسماة "التبصرة والتذكرة في علوم الحديث"، للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٨٠٦/١٤٠٣م، وهي مطبوعة الآن.

(١١٢) قصيدتان في علم القراءات للشاطبي، القاسم بن فيره بن أحمد (ت ٥٩٠هـ/١١٩٤م)، إحداهما هي القصيدة اللامية أو "حز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني" وهي مشهورة للغاية ولها شروح كثيرة، وتعرف بالشاطبية، وعدد أبياتها ١١٧٣ بيتاً (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١ ص ٦٤٦). والأخرى هي القصيدة الرائية أو "عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد"، وهي في بيان رسم المصحف (خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٤ ص ٣١١).

(١١٣) في علم العروض والقافية: لصدر الدين محمد بن الحسن الماوي (ت ٥٩٩هـ/١٣٤٨م)، ويوجد منها نسخة خطية بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ٣٩٥٥ / ١٦/ ص.س.

(١١٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٥٤، ١٥٥.

(١١٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.

(١١٦) يسمى هذا الكتاب أحياناً بـ"مطور الإعلام في مباني الإيمان والإسلام"، وهو من تأليف عمر بن موسى بن الحسن، الحمصي (ت ٨٦١هـ/١٤٥٧م)، ويوجد منه نسخة خطية محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ٢١٤ / ١٤٧١ ص.ح.

(١١٧) كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسبوط، نُشر ضمن تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، ص ٣٢١.

(١١٨) انظر: ص ١٥، ١٦.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(١١٩) وذلك في سياق الحديث عن ظهور المدارس في أسبوط.

(١٢٠) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، ص ٢٣٣.

(١٢١) ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٣٤٨. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢ وحسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٥٨.

(١٢٢) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ١٣٤.

(١٢٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٩ ص ١٥٤. ابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، ج ٢ ص ١٨٥.

(١٢٤) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢.

(١٢٥) الطالع المعيد، ص ٢٠٦.

(١٢٦) الطالع السعيد، ص ٧٠٨. وانظر أيضاً: الصفي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، وآخرون، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨م، ج ٥ ص ٥٦٦. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٤١٩.

(١٢٧) إطفيج: إحدى مراكز محافظة الجيزة، وتقع على الضفة الشرقية من النيل في مواجهة مركز العياط، وكانت في عهد المماليك، تعرف باسم الأعمال الإطفيجة.

(١٢٨) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٨.

(١٢٩) انظر مثلاً: السخاوي: الضوء اللامع، ج ١١ ص ٧٢، ٧٣. السيوطي: بغية الوعاة، ج ١ ص ٤٧٢ وحسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٨٠، ٣٨١ ونظم العقيان، ص ٩٥. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ج ٢ ص ٢٨٩. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٩ ص ٤١٥، ٤١٦. علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٢ ص ١٠٦.

(١٣٠) التحدث بنعمة الله، ص ٧ : ١٠.

(١٣١) هو الفقيه إبراهيم بن خضر بن أحمد، الشافعي، القصورى الأصل، نسبة إلى القصور قرية بالصعيد، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٩هـ/١٣٩٢م، ومات سنة ٨٨٥هـ/١٤٤٨م (السيوطي: نظم العقيان، ص ١٥، ١٦).

(١٣٢) هو محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاياتي، الشافعي، قاضي القضاة بالديار المصرية، ولد في سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، وقيل سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م. كان إمام عصره في العلوم، تولى التدريس بعدة مدارس، مات سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م (السيوطي: نظم العقيان، ص ١٥٤).

(١٣٣) كان لكل قاضي قضاة أعوان يتوبون عنه في مصر والقاهرة بسمون "النواب من الحكام" (محمد قنديل اليقلى: مصطلحات صبح الأعشى، نُشرت كملحق لكتاب صبح الأعشى (ج ١٥)، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٣٥٣). وبالطبع كان للقضاة بالأقاليم، ومن بينها أسيوط، أعوان يتوبون عنهم، مثل مصر والقاهرة تماماً، ويطلق على كل منهم نائب الحكم، ومن الأمثلة على ذلك فيما يخص أسيوط أن والد جلال الدين السيوطي "ولي بها الحكم نيابة" (السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٨).

(١٣٤) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العنمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، ص ٢٩٥.

(١٣٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.

(١٣٦) هناك أكثر من شخص عرف بالشهاب السخاوي، ونرجح أن المقصود هنا هو: الشهاب ابن مولى السخاوي المالكي، أحمد بن محمد بن زين، الذي برع في العربية والفقه وأصوله وغيرها وتصدى للإقراء بأبوتيج (إحدى مدن أسيوط) وكان مقيماً بها وبالقاهرة، وعثر بحيث جاز التسعين أو قاربها، ومات في سنة اثنتين وستين وثمانمائة (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٢).

(١٣٧) كتاب المجموع في علم الفرائض، للشيخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن شرف الكلبي، الشافعي المتوفى سنة ٥٧٧٧هـ/١٣٧٥م (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٦٠٥، ١٦٠٦).
 (١٣٨) ترجم السخاوي لاثنتين كل منهما يعرف بالشهاب العجيمي، أولهما أحمد بن عبد الله الشهاب العجيمي الحنبلي، أحد الفضلاء الأتقياء، أخذ عن شيوخ عصره، ومهر في العربية والأصول وقرأ في علوم الحديث، ولازم الإقراء والاشتغال في الفنون، ومات عن ثلاثين سنة بالطاعون في رمضان سنة تسع بالقاهرة. أما الثاني فيقول عنه السخاوي "هو أحمد بن محمد الشهاب العجيمي الصوفي بالخانقاه السرياقوسية، قرأ على شيخنا الترمذي في سنة أربع وأربعين وبلغ له بالشيخ، وكان متوددا، مات فيما أظن بعد الستين" (انظر: الضوء اللامع، ج ١ ص ٣٧٢ و ج ٢ ص ٢١٧). وإن كان المنهاجي السيوطي تعلم على يدي الشهاب العجيمي، فأكبر الظن أنه الشهاب العجيمي الحنبلي، المذكور أولا، لأن الواضح من سياق الترجمتين أن الأول منهما هو الذي اشتغل بالعلم والتدريس.

(١٣٩) كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسيوط، ص ٣٢١.

(١٤٠) الطالع السعيد، ص ٧٢٦ : ٧٢٨.

(١٤١) طما: مدينة بالصعيد، تقع غرب النيل، شمال طهطا وجنوب صدفا، وتتبع الآن محافظة سوهاج.

(١٤٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤ ص ١١٥.

(١٤٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٧، ١٧٨.

(١٤٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.

(١٤٥) الطالع السعيد، ص ٥١٨. وانظر أيضا: الصفدي: أعيان العصر وأعيان النصر، ج ٤ ص ٤١٩.

(١٤٦) قرية تسمى أيضا أصفون، وتتبع حاليا مركز إسنا في محافظة الأقصر. وكانت في العصر

المملوكي تابعة للأعمال القوسية (ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٣٠).

(١٤٧) ابن جماعة: تذكرة السامع والمُتَكَلِّم في أدب العالم والمُتَعَلِّم، تحقيق عبد السلام عمر علي

الجزائري، مكتبة ابن عباس، سمود، مصر ٢٠٠٥م، ص ٢٦٠. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥

ص ٤٦٤.

(١٤٨) للمزيد حول طبيعة عمل المعيدين ومهامهم في العصر المملوكي، وأسماء اختياريهم، وتوليبتهم،

وتحديد أعدادهم، وإقامتهم بالمدارس، ودورهم في إثراء الحياة العلمية، وشغل بعضهم وظائف

أخرى بجانب الإعادة، وعزلهم وتنازل بعضهم عن الإعادة وأسباب ذلك، والمناصب التي شغلوها

بعد الانتهاء من الإعادة. (انظر: محمد أحمد محمد الكردوسي: الإعادة بمدارس مصر المملوكية، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٤٠)، أكتوبر ٢٠١١م، ص ٥٠: ١٥٩).
(١٤٩) انظر: ابن جماعة: تذكرة السامع والمُتَكَلِّم، ص ٢٢٩: ٢٣٢. ابن السبكي معيد النعم ومبيد النقم، دار الحديث، بيروت ١٩٨٥م، ص ١٠٨.

(١٥٠) عفاف سيد محمد صبره: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٩٠.

Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 148.

(١٥١) انظر: محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص ٢٤٩: ٢٥١.

Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 146.

(١٥٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٣. محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٦١.
(١٥٣) الفقه شندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٢٢: ٣٢٦. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦٢، ١٦٣.

(١٥٤) هو سليمان بن أبي الطاهر بن أبي القاسم بن عبد الكريم البونيجي، المُقَرَّبُ الضَّرِير، كان مقرناً موجوداً مشهوراً بالدين والصالح، ومات بأسيوط في آخر سنة ٥٧١١/١٣١١م أو أول السنة التي تليها (ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ١٥٣).

(١٥٥) الطالع السعيد، ص ٥٣٠، ٧١٧، ٧٢٠. الصفي: أعيان العصر، ج ٤ ص ٤٩١ والوافي بالوفيات، ج ٣ ص ١٩٨. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٧. السيوطي: بغية الوعاة، ج ١ ص ١٥٨.

(١٥٦) الفقه شندي: صبح الأعشى، ج ١ ص ٣٢٧. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦٣.

(١٥٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(١٥٨) الفقه شندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٣٢.

(١٥٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ١٥. من المحدثين المشهورين بعلو الإسناد، الذين رحل إليهم الناس لسماع الحديث منهم بأسيوط: زين الدين عبد الرحمن بن أبي صالح روضة بن علي بن الحسين بن مظفر بن نصر بن روضة الأنصاري الحموي الشافعي، (ت ٥٧٢٢/١٣٢٢م)، سمع

من جدّه لأنّه أبي القاسم بن راحة، وصفيّة القرشيّة (الذهبي: العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بيبوني زغول، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٩٨٥م، ج ٤ ص ٦٥، ٦٦ . العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، ج ٢٧ ص ٥٢٨. الصفي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج ٣ ص ٢٦، ٢٧ والوافي بالوفيات، ج ١٨ ص ٨٧. المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ٥٦. ابن حجر الصقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٣٢٨. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٣٨).

(١٦٠) هو الحافظ أبو طاهر المتّلي: أحمد بن محمد الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م)، من أهل أصبهان، رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمالي كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الخليفة الظافر الظاهري) مدرسة في الإسكندرية سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م فأقام إلى أن توفي فيها. وكتاب الأربعين البلدانية، من تأليفه، وهو المسمى "الأربعين المستغني بما فيه عن المعين"، وهو في علم الحديث، حققه عبد الله رابح، وطبع بمكتبة دار البيروني بدمشق سنة ١٩٩٢م.

(١٦١) ابن حجر الصقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ١٢٦.

(١٦٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٣.

(١٦٣) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعيّة، ص ١٤٠، ١٤٦، ٢٤٠. محمد أحمد محمد بديوي:

مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٦١، ٢٦٢.

Haarmann (Ulrich): "Mamluk Endowment Deeds as a Source for the History of Education in Late Medieval Egypt", in al-Abhath/American University Of Beirut, Vol. 28, 1980, P. 34.

(١٦٤) التحدث بنعمة الله، ص ٧. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(١٦٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(١٦٦) عفاف سيد محمد صبرة: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر

الإسلاميّة، ص ١٨٢.

(١٦٧) انظر على سبيل المثال: التويري: نهاية الأرب، ج ٣١ ص ٩٥- السخاوي: الضوء اللامع،

ج ١ ص ٦٣.

(١٦٨) ماهر أحمد مصطفى: صعود مصر في عصر المماليك الجراكسة ص ٢٤٣، ٢٤٤.

ملحق عبارة عن مجموعة صور للمدرسة الفانزية قبل هدمها
من تصوير الشيخ حسن سيد حسن النذاك، إمام الجامع الكبير (الأموي)

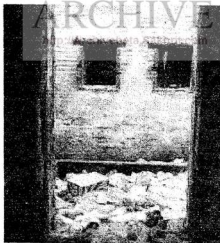
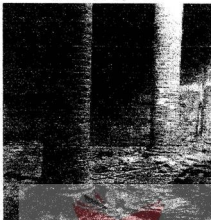
١- باب ومدخل الفانزية



٢. الفانزية من الخارج



٣. الفانزية من الداخل



الصراعات الداخلية الحبشية في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية من خلال المصادر الحبشية

(٨٣٨-٩٤٧هـ/١٤٣٤-١٥٤١م)

د. محمد أحمد محمد بهنساوي (*)

واجه أباطرة الأسرة السليمانية، في العصر الثاني لها، العديد من الصراعات والثورات الداخلية في البلاد، وذلك نتيجة فترة الاضطرابات السياسية التي جاء علي خلفيتها الإمبراطور زره يعقوب Zar'a Yaqob (٨٣٨-٨٧٣هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م) علي عرش البلاد، ولقد روي قبل الخوض في هذا الموضوع: إعطاء نبذة مختصرة عن هذه الصراعات التي سادت في العصر الأول (٦٦٩-٨٣٨هـ/١٢٧٠-١٤٣٤م) من حكم هذه الأسرة.

بعد الصراع الداخلي بين أمراء الأسرة الزغاوية^(١) (٣٢٩-٦٦٩هـ/٩٤٠-١٢٧٠م) أحد أهم العوامل التي أدت إلي سقوط هذه الأسرة، وليس أدل علي ذلك من قيام مذبحه كبيرة بين أعضاء الأسرة الحاكمة، في دبرا دامو Debra Damo، في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك أثناء حكم الملكة (جوديت- أمسترا- Esthera)^(٢) (٣٢٩-٣٧٠هـ/٩٤٠-٩٨٠م) اليهودية الأصل، وقد استمرت مثل هذه الصراعات والثورات الداخلية في ظل تولي ملوك من دينات مختلفة علي رأس المملكة^(٣)، لذا أنشأ الملك (لاليبلا- Lalibela)^(٤) (٥٨٥-٦٢٢هـ/١١٩٠-١٢٢٥م) صرخاً كبير ليحجز فيه أبناء الأسرة الحاكمة لتلافي الصراعات فيما بينهم، وهو ما أطلق عليه "السجن الملكي أو أمبا جيشن"^(٥) حيث استمر هذا التقليد بين أباطرة الحبشة عامة، حتي بدايات العصر الحديث^(٦).

وعلي الرغم من وجود هذا السجن الملكي، إلا أن هناك العديد من الإشارات، في بطون المصادر الحبشية، التي تدل علي استمرار وجود مثل هذه الصراعات والثورات في عصر الأسرة السليمانية عامة، تزداد حدتها بصفة خاصة عند اعتلاء كل إمبراطور جديد عرش المملكة الحبشية^(٧). فالإمبراطور (أو ملك الملوك) هو رأس الحكم، ونظامه ملكي استبدادي، يستند حكمه إلي حق إلهي ورثه بتسلسل عن منليك الأول (طبقاً للأسطورة المعروفة)^(٨). وهو يرث الحكم عن أبيه، ولكنه لم يكن للابن الأكبر بقدر ما كان للابن الأقوى^(٩). وربما يمكن التلليل علي صحة هذا الرأي بالإشارة إلي فترة حكم يجيبا صيون Yagba soyan (٦٨٤-٦٩٤هـ/١٢٨٥-١٢٩٤م) والذي كان له خمسة أبناء اتفق معهم أن يحكم البلاد كل منهم لمدة عام بالتناوب^(١٠)، إلا أن آخر أبنائه، والذي يدعي سابا أسجد Sab'a Asgad (٦٩٨-٦٩٩هـ/١٢٩٨-١٢٩٩م)

(*) باحث حاصل علي درجة الدكتوراه.

لم يصبر حتى تنتهي نهاية فترة حكم أخيه (جين أسجد Djinn Asgad ٦٩٧-٦٩٨هـ/١٢٩٧-٢٩٨م)، فدير مؤامرة للقبض عليه وأخوته الآخرين، إلا أنه لم يعيش طويلاً^(١١). كما أن بجيبا صيون نفسه قد ورث الحكم عن أبيه ويكنو أملاك، برغم أنه أصغر أبنائه، حيث تمكن من سجن أخوته جميعاً^(١٢). وفي نفس الصدد أيضاً فقد استطاع ودم بن سيف أريد Wedem Sayfa Ar'ed (٧٧٤-٧٨٤هـ/١٣٧٣-١٣٨٢م) أن يأخذ الحكم من أخيه داود Dawit I (٧٨٤-٨١٤هـ/١٣٨٢-١٤١١م) برغم صغر سنه^(١٣)، وهكذا فإذا اعتلى أحدهم العرش لا يمكنه الاستمرار في الحكم إلا بمقدار قوته وقدرته على المحافظة عليه من الطامعين^(١٤).

أما في الحالات التي كان يتوفي فيها الإمبراطور دون ترك وريث ذكر، كانت القوات الملكية فور موت الإمبراطور تسرع إلى السجن الملكي لاختيار الأمير الشاب الذي يتولى عرش المملكة، والذي غالباً ما يكون أخو الإمبراطور السابق^(١٥). ويلاحظ أن انتقال الحكم من عائلة حاكم إلى شقيقه؛ كان يعد حادثاً مهماً في البلاد يستلزم إحضار هذا الأخ من فوق جبل الأمراء أمبا جيشن ليتوج بدلاً من الإمبراطور الراحل^(١٦).

ولم يكن موت الإمبراطور هو السبب الوحيد لوجود الصراعات بين أعضاء الأسرة الحاكمة على العرش، بل كان هناك العديد من محاولات اغتصاب العرش بالقوة أثناء حياة الإمبراطور، فهناك ثلاث محاولات لانتزاع الحكم في أوائل حكم الأسرة السليمانية، حتى عهد الإمبراطور (دواد)، فالتأثير حياة هذا الإمبراطور أشارت مصادر القديسين الأقباش إلى أن القديس (ماري) St. Mary جمع جوله العديد من رجال الدين، واستقر رأيتهم على وجوب تنازل (داود) عن العرش لابنه (تيودورس)^(١٧)، وقد امتنع (دواد) ب(العقابي ساعات سيجاقا) Saraqa في دبر حيق، وبعض قادة الجيش الذين طلبوا العفو والسماح من القديس (ماري) الذي وافق وسامحه، بل أنه صلي من أجله، وتتفق تلك المصادر على أن (العقابي ساعات) مات في عام ١٤٠٣م، أي أن هذه الواقعة حدثت قبل هذا التاريخ الذي أدى فيها (العقابي ساعات) دوراً رئيساً في استقرار المملكة فترة من الوقت، فقد أبقى (دواد) على عرشه ما لا يقل عن سبع سنوات كاملة^(١٨).

وهكذا بدت المملكة الحبشية على شفا هاوية عندما اعتلى الإمبراطور زرع يعقوب عرشها، ليقوم بأعظم عملية ترميم في بناء المملكة المتداعي في العصور الوسطى. ويبدو أنه ليس من الواقع في شيء أن نعد زرع يعقوب أول الملوك المصلحين الذين عملوا على إنقاذ المملكة، إذ وجد من الذين تعاقبوا على عرش المملكة الحبشية من أحسوا بخطورة الموقف ورغبوا في الإصلاح، لاسيما الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) الذي أطلقت عليه المصادر المختلفة "المؤسس الحقيقي للأسرة السليمانية"^(١٩).

أما عن الصراعات والثورات الداخلية، التي قامت في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية، فهي تختلف عما نقرأه في كتب التاريخ المختلفة، فلم تكن ناتجة عن تمرد الشعب بسبب فرض المزيد من الضرائب، وسوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الحروب الداخلية، بقدر ما

كانت نابعة من الأطماع الداخلية في الاستيلاء على العرش، من قبل أعضاء الأسرة الحاكمة، وبعض كبار النبلاء ورجال الدين .

وقد اختلفت الأسباب التي أدت إلى قيام مثل هذه الدسائس تبعا لأحوال كل عصر، إذ يشير النص الملكي الحبشي في عهد (زرع يعقوب) إلى كثرة الارتعاد والخوف الذي كان في أيامه؛ نتيجة قوة حكمه وقضائه تحت ستار الشرعية الدينية^(٢٠)، حتى إن كبار القادة حين يدخلون عليه لإلقاء كلمة، كانوا يسجدون على ركبهم، ويقبلون الأرض خوفاً وارتعاداً كلما سمعوا صوت الإمبراطور^(٢١).

أما الثورات والتمردات الداخلية التي عاصرت (ينيد ماريام ٨٧٣-٨٨٣هـ/١٤٦٨-١٤٧٨م) فقد كانت على العكس من ذلك تماماً، إذ كانت نتيجة مناخ الحرية الذي جاء به الإمبراطور، وأحسن به الشعب، بعد ظلم مرير إبان عصر أبيه، مما سمح للشعب بغزو الأصوات التي صممت طويلاً، بينما يشير النص الملكي الحبشي، في عهد الإمبراطور (الأكساندر ٨٨٣-٨٩٨هـ/١٤٧٨-١٤٩٢م) إلى تطلع بعض رجال الدين إلى إدارة شئون المملكة^(٢٢)، فضلاً عن قيام المنازعات بين كبار مسئولى المملكة، بسبب صغر سن الإمبراطور، وعدم داريته بالحكومة وشئون البلاد^(٢٣).

وهكذا ازدادت الصراعات السياسية في ظل صغر سن أباطرة هذه الفترة، مما أدى إلى تطلع بعض رجال الدين إلى التدخل في الأمور السياسية، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية في فترة حكم (عمدا صيهون الثاني ٨٩٨-٩٠٩هـ/١٤٩٢-١٤٩٣م) والتي اشتهرت - برغم قصرها - باشتعال الحروب الأهلية، وإراقة الدماء بين أنصاره وأنصار عمه الإمبراطور (تاؤود ٩٠٠-٩١٤هـ/١٤٩٤-١٥٠٨م) الذي تولى الحكم من بعده، فقد استطاع أحد رجال الدين، ويدعى (تكلا كرسبوس)، إثارة الشعب ضده، وكادت الثورة أن تهلك البلاد لولا نهايته السريعة^(٢٤).

والملاحظ أن هذه الثورات اختفت تقريباً بشكل كبير في عهد الإمبراطور لبنا دنجل، ٩٦٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤١م، بسبب انشغال عهده بالحروب مع المسلمين^(٢٥). أما عن أحداث هذه الصراعات والدسائس، فسنناولها بشئ من التفاصيل في الفقرات التالية :-

١- في عهد (زرع يعقوب ٨٢٨-٨٧٣هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م) :

وضع أغلبية المؤرخين والرحالة (زرع يعقوب) كواحد من أقوى أباطرة الحبشة في العصور الوسطى، إذ لم يوضع أحد مقامه سوي الإمبراطور (عيزانا) كأقوى أباطرة الحبشة، وعلى الرغم من ذلك؛ فإنه يصعب تصور عدد المؤامرات والدسائس التي قامت في عهده، وقد أورد بعض الباحثين أن سبب هذه المحاولات هو: انحراف هؤلاء عن الإيمان الصحيح بالعقيدة النصرانية، لذا جيكت الدسائس، وقامت الثورات من جانب أبنائه وبناته وأزواج بناته، بالإضافة إلى رجال البلاط، وبعض رجال الدين، وذلك في محاولات عديدة لإقصائه عن عرشه^(٢٦)، وذلك على النحو التالي:-

أ- الثورات التي قامت من جانب الأسرة والبلاط الملكي :

على الرغم من أن الإمبراطور أعطي لبناته بعض المناصب السياسية والإدارية كحكام لبعض المقاطعات، إلا أنهن أرين التصرف في هذه المقاطعات وكأنها مستقلة عن البلاط، و تشير المصادر الحبشية إلى التمرد الذي قام به البحث ود (عامد مسقل) الذي دعي فيما بعد باسم (عامد الشيطان) وهو زوج ابنه (زرع يعقوب) التي تدعي (برهان زمدا)، وكانت جريمته الأساسية، وشاية وصلت إلى الإمبراطور بأنه يظلم الناس ويتمرد، إلا أن المؤرخ الملكي يروي أن جريمته الأساسية أنه تزوج سرا بامرأة أخرى، بمساعدة "الصاسرجوية" (حامل الزينة الملكية) الذي يدعي (أمخا إيسايوس)، فما كان من الإمبراطور إلا أن عقد مجلسا عسكريا، وكشف أمام قاداته جرائم (عامد مسقل) وانتهى المجلس إلى الحكم عليه بالإعدام، إلا أن مؤرخ البلاط يذكر أنه تم نفيه - (عامد مسقل) - إلى مكان لا يعلمه إلا الإمبراطور، كما تم عقاب بعض رجال الدين الذين ساعدوه على ذلك، مثل (النوراييد نوب) - حاكم أكسوم - في دبرا دامو وأعدم معه^(٢٧).

وتشير المصادر الحبشية أيضا إلى أكبر حركة تمرد في عصر (زرع يعقوب) وهي تمرد البحث ود (إيساياس Isaias) الذي كان أيضا زوجا لإحدى بنات الإمبراطور (ادل منجشا)، وكان (إيساياس) حاكم منطقة تيجري وبعد زواجه من ابنة الإمبراطور تم تعيينه في منصب البحث ود، وقد استطاع إقناع حاكم مقاطعة جني بالاشتراك معه في التمرد، ومما زاد من خطورة هذه الثورة، انضمام بعض فرق الجيش وقادته مثل (بدل وني) الذي كان رئيس "فرقة الشباب"، ورئيس فرقة الجان بلو، و"بدل كفت" رئيس "فرقة الصراوجيت"، وقد أراد هؤلاء المتمردون تعيين بعضهم في مناصب أعلى في الحكومة الإمبراطورية، وإبعاد بعض من وصفوهم بالفاسدين عنها، إذ طلب (إيساياس) أن يكون حاكما لمقاطعة جوجام وجني معا، وعندما رفض الإمبراطور طلباتهم، بدأت هذه القوات في إحداث عمليات شغب في أرجاء المملكة، وعلى الرغم من فشل بعض قادة القصر في التخلص منهم، إلا أن القوات الملكية استطاعت السيطرة عليهم، كما أثرت ضدهم بعض الدعاية السيئة، فراح مؤرخ البلاط ينسب قيام زعمائهم ببعض الأعمال المنافية للآداب، حيث يشير النص الحبشي إلى أن (بدل وني) قد زني بامرأة أبيه، كما كان لزوج أخته (حرب سجد) نفس العلاقة معها، وكلاهما يعلم^(٢٨).

على أن أمر هذه الدسائس والمؤامرات لم تقف عند حد بنات الإمبراطور وأزواجهن، بل امتد ليشمل أولاد الإمبراطور الذكور، فيحكي (زرع يعقوب) نفسه في كتاب "مصحف ميلاد" عن أولاده (جلانيوس) و (عامد ماريام) الذين اتجها بمساعدة أميها إلى السحرة والعرافين، وأجبروهما على تقديم القرابين للشيطان، بل وصل الأمر إلى الاتفاق فيما بينهم على أن يأتي (جلانيوس) ببعض مؤلفات أبيه "طومار تصبنت - مصحف برهان" لحرقها، وذلك في مقابل الاعتراف به ملكا على البلاد، وقد تم الكشف عن هذه المؤامرة، وعاقبهما الإمبراطور بالضرب بالسوط، فمنهم من عاش ومنهم من مات^(٢٩).

كما ثار أيضا (بنيد ماريام) ابن (زرع يعقوب) بمساعدة أمه، وذلك في السنوات الأخيرة من حكم أبيه، بعد أن شعر بطول فترة حكم أبيه ولرغبته الجامحة في تولي الحكم، إلا أن هذه

المؤامرة قد تم الكشف عنها أيضاً، و أمر الإمبراطور بربط يدي وقدمي ابنه (بنيد ماريام) وجلده حتى كاد أن يهلك هو وخادمه (محاري كرسستوس Mahari Krestos) لولا شفاعته بعض رجال الدين، وعلى رأسهم كل من: رئيس دير ليبانوس Dabra Libabos ، ودير كاسوا Dabra Kaso والأب الرحيم (أبو قبر) التابع لدير اندجيطن، فأطلق الإمبراطور سراحه و أنعم عليه بمنحه بعض المناصب الشرقية^(٢٠).

وهكذا ذكرت المصادر الحبشية تمرد أولاد وينات الإمبراطور، و ذكرت أسماء من تمردوا من أبناء الإمبراطور، إلا أنها لم تذكر أسباب تمردهم بشئ من التفاصيل، كما ذكرت عقابهم أمام الناس، ليرى بأنفسهم ماذا يفعل الملك بأبنائه من أجل المسيح، إذ يفهم من ذلك اتجاه البعض منهم لعبادة الأوثان أو لدين آخر، وهو الأمر الذي يقضي إلى عقوبة الموت^(٢١).

ب- تمرد بعض رجال الدين :

لم تقتصر تلك الثورات داخل العائلة الملكية فحسب، بل امتدت لتشمل بعض رجال الدين ورؤساء الأديرة الذين أرادوا تحية (زرع يعقوب) عن العرش وتولية غيره، وقد وصف مؤرخ البلاط هؤلاء «بالرجال الأشرار» الذين يدعون (تعاقب برهان) و (زرع صهيون)^(٢٢). والجدير بالذكر أن هذا التمرد اشترك فيه بعض حكام المقاطعات، وبعض الرهبان مثل الأب (أندروس Abba Indiriyas) رئيس دير دبرا ليبانوس، والملاحظ أن كاتب النص لم يذكر معلومات دقيقة حول هذا التمرد، ربما يرجع ذلك إلى أن الطبيعة السياسية لأعمال الإمبراطور شغلت المؤرخ بما يسجل من مثل هذه الأحداث، فيذكر أن الملك وحده يعرف قصة هؤلاء الحقيقية، وفضل عدم إعلان التهمة الموجهة لهم سوى أنهم كانوا يعبدون الأوثان، كما أن أمهاتهم كن سبياً في ضلالهم إلى السحر الأسود، فضلاً عن ادعائهم باطلاً أن الإمبراطور قام بتجنيد جيش من الجواسيس في أنحاء المملكة؛ يسكون ببعض أفراد الشعب ليحيطوا بأنفهم بمسامير حديدية ويجمعوا دماءهم في أوعية كبيرة ثم يتم غليه، وعندما يبرد يدهن به الإمبراطور جسده^(٢٣)، علي أن (زرع يعقوب) قد نفى عن نفسه هذه الشائعات التي وصفها بالبلهاء^(٢٤).

ومن خلال سيرة حياة القديسين نتعرف على بعض الطرق التي لجأ إليها الإمبراطور لمعالجة هذه الأزمات، من ذلك مناقشة القديس تكلأ هاوتريت Abba Takla-Hawaryat لعلاج أمر هذه الإضرابات، وعندما اختلف مع الإمبراطور اختلافاً بيناً رأي فيه الإمبراطور تطاولاً على شخصه؛ ألقى به في السجن^(٢٥). وهكذا لجأ الإمبراطور إلى سياسية الحديد والنفار لقمع هذه الثورات جميعاً، كما أنه لجأ إلى البطريك والقضاة والمطران المصري، إذ إنه نجح في إقناع البطريك (يوحنا) لاستصدار وثيقة حرمان من قبل الأب يوحنا (٨٣١-٨٥٧هـ/١٤٢٨-١٤٥٣م) تكل من يحاول عصيان الملك أو أراد تولية غيره علي عرش المملكة يكون مطروذاً ومحروماً بكلمة الرب^(٢٦).

ومنذ ذلك الحين، في عام ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، عاش (زرع يعقوب) يحكم المملكة بيد من حديد طيلة ست سنوات، إلا أنه نتيجة هذه التمردات عاشت الحبشة، في هذه الفترة، في ارتعاد

وخوف من شدة حكم الملك، فقد كان (زرع يعقوب) يقتل من يريد من الناس ويعفو عن يريده، ويقتل من يريد ويعظمه ما دام قد نفذ مشيئة الرب وأمر الإمبراطور^(٣٧).

٢- في عهد (بنيد ماريام) (٨٧٣-٨٨٢/٨٤٦٨-١٤٧٨ م) :

رغم شدة حكم (زرع يعقوب) في قمع الثورات التي قامت في عهده، إلا أن هذه الثورات استمرت في عهد خليفته (بنيد ماريام)، ولكنها جاءت بصورة مغايرة تمامًا عن ما كانت عليه في عهد أبيه، إذ جاءت في صلب العقيدة المسيحية نفسها، ومن ذلك أنه انتشرت صورة للرسم الإيطالي (فرانيسكو دي ليون) التي تجسد السيدة مريم العذراء وهي تحمل طفلًا صغيرًا على ذراعها الأيسر، كما درجت عليه العادة في أوربا آنذاك، إلا أن ذلك يتعارض مع الاعتقاد الشائع لدى الأحباش عمومًا بأن اليد اليسرى هي علامة الشر، بخلاف اليد اليمنى التي تدل على الخير، مما أدى إلى قيام الأحباش بثورة اعتراضًا على هذه الصورة^(٣٨).

وهكذا دخلت ثورات الحبشة طورًا جديدًا واختلفت أهدافها، إذ تحولت من الثورة على الحكم إلى المجادلات الدينية والعقائدية، من ذلك أنه احتدم النقاش بين عدد من رجال الدين في البلاط الملكي وبعض الرهبان السريائيين وإخوتهم المصريين حول طبيعة السيد المسيح، فقد رأي فريق منهم أن السيد المسيح من نفس طبيعة الأب، لأنه ابن إله، بينما رأي فريق آخر بأن طبيعة الابن أقل درجة من طبيعة الأب، لأن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن لكنه صنع من مادة فاتكة الوصف، فجسد المسيح لم يصنع مثل الإنسان العادي من دم ولحم وشرابين.... إلخ^(٣٩)، وعلى هذا فقد أمر (بنيد ماريام) بالقبض على هؤلاء وأمر بعقابهم بالجلد والقضبان الحديدية، تبعًا لدرجة عقوباتهم كل حسب لدرجة^(٤٠).

على أن أمر هذه المجادلات لم يقتصر على النقاش حول الأمور الدينية فقط، بل امتد إلى طريقة عمل الإمبراطور ذاته، ومن ذلك أنه أثير جدل واسع عن كثرة تنقلات (بنيد ماريام) بين مقاطعات المملكة كيفما يريد، فقد أوردت المصادر الحبشية أن الإمبراطور يقضي معظم وقته على ظهور الخيل، وأهمل المملكة وترك شئونها الداخلية، وبخاصة أمور القضاء، وأن الإمبراطور لا يعيش وفق تقاليد ومبادئ أسلافه، وأنه يلهو كما يلهو الشباب، وانتشرت مثل هذه الأحاديث بين الشعب، ويشير كولمبس إلى اشتراك بعض قادة الجيش في هذه الوشائيات^(٤١)، وقد أثارت مثل هذه الأحاديث حفيظة الملك، وأمر بجمع الناس ومعهم كثير من الرهبان والليقائطاني، (قاض من القضاة) واجتمع الجميع في إحدى قاعات الملك، وقال لهم "وقتكم أن ملكنا لا يقضي يومه في أمر القضاء، وفي شريعة الملك، بل في ركوبه الخيل - هكذا قلم، لأن هذا التقليد - ركوب الفرس وإطلاق السهام - لم يكن لدي آبائي الأقدمين من قبل" وأمر بتقديم أصحاب هذه الوشائيات للمحاكمة، وإلا فالموت للجميع، ورغم إنكار الجميع لهذه التهمة؛ إلا أن الإمبراطور أمر بقطع أرجلهم وتم نفيهم إلى عدة أماكن مختلفة^(٤٢).

وعلى الرغم من شدة حكم الإمبراطور إزاء هذه المجادلات، إلا أنها تطورت ووصلت إلى الإمبراطور نفسه، فيذكر النص الملكي أن الليقائطاني (يكلي) انفرد بالإمبراطور وأخبره بأن الجان مساروتش^(٤٣) تمردوا عليه، وأرادوا تنفيذ مؤامرة للتخلص من حكمه، وفي اليوم التالي أمر

الإمبراطور بإحضار هؤلاء جميعاً لاستجلاء الحقيقة، وعلى الرغم من أن الجميع أقسم بكنيسة صهيون على نفيه القيام بأي محاولة لإيذاء الملك، إلا أنه أمر بتعليق الجان مساروتش من رقابهم^(٤١).

وهكذا اضطر (ماريام) إلى اتباع سياسة أبيه في مواجهة هذه الثورات التي حيكّت ضده، لذلك فقد دخل الرعب إلى قلوب الشعب^(٤٢) والذي ظن في بداية الأمر بأن هذا الملك يختلف عن أبيه، بدليل إصداره العفو العام عن جميع المسجونين الذين اعتقلوا في عهد أبيه (زرع يعقوب) وأعادهم إلى ديارهم، بالإضافة إلى أنه سمح لجميع الناس بارتداء ما يشاءون من الملابس ذات الألوان مختلفة^(٤٣). إلا أنه انتشر بين الشعب الحبشي في ذلك الوقت: أن الإمبراطور أشد قسوة من أبيه، ومما دلت على ذلك عقابه للvasarjوية الذي يدعي (جبرواحد) بحجة استخدامه ضرائب المملكة فيما لا يحق له^(٤٤).

٢- في عهد (ألكساندر ٨٨٢-٨٩٨هـ/١٤٧٨-١٤٩٢م) :

كانت إدارة المملكة الحبشية في عهد هذا الإمبراطور تتم عن طريق (العقابي ساعات تاسفا جورجيس Tasfa - Giyoris)^(٤٥) وكل من الوزيرين: البحت وبد اليمين الذي يدعي (أمادا ميكلا Amda - Mikai el)، والبحت وبد اليسار الذي يدعي (بدالي ردد Badla - Redd) فضلاً عن وصاية أمه، إذ كان طفلاً صغيراً^(٤٦).

وقد اتفرد بإدارة أمور المملكة (أمادا ميكلا) لكونه أكثرهم خبرة، وكان ذا قوة كبيرة منذ أيام (زرع يعقوب)، لذلك كانت له اليد العليا في الحكومة أيام (ألكساندر) حتى إن الملكة (رومانه) اختفت تقريباً من الساحة السياسية في تلك الوقت، مما أثار حفيظة باقي كبار رجال البلاط، فتعاونوا بقيادة كل من الألب (حسيبو Abba - Hasabo) و(مأيمون باسيدك Meeman Basedequs) والألب (أمادو Abba - Amdu) لإسقاطه، وعلى الرغم من ذلك استطاع البحت وبد (أمادا ميكلا) القبض عليهم جميعاً، وقام بجلدهم عدة مرات ثم تم نفيهم جميعاً، وأثناء سيرهم إلى المنفى لقي بعضهم مصرعه^(٤٧).

وهكذا انتصر (أمادا ميكلا) على أعدائه، ولكن بمرور السنوات ازادت المعارضة ضده وخاصة بعد أن أدرك (ألكساندر) حقيقة الأمور، فقد كان محاطاً بالعديد من رجال البلاط الذين نظروا إلى البحت وبد وكأنه عبقة تقف في طريق طموحاتهم، وقد أرادوا وضع حد لسلطته، وعلى الرغم من أن النص الملكي لا يشير، على وجه الدقة، إلى الأسباب التي أدت إلى سقوطه، إلا أنه من الواضح أن أعداءه عزلوه عن الإمبراطور الشاب، وقاموا بالوشاية ضده أكثر من مرة، مما جعل الإمبراطور يصدر أمراً بالقبض عليه ونفيه إلى مكان مجهول^(٤٨).

وتشير المصادر الحبشية إلى أن (أمادا ميكلا) تمكن من تجميع أنصاره مرة أخرى بالتعاون مع بعض فرق الجيش واستطاع الرجوع إلى البلاط، وراح جنوده يعيثون في البلاد سلباً ونهباً، إلا أن الإمبراطور تمكن من إلقاء القبض عليه وحكم عليه بالإعدام^(٤٩).

كما تشير الأحداث أيضاً إلى أن الموت أدرك الملك فجأة، وهو في سن صغيرة فلم يكد يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، فأخفت الملكة الكبيرة (إيليني) خبر وفاته، وأمرت بحفظ

جثته خوفاً من محاولة (زا سليوس) اغتصاب العرش، وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذه الوفاة^(٥٣).

٤- في عهد عمدا صهيون الثاني ٨٩٨-٨٩٩هـ/١٤٩٢-١٤٩٣م):

على إثر الموت المفاجئ للإمبراطور (الكساندر) اندلعت الحروب الأهلية في الحبشة، فقد زحف (زا سليوس) بسرعة مع بعض قواته نحو جبل الملوك "أمبا جيشن" في أمهرة، و استطاع أخذ الأخ الأصغر للملك المتوفى و يدعى (تاؤود)، وأعلنه ملكاً على البلاد ثم اختفى بسرعة خوفاً من قوات رجال الحرس الملكي^(٥٤).

وعلى الرغم من إعلان (تاؤود) إمبراطوراً على الحبشة، إلا أن مجلس الوصاية بمشاركة الملكة (إيليني) وتأييد أقوى مسئولى البلاط الذي يدعى (تكلا كرسبوس Takla - Kristos) سارعا يتتويج ابن (الكساندر) الذي يدعى (عمدا صهيون الثاني)، وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، وبذلك انقسم البلاط الملكي في الحبشة بين معسكرين، معسكر أنصار (عمدا صهيون الثاني) بزعامة (تكلا كرسبوس) ومعسكر أنصار عمه (تاؤود) بزعامة (زا سليوس)، وقد اندلعت الحروب الأهلية بين المعسكرين ووصلت إلى العديد من المقاطعات الحبشية، واستمرت هذه الحروب الأهلية ستة أشهر كاملة هي عمر الملك (عمدا صهيون) في الحكم، تمكن خلالها (تكلا كرسبوس) من هزيمة (زا سليوس)، وسجن معظم ثوار جيشه، و عاقبهم بإفقادهم أبصارهم، وقد أعلن الحداد في بعض الكنائس الحبشية نتيجة كثرة عدد القتلى، إلا إن هذا الحداد انتهى بموت الإمبراطور، حتى أن سجل حياة وسير القديسين أعلن ارتيابه لموته، وبشر بعهد الخير والسلام بعد أن تولى (تاؤود)^(٥٥).

<http://Archivebeta.Sakshi.com>

٥- في عهد (تاؤود) ٩٠٠-٩١٤هـ/١٤٩٤-١٥٠٨م):

وهكذا انقلب الأوضاع في الحبشة بعد موت (عمدا صهيون الثاني)، وأصبح أعداء الأمس هم أنفسهم أصدقاء اليوم، فها هو (تاؤود) الذي رشحه (زا سليوس) قبل ستة أشهر فقط يتولى العرش، وكان الصراع ما زال مشتتاً على السطح في بعض المقاطعات، عندما أعاد (زا سليوس) إعلانه للمرة الثانية (تاؤود) ملكاً في أمهرة في (ذي الحجة ٨٩٩هـ/أكتوبر ١٤٩٤م)، وقد أدى هذا الإعلان إلى فرار كثير من حكام المقاطعات والنبلاء الذين كانوا معارضين إعلانه إمبراطوراً، كما فر (تكلا كرسبوس) إلى إيفات عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م، وراح يثير أهالي إيفات ضد الإمبراطور عن طريق عدد من فرساته، إلا أن أهالي إيفات نجحوا في القبض عليه، واقتادوه مقبضاً بالسلاسل إلى الإمبراطور الذي قام بنفيه، وقام بعض أفراد الحرس الملكي بقتل عنيه أثناء ترحيله إلى المنفى^(٥٦).

ويذكر النص الحبشي أن الراهب (يوحنا) بشر بأن (تاؤود) سوف يكون عهداً مليئاً بالخير والهدوء والسلام^(٥٧).

كما أصدر الإمبراطور قراراً بالعمو العام عن بعض السجناء، وقد سخر بعض رجال الدين من مثل هذه النبوءة، وراحوا يثيرون الفتنة الداخلية ضد الإمبراطور وبعض مسئولى البلاط،

وكان علي رأس هذه الفتنة الراهب (أندرو Andrew) ، وقد استطاع الملك إلقاء القبض عليه وقطع لسانه^(٥٨).

٦- في عهد (لبننا دنجل ٩٦٤-٩٤٧هـ/ ١٥٠٨-١٥٤١م):

اعتلى (لبننا دنجل) العرش في ٢٢ أغسطس ١٥٠٨م، بعد أبيه (ناؤود)، وكان لديه أربعة أخوة هم: (فكتور) و(يعقوب) وقد ماتا في حياة أبيهم (ناؤود)، بالإضافة إلى (كلوديوس) و(ميناس)، وكان اختيار وريث من بينهما أمراً صعباً، لكن الملكة الحكيمة (إيليني) نجحت بالاشتراك مع الأب (ماركوس Abuna Marcus) في اختيار (لبننا دنجل) لصغر سنه، وكان في الثانية عشرة من عمره^(٥٩).

وعلى الرغم من موافقة كبار النبلاء على هذا الاختيار، فقد وقعت بعض المواجهات بين أنصار (لبننا دنجل) وبين معارضيه، إلا أن الأمور سرعان ما انتهت لصالحه، نظرًا لأن خطر المسلمين كان قد ازداد منذ أواخر عصر (ناؤود)، إذ تم احتلال عاصمة البلاد لأول مرة في تاريخ الأسرة السليمانية الجديدة في عهده^(٦٠).

ولم يذكر النص الحبشي في عهد (لبننا دنجل) أي إشارات أخرى ربما تشير إلى ظهور أي تمردات أو دساتس على حكمه، سواء من رجال الدين، أو كبار مسئولتي البلاط أو النبلاء، ورغم بدء التدخلات البرتغالية في البلاد في ذلك الوقت، بل على العكس من ذلك، فتشير المصادر الحبشية، في عهد هذا الملك إلى أنه لم يجرؤ أحد من الشعب على إحداث أي تمرد أو شغب سياسي أو ديني^(٦١).

وهكذا، فقد ساد طيعة هذه الفترة العديد من الاضطرابات السياسية، داخل وخارج البلاط الملكي، التي لم يخل عهد حاكم منها (النهج في عهد لبننا دنجل)، فضلاً عن ثورات قوات الحدود نتيجة بُعد وضعف السلطة المركزية، كل ذلك أدى إلى ضعف المملكة المسيحية، وخاصة منذ بداية عهد (ألكساندر) الذي عاني من هزيمة عسكرية في سلطنة عدل، كما ازداد الضغط الإسلامي على حدود المملكة عامة، وذلك نتيجة الصراعات الداخلية بين النبلاء المسيحيين، والمذابح الدموية بين بعض رجال الحرس الملكي .

(وثيقة الحرمان)

ወመጽሐፈ ገዘትስ፣ ከመን፣ ይባል፣ 11፣ ሮጎስ 12፣
 ገብሩ፣ ለእገዚእነ፣ ሊዮሱስ 13፣ ከርስተስ፣ ዘጸውዓሊ፣ ዝሊድልወተዮ 14፣
 ለተልእኮ፣ ዲቦ 15፣ መንበረ፣ ማርቆስ፣ እፋል፣ በስመ፣ እገዚእ፣ ሊዮሱ
 ስ፣ ከርስተስ፣ እንዘ፣ ሀሱ፣ ወልድ፣ ሱፋኮ 16፣ ወኖቅር 17፣ ከቡረ 18፣ ህ
 ላዊ 19፣ ንጉሥ፣ ዘርላ፣ ያዕቆብ፣ ዘተሰምየ፣ ቅርጠንጢናስ፣ ዘንቡር፣ ላ
 ዕለ 20፣ መንበረ፣ ዳዊት፣ በምሕረት፣ እገዚእጢሒር፣ ንጉሠ፣ ነገሥት፣
 ዘብሒረ 21፣ ሊተዮጵያ፣ ጽኑዕ፣ ላዕለ፣ ሃይማኖት፣ ርተዕት፣ ለርተዶኮ
 ፣ ሳዊት 22፣ ሊደተዓዶ፣ ጸላምተእዛዙ፣ ወይኩን፣ ውእቱ 23፣ እገዚእ 24፣ ወ
 ከቡረ፣ ወስመዓ 25፣ ቃሱ 26፣ ወይኩን 27፣ ከሱ፣ ንፋረ 28፣ ሱቱ 29፣ ወ
 ከሱ 30፣ ዘተዐደወ፣ ተእዛዘን፣ ዘወለስ፣ ወዘለካዕስ 31፣ ወመተርነ፣ በእነ
 ቲለቡ 32፣ ዘኮነ፣ ከዊና፣ እምወሱዶ፣ ለዳም፣ እምለርእስት 33፣ ወመኳን
 ንት 34፣ ወከሱ፣ ሠረዊት፣ ንሉስ፣ ወዐቢይ፣ ዕድ፣ ወለንስት፣ ለእመ፣ ፈ
 ቀዱ፣ ያንገሠ፣ ካልሉ፣ እንዘ፣ ሀሱ፣ ዘርላ፣ ያዕቆብ 35፣ ዘተሰምየ፣ ቅስ
 ፣ ጠንጢናስ፣ ዲቦ፣ መንበረ፣ መንገሥቱ፣ 36፣ እሱሂ፣ ወዘፈቀደሂ 37፣ ዞሂሉ፣
 መንገሥት 38፣ ውጉዝ፣ ለይኩን፣ በሠለስቱ፣ ለስማተ፣ እገዚእጢሒር፣ ዘው
 እቱ 39፣ ለብ፣ ወወልድ፣ ወመንፈስ፣ ቀዱስ 40፣ እመቦ 41፣ ዘተዐደወ፣ እም
 ዘ፣ ወስነ፣ ወመተርነ 42፣ ዘዐለወ 43፣ ተእዛዘ፣ ለንጉሥነ 44፣ ዘርላ፣ ያዕቆ
 ብ፣ ዘተሰምየ፣ ቄስጠንጢናስ፣ ዘንቡር 45፣ ዲቦ፣ መንበረ 46፣ መንገሥ
 47፣ 48፣ ሊተዮጵያ 49፣ ሉው፣ ዘይፈቀድ፣ ቀቲሉተ፣ ወለንቀዕቀሉተ፣ እመን
 በረ 50፣ መንገሥቱ፣ ሉው፣ በነቡእ፣ ወበክሠት 51፣ ሉው፣ በሥረይ፣ ለ
 ው 52፣ ዘንብረ 53፣ ላዕሊሁ፣ በምክር፣ እኩይ፣ ውእቱ፣ ይኩን፣ እቡረ 54፣
 ወውጉዝ፣ በቃሉ፣ እገዚእጢሒር፣ መታሪ፣ ቀዳማዊ፣ ዘውእቱ 55፣ ሥሉስ 56፣
 ቀዱስ፣ ለብ፣ ወወልድ፣ ወመንፈስ፣ ቀዱስ 57፣

ترجمة وثيقة الحرمان

" أنا يوحنا عبد سيدنا يسوع المسيح الذي دعاني بما لا يحق لي لأخدمه فوق عرش مرقص أقول " :

باسم سيدنا يسوع المسيح، بينما كان الابن المبارك والمحبيب عظيم المقام الإمبراطور زرع يعقوب، الذي دعي قسطنطينوس، الجالس على عرش داود برحمة الرب، ملك ملوك إثيوبيا الثابت علي العقيدة الأرثوذكسية الحقّة فلا يتعدى أحد أوامره، ويكون هو السيد العظيم المسموع كلامه، ويكون الكل خاضعاً له .

وكل من تعدى أمرنا الذي حددناه وسجلناه وقضينا به، كائناً من كان من بني آدم من الرؤساء والأمراء وجميع الجنود، الصغير والكبير، الرجال والنساء. وإن أرادوا تولية غيره بينما زرع يعقوب الذي دعي قسطنطينوس موجود على عرش مملكته، سواء هؤلاء أو من أراد أخذ ملكه ليكن محروماً بأسماء الرب الثلاثة التي هي الأب والابن والروح القدس. وإن وجد من تعدى ما حددناه وحكمنا به وعصى أمر ملكنا زرع يعقوب الذي دعي قسطنطينوس الجالس على عرش مملكة إثيوبيا، أو من أراد قتله وإزاحته من عرش ملكه سرّاً أو علانية أو بالسحر، أو من اجتمع ضده بتدبير أثم، ليكن ممنوعاً ومحروماً بكلمة الرب الغاطع الأول الذي هو الثالوث المقدس : الأب والابن والروح القدس".

المصدر الاصلی :

Rossini,C : IL-Libro della luce del negus zar a ya qob,(Mashafa Berhan), II (Text)pp20-21

نقلًا عن مجدي عبد الرازق سليمان : النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري

الإمبراطورين زرع يعقوب وابنه بند ماريام. ص ٤٩-٥٠

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق الحبشية :

- 1- Jules Perruchon (traduction) : Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892.
- 2- : Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889.
- 3- : Les chroniques de Zar'a ya.eqobe et de Baeda Maryam, Rois d Ethiopia de 1434 A 1478, Paris, 1893.
- 4- : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , rois d'Ethiopie . Texte ethiopien inedit comprenant en outre un fragment de la chronique de Ba.eda- Maryam, leur Precededdeur, et traduction. In Journal asiatique.ser.9.vol.3. 1894 .319-366. Sep.-Dr. Paris, 1894 mit eigner Seitenzahlung .
- 5- Manfred Kropp : : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptoros Aethiopoci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988.

ثانياً : المخطوطات :

مجهول .

1 - سيرة الأنبا تكلا هيمنوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩ لاهوت.

ثالثاً : المصادر العربية المطبوعة :

١- القرآن الكريم :

عرب فقيه : (شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني، الشهير بعرب فقيه، عاش في القرن السادس عشر الميلادي).

٢- تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره ريتيه ياسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

العربي : (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .

٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر

خريسات وعصام مصطفى هزايمة و يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد

للثقافة والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة لأولي، ٢٠٠١م.

المقريري : (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٤هـ / ١٤٤١م) .

٤- الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف،

القاهرة، ١٩٥٨م.

رابعاً : المراجع العربية والمعرية :

- ١) راشد البرلاوي : الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م.
- ٢) زاهر رياض : كنيسة الأسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
- ٣) —: تاريخ أثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوروبا العصور الوسطى، جزآن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.
- ٥) عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.

خامساً : المراجع الأجنبية :

- 1) A.H.M. Jones and Elizabeth Monroe : A history of Ethiopia, oxford university, at the clarendon press, 1974.
- 2) Budge (E .A .W) : A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia, London, 1928.
- 3) Charles F . Rey , F.R.G.S : Unconquered Abyssinia As It Is To-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation, London, 1923.
- 4) Edward Ullendorff : The Ethiopians an introduction to country and people, London, oxford university ,Press Newyork.toronto, 1965 .
- 5) Elaine Murray Stone : A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003.
- 6) Francisco Alvarez : The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961.
- 7) Hiob Ludolf : A New History of Ethiopia, the University of Michigan, (U.S.A) 1984.
- 8) J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ('The Political and Religious History of Abyssinia'), Paris, 1929.

- 9) John Cameron Grant : The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901.
- 10) Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980 .
- 11) Paul B . Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London , 2000.
- 12) Peter Schwab : Ethiopia : politics, economics and society, Published London Pinter,1985.
- 13) Richard Pankhurst : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998.
- 14): The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967.
- 15) Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 1972.
- 16) Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry : Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سادساً : الدوريات العربية :

- ١) كرم الصاوي باز : عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥ هـ / ١٣١٤-١٣٤٤م)، مجلة دراسات أفريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م.

سابعاً : الدوريات الأجنبية :

- 1) Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History, Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000).
- 2) Tadesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in(RA),1970.
- 3) : The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in(JES), VIII, no.1, 1970.

ثامناً : الرسائل العلمية :

- ١) زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السلیمانیة فی الحبشة من (يكونو أملاك) إلى (زرع يعقوب) وعلاقة المستنمين بالمسيحيين بوجه خاص (١٢٦٨ - ١٤٦٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٢) مجدي عيد الرازق سليمان: النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زرع يعقوب ١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه (ينيد ماريام ١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.



الهوامش

1 - هي الأسرة التي حكمت الحبشة قبل مجئ الأسرة السلিমانيّة ويختلف كل من عبد المجيد عابدين وراشد البراوي Edward Ullendorff في بداية حكمها، حيث يذكرون أنها تمكنت من الاستيلاء علي حكم الحبشة عام ٥٣٢هـ / ١١٣٧م وهو يختلف بذلك عن جميع المراجع التي بين أيدينا، كما أن هناك اختلافاً آخر بين الباحثين علي عدد ملوك هذه الأسرة، فبينما يشير البعض أنهم كانوا أحد عشر ملكاً تذكر القوائم الملكية لتلك الفترة أنهم كانوا تسعة فقط وهم Djan Germe - Djan Seyum - Pantadem - Pantaw- Yemrehana - Na'akueto La'ab - Lalibala - Arbe - Yetbarak ، إلا أن هناك اتفاقاً عاماً بين معظم الباحثين علي أن مدة حكم الزغاوة كانت ثلاثة قرون وثلاث وأربعين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. للمزيد انظر عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٦٦، راشد البراوي، الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٥١، كذلك :

Budge (E.A.W): A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia , London ,1928, p.277 see also Edward Ullendorff, The Ethiopians an introduction to country and people , London, oxford university ,Press Newyork. toronto, 1965 , p.64.

2-جوديت: يشير بعض الباحثين أنها كانت من العائلة السلیمانيّة القديمة، استطاعت الوصول إلي الحكم بمساعدة بعض قبائل الأجاق وذلك بسبب موقفهم المتشدد من عدم ترشيح النساء للحكم، وقد ساعدتها ظروف البلاد في الوصول إلي العرش إذ اشتد التنافس بين اثنين من الأمراء علي الوصول للحكم وراح كل منهما يدعم موقفه بتأييد العديد من رجال الدين، مما جعل جوديت بعد وصولها للعرش تزداد في اضطهاد رجال الدين المسيحيين بل وقتل ونفي الكثير منهم، فضلاً عن إحراق جميع الكنائس وإلحاق جميع أنواع الخراب بها، وتعبق المسيحيين في كل مكان، في حين يشير بعض الباحثين إلى أن هذا كان بسبب تعصّبها للديانة اليهودية، وبسبب ذلك وضعها الأخباش بالاشتراك مع الإمام أحمد الجران في قائمة وحوش التاريخ الحبشي، وعلي الرغم من ذلك فقد استطاعت حكم البلاد طيلة أربعين عاماً حققت فيها نوعاً من الاستقرار والسلام، للمزيد انظر المقرئزي : الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التآليف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٢، أيضاً

- Paul B.Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London, 2000, pp. 53-56 & Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History, Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000), pp.39-41.

³ - أشار العديد من المراجع التاريخية إلى أن الملكة (جوديت) لم تكن وحدها من ملوك الزغاوة التي تكين باليهودية، فقد أشار بعض المؤرخين إلى تقسيم ملوك الزغاوة إلى قسمين من حيث الديانة، إذ يشار إلى أن عدد ملوك القسم الأول والذي يبلغ خمسة ملوك كانوا يدينون جميعاً بالديانة اليهودية، أما القسم الثاني فكان عدد ملوكه ستة ملوك كانوا يدينون بالديانة النصرانية. لمزيد انظر

-Charles F. Rey : *Unconquered Abyssinia as it is to-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation*, London, 1923, p 86.

4 - اتخذ الملك لاليبالا لنفسه لقب جبراماسقال (Gebre Mesqel) ومعناها خادم الصليب، وقد عرف عنه حبه للسلام واهتمامه برجال الدين، وقد قام بترميم العديد من الكنائس وبنى أكثر من عشر كنائس جديدة في جميع أنحاء البلاد ما زال بعضها باقياً حتى الآن استعان فيها بعدد من العمال المصريين بالإضافة إلى بعض الهنود، ويقال إنه قبل توليه الحكم نفي بسبب عداوة عمه Tatadim إلا أنه استطاع الهرب وقام بثورة استطاع الاستيلاء بها على الحكم في عهد أخيه الكبير لذا يعتقد انه وصل للحكم بقوة السلاح، ويختلف الباحثون في سنوات حكمه (١١٨٩ - ١٢٢٩م) بينما يذكر آخرون أنها (١١٨٠ - ١٢٢٠م) وبينما تجد فريقاً ثالثاً يؤكد أنه كان معاصراً للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠٢٠م) ولكنهم يجتمعون على أن مدة حكمه كانت أربعين عاماً انظر زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٢٦ - ١٢٧ كذلك

- Jules Perruchon (traduction) : *Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia*, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892, p.51.

5 - يقول أنفاريز إن أول من فكر ووضع أول سجن ملكي هو الملك 'يمرها Yimrha' حيث فعل ذلك بأمر إلهي وذلك لوقوع العديد من مشاكل الخلافة على العرش بين أبناء الأسرة الأجوبة ووقعها أكثر من مرة في عهد معظم الحكام، كما كان أول من فكر في بناء كنيسة على هذا الجبل هو الملك 'لاليبالا'. أما عن تنظيم 'جيشن' كسجن ملكي فربما يرجع إلى الاضطرابات التي سادت بعد وفاة (يكونو أملاك) انظر :

-Francisco Alvarez: *The Prester John of the Indies* translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961, p.165.see also Hiob Ludolf, *A New History of Ethiopia*, the University of Michigan, (U.S.A) 1984, pp. 195-197.

ولوصف جبل أمبا جيشن والمزيد من التفاصيل حول دوره في المملكة الحبشية انظر:

-Alvarez : op . cit , pp. 237-248.

6-A.H.M.Jones and Elizabeth Monroe: *A history of Ethiopia*, oxford university, at the clarendon press, 1974 , pp.26-31.

7- John Cameron Grant : *The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards*, Paris, 1901, p.38.

8- تنسب الأسرة السلطانية إلى سيدنا سليمان عليه السلام، وتقول الأسطورة أن ما كيدا ملكة سبأ قامت بزيارته حيث أعجب بها وتزوجها وحملت منه ثم عادت إلى قومها وأنجبت ابنه حكيم، وقد شب الغلام في رعاية أمه إلى أن كبر وأراد أن يزور أبيه، فأرسلته إليه حيث فرح به سليمان كثيراً وغير اسمه إلى منليك وعلمه حكمته، ولما صمم على أن يعود إلى أمه وقومه، تمكن أن يأخذ من أبيه تابوت العهد الذي كان سليمان يحفظ فيه الألواح الإلهية التي كتبها الله للنبي موسى عليه السلام، ثم عاد به إلى الحبشة ليحكمها ومعه أسباط إسرائيل ومنه تسلسل ملوك الحبشة منذ القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن العاشر الميلادي حين اغتصب العرش منها أسرة أخرى حكمت البلاد حوالي أربعة قرون حتى تمكن يكونوا أملاك من طردها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وإعادة الأسرة القديمة إلى عرشها ممثلة في شخصه. أنظر مجهول : سيرة الأنبا تكلا هيمناتوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩ لاهوت، ورقة ٣، زاهر رياض، العصر الأول من الأسرة السلطانية في الحبشة من يكونوا ملوك إلى زرع يعقوب وعلاقة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص (١٢٦٨ - ١٤٦٨م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٣٤.

9 -Tadesse Tamrat: *Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History*, in *Rural Africana*, 1970, p.105.

10 - Mordechai Abir : *Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region*, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980, p. 21.

11 - Budge : op . cit . p. 287 .

12- Elaine Murray Stone : *A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia* , Paulist Press , 2003, p36.

13-Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry : *Ethiopia A Country Study*, Federal Research Division Library of Congress, 2004, pp. 24-26 see also Jules Perruchon, *Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie*, in *Journal asiatique*.ser.8, t.Xiv, 1889, p.xx.

14 - الجدير بالذكر أن الملك الحبشي كان يمنح ابنه الأكبر بعض السلطات السياسية والإدارية أثناء حكم أبيه، فقد أعطى يكونوا أملاك ابنه بعضاً من هذه السلطات، وكذلك فعل عمدا صيون الذي أعطى إدارة إقليم التيجري لأحد أبنائه حيث منحه لقب بحر ساجاد - Bahr Sagad ، كما أضيف إلى مهامه حكم المقاطعات المجاورة للبحر الأحمر وذلك عام ١٧٢٨هـ / ١٣٢٨م، كما تذكر المصادر الحبشية أنه عندما اقترب موعد موت زرع يعقوب تم إلقاء القبض على بعض الأمراء الذين كانوا حاضرين في بلاط الملك، حيث أعلن تولي ابنه بند ماريام ملك الحبشة بمباركة من زرع يعقوب نفسه . انظر العمري،

ممالك الأbyssar في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٤٢، مجدي عبد الرازق سليمان، النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زرع يعقوب ١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه (بنيد ماريام ١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص ٩٨-٩٩، زاهر رياض، تاريخ أنيوبيا، ص ١٣١ وعن حكم عمدا صيون وتنظيم مملكته الداخلية. انظر، كرم الصاوي باز، عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥هـ/١٣١٤-١٣٤٤م)، مجلة دراسات أفريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م، ص ص ٨-١١، انظر أيضاً

-Jules Perruchon : Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Ba'eda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893, pp124-125.

15-Tadesse tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 197., p. 282.

16- زاهر رياض: كنيسة الأسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، ص ٥٣.

17-Tadesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval, p.106

18 - Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 282-283.

19- Peter Schwab : Ethiopia : politics, economics and society, Published London Pinter, 1985, p.211.

20- "وكان في أيام ملكنا زرع يعقوب خوف عظيم وذعر بين كل أهل أنيوبيا، بسبب قانون حكمه وشدته" انظر:

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.4.

21 - "وحين يدخل هؤلاء القادة- حيث يوجد الملك- لإلقاء كلمة، يسجد الجميع بركبهم، ويقبلون الأرض خوفاً وارتعاداً كلما سمعوا صوت الملك " انظر :-

- Perruchon : op, cit , P.33.

22 - Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p.292.

23 - " وبالنسبة للملك لم يكن يعرف لا الحكومة ولا شئون الحبشة- لأنه كان وقتئذ طفلاً صغيراً" انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , pp.353-354.

24 - " وتآمر مع أصدقائه وقاموا بثورة ضد الملك " انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

- 25- Manfred Kropp : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopici, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988,, p.5.
- 26- عرب فقيه : تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره رينيه باسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص ١٣٢، انظر ايضاً
- Tadesse Tamrat : op, cit , P.282.
- 27 - "حين سمع الملك عنه أمر ظلم كثير وتمرد وقد فعل خطيئة أخرى حين تزوج سراً امرأة- وهو زوج لإسرائيلية- وهيه إياها الصاسرجويه أمخا إياسوي ليتزوجها. وبمجرد أن سمعت زوجته برهان زمدا، أخبرت إياها الملك " انظر
- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda Maryam, pp.10-11. see also, J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929, p.138.
- 28 - مجدي عبد الرازق سليمان : المرجع السابق، ص ص ٤٦-٤٧.
- 29 - "وفي ذلك الوقت جمع الملك الكثير من الناس، وأطلعهم علي عقوبات أولاده ومحاكماتهم القاسية قائلاً : انظروا كيف فعلنا بأولادنا حين أجروا علي الرب، وغيرة له لم نرحمهم" انظر
- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.99.
- مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص ٤٤.
- 30- "وحمل الرسل الذين أرسلهم بنيد ماريام إلي القديسين بشارة هؤلاء القديسين : من دير لبياتوس، ودير كاسو، ومن الأب الرحيم أبو قير التابع لدير إندجيطن" انظر
- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.108.
- 31- مجدي عبد الرازق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨
- 32- "وفي ذلك الوقت قام أشرار من الناس يدعونهم : تعاقو برهان، وزرع صهيون بعد أن وضع الشيطان في عقولهم شراً، فافتروا ظلماً علي هؤلاء الأمراء وغيرهم من الناس" انظر
- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.98.
- 33 - Coulbeaux: op, cit, p.137.
- 34 - مجدي عبد الرازق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨
- 35 - Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 241
- 36 - انظر وثيقة الحرمان في الملاحق.
- 37 - "وهناك (في دير برهان) قتل الكثيرون من الناس ونفي البعض حين افتروا علي الرب ومسيحه، وقدر الكثيرون وعظمهم، ممن نفذوا مشيئة الرب، وأمر الملك" انظر
- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.73.
- 38 - Budge : op, cit , p.304.

39 - تعد هذه المشكلة من أكبر المشاكل التي واجهت الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، إذ قسمت العالم المسيحي إلى قسمين وأثارت البغضاء الدينية والسياسية فيما بينهم لمدة طويلة، ذلك أنه حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالأسكندرية حول تحديد هذه العلاقة، فقال أريوس -وهو كاهن سكندري مثقف- أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولما كان المسيح الابن مخلوقاً للإله الأب فهو إذا دونه ولا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوي والقدرة . ويعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا إله بمعنى هذه الكلمة المطلق، وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد ويعادة إلهين. أما أنطاسيوس فقال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساوياً للإله الأب تماماً في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه، هذا وإن كانا شخصين متميزين . ومن الواضح أن المذهب الأريوسي كان يتفق ومنطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل، في حين كان المذهب الأنطاسيوسي يستقيم وتفكير عامة الناس من البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم. ولم يلبث أن ساد المذهب الأنطاسيوسي في بلاد الغرب اللاتيني في حين أصبحت الغلبة في الشرق للذهبي للأريوسي. هذا فضلاً عما نلاحظه من أن معظم المفكرين والفلاسفة والأدباء كانوا أريوسيين موحدين، في حين كانت معظم الطبقات الوسطى والدنيا التي انتمى إليها رجال الدين من الأنطاسيوسيين . للمزيد انظر سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٩-٤١ .

40-Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, p. 45.

41 - Coulbeaux: op, cit, p.166.

42 - Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal, p.47see also Perruchon , op, cit, p. 128.

43 - الجان مساروتش: جمع مقرد لكلمة (جان مساريه) وهو صاحب المراسم الخاصة بالملك، والمسئول عن تقديم الأجانب في حضرة الملك' انظر مجدي الرازي سليمان، المرجع السابق، ص ١١٢.

44 - "وفي اليوم التالي أمر الملك أن يجمعوا جميع الجان مساروتش، وأن يأتوا بهم إلى القصر . وحين أدخلوهم إلى القصر في الفجر أخذوا كل واحد منهم وخنقوه بمفرده، حتى اضطرب وارتعد جداً كل الذين شاهدوهم...بينما ظلوا مغلقين من رقابهم في ذلك اليوم من الفجر حتى الساعة التاسعة" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, pp.162-163.

45- "ولهذا السبب دخل الرعب في قلب كل الشعب حتي تحدثوا فيما بينهم بأن هذا الملك أشد من أبيه" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.129.

- 46 - "وفيما بعد نادي المنادي قاتلاً : من الآن فصاعدا ارتدوا جميعكم ما يحلو لكم (من الملابس) سواء (كانت) بيضاء أو حمراء. وأنتم أيها السجّناء، يا من كنتم عن قرب أو عن بعد عودوا إلي منازلكم" انظر - Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p. ١٦٨, see also Richard Pankhurst : op, cit, pp.43-44.
- 47 - "وقد أمر ملكنا ثانياً بأن يجعلوا في ملابسهم زيتاً ويدهنوه كثيراً، ويشعلوا ناراً، ويأخذوا ملابسهم التي دهنت بالزيت، ويحرقوه مربوطاً مصلوباً ورأسه إلي أسفل" انظر Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p. ١٦5.
- 48 - أحد أبرز الذين حاربوا البحث ودد أماد ميكلًا وقد أنعمت عليه الكنيسة بلقب " - Makbiba Beta - Kristiyan وهو لقب أعلي من لقب "العقابي ساعات" لكثرة إنعامه علي رجال الدين، إذ يرد هذا اللقب في قداس ديني عن طريق القديس تكلا ايسويوس مو . انظر - Tadesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in(JES), VIII, no.1, 1970, pp.109-111.
- 49 - "والدته رومانة والعقابي ساعات تأسفا جورجيس والبحث ودد أمادا ميكلًا اتفقوا فيما لا اعتراض بينهم ولا في المداولات ولا في الأوامر التي أصدروها" انظر - Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.
- 50 - "ولكن سرعان ما بدأت العداوة بين كل من الأب حسيبو والأب أمادا ميكلًا ومأمون باسيدك ضد البحث ودد أمادا ميكلًا عندما أدركوا أنه الحاكم الوحيد لأثيوبيا" انظر - Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.
- 51 - Coulbeaux: op, cit,p. 171.
- 52 - Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.354.
- 53 - Budge : op, cit ,p.322.
- 54 - Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, pp.290-293.
- 55-Richard Pankhurst : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998, p. 36
- 56 - "ووصل إلي محافظة إيفات وسعي أن يضم إلي عمله الظالم كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة ولكن هؤلاء وهم عارفون بتغييره تركوه بسبب خيانتهم وقيدوه بالسلاسل وإقتادوه إلي الملك" انظر - Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.
- 57 - " حيث كانت كل البلاد هادئة وقد قص أحد الكهنة واسمه يوحنا قبل مجيئه ما يلي " لقد سمعت صدى من السماء يقول " نازود يحكم ممتدخاً ومختلفاً " انظر - Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.363.
- 58 - Budge : op, cit ,p.323.

59 - "تبوأ هذا الملك الحكم وهو في عمر الثانية عشر" انظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.3.

60 - Budge : op, cit ,p . 324

61 - "وفي عهده لم يقم متمرد ثائر ولم ينبت أحد حيف....لأن العدل والقسطاس قد باتا زينة عرشه،
وعم كل أقطار مملكته استقرار وسلام" انظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.5.



التنظيمات العسكرية والخطط الحربية في دولة الإيلخانيين (٦٦٣ : ٧٣٦هـ / ١٢٦٥ : ١٣٣٥م)

د. محمد سيد كامل (*)

من أوائل الإصلاحات الإدارية التي اهتم بها الإيلخانيون^(١) في دولتهم: التنظيمات العسكرية والخطط الحربية، نظراً لأهمية الجيش في تعزيز مكانة الدولة، والقضاء على الفتن والثورات الداخلية، فضلاً عن درء الأخطار الخارجية، والتوسع في البلدان المجاورة. لقد أدرك المغول الإيلخانيون^(٢) أهمية الاتحاد كقوة عسكرية، بين أفراد القبائل التتارية والمغولية، في إعداد جيشهم وتنظيمه، فبعد أن اتحدوا بدأوا مهاجمة المناطق الشرقية للعالم الإسلامي كقوة موحدة، فنجد "جنكيزخان" يجهز قواته تجاه "خوارزم" (٣) ويقضى على دولة "خوارزمشاه"، ويجبر السلطان "جلال الدين منكبرتي" على عبور نهر السند مخترباً بلاد الهند، مع عدد قليل من رجاله لاجئاً إلى السلطان "شمس الدين ألتمش" طالباً منه تخصيص منطقة من أملاك دولة المماليك الأتراك ليقم عليها هو وأتباعه، بعد هزيمته المنكرة على يد "جنكيز خان" (٤).

لقد اهتم المغول اهتماماً كبيراً برفع كفاءة جنودهم إلى أعلى درجة ممكنة، منذ عهد "جنكيزخان"، وقد اكتملت قوة وكفاءة هذا الجيش في عهد "هولاكوخان" (٥)، الذي أثر تأثيراً كبيراً في تاريخ الأمم والشعوب الواقعة في أواسط آسيا وجنوب شرقي أوروبا، وأصاب المسلمون بالكثير من الأضرار، وخاصة بعد إسقاط الخلافة العباسية في بغداد وقتل الخليفة "المستعصم" سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م (٦).

وبالرغم من إغارة "هولاكو" على بغداد بحملة استطلاعية قوامها توماتين (٧)، وما تعرض له العالم الإسلامي على يد المغول من تخريب ودمار وسفك للدماء، إلا أن "هولاكو" وأبناءه من بعده أسسوا دولة حاكمية أطلق عليها في التاريخ: الدولة الإيلخانية التابعة للخان الأعظم في عاصمته "قراقورم" بالصين، في عدة مناطق من "أذربيجان" و"فارس" و"خوزستان" و"ديار بكر" و"خراسان" و"بلاد الروم" (٨) وغيرها، حيث ارتبطوا بهذه البلاد التي توارثوا حكمها، وجعلوا تبريز (٩) عاصمةً لملكهم، ومن ثم تأثروا بالحضارة الإسلامية، وشيئاً فشيئاً اعتنقوا الإسلام، وتلاشت تدريجياً صنتهم بمغول الصين (١٠).

أولاً: نبذة عن مغول الإيلخانيان:

حكم مغول الإيلخانيان في "فارس" و"العراق" و"ديار بكر" عقب وفاة "هولاكوخان"، في الفترة ما بين سنة ٦٦٣هـ : ٧٥٦هـ / ١٢٦٤م : ١٣٥٥م، وتعاقب على حكمهم ستة عشر حاكماً،

(*) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة المنيا.

وتقتصر هذه الدراسة على دور ثماني أيلخانات منهم حتى عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، أي حتى نهاية عهد السلطان أبو سعيد خان، مركزاً على دورهم العسكري والحربي.
يعتبر أباخان أول حكام الإيلخانية في الفترة ما بين ٦٦٣هـ - ٦٨٠هـ / ١٢٦٤م، الذي سادته الأمراء وكبار القادة والذلة السيدة "دوقوزخاتون" حتى وصل للعرش. طبقاً لأحكام الياسا الجنكيزية^(١١). وفي عهده تحركت جيوش الإيلخانية في عدة اتجاهات، منها جيش الأمير "يشموت" أخو الإيلخان إلى "كربند"^(١٢)، ضد "توقاي" حاكمها، فسيطر "يشموت" على نواحيها وعلى "شروان" و"موغان" حتى حدود "التان"، كذلك سير الأمير "كوبسين" إلى "خراسان" و"مازندران" حتى ضفاف نهر "جبحون"^(١٣). كذلك خرج أباخان بنفسه، في سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، لمحاربة "براق" في بلاد ما وراء النهر، الذي أغار على "ختن"، رغباً في مهاجمة "منكو تيمور" - وهو أخ آخر للإيلخان - في "قايدو"، حيث أعد كميناً فافوق الهزيمة بجندهم وقتل وأسر الكثير منهم، ثم حصل على غنائم وافرة، إلا أن جيش أباخان انزل به الهزيمة وردة عن ما وراء النهر^(١٤).

وفيما تجدد الإشارة إليه: أن أباخان خرج بنفسه على رأس عدة حملات عسكرية، منها تجاه بلاد الروم، حيث فرض الجزية السنوية على أهلها وهي حوالي أربعمائة ألف دينار، وعزل سلطاتها "غياث الدين" - من سلاجقة الروم - وعين بدلاً منه ابنه "زكن الدين"^(١٥). هذا ومن أهم حملات أباخان العسكرية موقعة "ألمستين"^(١٦)، حيث التقى مع سلطان مصر المملوكي "الظاهر بيبرس"، والذي كان أمراء بلاد الروم، وعلى رأسهم الأمير "ابن الخطير" والأمير "معين الدين البرواناه" قد راسلوه للتصدي لجيش أباخان، الذي رغب في التوسع في داخل بلاد الشام، معزراً بجيش أخيه "منكو تيمور" والذي سار إلى حلب، وقد انتهت هذه المعركة بقتل أمراء بلاد الروم^(١٧)، وإنزال الهزيمة بجيش المغول، ففضل أباخان تجنب القتال مع المماليك، حتى يتفرغ لجهته "أرمينا" و"القبجاق"^(١٨)، وقد قيل إن القائد "منكو تيمور" مات كمداً، متأثراً بتلك الهزيمة التي حلت به في حلب^(١٩).

خلف الإيلخان أباخان على العرش أخاه "تكوادر" بن "هولاكو" فترة قصيرة، من ٦٨٠هـ - ٦٨٣هـ / ١٢٨٠ - ١٢٨٣م^(٢٠)، وذلك وفقاً لتعاليم الياسا الجنكيزية التي تنص قوانينها وشروطها على: أنه إذا مات الحاكم لا يجلس بدلاً منه إلا أكبر الأمراء سنأ^(٢١)، وهذا الشرط كان ينطبق على "تكوادر"، ولا ينطبق على "أرغون" بن أباخان. وقد واجه "تكوادر" عقبة أخرى في سبيله، لاعتلاء العرش، حيث إن مجلس "القوريلتاي"^(٢٢) اختلف في أمر تعيينه حاكماً على الإيلخانية، بسبب اعتناقه الدين الإسلامي^(٢٣)، وإطلاق اسم "أحمد" على نفسه^(٢٤).

لقد نتج عن دخول "أحمد تكوادر" الإسلام عدة نتائج من أهمها، عدم إرسال الخان الأعظم فرمان التولية له^(٢٥)، وكذلك خروج أحد الأمراء عليه ومحاربه، وبذلك اضطر "أحمد تكوادر" إلى تجريد جيش ضده بقيادة "النياق" نائبه، ثم اضطر للخروج بنفسه على رأس جيش قوامه أربعمائة ألف فارس تجاه خراسان، فأنزل الهزيمة به وأسر^(٢٦). ولابد أن نشير هنا إلى أن "أحمد تكوادر" قام ببذل الأموال والعطايا، وأغدق من أموال الخزائن على أخوته وأمرائه وقادة

جيوشه لكي يساندوه ، لدرجة أنه أطلق سراح 'أرغون' منافسه على العرش في محاولة منه لاستمالة^(٢٧).

ومن الطبيعي أن يبحث تكودار^{٢٨} عن حليف قوى يوازره ويقف إلى جانبه، لذا أرسل سفارة على رأسها الشيخ كمال الدين عبد الرحمن^(٢٨) إلى سلطان مصر 'المنصور قلاوون' تحمل رسالة يوضح فيها مدى حبه للدين الإسلامي^(٢٩)، إلا أن هذه السفارة لم تؤت ثمارها، نتيجة لأن مجلس القوريلتاي والجيش انقسم على نفسه، وتحالف عدد من القادة مع 'أرغون'، مثل الأمير 'قرنغرتاي' القائد على جيش بلاد الروم، والأمير 'اليناق' قائد جيش 'الكرجي' والأمير 'بوغا' والأمير 'طغاجار' الذين رغبوا في تسيير جيش ضد بلاد الشام والمماليك في مصر، وقد انتهى الموقف بقتل 'أحمد تكودار' وتولية الحكم ل'أرغون'^(٣٠).

واستمر حكم 'أرغون' حتى سنة ٦٩٠هـ/ سنة ١٢٩١م، وكان من المتوقع أن يرسل جيشاً لبلاد الشام، إلا أنه أرسل جيشاً تجاه جبال 'هكتار' بكرديستان، لقتال الأكراد الذين كانوا يقطعون الطرق ويثيرون الفتن، قوام هذا الجيش ستة عشر ألف فارس وعلى رأسه عدد من الأمراء منهم الأمير 'مازون' و'القوشجي' و'تورين'، كما تحرك 'أرغون' عندما وصلت الأخبار من خراسان بتقدم ثلاثين ألفاً من الفرس من جند 'قايد' ومقدمهم 'بيسون نويان'، وعبورهم 'البنجاب' ونهبهم جهات 'بلخ' و'مرو'، فصددهم 'أرغون' في سنة ٦٨٧هـ/ سنة ١٢٨٨م^(٣١). كذلك تصدى في ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م لتمرّد الجنود في ناحية 'دريند'، وقتل منهم ما يقرب من ثلاثمائة فارس وأسر عدداً آخر، والجدير بالذكر أن 'أرغون' لم تكن في عهده أي حملات خارج إيران، فلم يتقدم تجاه بلاد الشام التي كان المماليك فيها يهدفون إلى تصفية بقايا الصليبيين بالشام، وبذلك كانت الفتن الداخلية في الإيلخانية بمثابة معاول تعمل على إضعاف الدولة^(٣٢).

وفي ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م توفي 'أرغون' متأثراً بمرض ألم به، فتولى بدلاً منه العرش 'كيخاتو بن أباقا'، حتى عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م^(٣٣)، والذي عمل على تحسين أوضاع البلاد المالية عن طريق استبدال العملة الذهبية والفضية بالعملة الورقية المسماة 'الجاو'^(٣٤). ولابد أن نشير هنا إلى أنه في عهد 'كيخاتو' ظهرت عدة فتن داخلية، منها فتنة 'أفراسياب' حاكم 'لوستان' وثورة 'الطور'^(٣٥)، إلى جانب ثورة التركمان واليونان في بلاد الروم، لذا صمم 'كيخاتو' على الخروج بنفسه لمحاربتهم، فأسند شئون البلاد لثانيه المسمى 'شيكاتور نويان'، وزحف على بلاد الروم وقضى على الفتنة بمساعدة عنصر 'الكرج'^(٣٦).

وبرغم هذه الإنجازات، إلا أن أمراء الإيلخانيين تأمروا على 'كيخاتوخان' بسبب ضعف شخصيته، وانقياده لقائد جيشه الأمير 'طغار'، الذي أقنعه بالمسير لمحاربة الأمير 'غازان' في خراسان، ثم ما لبث أن تركه وانضم إلى صفوف معارضيه، وبذلك دارت الدائرة على 'كيخاتو' فتم قتله في ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م^(٣٧).

تعتبر فترة حكم 'غازان' الذي تولى الحكم سنة ٦٩٤هـ- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م، والذي اتخذ لنفسه اسم محمود، بعد اعتناقه للإسلام وإعلانه ديناً رسمياً للبلاد، من أهم الفترات التي ظهرت فيها التوسعات الخارجية، بعد ازدياد قوة الخلافة بينه وبين السلطان 'الناصر محمد بن قلاوون'، بسبب فرار العديد من المغول المؤيدين لسادس ملوك الإيلخانيين الأمير 'بايدو' من

إيران -ويقدر عددهم بعشرة آلاف فرد- إلى الديار المصرية، وترحيب سلطان مصر بهم، وإزالةهم في ساحل بلاد الشام، وإحضار رؤسائهم لاستقباله في مصر. فزحف "غازان" بنفسه على رأس ثلاث حملات حربية لغزو بلاد الشام، تمكن في الحملتين الأولى والثانية من الاستيلاء على عدة مدن، فالتصر في "مرج المروج" سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م^(٣٨).

وفي الحملة الثانية، سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، سار الأمير "قتلغ شاه" على مقدمة جيشه^(٣٩)، ثم تقدم "غازان" تجاه الفرات ومنها إلى حلب، ومن اللافت أن سلطان مصر لم يخرج بجيشه لصد الإيلخانيين، وقد قيل إنه خرج بجيشه حتى "حماء" دون أن يتم الاشتباك بين الطرفين^(٤٠). هذا وقد قيل إن السبب الرئيس في زحف "غازان" هو رغبته في التوسع^(٤١) أولاً، ثم استنجا بعض أمراء المماليك به، وهم "سيف الدين قبيق"، والأمير "قارس الدين البكي"، و"سيف الدين بكتمر السلحدار"، الذين زبنوا له مهمته لغزو الشام^(٤٢)، والذين كانوا على خلاف مع سلطان مصر، نتيجة لذلك فقد كافأ "غازان" الأمير "سيف الدين قبيق" بتعيينه حاكماً على المنطقة الشامية، ومن ثم عاد "غازان" إلى تبريز^(٤٣).

تجددت مسيرة "غازان" للمرة الثالثة على بلاد الشام، في ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، حيث زحف "قتلغ شاه" بجيش قوامه مائة ألف شخص، ومعهم أعوانهم من "الكرج والأرمن"، فخرج "الناصر محمد" من مصر، مصطحباً الخليفة "المستوفي بالله العباسي"، وتركز القتال في "مرج الصفر" على مقربة من حمص، فدارت الدائرة على "غازان" وجنوده، ففر قائد جيشه وغرق كثير من جنده، ومات آخرون في الصحراء من شدة الجوع والعطش^(٤٤)، وبذلك حلت الهزيمة بالإيلخانيين، وأصيب "غازان" بحالة من الوجوم، وأمر بمحاكمة قواد جيشه المهزومين، فأعدم منهم اثنين، وأمر بضرب اثنين آخرين، وهما "قتلغ شاه" و"جويان"، ضرياً مبرحاً^(٤٥)، وسرعان ما أصابته حالة نفسية سيئة مات على إثرها في ٧٠٣هـ/٧٣٠٣م^(٤٦).

خلف "غازان" في عرش الإيلخانية أخاه "أولجايتو بن أرغون"، الذي بويع بالعرش بحضور الأمراء والوزراء، إلا أن القائد العام للجيش "هرقداق" كان ميالاً إلى تولية الأمير "الأفرك بن كيخاتو"، ولكن "أولجايتو" تمكن من القضاء على معارضيه والوصول إلى الحكم، واستمر طوال الفترة ما بين ٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م^(٤٧).

اعتنق "أولجايتو" الإسلام على المذهب السني، وتسمى "محمد"، وشرع في بناء مدينة "السلطانية"، الذي خصص لها دخل بعض الولايات لصد نفقات البناء، حيث استمر العمل في بنائها حوالي عشر سنوات، حتى عام ٧١٣هـ/١٣١٣م^(٤٨).

أما عن نشاطه الحربي: فقد بدأ "أولجايتو" حياته العسكرية بغزو منطقة "جيلان" بأربعة جيوش إيلخانية، أجبرت أمرائها على دفع الجزية التي كانت عبارة عن كميات من منسوجات الحرير^(٤٩)، كذلك فتح في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م مدينة "هراة"، التي فرض عليها الحصار الشديد الذي أدى إلى ظهور مجاعة شديدة مع قلة الأقوات والأطعمة، فاستسلم أهلها، وبالتالي كان سقوطها فرصة كبيرة للإيلخانيين، حتى يتمكنوا من فرض سلطاتهم على إقليم خراسان ككل^(٥٠).

وبذلك فقد أظهر "محمد أولجايتو" نشاطاً عسكرياً كبيراً، وفتح عدة مناطق وأحمد أكبر تمرد في "هراة" ولكن محاولته فتح "مازندران" باءت بالإخفاق، بسبب سوء الأحوال الجوية وارتفاع

درجة الحرارة في المنطقة^(٥١)، كذلك جهاز حملة على بلاد الشام في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، بعد فرار عدد من أمرائها إليه، وعلى رأسهم الأمير "قراستقر" حاكم دمشق، فزين له مهاجمة بلاده، فتقدم إلى الموصل وحاصر الرجبة، إلا أن حاكمها رفض تسليمها إليه وأبلى بلاء حسناً في الوقوف في وجهه، ومن ثم أصدر الإيلخان أمره بفك الحصار والانسحاب إلى إيران^(٥٢).

تولى "أبو سعيد بهادرشاه" الحكم في خراسان ولياً للعهد، في سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، ولم يكن عمره يتعدى التاسعة، حيث أسند والده "أولجايتو" إلى الأمير "مونغ" الأتابكية عليه^(٥٣)، ولما توفي "أولجايتو" رفع إلى العرش، وقد تعرض في بداية حكمه إلى عدة ثورات، منها ثورة "الجغتايون" في خراسان الذين تقدموا إلى "مازندران"، وكذلك لغتنة "أوزبك خان" ملك صحراء "القبجاق" الذي تقدم إلى "أران" و"أذربيجان" على رأس جيش كبير، هذا إلى جانب هجوم جيش مصر على حدود ديار بكر^(٥٤)، ولكن "أبو سعيد" بمساندة أتابكه تمكن من القضاء على تلك الفتن والثورات. كما تمكن، في سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، من الدخول في مفاوضات صلح وعلاقات طيبة مع "الناصر محمد بن قلاوون"، نتج عنها عقد معاهدة صداقة وود بين الدولتين^(٥٥).

دخلت الدولة الإيلخانية في فترة ضعف عقب وفاة "أبو سعيد"، وتولى حكمها عدد من الإيلخانات، منهم "موسى خان" حفيد "بايدو"، الذي اتجه بجيش تجاه إقليم أذربيجان، وألحق الهزيمة بـ"أريخان" ووزيره "غيث الدين محمد"، وقتله سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م^(٥٦). ونتيجة لضعف حكام الإيلخانية، فقد استطاع الأمير "حسن كوجاك" بن "جويان" من تأسيس الدولة "الجلانرية" في حدود سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، والقضاء على آخر الإيلخانات وهو "أوشيرين العادل"^(٥٧).

ARCHIVE

http://Archive:التنظيمات العسكرية في الدولة الإيلخانية

اعتمد الإيلخانيون على العديد من التنظيمات العسكرية في الحروب والقتال، فالفترة التي حكم فيها الإيلخانات إيران تعد من أخطر فترات تاريخها، وأكثرها اضطراباً، وأشدّها فتناً وإيلاماً بالنسبة لشعبها، نتيجة لما ارتكبه المغول من مجازر ومذابح وتدمير، ولم يوقفهم عند حددهم إلا دخولهم الإسلام، الذي هذب نفوسهم فتركوا قوانينهم وعاداتهم المغولية. واتبعوا الشريعة الإسلامية، وهي الفترة الثانية من حكمهم، والتي تبدأ من عهد "غازان" إلى نهاية دولتهم^(٥٨). ومن أهم هذه التنظيمات العسكرية :

١- اعتماد المغول على العامل النفسي والتعبئة الروحية لجنودهم:

اعتمد الإيلخانات على العامل النفسي في تسيير جنودهم للقتال، فحرصوا على زيارة المنجمين في محل إقامتهم، وأخذ رأيهم في نتيجة الحرب، ثم نشرها بين الجنود والقادة، فقد كانوا لا يعنون الجيوش أو يدخلون حرباً إلا بعد الرجوع إلى كهنة البوذيين، والأخذ بموافقتهم، فبلى جانب الاستعداد المادى للحرب، كان هناك التعبئة الروحية، وهي ضرورة لازمة لكسب الحرب، لأنها تعنى بالشعور وتقوى العزيمة وتمد المحاربين بالقوة المعنوية، وتعلمهم الصبر والثبات وتهون عليهم الصعاب^(٥٩). كذلك لجأ بعض حكامهم إلى الاعتقاد في السحر والشعوذة والنجوم،

فقد كان أرغون خان، مثل أغلب سلاطين المغول الأوائل، يعتمد عليهم في تحركاته، ووصل القائمون على تلك الأمور إلى منزلة كبيرة في الدولة^(١٠).

أما في عهد إيلخانات المسلمين، فإن روح الإسلام طغت عليهم، فكانوا يؤدون ركعتين قبل بدأ المعركة مثلما حدث في سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، عندما سار "غازان خان" إلى مدينة حمص بالشام، حيث صلي "غازان" مع جميع رجالات جيشه ركعتين، ثم ركب وواجه السلطان "الناصر محمد بن قلاوون" بما جمع له من الجنود والقادة^(١١)، وذلك تقرباً لله تعالى، طالبين النصر والتأييد منه تعالى.

هذا التغيير في الفكر العسكري ظهر بصورة واضحة كذلك في عهد 'محمد أولجايتو'، الذي حاول كسب وتأييد الأهالي عن طريق الاختلاط بالرموز الصوفية، فنراه يكرم مولانا قطب الدين الشيرازي، ويجالس 'سیدی سيف الدين علی الرفاعي'، ويطلب منه التأييد الروحي لجيشه وتجهيزاته العسكرية^(١٢).

٢ - الاهتمام بوضع قواعد وقوانين تحكم العمليات العسكرية للجيش :

ومن أهم التنظيمات العسكرية في دولتهم أن يخرج الجنود والقادة بحسب تقاليد وقواعد منظمة مرعية فيما بينهم، مشابهة لترتيبات رحلات الصيد الجماعي وقنص الفريسة، وكان لهذا قواعد وشروط موجودة في الياسا الجنكزية، فقد كانوا يقومون بتحريك ألف شخص، طبقاً لقواعد الحرب نفسها، من ميمنة وميسرة وقلب، وإذا فلتت فريسة أجريت التحقيقات، وكانوا يعتبرون ذلك من الواجبات، وقد يقتل المتسبب في فشل ذلك^(١٣). وفي حقيقة الأمر فإن الإيلخانيين اهتموا اهتماماً كبيراً بتعليم صغار الأمراء فنون الفروسية والصيد، لكي يأهلهم بقيادة جيوش دولتهم^(١٤).

لقد جرت العادة على تعبئة الجيوش وإعدادها إعداداً دقيقاً، من حيث استدعاء آلاف الجنود المدربين على استخدام أدوات الحرب والقتال، مثل المنجنيق وقاذفات النفط والسهام، وتجهيز الأعداد الغفيرة من الجنود حتى تشاع الرهبة والرعب منهم.

أما في حالة تفهقر الجيش، أو فرار الجنود والقادة، فكان يعقد مجلس أعلى لمحاكمة القائد العام للجيش والقواد الفارين، يتم في هذه المحاكمة سماع أقوالهم ومعاقبتهم بقدر جرمهم، مما يترتب عليه خشية الجنود والقادة محاولة الفرار أو التفهقر من ساحة القتال، مثلما حدث في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م، عندما عقدت محاكمة للقائد 'قتلغ شاه' والأمير 'جويان' وغيرهما من القادة، الذين فروا من موقعة 'مرج الصفر' في عهد الإيلخان 'غازان'، وقد ترتب على هذه المحاكمة أن استمر الاستجواب يومين كاملين، وأعدم اثنين من القادة، وحكم على كل من 'مولاي' و'قتلغ شاه' و'جويان' بالضرب المهين بالهراوات دون أدنى شفقة أو رحمة^(١٥).

وهكذا كانت عادة الإيلخانات هي: عقد مجالس لمنافشة أي أخطاء في أثناء القتال ومحاسبة المقصر، وبالتالي مكافأة المنتصر والفائز^(١٦).

٣ - قيادة الجيوش :

اهتم الإيلخانيون بقيادة جيوشهم، واختيار الأمراء بعناية كبيرة، فقد كان تعيين قيادة الجيش يتم بواسطة الإيلخان نفسه، فهو صاحب الحق الأول والأخير في اختيار القادة

وترشيحهم لمهامهم، وكانت شارات القيادة والإمارة هي البوق والعلم والبطل، حيث تقرر الطبول على يابه صباحاً ومساءً، بالإضافة إلى أن هناك عدداً من الحراس على يابه^(٧٦).

لقد اهتم الإيلخانيون بتلك القيادة التي هيمنت على مقدرات الجنود وتحركاتهم، والتي عملت على خلق جيوش قوية تحمل الولاء التام لحكامها، والتي تنزل الرهبة في قلوب الأعداء، وتدل على مقدرة فذة في فن تنظيم الرجال ودعم قوتهم بالعتاد والسلاح، والسيطرة النفسية على جنودهم، فكانت حياة الجندي هي المسيطرة على مقاليد الأمور، لدرجة إطلاق المقولات التي تشير إلى أن جيش المغول قوة لا تقهر.

جرت عادة القيادة العامة للجيوش الإيلخانية أن تركز السلطة في الجيش، في أغلب الأحيان، في يد الأسرة الإيلخانية نفسها، فقد تولى معظمهم قيادة الجيوش بأنفسهم، حيث اعتبر القائد الأعلى للجيش والمحرك الأول له، وفي هذه الحالة يكون موضعه في القلب. وللحقيقة فقد قاد "أباقاخان" جيشه ضد بلاد الروم، واستطاع أن يفرض الجزية السنوية عليهم^(٧٨). وفي عهد "كيخاتوخان" خرجت الجيوش، وعلى رأسها الإيلخان، للتصدي لفتنة "أفراسياب" حاكم "لوسستان" وثورة "الور"، وفتنة التركمان واليونان في بلاد الروم، والذي استطاع أن يتصدى للفتن ويقضى على الثائرين، وذلك في سنة ٦٩٠هـ/١٣٩٠م^(٧٩). كذلك خرج "غازان" على رأس جيوشه في ثلاث حملات على الشام، ضد دولة المماليك في عهد "الناصر محمد"، انتصر في حملتين سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، وسنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، وهزم في الحملة الأخيرة في "مرج الصفر" سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م^(٨٠). حيث تأثر بما حل بجيوشه فمات "غازان" متأثراً بتلك الهزيمة^(٨١).

هذا وقد أظهر "أولجايتو" نشاطاً حريياً كبيراً يفتح منطقة "جيلان" وسيطرته عليها، ونجح "أولجايتو" في فتح مدينة "هراة"، إلا أنه أخفق في حملته على بلاد الشام، ومحاصرتها للربحية، فاضطر للعودة إلى عاصمته من جديد^(٨٢).

أما في عهد السلطان "أبي سعيد" والذي قاد عدة حروب، وكان على رأس جيوشه وفي قلب تشكيل الجيش، فقد خرج بجيشه ضد ديار بكر وحكامها، وأبدى الإيلخان صموداً منقطع النظير، حتى لقب "ببهادرخان" - أي الخان البطل - هذا اللقب الذي أصبح من الألقاب المحببة إليه، لدرجة أنه أمر بكتابه في الفرمات والمراسيم الرسمية التي تصدر عن دولته^(٨٣)، تشبهاً بجده "جنكيزخان" الذي كان يحمل لقب ملك العالم أو فاتح العالم^(٨٤).

ومن البديهي ألا يفهم من كلامي السابق أن قيادة الجيوش قاصرة على الإيلخان فقط، فإن قيادة الجيوش أيضاً كانت بيد أمراء "الألواس"، وهم أربعة أكبرهم برتبة "البيكلاوى بك" وإليه أمر قيادة الجيوش، ثم يليه أمراء "الألواس" الثلاثة ويقال لكل منهم "النوين"، وهو أمير عشرة آلاف ويعبر عنه بأمير "التومان"، ثم هناك أمير ألف، فأمر مائة، وأخيراً أمير عشرة^(٨٥).

ومن أهم قيادات الجيوش القائد العام للجيش، أو ما يطلق عليه لقب أمير الأمراء، ومن أبرز من تولوا هذا المنصب الأمير "يشموت" والأمير "منكوتيمور" - أخوان "أباقاخان"^(٨٦)، كذلك نرى القائد "قرغرتاي"، في عهد "أرغون"، يعتبر من أمراء "الألواس"^(٨٧). أما في عهد "غازان" فهناك الأمير "قتغ شاه" القائد العام للجيوش الذي كان مقره في العاصمة تبريز، وعليه شئون الجيوش وتجهيزهم بالأسلحة ونفقاتهم، ثم أسند "غازان" منصب أمير الأمراء والإشراف العام على

الجيش للقائد حاجي نوزيك^(٧٨)، كذلك كان الأمير "جويان" في عهد "أولجايتو"، هذا إلى جانب قائد عام الجيوش في عهده الأمير "هرقداق"^(٧٩).

ولابد أن نشير إلى أن الجيوش الإيلخانية كان لها قواد صغار يتبعون القائد العام لهذه الجيوش، وذلك من منطلق أن جيوشهم كانت تقسم إلى ميمنة وميسرة وقلب، لذا كان لكل قسم من هذه الأقسام قائد يرأسها، ويتعاون الجميع في تنفيذ الخطة العسكرية بإشراف وتوجيه القائد العام، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٣٧٥م، خرج الجيش في عهد "أباقاخان" إلى بلاد الشام متجهاً إلى منطقة "أيلستان"، وذلك في جيش جرار عليه عدة أمراء، مثل "طوقرين إيلكاي نويان"، والأمير "كرغتو" وتودان بن سودوم"، ومع كل واحد منهم جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل^(٨٠).

وفي ختام كلامنا عن قيادة الجيوش؛ لابد أن نشير إلى أن الجيش لا يبقى عاطلاً في أوقات السلم، بل يعمل في ميادين الصيد^(٨١)، الذي خصص له مبالغ كبيرة لتربية وتدريب فهود وكلاب الصيد، فالصيد فرصة كبيرة لتدريب الجنود، وتعويدهم على الخشونة، وتوفير الطعام من صيدهم للجنود، وكذلك يعتبر ترفيحاً للقادة.

٤- التنظيمات المتبعة في تحرك الجيوش لساحات القتال:

من الثابت تاريخياً أن المغول، بعد أن ثبتوا حكمهم في إيران وغيرها من البلدان بأساليبهم الإرهابية، ركبهم الغرور والطمرة، ونظروا إلى غير بنى جنسهم على أنهم أقل منهم، وأنهم السادة والصفوة وما دونهم خاضعين لسيادتهم^(٨٢)، وعلى الرغم من ذلك: فإلهم اتبعوا نظاماً واحداً في تحريك جيوشهم في ساحات القتال، وكانت أولى خطواتهم التنظيمية هي: إرسال قوة صغيرة لا تتجاوز ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف، كقوة طليعية استطلاعية على رأسها قائد، إلى الجهة التي يرغبون في اقتحامها. هذه القوة الاستطلاعية لها عدة مهام رئيسية من أهمها: استطلاع الطرق والمساكن، وجمع أسرار وأخبار الجنود وتبليغها للقيادة الرئيسية في جيوشهم، وكشف بعض نقاط الضعف وعورات الجيش المعادي، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، قاد الأمير "كراي" قوة استطلاعية من ثلاثة آلاف فارس مجهزين تجاه بلاد الشام، فتصدى لهم حاكم دمشق الأمير "سنقر الأشقر"، وذلك في عهد "أباقاخان"^(٨٣).

كما جرت العادة في عهد "غازان"، على إخراج قوة استطلاعية أمام جيوشه، مثل ما حدث في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، عندما أرسل قوة طليعية بقيادة "قتلغ شاه"، فعبر نهر الفرات، ووصل إلى حلب، ثم تجاوز حماه، ونزل بمحاذاة مدينة "السامية"^(٨٤).

لم تكن القوة الاستطلاعية يقتصر خروجها على الحملات الخارجية، فقد كانت أيضاً تخرج في الفتن والثورات الداخلية في الدولة، ففي سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، في أثناء فتنة الأمير توروز^(٨٥)، سير "غازان" قوة استطلاعية على رأسها الأمير "قبرتو" لاستطلاع الأخبار، فعادوا بأخبار مهمة هي زحف توروز على رأس جيش كبير تجاه العاصمة "تبريز"، مما أدى إلى قضاء جيش غازان عليه وقتله^(٨٦).

كذلك أنقذت القوة الاستطلاعية جيش "أرغون خان" من الهزيمة المحققة، لوصول الأخبار عن طريق الطليعة بأن الأمير "إلنق" الناصر على الإيلخان؛ قد سار من "موغان" إلى

الرى وقزوين وخراسان، وبذلك حشد أرغون جيشه، وأسرع إلى هذه المناطق، وتصدى لهذا الثائر، وانتصر عليه، وذلك في صفر سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م^(٨٧).

ومن أهم التنظيمات العسكرية لدى الإيلخانيين: تقسيم جيوشهم في ساحة القتال إلى عدة أقسام وهي الميمنة والميسرة والقلب، والقلب يعتبر من أهم أقسام الجيش، يكون فيه الإيلخان في الغالب، أو على رأسه القائد العام للجيش. وقد أشار معظم المؤرخين الذين تحدثوا عن حروب الإيلخانيين إلى هذا التقسيم، ففي حرب "أباخان" ضد الأمير "براق"، جعل الخان ميمنة جيشه إلى الأمير "تيشين أغول"، وكان معه للمساعدة الأمير "سماغار" والأمير "هندويان"، وعلى الميسرة أخيه "شموث"، ومعه للمساعدة الأمير "سونتاي" والأمير "أرغون آقا"، أما القلب فقد أسند إلى القائد العام "أيتاي نويان"^(٨٨)، شريطة أن تقوم تلك التقسيمات كلها بمهاجمة قوات العدو في وقت واحد، مما يؤدي إلى تشتيت انتباه قوات العدو وعدم تركيزها في جبهة واحدة.

صار تقسيم الجيوش الزاحفة على أعداء الإيلخانية سمة من سمات الجيش، وتنظيمها عسكرياً لا بد من اتباعه في معظم حروبهم، سواء تم لهم النصر أو عكس ذلك، ففي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م قسم "غازان خان" جيوشه على نفس الطريقة. ووضع "قتلغ شاه" و"مولاي" على ميمنة جيشه، و"كروغا بهادر" ويسانده أربعة قادة آخرين على الميسرة، وفي القلب كان الإيلخان بنفسه يسانده الأمير "جويان"^(٨٩)، وهو نفس النظام الذي اتبعه الإيلخان في موقعه "مرج الصفر"، وزحف بخمسين ألف مقاتل، وأسندت قيادة الجيوش لعدد من القادة الكبار، مثل "قتلغ شاه" والأمير "جويان"، و"مولاي"، والأمير "تيبان" و"سونتاي"، وبرغم هذه التنظيمات العسكرية، وتقسيم الجيش على النحو السابق المتبع في تنظيمات الإيلخانات، فإن هذا لم ينقذ الموقف وحلت الهزيمة بالقوات، وسقط عدد كبير منهم أسرى، فدرعدهم بحوالى عشرة آلاف جندي^(٩٠).

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

٥- نظام تعبئة الجيوش وتجهيزها بالعتاد:

اتبع الإيلخانيون نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز قواتهم، وفق الظروف التي خلقتها هزيمتهم في عين جالوت^(٩١)، من منطلق الحفاظ على جنودهم وعدم تعرضهم لأية هزيمة جديدة، خاصة وأن هؤلاء الجنود امتازوا بالشجاعة في القتال وأنهم لا يفرون أبداً من ساحة الوعى^(٩٢)، ومن المعروف عنهم أنه إذا سقط منهم أحد في الأسر، إنما يعمل بكل الوسائل على قتل نفسه أو التخلص من أسره بأية طريقة كانت، مع انتشار مقولة مؤداها: أن الجيش المغولي لا يقهر.

هذا وقد كان ضبط الجيش وتنظيمه كما نصت عليه قواعد الياسا الجنكيزية بأن على الأمير أو القائد أن لا يتردد إلى باب أمير آخر، ولا يغير المكان المخصص له، وأن يقوم الجنود بعرض آلاتهم الحربية على أمرائهم كاملة عند التحرك إلى القتال، وكان على الجندي أن يطيع قائده طاعة عمياء، وإذا أخطأ أحد الأمراء فإن عليه أن يسلم نفسه لرسول الإيلخان، حتى لو كان من أخس وأحقر الناس، وأن يلقي نفسه بين يديه ذليلاً، ليأخذه بموجب خطانه، ولو كان فيه القتل^(٩٣).

ومن هذا المنطلق فإن "أياقخان"، بمجرد أن خلف والده "هولاكو" على العرش، يبادر إلى العمل على إعادة سمعة المغول الحربية إلى سابق عهدها، فمبار على سياسة مناوأة المعاليك ومصادقة الصليبيين، ومحاولة التوسع في بلاد الشام^(١١٠)، وفي بداية عهده نجح في إنزال الهزيمة بجيوش "مغول القبايق" بقيادة "بركة خان بن جوجي"، و"مغول التركستان" بقيادة "براق خان"^(١١١)، فتتظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وعلى القائد المحنك أن يضع في فكره عامل الوقت، وعدم القتال في جبهتين في آن واحد، والقضاء على الفتنة في مهبدا. وفي حقيقة الأمر فإن نظام تعبئة الجيش يتم بتقديم لواء الأحمال الثقيلة وخيام الغلمان والأطفال والنساء، ويعرف هذا باسم "عزوق"، وإقامة منازل للقوافل لإمداد الجيوش بالغلف والطعام والشراب^(١١٢)، وكانت تصدر الأوامر من الإيلخان بتعبئة الجيش، ويسند هذا الأمر إلى أمير الإشراف، الذي يشرع في إصدار أوامره للجند بنقل الغلال من المخازن، التي يأكلون منها في أثناء تنقلاتهم ويطعمون ذويهم، ولابد أن تكون تلك الغلال كثيرة وكافية قدر الإمكان^(١١٣).

هذا عكس ما كان متبعاً مع المقاتل المغولي قديماً، الذي كان يحمل كل ما يحتاجه أثناء الحرب، فيحمل آلات لشحن رماحه، ويحمل الإبرة والخيوط لاستعمالها عند الحاجة، ولا يأخذ معه من المؤن إلا قرياً من اللبن وأنية من الفخار، ليطهي فيها طعامه، وخيمة صغيرة وآلة لحفر الأرض، وكيساً من الجلد يحمل فيه ملابسه، ويستعمله في عبور الأنهار^(١١٤).

ولم يكن لرواتب الجنود وقواد الجيش نظام ثابت قبل عهد "غازان خان"، فقد كان بعض القادة يحصلون على كمية محددة من الغلال، فحدد "غازان" رواتب للجنود يزيد معدلها سنوياً، وقد أصدر مرسوماً بتحديد إقطاعات للجنود أطلق عليها اسم: "الباسا الغازانية"^(١١٥) على غرار الباسا الجنكيزية.

ومن أهم التنظيمات التي اعتمدتها الإيلخانات: نظام استعراض الجنود والاطمنان على معداتهم وأسلحتهم ولوازمهم، حيث كان الإيلخان يقوم بمهمة استعراض الجنود بنفسه، كذلك الاهتمام باستعداداتهم العسكرية، وخاصة قبل المسير إلى ساحة القتال، فعلى سبيل المثال: كان غازان يستعرض جنوده بنفسه قبل المسير للقتال في حربه على بلاد الشام^(١١٦)، وذلك حتى لا يقصر أحد في أمر من أمور الجيش.

كذلك أقاموا على ديوان الجند رئيساً أطلق عليه اسم: العارض أو رئيس ديوان العرض^(١١٧)، المختص بشئون الجيش ونفقاته، وجميع فرقته وإمداداته، وأشهر من عمل في هذا المنصب "ضياء الملك" في عهد "غازان"^(١١٨). ومن هنا نستنتج أن من أهم مهام العارض: استعراض الجنود في الميادين قبل الخروج للقتال، وفي المناسبات العامة، والاطمنان على حالة الجند واستعداداتهم العسكرية، وصرف أرزاقهم، فقد بسط "غازان" يديه وأغدى على القواد في خمسة عشر يوماً ثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، وعشرين ألف خنعة، وخمسين منطقة مرصعة، وثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، كذلك أمر بتعيين الكتاب والفرق، وكتابة أسماء الجنود وربطهم في السجل، وهم مطالبون بالعرض في كل شهر، لتفقد عتادهم وعددهم من فرسان ومشاة، بموجب الضبط والقانون^(١١٩).

كذلك عمل "أرغون" على إحضار الأموال من عاصمته، وقسمها على الجنود، حتى تستقر الأوضاع ويأخذ الجنود أرزاقهم^(١٠١). وقد اهتم الإيلخانيون اهتماماً كبيراً بمخصصات الجنود ورواتبهم، وخبر دليل على ذلك أن "أحمد تكودار" أمر بفتح الخزائن، وقسمها على الخواتين - نساء القصر - والأمراء وقادة الجيوش، وأعطى كل واحد منهم مائة وعشرين ديناراً^(١٠٢)، كذلك قام "أبو سعيد"، وهو حاكم على خراسان، بمطالبة "أولجايتو" بإرسال الأموال لدفع مرتبات الجند^(١٠٣).

والخلاصة: أنه كان هناك فرق كبير بين المغول في عهدهم الأول في معاملتهم لجنودهم، لدرجة أنه كان لا بد من إبقاء الجنود في حالة من الفقر والاحتياج حتى يحرصوا على النصر، وبين عهد الإيلخانيين، الذين اهتموا بتنظيم الاتفاق على الجنود، وإقطاعهم الإقطاعات في المدن والقرى.

ثالثاً : الخطط الحربية:

بعد التخطيط الحربي الجديد مفتاح النصر في المعارك، وعلى القيادة المحنكة أن تضع نصب عينيها أن يكون هناك عدد من الخطط التي تسير عليها في تحريك جيوشهم، فمن مبادئ الفكر العسكري للمغول: عدم تغيير الفكر التخطيطي لهم في حروبهم، فكان التهديد والوعيد من أساليبهم، ومن وسائلهم العمل على جذب عناصر من البلاد الراغبين في غزوها إلى صفوفهم، من أمثال الأمير "منقر الأشقر" حاكم دمشق^(١٠٤)، الذي سهلوا له مهمة الفرار إلى عاصمة الإيلخانيين تبريز^(١٠٥) والاستقرار بها، لكي يفشي أسرار الجيوش المملوكية والأوضاع السياسية في الشام ومصر، وذلك في عهد "أبا قاخان".

أما في عهد "غازان" فقد تمت الخطة نفسها بأن رجب الإيلخان بالأمراء الفارين من بلاد الشام في عهد السلطان "الناصر محمد" إلى سلطنته، وهم الأمير "سيف الدين قبيج"، والأمير "قارس الدين اليكسى" والأمير "سيف الدين بكتمر السلحدار"^(١٠٦). وقد نتج عن ذلك انتصار "غازان" في موقعه "مرج المروج" في سنة ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م^(١٠٧).

هذا وفي محرم سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م، فر الأمير "شمس الدين قراسنقر" نائب السطة بحلب إلى الإيلخانية، ولحق به كل من الأمير "جمال الدين أقوش الأقرم الدوادري" نائب طرابلس إلى "أولجايتو" ملك الإيلخانية، فأكرمهم ورفع من قدرهم، وقد استمرا هناك حتى وفاتهم^(١٠٨). ومن البديهي أن تشير إلى استمرار الإيلخانيين، في نهاية عهدهم في عهد "أبي سعيد"، على نفس النهج والخطط الحربية، وهي جذب العناصر الناقصة على أعدائهم المماليك في مصر والشام، فترى في معاهدة الصلح التي تمت بين الإيلخان و"الناصر محمد" أن أحد شروط المعاهدة تشير إلى أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم "قراسنقر"^(١٠٩) الفار، وألا يكلف الفداوية الإسماعيلية بأي مهام في ممالك الإيلخانية^(١١٠).

لقد كان دأب المغول استخلاص بعض العناصر الناقصة على الحكم في بلادها، للاطلاع منها على أسرار الجيوش، ولم يظهر هذا في حريهم ضد المماليك فقط، بل في حرب "أبا قا" مع الأمير "براق خان" حاكم ما وراء النهر، في سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م، وذلك بأن استعان "أبا قاخان"

برجل هندي لكي يدلهم على أسهل الطرق لعبور نهر "جيحون"، وتوصيهم إلى حاضرة "براق" في ضواحي "كبودجامة"، وبالتالي أكرمه "أباقا" ومنحه لقب ترخان^(١١٦).

ومن خططهم الحرية: إرسال وفد من الرسل محملين برسائل تحمل التهديد والوعيد للبلدان الراغبين في حريها، حيث تعتبر الرسائل من أنظمة جيوش المغول التي اتبعوها في حروبهم، فعندما عزم "أباقا" على المسير إلى بلاد الشام. أرسل رسولا إلى الظاهر بيبرس حاملا رسالة على سبيل التهديد والتخويف فيها: أن جيوشنا مستعدة لقتالك..... وإذا امتدت أيدينا في الشام، فإنها بلا ريب سوف تأتي على كل ما لكم فيها... لأن الله قد وهب جنكيزخان وذريته بلاد العالم^(١١٧)، ويضيف فؤاد الصياد^(١١٨) إلى هذا الخطاب أنه ذكر: "وأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت منا..."، واتهمه بأنه عبد مملوك، مما يدل على احتقاره والتقليل من قدره.

كذلك عمل "أرغون خان" على إرسال الرسائل والسفارات إلى الغرب الأوربي والبابا "هرنوريوس الرابع"، لخلق تحالف مع الغرب لدرء خطر المسلمين المماليك، يقترح فيها على البابا توجيه حملة مشتركة لغتال المماليك، قائلا: "إذ تقع بلاد الشام بيننا وبينكم فسوف نطوقهما"^(١١٩)، إلا أن هذه الرسائل لم تسفر عن شيء ذي بال، وبذلك أخفق "أرغون" في تحقيق آماله في غزو الشام وضمها إلى ممتلكاته.

وعلى نفس النمط أرسل "غازان خان" رسله إلى السلطان "الناصر محمد" قبل خروجه بحملته على بلاد الشام، وقد تلقى الإيلخان الرد، وكانت رسالة "غازان" تحمل التهديد والوعيد، وأنه أولى برعاية الإسلام والمسلمين من "الناصر محمد"، ولكن سلطان المماليك رفض التبعية، ولم يجب على طلبات الإيلخان بذكر اسمه في الخطبة والدعاء له على منابر المساجد^(١٢٠)، وبذلك لم تحقق رسائله وسفارته هدفها ولم تسفر عن شيء اللهم إلا تبادل التهم والتراشق بالألفاظ والتهديد والوعيد.

وقد سار الإيلخانيون على نفس سياستهم في حريمهم ضد حاكم "هراة" الملك "فخر الدين" في عهد "أولجايتو"، حيث أرسل قائده العام على الجيوش "دانشمند بهادر" سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، برسالة بها تهديد ووعيد يطالب فيها بالإسراع إلى تبعية مطالب الإيلخان، والدخول تحت طاعته، والا فسوف ينتزع منه الملك والحكم قهراً وقسراً بناء على أوامر "أولجايتو"^(١٢١). ومن أهم الخطط الحرية المستخدمة في الإيلخانية: اكتشاف كل صغيرة وكبيرة عن تحركات أعدائهم وكشف نقاط ضعفهم ومراكز قوتهم، وهي استخدام التجسس والجواسيس، التي وضعت قواعد متعددة لنظامهم، والتي لم يحد عنها المغول طوال فترة حكمهم، وكان من أهمها الأمر بقتل الجاسوس الذي يفشل في مهمته، وإجزال الهبات والعطايا للجاسوس النشط لتحفيزه على النجاح في أعماله ومهامه، فقد أرسل "أباقاخان" في سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م جاسوساً هو "قيرتو بهادر" للاستطلاع والتجسس على الأمير "براق خان"، فلم يستطع الاقترب من خطوط العدو، وبالتالي تم القضاء عليه، وأرسل الإيلخان جاسوساً ثانياً هو "تويجاق بهادر" ويساندته الأمير "تيكاي بهادر" مع مائة فارس، فعادوا وقد شرحوا الأحوال التي كان عليها أمور العدو^(١٢٢).

وفي حقيقة الأمر فإن المغول درجوا على إرسال جواسيسهم إلى بلاد العدو، فيجمعون لهم الأخبار من هنا وهناك، ويستقصون حالة الجيوش والحصون، ثم يعيدون بهذه المعلومات فيقطعون عليها القادة^(١٢٠)، لقد أرسل "أرغون" سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م جواسيس إلى منطقة هكتار في كردستان قبل الخروج إليها، لذا عاد الجواسيس يحملون أخباراً بأن جنود الملك "قيغو" يبلاد ما وراء النهر تعدادها ثلاثين ألفاً^(١٢١)، وبذلك كانت مهمة القائد "طغاجار" سهلة وحقق النصر عليهم.

لقد اشتهر عن "غازان خان" أنه كان يحث قواده على إرسال الجواسيس والأئمة والعارفين بالدروب قبل التحرك، مع بذل كل الجهد للحفاظ على النظام والانضباط في جيشه^(١٢٢)، ولم يكن استخدام الجواسيس قاصراً على حروبهم الخارجية، بل تعداه إلى استخدامهم ضد الأمراء وأفراد الأسرة نفسها، فنرى "غازان" يوعز إلى "صدرجهان"^(١٢٣) بإرسال جاسوس من قبله إلى الأمير "طغاجار" لكي يحاول الإيعاز له بضمه إلى صفوف "غازان"، وترك مساندة "بايدو خان"^(١٢٤).

وفي عهد "ألباقخان" قدم عليه جاسوس هو "مسعود بن محمود يلواج" -الذي كان حاكماً إدارياً في بلاد ما وراء النهر- من قبل الأمير "براق" ملك "أولواس جقتاي" على هيئة سفير، وكانت مهمته في الظاهر توطيد أواصر الصداقة بين العاهلين، ولكن في الباطن التجسس على تعداد الجيوش وجمع المعلومات، ومن ثم اكتشف "ألباق" أمره، ولكن بعد أن عاد إلى بلاده^(١٢٥).

ومن عادة الإيلخانيين استغلال الجواسيس المرسلين إلى بلادهم في عمل عكسي لصالحهم، ففي سنة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م، عندما علم "ألباق" بوجود ثلاثة جواسيس في بلاده^(١٢٦)، أمر باعتقالهم ثم استجوبهم، وأمر يقتل اثنين منهم، وأطلق الثالث لكي يحمل الأخبار التي يريد توصيلها إلى عدوه، وهي أخبار غير صحيحة، ومن الملاحظ أنه بمجرد وصول الجاسوس إلى الأمير "براق" أعلن قولته: "أن عندهم الكثير من الأسلحة والدواب، ولكن ليس في الأمراء والقادة شجاعة أو قوة"، وبذلك اتخذ "براق" بهذه المعلومات واستبشر بالنصر، فنزلت به الهزيمة^(١٢٧).

وفي حقيقة الأمر؛ فإن سقوط جاسوس تابع للإيلخانية في يد أعدائهم كان يترتب عليه قتله فوراً، ففي أثناء حملة غازان الثالثة على الشام قبض على رجل من أمراء حلب جنّده المغول للعمل لحسابهم، فقبض عليه، وأمر السلطان "الناصر محمد" بتسميره على خشبة والطواف به على حمل في مدينة دمشق وضواحيها، جزاء ما قدمه من التجسس على بلاده^(١٢٨).

كذلك يعتبر من أهم الخطط الحربية للمغول اهتمامهم بالحرس الخاص، ذلك الحرس الذي أُنشئ في عهد "جنكيز خان"، وأطلق على أفرادهِ اسم "كشيكي"^(١٢٩)، وهم عبارة عن ثمانين حارساً لحراسته بالليل، وسبعين لحراسته بالنهار، بالإضافة إلى فرقة من صفوة المقاتلين عددها ألف أطلق على كل منهم اسم "بهادر" وتعني المبارز الشجاع، عُيّن من طلائع حرس الجيش المغولي، وهؤلاء الحرس لم يدينوا بطاعة إلا طاعة أوامر الحاكم، وتوفر تحت أيديهم جنود يطيعون أوامرهم طاعة عمياء، وينفذونها تنفيذ الآلة لأمر صاحبها^(١٣٠).

استمر اعتماد الإيلخانيين على فرقة الحرس في تسيير شئون الحراسة الخاصة بالمنشآت الحيوية، مثل السدود والخنادق، مثلما أمر "ألباقخان" بعض حرسه بحماية

الخداني^(١٢١). ومن مهامهم أيضاً مراقبة المقبوض عليهم والشائرين على الإيلخان، مثلما حدث مع الأمير "أرغون"، عندما وضعت عليه حراسة مشددة مقدارها أربعة آلاف جندي لحراسة خيمته، حتى لا يستطيع الفرار من سجنه، وذلك في عهد "أحمد تكودار"^(١٢٢).

عمل "غازان" على رفع شأن فرقة الحرس العسكرية، وذلك بأن اشترى عدداً كبيراً من أولاد المغول، الذين يباعون في أسواق النخاسة بعد أسرهم^(١٢٣)، ويكون منهم حرسه الخاص، وعين لهم المرتبات والمؤن وأنزلهم في ولاية "المراعة"، وعهد بإمارة كتيبتهم المكونة من عشرة آلاف جندي إلى القائد "بولاد جينكسكاتك"^(١٢٤)، هذا وأوكل إلى هؤلاء الحراس مهمة حمايته والسهر على حراسة خيمته أثناء نومه، وحراسة آلات الحرب وأسلحته من أي إغارة^(١٢٥).

على عكس ذلك، فقد عامل المغول أسراهم معاملة تنطوي على القسوة والوحشية، فكانوا يضعونهم في مقدمة الجيش حتى يتلقوا السهام المنهالة عليهم، وليمهدوا الطرق للجيش، ويكفلوا بحفر الخنادق وت نصب أدوات الحصار والأعمال الحربية العنيفة الشاقة^(١٢٦). ففي سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م، قام "أباقا" بإرسال قائده "تيكي بهادر" مع عشرة آلاف مقاتل، فقام بالقتل والنهب في أهل بخارى، وحملوا كثيراً من الأموال والأسرى، فخرت بخارى عن آخرها^(١٢٧).

وفي عهد "أرغون" سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، هوجمت ناحية "كريدند"، فأصدر الإيلخان أمره بزحف الأمير "توكال" و"تشينكور نويان" بقواتهم لقتالهم فقتل ثلاثمائة فارس، وأسر نفرًا منهم كان من جملتهم الأمير "حريكشاي"^(١٢٨)، الذي سيق إلى سوق النخاسة، فبيع هناك. بينما يشير الهمذاني^(١٢٩) إلى "غازان" وعطفه على الأسرى من "هراة" ونسانهم وأطفالهم، بحيث إنه أمر بإطلاق سراح بعضهم، ويزيد على ذلك بأنه طيب خاطرهم، وإن كان ذلك غير معهود في حروب المغول مع البلاد التي يغزوها.

وقد دارت الدائرة على جيش المغول، في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، عندما هاجم "غازان" للمرة الثالثة بلاد الشام، فانتصر عليه السلطان "الناصر محمد"، وأسر عدداً كبيراً منهم بقدر بأنف وثمانمائة مغولي، ومائة وثمانون من جنود الأرمن، وسيقوا أسرى إلى الديار المصرية^(١٣٠).

ومن أهم ما يميز الخطط الحربية التي اتبعتها الإيلخانيون في حروبهم: اعتمادهم على عدة أجناس معينة التي تعددت في جيشهم، ويمكن حصر تلك الأجناس في عدة عناصر رئيسية يأتي في مقدمتها الاعتماد على العنصر المغولي^(١٣١)، وهم من أهم عناصر الجيش، منهم قادة الجيوش والقائد العام عليه، وهم المقربون من الإيلخان^(١٣٢)، أما المرتبة الثانية من عناصر الجيش فهو عنصر الأتراك، الذين كانت لهم اليد الطولى في ذلك، فقد فرضت طبيعة الدولة العسكرية أن يقوموا بشراء القلمان العبيد الأتراك، وتربيتهم تربية عسكرية، حيث امتاز الأتراك كجنس عسكري بمميزات كثيرة، من أهمها الشجاعة والفروسية والإقدام، ففي عهد "أحمد تكودار" أمطر الأتراك جيوش الأعداء بالسهم^(١٣٣)، هذا وكان أكثر من نصف جيش "هولاكو" يتألف من الأتراك^(١٣٤).

ومن العناصر التي اعتمد عليها الإيلخانيون في حروبهم أهل "جورجيا"، فقد مالوا إلى استخدامهم بسبب قدرتهم العسكرية الكبيرة وصبرهم على النزال والحرب^(١٣٥)، هذا إلى جانب

استخدام عنصر المسلمين والأرمن والكرج، فقد أعد "أحمد تكودار" أكثر من مائة ألف فارس من صفوة هذه العناصر مجهزين بالعدد والآلات وسيرهم، في سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م^(١١٦)، لمحاربة "أرغون" - الطامع في العرش - كذلك كان جيش أبا قاخان يضم ثلاثة آلاف من الكرج، قتل منهم ألفان في معركة "أيلستين"، وكانت قوة "أبا قاخا" في حربه ضد "الظاهر بيبرس" ثمانين ألف جندي منهم ثلاثين ألف من حشود وجموع من أجناس مختلفة مثل الكرج والأرمن والعجم^(١١٧).

ولابد من الإشارة إلى أن التشكيلات العسكرية في عهد الإيلخانيين كانت تتكون من صنفين رئيسيين هما، الفرسان وهم ما يطلق عليهم "كشيكجي"^(١١٨)، وهم عماد الجيش الذي يكونون حرس الإيلخان الخاص، الذي يتحرك إلى ساحات القتال بأمره، ويكون موقعهم في القلب حوله، والذين كانوا يحملون الرماح والسيوف، ويلبسون الدروع^(١١٩)، كما شكلت الخيول أهمية كبرى في استخدامهم، وخاصة الخيول العربية بالذات^(١٢٠)، فقد قر الأمير "أرغون" من سجنه في عهد "أحمد تكودار" على جواد عربي، وكان للقائد "عليناق" قائد عام الجيوش فرس عربي أصيل^(١٢١).

أما الصنف الثاني من الجيوش الإيلخانية فهم الرجالة - أي المشاة - الذين ينحصر دورهم في الحروب المحلية، وأثناء الحصار، وكانت أهم أسلحتهم الدروع والسهم، وكان على كل أمير أو جندي أن يحمل جعبة من الجلد أو الخشب، لا ينزعها إلا وقت الصلاة، يضع فيها مجموعة من السهم^(١٢٢)، يتراشقون بها عند التحام الطرفين في القتال^(١٢٣)، هذا ولابد أن نشير إلى أن هناك فرقة من الرجالة مهمتها ضرب الطيول في بداية القتال، وفي حالة الانتصار على الأعداء^(١٢٤)، وهو ما يطلق عليه اسم قرع الطيول، لإبخال الرهبة والخوف في صفوف الأعداء. هذا ومن عادة المغول رفع الأعلام البيضاء في حالة استسلام العدو^(١٢٥)، كما حدث في عهد "أبو سعيد" ضد الأمير "ايرنجين" حاكم ديار بكر، ووالد السيدة "فتنغشاه خاتون" زوجة الإيلخان، التي رفعت الرايات البيضاء عند استسلام الأمير^(١٢٦).

وخلاصة الأمر فإن الدولة الإيلخانية دولة عسكرية، اعتمدت على جيوشها في فرض نفوذها وتوسيع ممتلكاتها، منذ أن غزا "جنكيز خان" أراضي الدولة الخوارزمية، وأسقط "هولاكو" قلاع الإسماعيلية والخلافة العباسية في بغداد، هذا وإن الإيلخانيين اتبعوا نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز جيوشهم، خاصة وأن تنظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وأن القضاء على الفتنة في مهادها يحقق النصر في المعارك، وأن استعراض الجنود والتأكيد على سلامة أسلحتهم ودوابهم من أهم لوازم القتال. هذا وقد اتبع الإيلخانيون نفس مبادئ وقوانين الياسا الجنكيزية في تحريك جيوشهم، ومنها إرسال القوة الاستطلاعية وإرسال الوفود والرسائل، إلى جانب الجواسيس لإبلاغهم بالمعلومات القيمة عن جيوش أعدائهم، هذا إلى جانب اعتمادهم على عناصر وأجناس معينة في جيشهم على رأسها: المغول والأتراك والجورجانيون والكرج والأرمن والمسلمين وغيرهم.

ملحق رقم (١)

أسماء إيلخانات إيران (٦٥١ هـ : ٧٥٦ هـ / ١٢٦٢ : ١٣٥٥ م)

- ١- هولاكو خان بن تولوي بن جنكيز.
 - ٢- أباقا بن هولاكو.
 - ٣- أحمد تكودار بن هولاكو.
 - ٤- أرغون خان بن أباقا.
 - ٥- كيخانو بن أباقا.
 - ٦- بايندوخان بن طوغاي بن هولاكو.
 - ٧- غازان خان بن أرغون.
 - ٨- أولجايتو خدابنده بن أرغون.
 - ٩- أبوسعيد بهادر خان بن أولجايتو.
 - ١٠- أرياجاون بن أرتويوكا بن تولوي.
 - ١١- موسى خان علي بن بايدو.
 - ١٢- محمد خان بن منجو تيمور بن هولاكو.
 - ١٣- ساتي بيك ابنة أولجايتو.
 - ١٤- شاه جهان تيمور بن الأفرنگ بن كيخانو.
 - ١٥- سليمان خان بن يشموت بن هولاكو.
 - ١٦- طغاتيمور خان.
 - ١٧- أنوشيروان العادل.
- من ٦٥١ هـ إلى ٦٦٣ هـ
من ٦٦٣ هـ إلى ٦٨٠ هـ
من ٦٨٠ هـ إلى ٦٨٣ هـ
من ٦٨٣ هـ إلى ٦٩٠ هـ
من ٦٩٠ هـ إلى ٦٩٤ هـ
من جمادي الأولى ٦٩٤ هـ إلى ذي القعدة ٦٩٤ هـ
من ٦٩٤ هـ إلى ٧٠٣ هـ
من ٧٠٣ هـ إلى ٧١٦ هـ
من ٧١٦ هـ إلى ٧٣٦ هـ
من ٧٣٦ هـ
من شوال إلى ١٤ ذي الحجة إلى ٧٣٦ هـ
من ذي الحجة ٧٣٦ هـ
من ٧٣٩ هـ إلى ٧٤١ هـ
من ٧٣٩ هـ إلى ٧٤٠ هـ
من ٧٤١ هـ إلى ٧٤٥ هـ
من ٧٣٦ هـ إلى ٧٥٣ هـ
من ٧٤٤ هـ إلى ٧٥٦ هـ^(١)

(١) عباس إقبال : تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان ، ص ٣٥٨ : ٣٥٩ ؛ زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٣٦٢ : ٣٦٣ .

المواضيع

- ١- انظر ملحق رقم (١) الخاص بأسماء الحكام الإيلخانيين.
- ٢- الإيلخان: كلمة مغولية الأصل ، تتكون من مقطعين "إيل" بمعنى الخاضع أو التابع، و"خان" بمعنى الحاكم وبذلك يصير معنى الإيلخان الخاضع للحاكم ، وذلك لأن هولاكو كان تابعاً لأخيه الخان الأعظم منكوفاً آن في الصين عندما زحف على بغداد (قواد عبد المعطي الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين - أسرة هولاكو خان ، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية قطر سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٨).
- ٣- خوارزم : أكثر ضياع مدنها ذات أسواق وخيرات ودكاكين ، ومن النادر أن تكون قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطمانينة تامة (ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٢ ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٣٩٦).
- ٤- الجويني : تاريخ جهاتكشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم ، ترجمة وتحقيق محمد التونجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى ، دار الملاح للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٠، ٤٨ ؛ السلطان شمس الدين ألتمش من حكام سلطنة دهللي المملوكية ببلاد الهند ، وهو في الأصل من العبيد المغوليين من تركستان ، ترقى في المناصب الإدارية حتى وصل إلى حاكم مدينة بداون (الجوزجاني : طبقات ناصري ، جلد أول ، به تصحيح ومقابلته وتحشيه وتعليق عبد الحي حبيبي قندهار ، كابل ، سنة ١٣٤٣ هـ. ش ، ص ٢٤١) ؛ حكم ما بين سنتي ٦٠٧ هـ / ٦٣٣ م - ١٢١٠ م / ١٢٢٦ م ، وتصدى للسلطان جلال الدين منكبرتي عندما طالبه بموضع في دهللي لإقامة فيه هو ورجاله ، فكان رد السلطان ألتمش عليه قاطعاً بأن هواء دهللي لا يصلح لإقامة الخوارزمية ، ثم أرسل جيشاً بقيادة ناصر الدين قباچه للتصدي له (النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، نشره و ترجمة حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي سنة ١٣٧٤ هـ / سنة ١٩٥٣ م ، ص ١٦٥) ؛ اتصف ألتمش بالحزم والقوة ومال إلى العلم والعلماء ، وأنشأ المدرسة الشمسية في دهللي ، واهتم بنسخ المصاحف الشريفة .
(Husan Qureshi :The Administration of the sultanate of Delhi , P. 179 , (Delhi , 1944)
- ٥- هولاكو : أخو الخان الأعظم منكوفاً آن ، الذي أمره بإعداد حملة عسكرية وأمدّه بكثير من الجنود وزحف بجيشه إلى إيران ، فانتضم إليه حاكمها أرغون وحاكم ما وراء النهر مسعود بك ، ثم عبر نهر جيحون واستولى على قلاع الإسماعيلية في فارس (رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ - الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من آباؤا خان إلى كيخاتو خان ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وقواد عبد المعطي الصياد ، مراجعة يحيى الخشاب ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ص ٣٤٠) ؛ توفي هولاكو سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م ، (م.م الرمزي : تلغيق

- الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزاق ويلغار وملوك التتار ، مجلد ١ ، طبعة المطبعة الكريمة والحسينية ببلده أورينورغ ، (ص ٣٦١).
- ٦- أبو الغداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيى سيد حسين ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٩٩ م ، ص ٢٣٣ .
- ٧- التومان فرقة عسكرية يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل (القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يناير ٢٠٠٥ م ، ص ٤٢٣).
- ٨- القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة ؛ البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيى الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م ، ص ١٣ ؛ برنولد شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار حسان للطباعة ، دمشق ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٥٩ .
- ٩- تبريز : أشهر مدن أذربيجان ، وهي مدينة عامرة ، ذات أسوار محكمة مبنية بالآجر والجص ، في وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها ، والفواكه بها رخيصة (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣).
- ١٠- البناكتي : روضة أولي الأنبياء في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي ، ترجمة وتقديم محمود عبدالكريم علي ، المركز القومي للترجمة القاهرة ، سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٤٥٨ .
- ١١- النياسا الجنكيزية : "اليسق والتورا" واليسق هو الترتيب ، والتورا : المذهب باللغة التركية وأصل اليسق : سي يسا . وهي لفظة تركية من كلمتين سي بالعجمي ، بها بالتركي . لأن بالعجمي ثلاثة ، ويسا بالمعنى الترتيب (بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، ج ٩ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠١ م ، هامش ص ١٥٦) ؛ هي القرارات والتعليمات التي وضعها جنكيز خان لحكام المغول للمسير عليها في سياستهم بمعنى السياسة والقانون الذي يقضي باحترام المجتمع المغولي وتقواه على غيره من المجتمعات وذلك في سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م (محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص ١٧) تنص النياسا الجنكيزية في شأن تولية العرش أن تتولي زوجة الخان المتوفي إدارة البلاد حتى يتم الاتفاق على تعيين حاكم جديد (ابن العربي : تاريخ مختصر الدول ، وضع حواشيه الأب أنطون صلحاني اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨ م ، ص ٢٨٥ ؛ شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران في العصر المغولي ، طبعة سوهاج ، سنة ١٩٩٦ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٠).
- ١٢- دريند : هي من بلاد ما وراء النهر ، وتسمى باب الأبواب والنسب إليها الدريندي (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤٩).
- ١٣- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٢ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩ .

- ١٤- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، ج ٩، ص ١٣٢، خواتمير : دستور الوزراء ، ترجمة حربي أمين سليمان ، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠م ، ص ٣٣٢.
- ١٥- ابن بيبى : تاريخ سلاجقة الروم المعروف بسلجوقنامه، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة دار الثقافة العربية بالقاهرة ، يناير ١٩٩٤م، ص ٧٩ ؛ أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر، ج ٤ ، ص ١١ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبدالوهاب علوب، المجمع الثقافي أبوظبي الإمارات، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص ٢١٧.
- ١٦- أبلستان: وتكتب أبلستين، وهي مدينة مشهورة ببلاد الروم (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩٧).
- ١٧- ابن بيبى : سلجوقنامه، ص ٧٩ ؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١٥٨ ؛ ابن دقماق: الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٨١.
- ١٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ ؛ أبو الفداء : المختصر، ج ٤ ، ص ٢٣ ؛ Howarth: History of the Mongols, Vol. 3, P.270 (London, 1975).
- ١٩- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٧ ، تحقيق سعيد عاشور مراجعة محمد مصطفى زيادة و فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٣٩٢ ؛ ٣٩٣ ؛ ٣٩٦.
- ٢٠- زامباور : معجم الأمرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرون ، طبعة دار التراث العربي ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٦٢.
- ٢١- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٣٣.
- ٢٢- القوريلتاي : هو مجلس شوري المغول ، يجتمع فيه الأمراء وقادة الجيوش والخواتين - نساء الطبقة الحاكمة - لدراسة أحوال الدولة ، وفي بداية عهد الإبلخانية كان يعقد في قراقورم عاصمة المغول في الصين (الجويني : تاريخ جهانكشاي ، ج ١ ، ص ١٧٥).
- ٢٣- اعتنق أحمد تكودار الإسلام وهو صغير السن علي يد أحد المتصوفة الذي ينسب إلى الطريقة الأحمدية (عبدالله الشيرازي : تحرير تاريخ وصاف ، بقلم عبد المحمد آيتي ، بناد فزهك إيران، تهران، ص ١٠٥ م. الرمزي : تفهيم الأخبار ، ج ١ ، ص ٣٦١ ؛ رجب محمد عبدالحليم : انتشار الإسلام بين المغول ، طبعة دار النهضة المصرية ، ص ١٧٨ ؛ وقد قام أحمد تكودار بتحويل المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد(خواتمير : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، جلد سوم ، جزء أول ، انتشارات كتيخانه خيام ، ص ١١٩).
- ٢٤- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٧.
- ٢٥- شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران ، ص ٤٢ ؛ لقد أشار المؤرخ Howarth إلى أن أحمد تكودار اعتنق المسيحية في بداية حياته وتسمى بنغولا (، History of Mongols , Vol. 3 , P. 270).

٢٦- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٤ ؛

D'OHsson : Histoire des Mongols depuis tchingiuz khan, Vol.III,

P.535 (Amsterdam, 1834)

- ٢٧- البناتكي : تاريخ البناتكي ، ص ٤٦٨ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٣٥ .
- ٢٨- ابن القوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة الثامنة ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، ص ٤٣١ .
- ٢٩- أبو الفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ٣٥ ؛ عباس إقبال : نفس المرجع السابق والصفحة .
- ٣٠- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤٠٣ ؛ ٤٠٤ ؛ فؤاد عبدالمعطي الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ، ص ٦٠ .
- ٣١- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ؛ ١٣٨ ؛ استعان أرغون بأحد اليهود في إدارة دولته وهو سعد الدين اليهودي (خواندمير: دستور الوزراء ، ص ٢٦٠) الذي أسند حكم الولايات إلى بني جلدته من اليهود ، مثل فارس وديار بكر ، ونقل الحراسة من بغداد إلى داره (ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، طبعة طهران ، ١٣٣٩ ، هـ. ش. ص ١٧٣ ،
- ٣٢- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإلخانيين ، ص ٢٠٠ .
- ٣٣- زامباور : معجم الأسرات الحاكمة ، ص ٣٦٢ .
- ٣٤- الجاو : عبارة عن قرطاس مكتوم بخاتم الملك يتعامل به في جميع بلاد الخطا بالصين ، بدلاً من الدراهم ، وأما عملتهم النقدية فهي الباشي - المسالك التي تصل إلى الخزنة ، وفي سنة ١٢٩٣هـ / ١٢٩٤م ، أظهروا الجاو في مدينة تبريز وروجوة وكانت الأوامر تقضي بقتل كل من لا يتعامل به في الحال (الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨١ ؛ ١٨٢) .
- ٣٥- برتولد شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ص ٧١ .
- ٣٦- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨ .
- ٣٧- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٢٨٤ ؛ خواندمير : حبيب السبر ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٤٠ ؛
- D'OHsson : Histoire des Mongols , Vol.III,P.115
- ٣٨- ابن أبيك الدوادري : كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر ؛ ج ٩ ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠م ، ص ٢٢ ؛ ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ص ٢٧٩ ؛ اعتنق غازان الإسلام علي يد الأمير نوروز ويحضور الشيخ صدر الدين ابراهيم حموية ، وبذلك أعلن الدين الإسلامي ديناً رسمياً للبلاد ، وأطلق علي غازان اسم محمود ، وليست العمامة بدلاً من القلائس ، وأمر بتحويل الكنائس ، والمعابد إلى مساجد (رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ ، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر القاهرة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٢٧ ؛ البناتكي : تاريخ البناتكي ، ص ٤٨٥ ، البديليسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٥ ؛ م.م. الرمزي : تلفيق الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٦١ ؛ رجب محمود : انتشار الإسلام ، ص ٢٨٨ ؛ فؤاد الصياد :

- الشرق الإسلامي ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩) ؛ كذلك أصدر غازان عملة إسلامية نقش عليها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأمر بنقش اسمه على العملة وذكره في الخطبة دون الخان الأعظم ، وطرده تاليه من بلاده ، وألقي لقب أيلخان أي نائب الملك ، واتخذ لنفسه لقب خان (رجب عبدالحليم : انتشار الإسلام ، ص ١٩٣ ؛ محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ٧٢) .
- ٣٩- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١٦٧ ؛ ابن أبيك الدوادري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٤٧ .
- ٤٠- لقد أطلق العيني على غازان اسم قازان (عقد الجمال في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك - حوادث وترجم ، ج ٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٢٨) .
- ٤١- ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، ج ١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٢١٠ ؛ العيني : نفس المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨١ .
- ٤٢- التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٢ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ٢١١ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٣٩٨ .
- ٤٣- ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ص ٣٣١ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية في إيران ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٢٠٩ .
- ٤٤- العيني : عقد الجمال ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ، ج ٤ ، ص ١٢٨ ، ١٣٣ ؛ خواندمير : حبيب المسير ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٧٧ ؛ البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٧ ؛ عبد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ؛ شعبان طرطور : موجز ، ص ٥٥ .
- ٤٥- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٦ : ٣٠٧ .
- ٤٦- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١٩٥ ؛ ابن أبيك الدوادري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٤٦ ؛ Sykes : History of Persia , Vol. II , P.234 , (London,1958)
- ٤٧- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٤٧٠ ؛ فؤاد الصياد ، الشرق الإسلامي ، ص ٣٤٧ : ٣٤٨ .
- ٤٨- عبدالله الشيرازي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ؛ البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٢٠ ؛ عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والتوزيع والنشر بالقاهرة ، ص ٤٧٧ .
- ٤٩- جيلان : ولاية صغيرة تمتد من حدود أرميني وخنجان حتى حدود كلارست ومنطقة مازندران (فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٥٤) ؛ وفي جيلان قوم من أبناء فارس انتقلوا من نواحي اصطخر فنزلوا بطرف من البحرين فغرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك ، فنزل عليهم قوم من بني عجل (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠١) .
- ٥٠- ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .

- ٥١- برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧٦ : ٧٧ .
- ٥٢- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٨٧ ؛ عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٥٥٦ .
- ٥٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٢٠ ؛
- Sykes : History of Persia , Vol II , P. 115.
- ٥٤- فؤاد المعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤١١ ، ٤١٤ ؛
- D'O'Hsson : Histoire des Mongols , Vol.III, P. 600 – 601.
- ٥٥- تقرر سفر سفير من إيران لإبرام معاهدة مع مصر واستقبال من قبل سلطانها الناصر محمد بالود والتكريم وتم عقد المعاهدة ، ومن أهم بنودها ما يلي :
- ١- ألا يكلف سلطان مصر الفدائيين الإسماعيلية بأي مهام في الممالك الإيلخانية.
 - ٢- ألا يطالب أي من الجانبين بترحيل رعاياه ممن يلجئون إلى أرضه.
 - ٣- ألا يحرض سلطان مصر أعراب البادية والتركمان على مهاجمة الممالك الإيلخانية.
 - ٤- ترسيخ علاقات الود بين الدولتين وتمكين التجار من حرية التجارة والحركة.
 - ٥- حرية حركة قوافل الحجيج السنوية من العراق إلى مكة على أن ترفع علمين أحدهما باسم سلطان مصر ، والآخر باسم إيلخان إيران أبوسعيد.
 - ٦- أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم الأمير قراسنقر الفار إلى دولة الإيلخان (عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٤٢).
- ٥٦- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشيدي ، مقدمه وحواشي وتعليقات خاتبا يياتي ، شركت تضامني علمي تهران ١٣١٧ هـ ، ص ١٩٣ .
- ٥٧- البديليسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٣٨ ؛ انظر الملحق رقم ١ ، الخاص بأسماء الإيلخانيين .
- ٥٨- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٤٨٤ ؛ عباس إقبال : نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .
- ٥٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٩ .
- ٦٠- فؤاد الصياد : مؤرخ المغول الكبير ، ص ٦٤ ؛
- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 90.
- ٦١- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ .
- ٦٢- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٥٠١ .
- ٦٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٨ : ١١٩ .
- ٦٤- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٨٢ .
- ٦٥- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٤ .
- ٦٦- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٤٣ .
- ٦٧- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشيدي ، ص ١٩٥ .
- ٦٨- ابن بيبلي : سلجوقنامه ، ص ٧٩ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار ، ج ٤ ، ص ١١ .
- ٦٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨ ؛ برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧١ .
- ٧٠- ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٢ ؛ ابن

حبيب: تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ٢١٠ ؛ ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ص ٢٧٩ ؛ العيني : عقد الجمان ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ؛ البديلي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٧ .

Sykes : History of Persia , Vol II , P. 234

-٧١

٧٢- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٥٥٦ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ ؛ فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٥٤ ؛ برتولد شوبلر : العالم الإسلامي ، ص ٧٦ .

٧٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠ .

D'OHsson : Histoire des Mongols , Vol.III, P. 600.

٧٤- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ١٦ .

٧٥- القلقشندي : صبح الأعشي ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ .

٧٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ٢٣ ؛ Howarth : History of Mongols , Vol.3 , P. 270.

٧٧- بيبيرس الدودار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ؛ فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٦٠ .

٧٨- القلقشندي : صبح الأعشي ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ؛ البديلي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٦ .

٧٩- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٤٧٠ .

٨٠- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٤ .

٨١- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٩ .

٨٢- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ٧١ .

٨٣- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٣٦ .

٨٤- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ .

٨٥- فتنة نوروز : لقد كان نوروز أتابكا لغازان في أثناء حكمه علي خراسان ، ثم تولي منصب أمير الأمراء ، وتم اعتناق غازان للدين الإسلامي علي يديه (عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٣٢٢ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٠٧: ٣٠٨) ؛ ولكن نتيجة للصراع الذي قام بين الوزير جمال الدين الدستجرواتي ونوروز وإلتهامات التي قيلت بتدبير مؤامرات مع بعض الأمراء ضد غازان ، وإتهامات الوزير صدر الدين الزغاني له بمراسلة سلطان مصر ، وأنه سوف يسلم البلاد للمماليك ، فإن غازان أمر بالقبض عليه وعلي أتباعه وأمر بإعدامهم ، هذا وقد نزلت الهزيمة بنوروز وقواته بالقرب من نيسابور ، فالتجأ إلى هرة ، لاندأ بحماية ملكها فخر الدين كرت ، الذي أسرع بتسليمه إلى غازان في شوال سنة ٦٩٦ هـ / ١٣٩٦ م (الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١٢٣ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٩٤ ؛ خواندمير : حبيب السير ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٣٥ ؛ فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٧٨) .

٨٦- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٦ .

٨٧- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٥٢ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٤١ .

٨٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ٤١ ؛ ٤٢ .

٨٩- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٠ .

٩٠- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

٩١- عين جالوت : موقعة عظيمة بين الملك المظفر قطز مملوك المعز أبيك ومعه الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الأفضل وبين التتار بقيادة كتيبا نائب هولكو وكان النصر فيها لقوات قطز وكانت في رمضان سنة ٦٥٨ هـ (أبو الغداء : المختصر في تاريخ البشر ، ج ٣ ، ص ٢٤٥).

Howarth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 91

-٩٢

٩٣- الفلقتندي : صبح الأعشي ، ج ٤ ، ص ٣١١ : ٣١٢.

٩٤- عبد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٥٤.

٩٥- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ١٢ : شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٣٣.

٩٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١٢٤.

٩٧- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١١١ : ١١٢.

٩٨- عبدالسلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٧.

٩٩- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٣٨ : عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٤.

١٠٠- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٧.

١٠١- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٧٩.

١٠٢- البديسي : شرقنامه ، ج ٢ ، ص ٢٧.

١٠٣- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٧ : عباس إقبال ، تاريخ المغول ، ص ٢٨٥.

١٠٤- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٥.

١٠٥- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٨ : الفلقتندي : صبح الأعشي ، ج ٤ ، ص ٤٢٥.

١٠٦- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٦١.

١٠٧- دار النزاع بين الأمير سنقر الأثمقر والسلطان قلاوون علي تولية العرش ، وبالتالي تم تبادل الرسائل بينه وبين أباقلخان للمآذرة والوقوف إلي جانبه ضد قلاوون وجيشه (فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٧).

١٠٨- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ : البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٢ : ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ٢١١.

١٠٩- العيني : عقد الجمان ، ج ٤ ، ص ٢٨١ : ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٣٩٨.

١١٠- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ٣٧.

١١١- لقد خرج الأمير شمس الدين قرانسكر ملتجأ إلي الإيلخان أولجايتو ، وقد أرسل إليه الإيلخان أميراً مغولياً هو سوناي علي رأس عشرة آلاف جندي ، لاصطحابهم إلي داخل الإيلخانية (ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ : أبو المحاسن : التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٦٤).

١١٢- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٤٢.

١١٣- الهمذاني : جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ٢، ص ١١٦ ترخان : لقب يفيد امتياز حامله بالإعفاء من كل التكليف ، فهو لا يدفع نصيباً مما يغم في الحرب ، ويدخل علي الملك وقت ماشاء ، وترخان اسم قبيلة جغتائية كذلك، (الهمذاني: نفس المصدر السابق والجزء ، هامش ص١٧).

١١٤- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ٦٣ : ٦٤.

١١٥ - الشرق الإسلامي، ص ٧٥.

١١٦ - فؤاد الصياد : نفس المرجع السابق، ص ١٩٢؛ محمد أحمد محمد: إسلام الإيلخانيين، ص ٦٨.

١١٧- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٤٥: ١٤٣؛ كان علي رأس تلك السفارة كل من القاضي نصير الدين التبريزي والشيخ قطب الدين الموصللي (البديسي: شرفنامه، ج ٢، ص ١٩).

١١٨- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٦١.

١١٩- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٤.

١٢٠- فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ج ١ ، دار النهضة العربية للطباعة بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٣٦٤.

١٢١- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ١٨٩ : ١٩٠.

١٢٢- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٥٣ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٨.

١٢٣ - الأمير صدر جهان : اسمه صدر جهان أحمد الخالدي الزنجاني وزير غازان ، وهو أحد أبناء قضاء ولاية زنجان ، والتحق بالخدمة للأمير طغاجار ، ولما أصبح طغاجار أميراً للأتواس في عهد أرغون جعل صدر جهان أحد مسئولي تنظيم أسواق البلاد ، فنظم أعماله تنظيمًا كاملاً (خواندмир : دستور الوزراء ، ص ٣٦٦ ؛ عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٤٦٢ ؛ فؤاد

الصياد: مؤرخ المغول، ص ٦٨) <http://Archivebeta.Sa>

١٢٤- الهمذاني : تاريخ غازان خان ، ص ٥٣ : ٥٥.

١٢٥- خواندмир : دستور الوزراء ، ص ٣٣٢.

١٢٦- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦١.

١٢٧- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٧ : ٣٩.

١٢٨ - فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٣.

١٢٩- كشيكجي : كلمة مغولية معناها النوبة ، وقد اختيرت فرقة خاصة من هؤلاء الحرس ، مكونة من ألف رجل هم نخبة المحاربين لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان الإبلخان نفسه مع جيشه في ميدان القتال (فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٠).

١٣٠- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩٠ : ٣٩١.

١٣١- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩ ؛ خواندмир : حبيب السير ، ج ١ ، ص ١٠٨.

١٣٢- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٤١.

١٣٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٥.

١٣٤- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٨.

١٣٥- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٣.

- ١٣٦- فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٦ .
- ١٣٧- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٣ .
- ١٣٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٥٤ : ١٥٥ .
- ١٣٩- تاريخ غازان ، ص ١٠٤ ؛ ويشير الهمذاني في موضع آخر في تاريخه بأن غازان كان رحيماً مع أسراه ، وأنه أمر بأن يحضروا من خزائنه قباء وقتنسوة ومنطقة - حزام وحذاء - وألبسوا الأسير هذه الأثيياء وهو الأمير أرسلان أغول، ثم أركبوه جوادا من جياد الخاصة ، كما أمر غازان بإحضار جرحي المعركة ، وصار يضع الأثوية على جروحهم ، مما يدل على مدى رحمته وإسلامه (تاريخ غازان ، ص ١١٥ : ١١٦) .
- ١٤٠- أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٥٨ ؛ عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٤٦٢ ؛ فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٠ .
- ١٤١- أبو الفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ١٥ .
- ١٤٢- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٤٢ .
- ١٤٣- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ .
- ١٤٤- بروتولد شيبولر : العالم الإسلامي ، ص ٥٧ .
- ١٤٥- بروتولد شيبولر : نفس المرجع السابق ، ص ٦٩ .
- ١٤٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ؛ فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤٤١ .
- ١٤٧- أبوالفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ١٠٠ : ١٠١ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٢٧ .
- ١٤٨- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩٠ : ٣٩١ .
- ١٤٩- ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٥٩ ، ص ٢٣٣٥٥ <http://Arch.233.net> .
- ١٥٠- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
- ١٥١- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ١٠٦ ، ١١٥ .
- ١٥٢- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ٢١٠ .
- ١٥٣- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩ .
- ١٥٤- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، ٤٧١ .
- ١٥٥- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ١٤٨ .
- ١٥٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠ .

أسماء المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية :

- ١- ابن أبيك الدواداري (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) : أبوبكر بن عبدالله المنصوري. "كنز الدرر وجامع الغرر" المعروف بالدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ج٩ ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٠م.
- ٢- بيبريس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) : ركن الدين المنصوري المصري. "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، ج٩ ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، سنة ٢٠٠١ م.
- ٣- ابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) : الحسن بن عمر. " تذكرة النبوة في أيام المنصور وبنه " ج١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م.
- ٤- ابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) : إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلاني. "الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م".
- ٥- رجب محمد عبدالحليم : " انتشار الإسلام بين المغول " ، طبعة دار النهضة المصرية.
- ٦- م.م. الرمزي : " تلفيق الأخبار وتلخيص الآثار في وقائع قزاق وبلغار وملوك التتار " ، مجلدا ، طبعة المطبعة الكريمة والحسينية ببلدة أورينورج.
- ٧- شعبان طرطور : " موجز تاريخ إيران في العصر المغولي " ، طبعة سوهاج ، ١٩٩٦ م / ١٩٩٧ م.
- ٨- عبدالمسلم عبد العزيز فهمي : " تاريخ الدولة المغولية في إيران " ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨١م.
- ٩- ابن العبري (ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٦ م) : غريغوريوس الملطي أبو الفرج بن اهرن " تاريخ مختصر الدول " ، وضع حواشيه الأب انطون صلحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨م.
- ١٠- العيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) : بدر الدين محمود "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك" ، حوادث وتراجم ، ج٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.
- ١١- أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي " المختصر في أخبار البشر " ، ج٣ ، ج٤ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيى سيد حسين ، طبعة دار المعارف ، ١٩٩٩م.
- ١٢- فؤاد عبدالمعطي الصباد : " الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، أسرة هولاكو خان " - منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.
- ١٣- _____ : المغول في التاريخ ، ج١ ، دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠م.

١٤- _____ : " مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م.

١٥- ابن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) : كمال الدين أبو الفضل عبدالرازق : " الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة الثامنة " ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م.

١٦- القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) . أبو العباس أحمد بن علي : " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " ج ٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يناير ٢٠٠٥ م.

١٧- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) : الحافظ بن كثير : " البداية والنهاية " ج ١٤ ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف بيروت ، لبنان ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

١٨- أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) : محمد جمال الدين يوسف بن تغري بردي " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ، ج ٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

١٩- محمد أحمد محمد : إسلام الإبلخانيين ، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩ م.

٢٠- النويري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : " نهاية الأرب في فنون الأدب " ج ٢٧ ، تحقيق سعيد عاشور ، مراجعة محمد مصطفى زبادة ، فؤاد عبد المعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٢١- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٣٣٩ م) : شهاب الدين أبو عبد الله الرومي : " معجم البلدان " ٥ أجزاء ، طبعة دار صادر ، بيروت ، سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م. <http://>

ثانياً: المصادر والمراجع الفارسية :

٢٢- البديليسي (ت بعد ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م) : شرف خان " شرفنامه " ، ج ٢ ، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيى الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م.

٢٣- البناكتي (ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م) : أبو سليمان داود بن أبو الفضل محمد " روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي " ، ترجمة وتقديم محمود عبد الكريم علي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

٢٤- ابن بيبسي (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) : ناصر الدين يحيى بن محمد " تاريخ سلاجقة الروم المعروف بسلاجوقنامه " ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة دار الثقافة العربية ، القاهرة ، يناير ١٩٩٤ م.

٢٥- الجوزجاني (ت ٦٩٨ هـ / ١٣٠٠ م) : أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين " طبقات ناصري " جلد أول به تصحيح ومقابله وتحشيه وتعليق عبدالحى حبيبي قندهار ، كابل سنة ١٣٤٣ هـ ش.

- ٢٦- الجويني (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين بن محمد الجويني : تاريخ جهاتكشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم ، تحقيق محمد التونجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى ، دار الملاح للطباعة والنشر ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢٧- حافظ أبرو (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م) : شهاب الدين عبدالله بن لطف الله : ذيل جامع التواريخ رشدي ، مقدمة وحواشي وتعليقات خاتبايباتي ، شركت تضامني علمي تهران ١٣١٧ هـ . ش.
- ٢٨- خواندمير (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) : غياث الدين بن همام الدين : حبيب المسير في أخبار أفراد البشر ، جلد سوم جزء أول ، انتشارات كتبخانه خيام.
- ٢٩- _____ : " دستور الوزراء " ترجمة حربي أمين سليمان ، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠ م.
- ٣٠- رشيد الدين الهمذاني (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) : رشيد الدين فضل الله : تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ "دراسة وترجمة فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٣١- _____ : " جامع التواريخ - الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى كيخانو خان " ، المجلد الثاني الجزء الثاني ، ترجمة محمد صادق نشأت ، محمد موسي هنداوي ، فؤاد عبدالمعطي الصياد ، مراجعة يحيى الخشاب وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- ٣٢- عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية " ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والنشر والتوزيع بالقاهرة.
- ٣٣- _____ : " تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية " ، ترجمة عبد الوهاب غلوب ، المجمع الثقافي أبو ظبي ، الإمارات العربية ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٣٤- عبدالله الشيرازي (ت ق ٨ هـ / ١٤ م) : شهاب الدين عبدالله بن فضل الله . تحرير تاريخ وصف ، بقلم عبد المحمد آيتي ، بنياد فرهنگ ، إيران ، تهران.
- ٣٥- ميرخواند (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م) : محمد بن خاوند شاه . " روضة الصفا " ج ٥ ، طبعة طهران ، ١٣٣٩ هـ . ش.
- ٣٦- التسوي (ت ق ٧ هـ / ١٣ م) : محمد بن أحمد : " سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي " ، نشره وترجمة حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي ، سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٣ م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية والمترجمة :

- ٣٧- برتولد شپولر : " العالم الإسلامي في العصر المغولي " ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار حسان للطباعة والنشر دمشق ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٣٨- زامباور : معجم الأتصاب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرون ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

39- D'Ohsson : Histoire des Mongols depuis tchingiuz khan, Vol.III
(Amesterdam, 1834)

40- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , (London , 1975).

41- Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi, (Delhi, 1944).

42- Sykes : History of Persia , Vol. II , (London , 1958).



التحصينات الدفاعية في الأندلس عصر بني الأحمر

(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)

د. حسام محمود المحلاوي (*)

المقدمة :

يقصد بالأندلس، في عصر بني الأحمر، مملكة غرناطة الإسلامية منذ قيامها في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وحتى سقوطها في أيدي القوى المسيحية في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، وفي تلك الفترة؛ كانت دولة بني الأحمر تمثل الكيان الإسلامي الذي تدخل تحت لوائه كل البلاد والمدن الإسلامية؛ التي لم تكن القوى المسيحية قد نجحت في الاستيلاء عليها .

وقد استمرت دولة بني الأحمر قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان، تطاحن من أجل البقاء وسط أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها، التي كانت تتحين الفرصة من الحين لآخر لالتقاطها عليها والاستيلاء على أملاكها، وطرد المسلمين نهائياً من بلاد الأندلس، وهو ما تحقق لها في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م .

ولأن الاستحكامات الدفاعية كانت أهم أسباب بقاء مملكة غرناطة واستمرارها قرنين ونصف من الزمان، كان لزاماً دراستها والتعرف على طرقهم في تحصين دولتهم وحدودها الخارجية، وكذلك كيف أنعم الله سبحانه وتعالى على أهل مدن مملكة غرناطة بترتيبهم بلادهم بموقعها المتميز والفريد .

وقد انشغل سلاطين بني الأحمر بتشييد الاستحكامات الدفاعية طوال عمر دولتهم، فعمدوا إلى تشييد الحصون، والرباطات، والأسوار، والأبراج، وغيرها من المنشآت الحربية المهمة والتي لقيت اهتمام سلاطين الدولة، وكذلك عموم المسلمين في بلاد الأندلس في تلك الفترة، وبخاصة في المناطق الحدودية .

الأندلس عصر بني الأحمر :

بعد ضعف دولة الموحدين في بلاد الأندلس، عقب هزيمتهم في معركة العقاب Las Navas de Tolosa^(١) في ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ/ ١٦ يوليو ١٢١٢م، وبدأت ثورة بعض القادة الأندلسيين ضد الموحدين وإعلانهم الاستقلال عنهم، وكان منهم محمد بن يوسف بن هود^(٢) الذي بدأت ثورته في شرق الأندلس، ثم نجح في إقامة دولته بالأندلس والتي استمرت عشر سنوات، من عام ٦٢٥هـ/١٢٢٧م، وحتى وفاته عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. كما التف الكثيرون

(*) حاصل علي درجة دكتوراة التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة المنصورة.

حول القائد محمد بن يوسف بن نصر^(١) المعروف بابن الأحمر، مؤسس مملكة غرناطة، وعقدوا عليه الآمال في جمع شمل المسلمين في الأندلس، ويايعوه في يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ٦٣٤هـ / ٢٩ أبريل ١٢٣٧م^(٢). وبعد وفاة ابن هود في عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م^(٣)، تهيأت الأوضاع لسيطرة ابن الأحمر، وثار أهل غرناطة ضد حاكمهم من قبل ابن هود، عبّـة بن يحيى المغيلي، وقتلوه، وأعلنوا بيعتهم لابن الأحمر، واستدعوه، فدخل غرناطة في أواخر رمضان سنة ٦٣٥هـ / أبريل ١٢٣٨م^(٤) واتخذها عاصمة لدولته، وأعلن قيام مملكة غرناطة التي استمرت قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان .

التحصينات الطبيعية للمملكة :

وهب الله سبحانه وتعالى جنوب بلاد الأندلس الإسلامية، وهو موقع مملكة غرناطة، موقعا فريدا، كان ذلك الموقع بمثابة حماية طبيعية منحها الله إياها، فكانت أحد أهم الأسباب التي حفظت حدودها كثيرا، وردت عنها أعداءها مرات عديدة، لذا وجب التعرض لتناول هذا الموقع المحصن طبيعيا، وما أهم ملامح تحصينه.

فمملكة غرناطة كان يحيط بها ويخترقها عدة جبال، كانت لوعورتها وارتفاعها، عاملاً وحصناً طبيعياً لها . فقد كانت سلسلة الجبال العالية، التي تحيط بغرناطة العاصمة، تشكل سوراً طبيعياً منيعاً أمام الهجمات الكثيرة التي تعرضت لها. وأهم هذه الجبال جبل شيلر (ضمن سلسلة جبال تعرف باسم سيررا نيفادا (Sirra Nevada) وهو تحريف للاسم اللاتيني القديم Solorius أي جبال الثلج، لشدة لمعانه لانعكاس أشعة الشمس على قممه المغطاة بالثلوج. ويطل جبل شيلر على غرناطة العاصمة، ويبلغ ارتفاعه ٣٤٨١ متراً.^(٥) ويذكر الزهري أنه لا بنيت في قممه نبات ولكن النبات ينبت على سفحه^(٦).

كما أن وجود جبل طارق Gibraltar (نسبة إلى طارق بن زياد) بمثابة حصن طبيعي للمملكة من ناحية الجنوب، وخاصة بعد أن أنشأ الموحدون على سفحه مدينة الفتح، لتكون مركزاً للعمليات الحربية (لذلك سمي جبل الفتح). وقبل الفتح الإسلامي أطلقت عليه أسماء عديدة، أهمها الاسم الفينيقي Calpe ومعناه تجويف، حيث كان يطلق على مغارة كبيرة في هذا الجبل. أما عن مضيق جبل طارق، أو بحر الزقاق، فهو ممر مائي ضيق، يبلغ عرضه في أضيق جهاته حوالي ١٥ كم، وهي مسافة ساعدت على عبور المغاربة إلى بلاد الأندلس^(٧)، وهو بوابة الأندلس إلى بلاد المغرب والعكس، وعنه يذكر ابن الخطيب:

هو الباب إذ كان التزاور واللقيا وغوث وغوث للصريخ وللقسيا

فإن تترك الأيام فيه بحادث وأعزز به كل السلام على الدنيا^(٨)

كما أن جبل فارة (يتشديد الراء وضماها) Gibrlearo الذي يشرف على مرسى مدينة مالقة Malaga^(٩) كان بمثابة حصن طبيعي للميناء^(١٠).

وكما كانت الجبال تحمي المملكة، كانت الأنهار التي تخترقها بمثابة أحد عوامل التحصين الطبيعي لها، وعاملاً مساعداً لوقوفها في وجه أعدائها. فقد كان يخترقها عدد كبير من الأنهار، منها نهر الوادي الكبير الذي يمر بمسافات طويلة داخل بلاد الأندلس، وتتفرع منه عدة أنهار أخرى، أهمها نهر شنيل Genil، وهو النهر الذي تقع عليه العاصمة غرناطة. وينبع من

جبل سيرانيغادا^(١٣)، وهو يؤمن المدينة من ناحية الجنوب^(١٤) ويقطع مسافة أربعين كيلومتر غرب العاصمة غرناطة.^(١٥) كما يوجد نهر حدره Derra (بفتح الحاء والراء) والذي ينحدر من جبل قرب مدينة وادي آش Guadix^(١٦) شرقي جبل شيلر، وينتهي إلى غرناطة العاصمة ويمر شرقها، ويلتقي بنهر شنيل خارج المدينة، وطوله ١١ كم^(١٧) كما أن نهر وادي المنصورة والذي يسميه العرب وادي بيرة- لأنه يصب في البحر المتوسط عند بلدة بيرة،- كان بمثابة حصن طبيعي لغرناطة^(١٨).

ولوجود الجبال والأنهار، سألغة الذكر، باتت بعض المدن الأندلسية محصنة طبيعياً، فكانت بمثابة حماية طبيعية لها للتصدى لهجمات الممالك المسيحية، وبخاصة التي عاصرت بني الأحمر. ومن هذه المدن مدينة مالقة ذات الموقع المتميز، فهي تقع على البحر المتوسط في وادي عميق، يحد هذا الوادي من الشمال المرتفعات الشاهقة، ومن جنوبيه منطقة وعرة كلها جرداء^(١٩). ومدينة وادي آش التي تطل من الشرق على نهر الوادي الكبير، ومن الغرب على صخرة منيعة عالية تشرف على واديهما الأخضر، وتبدو من بعده جبال سيرانيغادا الشاهقة على بعد اثني عشر كيلومتراً منها.^(٢٠)

كذلك كانت مدينة المرية Almeria^(٢١) محصنة بجبل شمالاً والساحل جنوباً، ومن الشرق والغرب واديان ضحلان.^(٢٢)

وبذلك، فإن الناظر لحدود مملكة غرناطة، يجد أنه يحدها من الشمال مرتفعات جبال سيرانيغادا ونهر الوادي الكبير، ومن الجنوب والشرق البحر المتوسط، ومن الغرب ولاية قادس وأرض الفرنتيرة^(٢٣)

اهتمام المسلمين بتحصين المملكة :

كان لوجود مملكة غرناطة الإسلامية في مكان تحيط به الممالك المسيحية المتربصة بها من كل جانب، وبخاصة مملكتا قشتالة وأراجون، بالغ الأثر في انشغال الغرناطيون حكومة وشعباً بإقامة التحصينات الحربية التي تساعد في عملية الدفاع عن البلاد، والمدن التابعة للمملكة، إذا ما تعرضت لهجوم القوى المسيحية في أي من الأوقات. وسادت حالة فريدة من التعاون بين الحكومة الغرناطية والشعب الغرناطي في مسألة إقامة التحصينات اللازمة لحماية البلاد والمدن. ويذكر المؤرخ المقرئ: أن الدولة الغرناطية كانت تحت رعاياها الأندلسيين على المساهمة في إقامة التحصينات الدفاعية لأن أموال الدولة كانت تصرف في أوجه مختلفة أخرى، من شراء أسلحة والإنفاق على الجيش، لذلك كان الملوك يطلبون من الرعية المشاركة في إقامة الحصون والأسوار والأبراج للحماية^(٢٤)

وقد استجاب الغرناطيون لرغبة ملوكهم فشاركوا في تشييد الاستحكامات الدفاعية لمدينتهم، خشية وقوعها في أيدي القوى المسيحية، وتزعم العلماء هذه الحركة، ومنهم أبو البركات بن الحاج البلغيفي (ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) - من أشهر العلماء المجاهدين في عصر بني الأحمر - وقد شارك في تحصين بلدته خشية الوقوع في قبضة النصارى، فشارك في بناء الأسوار وحفر الآبار، بل قام بتشديد سور حول أحد الحصون، وكان ذلك من ماله الخاص.

وفي ذلك يقول أبي البركات بن الحاج :

وانتقال التراب والجيار
وجص والطوب والحجار
ورأسي ولحيتي بالغبار^(٢٥)

في افتحار الأساس والآبار
وقعودي ما بين رمل وأجر
وامتهان يردى بالطين والماء

كما أن سكان المناطق الحدودية كانوا يقومون بدفع ضرائب مخصصة لإقامة التحصينات الدفاعية وبخاصة الأسوار لحماية البلاد من هجمات القوى المسيحية، وقد وافق العديد من فقهاء غرناطة على فرض هذه الضريبة، وذلك لما بها من مصلحة عامة تعود على المسلمين في بلاد الأندلس^(٢٦).

كما اهتم المرينيون^(٢٧) بتحصين المدن الأندلسية التي كانت خاضعة لسيطرتهم، وقاموا بتشييد العديد من الحصون والأسوار والأبراج بها، علاوة على الاهتمام ببناء مخازن الأسلحة والنخيرة. ويذكر المورخ ابن مرزوق: أن السلطان المريني أبو الحسن علي^(٢٨) قام بتحصين مدينة رندة وعملوا على إنشاء عدد كبير من المنشآت الحربية بها، وعن ذلك يذكر "... وفي بلدة رندة من آثار البناء المحدث عن أمره والمعقل المحصنة والأبراج الشامخة..."^(٢٩)

وبعد أن نجح المسلمون، أندلسيون ومغاربة، في استرداد جبل طارق من أيدي القوات القشتالية في عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م^(٣٠)، اهتموا بإقامة تحصينات قوية للجبل، حتى إذا ما شن القشتاليون الهجوم عليه مرة أخرى، منعتهم التحصينات من الاستيلاء عليه. وأشرف على هذه التحصينات القائد أبو مالك بن السلطان المريني أبي الحسن علي. وقام المسلمون ببناء حصن بالجبل، كما عملوا على إحكام السور حوله، وبناء مسجد جامع به، ومرافق برية وبحرية. واستخدم المسلمون في هذه التحصينات المؤن والعتاد اللازم لذلك، والذي أرسله السلطان المريني أبو الحسن علي لإقامة تلك التحصينات^(٣١).

أهم المنشآت الحربية :

الحصون:

الحصن في اللغة: من حصن المكان يَحصُنُ حصائنه، فهو حصين: متع، وأُحصنَه صاحبه وحصنَه. والحصن كل موضع حصين لا يُوصَل إلى ما في جوفه، والجمع حصُون. ^(٣٢)

وكان بنو الأحمر مثل أسلافهم حكام الأندلس، يعمدون إلى بناء الحصون لحماية البلاد الإسلامية من هجمات القوى المسيحية، وهذه الحصون تتقدم الأسوار لحمايتها وقت الهجوم، والحصن في غالبه عبارة عن بناء ذي مناريس مسننة، له عدة أبواب متداخلة، عادة ما تكون في أحد زواياه. ويذكر ابن الخطيب أن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول^(٣٣) (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) قام ببناء حصن على أحد الجبال المطلّة على ميناء مالقة مباشرة، والمسمى جبل فارة لحماية الميناء من أي هجوم مسيحي متوقع، وعن ذلك يذكر

أن: ".... وفي أيامه بنى الحصن السامي الذروة، المبنى على القذرة، في الجبل المتصل بقصبة مألقة، فَعَظَم به الفخر، وجل الذكر..." (٣٤)

كما أن السلطان الغرناطي محمد الخامس (١٣٥٥-١٣٥٤/١٣٩٣م-١٣٩١م) قام بتجديد هذا الحصن، وأصدر بعض الظهائر إلى رعيته من أهالي مألقة بضرورة الاهتمام ببناء الحصون القوية على هذا الجبل حماية للمدينة وإعانة للمسافرين (٣٥). ويعد حصن جبل فارة: صرخاً إسلامياً يشهد على عظمة العساة الإسلامية في تلك الفترة، وقد اختار المسلمون لبنائه ربوة عالية تشرف على البحر، ويقع على مسافة صغيرة من القصبة ويفصل الحصن عنها رقعة خضراء، ويرتبطان بطريق مسور، وأسوار الحصن الخارجية مشيدة من الآجر الأحمر، وبه برج رئيسي أبيض اللون، مستدير الواجهة، ويشرف الحصن على المدينة من ارتفاع شاهق، وأمام الحصن من الناحية الأخرى منحدر الجبل، وكان للحصن أربعة أبواب كبيرة في سوره الأسفل، أحد هذه الأبواب يؤدي إلى قصبة المدينة. (٣٦) وقد سقط الحصن في أيدي الملكين الكاثوليكين عام ١٤٨٧/٨٩٢م، بعد حصار دام أربعين يوماً (٣٧)، وما زال الحصن يحتفظ حتى الآن بطابع الطراز الإسلامي، فقد تبقى منه اليوم أسوار السياجين وجزء من البرج الأعظم (٣٨).

ومن أشهر حصون مملكة غرناطة: حصن العقاب، على مقربة من غرناطة، وحصن شلوبياتية وهو حصن بحري، وحصن البيول Bael (٣٩)، كما أنه بالقرب من غرناطة العاصمة، وعلى بعد اثنين وثلاثين كيلو متراً شمال غربي المدينة، كان يوجد حصن موكلين المنيع، على ربوة عالية هرمية الشكل، وتشرف من ارتفاعها الشاهق على سائر البسائط المجاورة، وفي أسفل الحصن تقع قرية موكلين، وقد لعب حصن موكلين دوراً بارزاً في حرب غرناطة الأخيرة، وكان من أمنع خطوط الدفاع الشمالية عن المدينة، وكان سبباً في رد القشتاليين عن غرناطة في شعبان ٨٩٠هـ/يونيه ١٤٨٥م، بعد هزيمتهم هزيمة فاحشة على أعقاب هذا الحصن (٤٠). وقد حرص سلاطين بنى الأحمر على تشييد العديد من الحصون ووضعوا عليها الأبراج بطول ساحل المرية لحماية مينائها من الهجمات المسيحية المتكررة على السواحل الإسلامية، بهدف السيطرة على الموانئ والمدن (٤١).

الأربطة:

تعددت الوظائف التي تقوم بها الأربطة؛ بين حربية ومدنية ودينية، حيث كانت في البداية قد نشأت حربية، واستخدمت للعبادة والتصوف، كما استخدمت أيضاً كمحطات تجارية، ومستودعات لحفظ المواد التموينية والغذائية، وأيضاً محطات بريدية، كما أشرفت على أمن الطرق، بالإضافة إلى حفظ الخيول والمواشي، وأيضاً حفظ المياه في الخزانات والصهاريج. ولقد ظلت الأربطة تؤدي دورها الحربي طوال عصر بنى الأحمر، ومثال ذلك: سلسلة الرباطات التي كانت تحيط بمدينة المرية مثل الرباط المسمى برباط القبطة "Cabo de Cata" على ساحل المدينة، والذي تم تشييده في عهد السلطان محمد الخامس، لحماية الساحل من أي هجوم

مسيحي محتمل ^(٢٧) . كما كان هناك رباط بجانة ^(٢٨) القريب من ميناء المرية أيضا، وكذلك رباط عمروس ورباط الخشنى ^(٢٩) .

وفى رحلته: تعرض ابن بطوطة لذكر الرباطات الأندلسية، فيذكر أنه فى طريقه إلى مائقة مر برباط سهيل، والذى قضى فيه ليلته ^(٣٠) . كما أنه يذكر أنه فى زيارته لمدينة غرناطة العاصمة توجه مع الشيخ الولي الصالح أبى عبد الله محمد بن المحروق لزيارة رابطة الغقاب، وزاوية بنى المحروق، ويذكر أن الغقاب جبل مطل على خارج غرناطة ^(٣١) .

الأسوار:

كانت عمليات تحصين المدن والأحياء السكنية الكبرى الغرناطية تبدأ بتشييد الأسوار المرتفعة والمتينة، وكانت هذه الأسوار مزودة بأبراج على طول مسارها، لحمايتها إذا ما قامت القوى المسيحية بشن الهجوم عليها فى أى من الأوقات . ففى عهد السلطان الغرناطى يوسف الأول: تم تشييد السور الأعظم الذى كان يحيط بأكثر المناطق السكنية فى مدينة غرناطة العاصمة، وهو ريبض البيلايين ^(٣٢) .

والسور الغرناطى مثله مثل العديد من الأسوار فى البلاد والمدن الإسلامية، فى تلك الفترة، فهو فى الغالب يتألف من درب فى أعلاه، يسير عليه المحاربون، يطلق عليه فى الغالب ممشى السور، وفى السور شرفات يُقذف منها بالسهم، كما يضم السور بعض الدوريات التى تستخدم فى الاحتماء ^(٣٣) .

وما يزال بعض أجزاء من سور مدينة غرناطة قائما حتى اليوم، يشهد على متانة بنائه وعظمة تشييده، وأغلب الأجزاء الباقية من السور تلك التى تقع فى الجهة الشمالية الغربية، وتمتد نحو كيلو متر، كما بقيت بعض أجزاء من سور الجهة الشرقية، والتى تشهد على متانة التحصينات الغرناطية. ^(٣٤)

كما أن الحمراء ^(٣٥) كان يحيط بها سورٌ حول قصورها كلها، وكان السلطان الغرناطى محمد بن الأحمر قد أنشأ بعض أسوار الحمراء، كما قام ابنه محمد الثانى الفقيه، فى أواخر القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى، باستكمال بعض أجزاء السور، والعمل على تحصينه ^(٣٦) وتوالت الإنشاءات فى السور بعد ذلك حتى اكتمل حول الحمراء كلها فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول، كما أتم بناء أبراجه وبواباته ^(٣٧)، وتكتمل هذه الأسوار القصبة فى ناحية الغرب، وهذه الأسوار كانت متباعدة ومشيدة بالحجارة الصلبة، ويتألف السور من جدار واحد فقط، وكانت هذه الأسوار شاهقة الارتفاع ^(٣٨) .

كذلك كان جبل طارق يحيط به سور قام السلطان محمد الخامس الغنى بالله فى عام ١٣٥٥/٧٥٦م بعمل تلبية له، وإصلاح الأجزاء المتهاكلة به. ^(٣٩)

كما أن أسوار مدينة المرية يرجع بناؤها إلى مؤسسها عبد الرحمن الناصر، وكان قد أقامها في عام ٨٣٤٣هـ/٩٥٤م^(٥٦)، إلا أنها شهدت على مدار تاريخ المدينة منذ تأسيسها وحتى سقوطها في أيدي القشتاليين عام ٨٩٥هـ/١٤٩٠م^(٥٧) عدة تجديدات وتحصينات، ازدادت في عصر بني الأحمر، عندما اشتمت وطأة الممالك المسيحية على البلاد الإسلامية^(٥٨). وللمدينة سور كبير منيع عال من ناحية البحر لتحصين المدينة، وسور آخر بُني حول ريفها الشرقي لحمايته، كما كان ريفها الغربي محصناً بسور كبير أيضاً، وكانت مدينة المرية قد تعرضت لهجوم شديد وحصار قوي من جانب القوات الأراجونية في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م^(٥٩) ورغم أن آلات الحصار الأراجونية كانت حديثة وقوية؛ فإنها لم تتمكن من افتتاح أسوار المرية المثينة، فاضطرت إلى رفع الحصار عنها^(٦٠).

الأبراج :

البَرْج في اللغة : تباعد ما بين الحاجتين، وكل ظاهر مرتفع فقد بَرْج، وإما قيل للزوج بَرْج لظهورها وبياتها وارتفاعها، والجمع أبراج^(٦١).

والأبراج بناء حربي قد يأخذ شكل المربع، أو المثلث أو المستدير أو غير ذلك من الأشكال، وتكون في موضع بارز فوق الأسوار، وكانت من أهم الاستحكامات الدفاعية في العمارة الحربية الإسلامية، وبخاصة في بلاد الأندلس، نرد أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها . فقد قام السلطان الغرناطي محمد الثالث^(٦٢) (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩م) بإنشاء خمسة أبراج على مشارف فحص غرناطة لحماية أهل الريف وقت هجوم التنصاري عليهم^(٦٣)، ويذكر ابن الخطيب: أن عدد أبراج مملكة غرناطة بلغ أربعة عشر ألفاً^(٦٤)، ووقت استيلاء حملة قشتالة على مالقة وجدوا عدد أبراجها وقد بلغ ألف وثلاثين^(٦٥).

وكان نور الأبراج المراقبة، فيذكر ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد الأندلس: أنه توجه من مدينة مريلة إلى مدينة سهيل، ويذكر أنه بعد دخوله في حوز مدينة سهيل، رأى برجاً للمراقبة هو برج الناظور، وقال في نفسه "... لو ظهر ها هنا عدو لأنذر به صاحب البرج..."^(٦٦) وبينما هو كذلك حتى شن أربعة أجفان^(٦٧) للنصارى على المدينة، ولم يكن الناظور بالبرج، ولم يعلمهم أحد بالغارة، وكانت النتيجة أن قتل فارس مسلم وتم أسر عشرة، ونجح فارس في الفرار^(٦٨).

كما قام سلاطين بني الأحمر ببناء الأبراج المختلفة حول المدن للدفاع عنها فمدينة مالقة كان بها عدد كبير من الأبراج، والتي شُبهت أبراجها ببروج السماء في كثرتها وضيائها^(٦٩)، واستمرت هذه الأبراج حتى كان تدمير أغلبها على أيدي الحملة التي عمدت إلى الاستيلاء عليها، في عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، وكانت عقبة كبيرة في وجه الحملة القشتالية، إلا أن تفوق سلاح المدفعية القشتالية، الذي نجح في تدمير هذه الحصون، كان سبباً في نجاح تلك الحملة^(٧٠).

كذلك عُرف من الأبراج الغرناطية، في تلك الفترة، أبراج الطليعة أو المراقبة Torres Atalaya، وهي مأخوذة من الكلمة العربية الطليعة، وهي أبراج قام المسلمون بتشييدها على ارتفاع كبير حتى يمكن من خلالها مراقبة تحركات القوى المسيحية، وتقوية الاستحكامات حول المدن والمناطق الحيوية في المملكة ومنها السواحل والموانئ. وكانت هذه الأبراج ملاذاً آمناً للمسلمين إذا ما شنت القوى المسيحية هجوماً مباغتاً عليها^(٧١) ومن أشهر أبراج الطليعة: الأبراج التي شيدت حول المدن المهمة كغرناطة والمرية ومالقة، علاوة على مدينة جيان Jaen^(٧٢) التي عن طريقها كانت تكثر الغارات القشتالية على الأراضي الإسلامية^(٧٣).

وقد عمد سلاطين بنى الأحمر إلى تشييد أعداد كبيرة من هذا النوع من الأبراج، لما لها من دور حيوي في حماية المدن الإسلامية، ففي عهد السلطان الغرناطي يوسف الأول؛ شيد الحاجب أبو النعيم رضوان، عددا كبيرا من أبراج الطليعة بطول الساحل الغرناطي، بلغ عددها أربعين برجاً، بهدف تأمين الساحل الغرناطي.^(٧٤) وكانت أبراج الطليعة تلقى اهتمام العديد من القيادات المسيحية، في حريهم ضد البلاد والمدن الإسلامية، فكان القادة المسيحيون حريصين حرصاً شديداً على تدمير أبراج الطليعة، في البلاد الإسلامية، وخاصة الحدودية، لأنها كانت تعوق حركتهم وتمنع تقدمهم في الأراضي الإسلامية مرات عديدة، لما تقوم به من إبصار المسلمين بقوات النصرارى عند تقدمها^(٧٥).

وقام المسلمون في غرناطة بتشييد أنواع أخرى من الأبراج، كانت مربعة الشكل، تقام بين مسافة وأخرى، وكثر تشييدها في غرناطة والمرية ومالقة، كما قاموا بتشييد أبراج مستديرة الشكل، وكان الهدف من هذه الأبراج هو زيادة الاستحكامات الدفاعية على المدن الإسلامية^(٧٦). وكان البرج يتألف من نصفين: نصف أدنى مصمت، ونصف علوي تشغله غرفة، وينفتح سطحه مع سور الممشى، وتعلو جدرانه العليا شرفات، وقد تشغله غرفتان الواحدة فوق الأخرى، تخصص عادة للحماية. وتزود جدران البرج، في الغالب، بمنافذ للسهم تنفتح فيه، ويغطي الغرفة في الغالب قبوات نصف كروية^(٧٧).

وعرف في عصر بنى الأحمر البرج المسمى والمؤمن والمتعدد الأضلاع، وهو ليس ابتكاراً إسلامياً، وإنما كان معروفاً في العمارة الرومانية والبيزنطية^(٧٨) وتأثرت العمارة الموحدية والمرابطية بالعمارة الرومانية والبيزنطية، وشيدوا أبراجاً ممدسة الشكل. كما شيد الموحدون الأبراج المثلثة الشكل، وكذلك الأبراج متعددة الأضلاع، ونقل عنهم بنو الأحمر هذه الطريقة^(٧٩).

كما شيد الغرناطيون الأبراج المربعة الشكل التي استخدموها في الدفاع، ومن أهم الأمثلة تلك الأبراج المربعة الشكل الموجودة في قصر الحمراء، والناظر إلى هذا النوع من الأبراج يجده من الداخل على شكل فراغ مكعب الشكل، يكون في الغالب جزءاً من قصر، ويدل هذا النوع من الأبراج على تداخل فن العمارة العسكري مع فن العمارة المدنية، ومنها الأبراج التي كانت تشكل جزءاً من قصر برج قمارش Comares وبرج معشوقة Machucas وبرج العقائل

Damas وكانت بعض أبراج الحمراء تشكل قصورًا كاملة، مثل برج هوميناخ Homenaje، وبرج الأسيرة Cantiva، وبرج الأميرات Infantas^(٨٠).

وشيد الغرناطون الأبراج البرانية، وهي ابتكار موحدى الأصل، والهدف منها تدعيم السور الخارجى للمدينة أو الحى، والبرج البرانى يرتبط بالسور الأصلى عن طريق ستارة ثاثوية، تسمى قورجة تستهدف غلق الطريق أمام الأعداء فى أضعف مناطق السور. ومن الأبراج البرانية ما هو مربع الشكل وما هو ثمانى^(٨١). ومن أشهر هذه الأبراج: برج السيدات، وبرج الأسيرة، وبرج مخدع الملكة، وبرج الأمراء وبرج قمارش .

وتشهد أسوار المرية على قوة تحصين المسلمين لبلادهم، فقد شيد بنو الأحمر عدد من الأبراج على أسوار المرية لحماية المدينة ضد أى هجوم مسيحى محتمل، ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم: أن الأبراج التى شيدها بنو الأحمر على أسوار المرية، كانت فى غالبيتها اسطوانية الشكل، ويرى أن تاريخ بنائها يعود إلى القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى.^(٨٢)

الأبواب :

كما أن أبواب المدن، والأحياء السكنية الكبيرة، كانت ضمن اهتمامات المسلمين بتحصين مدنهم فى العصور المختلفة، وبخاصة فى عصر بنى الأحمر، وكانت أبواب المدينة تلعب دورًا مهمًا فى إحكام غلق حلقة الدفاع، إذا ما حاول العدو الاقتراب من المدينة، واقتحامها، فهى جزء أساسى من الأسوار وتستخدم فى الدفاع والهجوم، لوجود سقطات وفتحات لرمى السوائل المحرقة وفتحات لرمى الم سهام على المهاجمين، ولذلك اهتم أهل الأندلس بنظام بناء أبواب المدن الإسلامية، وهى بجانب دورها الدفاعى كانت منافذ للدخول إليها والخروج منها، وكانت هذه الأبواب، فى الغالب، تسمى بأسماء المدن التى تتجه إليها لتفتح الطريق مباشرة بينها وبين المدينة التى تقابلها.^(٨٣) فمدينة غرناطة العاصمة كان بسورها أكثر من عشرين بابًا ما زالت حالة بعضها مقبولة، ومن أهم الأبواب باب البيرة Puerta de Elvira، والذى يقع شمال غربي المدينة، ومنه يبدأ شارع البيرة، الذى ما زال يحمل اسمه العربى حتى الآن، وكان ارتفاع هذا السور حوالى اثنى عشر مترًا، ولا يزال باقيا حتى اليوم^(٨٤).

كما أن أسوار مدينة المرية كانت تحتوى على العديد من الأبواب التى كانت تمثل مداخل المدينة، أهمها باب موسى، وربما يرجع إلى أحد أعلام المدينة، وباب بجانة، وباب السودان، وباب المربى، وباب دار الصناعة، نسبة إلى دار الصناعة، وباب العقاب، وباب الزياتين، وباب البحر^(٨٥).

ومن أهم الأمثلة لأبواب الأحياء السكنية الكبيرة: أبواب حى الببازين أكبر أحياء مدينة غرناطة، والذى شيد المسلمون حوله سورًا لحمايته، به ثلاثة أبواب كبرى محصنة أيضًا، وهى

باب البيازين **Puerta de Albaicin** ويقع فى نهاية السور، وباب فحص التلوز أو فج اللوزة **Puerta de Las Pesas** وباب الزيادة **Puerta de Fajalauza** ^(٨٦).

القصبات :

علاوة على الحصون والأسوار المشيد عليها العديد من الأبراج لحمايتها؛ عمد سلاطين بنى الأحمر إلى بناء وتشيد العديد من القصبات بالمدن الأندلسية، وتجديد القصبات التى تحتاج إلى تجديد وترميم، وهذه القصبات تعتبر بمثابة ملاجئ فى المدن الكبرى المأهولة بالسكان، مثل المرية ومالقة ووادي آش، علاوة على العاصمة غرناطة. فيذكر المؤرخ ابن الخطيب: أن السلطان الغرناطى محمد الخامس الغنى بالله، عمل على تجديد القصبات فى مدن الأندلس، فيذكر أنه عمل على .. إطلاق البنى للمدة القريبة والزمان الضيق باثنتين وعشرين ثغراً من البلاد المجاورة للعدو . والمشاركة الحدود، مع أراضيها المترامية النيران لقرب جوابه منها ثغر أرجدونة المستولى عليه الخراب، أنفق فى تجديد قصبته، واتخاذ جبهه ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب فهو اليوم شجى العدو ... وحصن آش وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج على بعد أقطاره ... ثم ختم ذلك بتجديد حصن الحمراء، رأس الحضرة، ومعقل الإسلام ومقرع الملك ومعقد الأيدى وصوان المال والذخيرة، بعد أن صار قاعاً صفصفاً، وخراباً بلقعا... ^(٨٧). وفى غرناطة العاصمة توجد قصبة الحمراء، وهى ثلاثة أقسام: القصبة الجديدة أو القسم العسكرى شمالى شرق القصر، وهى عبارة عن قلعة تحرس الحمراء، ولها برجان عظيمان أحدهما يسمى برج الشمعة أو الحراسة الذى يستمر على رقاد المدينة، وفى وسط الحمراء يقع القصر الملكى، ثم الحمراء العليا التى تضم مجموعة من البيوتات كانت مخصصة للخدم والحرفيين علاوة على المسجد، ودار المنكة. ^(٨٨)

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وتعد قصبة وادي آش، التى ما تزال باقية حتى الآن، تشهد على عظمة بناتها من المسلمين، فهى تقع فوق ربوة عالية، بل هى أعلى مكان فى الربوة، بها برج كبير، وبرجان صغيران قبالتها، يتصلان لسور دى مشارف عرينية، كما يوجد برج رابع فى زاوية منعزلة منها، وهذه الأبراج تشرف على المدينة كلها، وربما كانت القصبة هى أعلى بناء للمسلمين بوادي آش. ^(٨٩)

كما أن قصبة مالقة الحصينة، والتى لا زالت أجزاء عديدة منها باقية، تشهد على حصانتها، وهى تقع على منحدر صخرى قريب من البحر، وأقيمت القصبة فى المرة الأولى فى عهد الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل، ثم جددت هذه القصبة وأعيد بناؤها فى عصر باديس بن حبوس حاكم غرناطة فى عصر الطوائف ^(٩٠). ثم شهدت قصبة مالقة عدة تجديدات فى عصر بنى الأحمر، على مرات متفاوتة، منذ أواخر القرن السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والقرن الرابع عشر الميلاديين، ولعبت قصبة مالقة دور كبيراً فى تحصين المدينة أثناء حصار القشتاليين لها غداة سقوطها فى أيديهم عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، وتضم القصبة عدة مباني منها الأبراج والأسوار، وكذلك بها أبنية سكنية، وكل هذه الإنشاءات تعود إلى عصر بنى الأحمر ^(٩١). وكانت

أسوار القسبة شاهقة الارتفاع، مزودة بأبراج ضخمة مربعة الشكل، تمتد من مسافة لأخرى^(١١). وكان بها اثنا عشر باباً، ومائة وعشرة أبراج كبيرة عدا الصغيرة^(١٢)، كما كان بالقسبة قصر فخم يسمى قصر باديس مؤسسه، علاوة على مجموعة من الدور الصغيرة، لا تقل أهميتها عن القصر، ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها ربما كانت مخصصة لكبار الزوار.^(١٣)

كما أن مدينة المرية كان بها قسبة منيعة لحمايتها تقع في الجزء الشمالي من المدينة، على ريوه جبل عالية صخرية، يبلغ ارتفاع الجبل عن سطح الأرض خمسة وستين متراً، ويصعب ارتقاؤه لوعورته، وهو آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador القريبة من نهر أندرش وتشرف القسبة على ميناء المرية^(١٤). ووقوع القسبة على الجبل المرتفع حتى يتسنى الإشراف منها على الثغر، وتمتد القسبة من الشرق إلى الغرب بطول ٥٣٠ متر، وكان يصل القسبة بوسط المدينة باب، كما كانت مزودة بباب شرقي يخرج من أسوار المدينة، وكان بها مسجد جامع لا تزال آثاره باقية حتى الآن^(١٥)، واهتم المسلمون بتلك القسبة ومبانيها وأسوارها وعملوا على تحصينها بالأبراج، حتى غدت من أعظم القصبات الأندلسية في تلك الفترة^(١٦).

أما عن صورة قسبة المرية فهي: عبارة عن ثلاثة مرتفعات غير متساوية، يفصل بين كل منها سور، والمرتفع الأول وهو الأعلى يقع غربي القسبة، ويتصل بسور يرض الحوض في خط يتفق مع طريق قائم اليوم، وهذا الجزء من القسبة هو معقلها المنيع، وأبراج هذا الجزء أسطوانية الشكل، أما المرتفع الثاني فيكاد يكون مريفاً منبسطاً في سطحه، وكان يشغله القصر وملحقاته، ويتصل سور يرض المصلى، والمرتفع الثالث طويل للغاية، كانت في موضعه بساتين وحدائق. وتشتمل أسوار القسبة على عدد كبير من الأبراج لحمايتها.^(١٧)

الخاتمة

خلص الباحث من هذا البحث عدة نتائج منها:

أولاً : الموقع الجغرافي لمملكة غرناطة: كان من أهم النعم التي من بها الله سبحانه وتعالى على أهل تلك البلاد فكانت محصنة طبيعياً إلى حد كبير، فكانت كل مدينة من مدن الأندلس تتميز بميزة في موقعها إما أن تكون محصنة من ناحية البحر فيتم إقامة سور على البحر في تلك الجهة فيأمن المسلمون شر الهجوم على مدنهم من ناحية البحر، أو أنها تطل على أحد الجبال التي يحميها من الهجمات المسيحية أيضاً، أو أن نهراً من الأنهار تطل عليه المدينة فتكون في مأمن من تلك الجهة .

ثانياً : تشييد الاستحكامات الدفاعية في عصر بني الأحمر: لم يحظ باهتمام سلاطين بني الأحمر فحصب بل شارك فيه الأندلسيون كافة، وعمل الطماء والفقهاء في تلك الفترة على بث روح التعاون فيما يخص هذا الأمر، فضرب المسلمون في بلاد الأندلس أروع المثل في ذلك. كما أن سلاطين بني مرين كانت لهم بصمة في بناء الاستحكامات الدفاعية في بلاد الأندلس، وهذا قليل من كثير قدمته دولة بني مرين لدولة بني الأحمر، وكان من حسن طالع دولة بني الأحمر أنها تأسست في نفس الفترة التي قامت فيها دولة بني مرين في بلاد المغرب .

ثالثاً : تشهد العمارة الأندلسية، في عصر بني الأحمر، على أحد أهم الفنون الإسلامية وهو: فن العمارة الأندلسية التي تطورت ووصلت إلى أوج ازدهارها في بلاد الأندلس في تلك الفترة فكانت خبرة المسلمين قد ازدادت وتبلورت فضربوا أروع المثل في أعظم مبانيهم وهو: قصبة وقصور الحمراء التي لا تزال تشهد على عظمة المسلمين وروعة فنهم في تلك الفترة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م)
 - النفحة النسرينية واللمحة المرينية - تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين للنشر، ط٢، ١٩٩٢م.
- الإدريسي: أبو عبد الله محمد الشريف السبئي (ت حوالي ٥٤٨ هـ / ١١٥٤م)
 - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد الطنجي اللواتي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨م)
 - رحلة ابن بطوطة - بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٢م.
- الحيمري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ق ٩ هـ / ١٥م)
 - الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.
- ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م)
 - الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٧٤م.
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ط٢، ١٩٥٦م.
- خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية - تحقيق لجنة التراث، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ٣، ١٩٨٠م.
- معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط٢، ١٩٨٣م.
- مفاخرات مالقة وسلا - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م.
- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م).
 - العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر - تحقيق خليل شحانة، بيروت، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م.
- ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع القاسمي (ت بعد عام ٧٢٦ هـ)
 - الأنيس المطرب بروض القرطاس - الرياض، دار المنصور، ط١، ١٩٧٣م.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية - تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرياض، دار المنصور، ١٩٧٢م.
- الزهرى: أبو عبد الله محمد (ت في أواسط ق ١٢ هـ / ١٢م)
 - كتاب الجغرافية - تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- العمرى: شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١م)

- وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نشر حسن حسنى عبد الوهاب، تونس، مجلة البدر، ١٣٤١هـ.
- المراكشي: عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٧م)
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار الفرجاني، ١٩٩٤م.
- مجهول:
- أخبار العصر في انقضاء دولة بنى نصر - تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١م.
- ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩م)
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن - تحقيق مازيا خوسبوس بيغرا، الجزائر، مكتبة الشركة الوطنية، ١٩٨١م.
- المقرئ: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ / ١٥٣١م)
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب - تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م)
- لسان العرب - تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م)
- معجم البلدان - بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ.

ثانياً: المراجع العربية والمغربية

- أحمد محمد الطوشي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر - الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٩٧م
- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس - الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٦٨م.
- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس - الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠م
- أندرية جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية - ترجمة محمد مزالي، تونس، الدار التونسية، ١٩٧٨م
- أولغ غرابار: نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامي في شبه الجزيرة الإسبانية - ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشي، مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٨م.
- جيريلين دودز: فنون الأندلس - ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشي، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٨م.
- الميد عبد العزيز سالم: أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية في العصر الإسلامي مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٧٥م
- البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس - بالاشتراك مع د. أحمد مختار العبادي، بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٦٩م.
- تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس -، القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٩م
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨١م

- العصرة الإسلامية في الأندلس وتطورها - مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٧م
- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - الإسكندرية: شباب الجامعة، ١٩٨٩م
- عبد الحكيم الذنون : آفاق غرناطة - دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م
- محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي - الإسكندرية: دار المعرفة، ١٩٩٦م.
- محمد عبد الله عثان: الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا والبرتغال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٩٧م
- دولة الإسلام في الأندلس - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م
- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب العربي والأندلس في العصر المريني - الكويت: دار القلم، ١٩٨٥م.
- محمد كمال شبانة : يوسف الأول سلطان غرناطة - القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م
- محمد ياسين الحموي : الأسطول العربي - دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٤٥
- مونتغمري وات : في تاريخ أسبانيا الإسلامية - ترجمة محمد رضا المصري، بيروت، شركة المطبوعات، ط ١، ١٩٩٢م
- واشنطن إفرنج: - أخبار سقوط غرناطة - ترجمة هاني يحيى نصرى، بيروت، الانتشار العربي للنشر، ٢٠٠٠م
- يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر - بيروت، المؤسسة الجامعية، ط ١، ١٩٨٢م.

ARCHIVE

المصادر والمراجع الأجنبية

- Ahmad Mujtar Al-Abbadī : El-Reino de Granada en la Época de Muhamad V- Madrid, 1973
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
- Arie: (Dr. Rachel): L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides (1232-1492) - Paris, 1973
- El Reino Nasri de Granada (1232-1492) - Madrid, 1992.
- Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953
- Harvey: (L. P.): Islamic Spain (1250 - 1500) - London, 1990.
- Luis Seco de Lucena: : El Hāṣib Ridwān, la Madraza de Granada Y las murallas del Albayzín - (AlAndalus, Madrid Y Granada), Vol. XXI, 1956
- Mackay: (Angus):-La Espana de la Edad Media (1000-1500) - Madrid, 1977.

الهوامش

- (١) معركة العقاب Las Navas de Tolosa: سميت بذلك نسبة إلى قرية العقاب التي تقع بين جيان وقعة رياح وعلى أرضها دارت المعركة بين الجانبين. الإسلامي بقيادة سلطانهم محمد الناصر، والمسيحي تنزعمه قشتالة بقيادة ملكها ألفونسو الثامن Alfanzo VIII، وضم أيضاً قوات من أراجون والبرتغال ونافار وتلقى المسلمون فيها هزيمة قاسية. وللمزيد عن معركة العقاب انظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار الفرجانين ١٩٩٤م، ص ٢٦٥، ٢٤٣.
- (٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي، ينتمي إلى أسرة بني هود الذين حكموا سرقيسة زمن ملوك الطوائف. وهو أول من ثار على الموحدين في الأندلس ولقب بأمير المسلمين، والمتوكل على الله، وسيف الدولة، ويسميه الأسبان ذافادولا Zafadola. كانت بداية ثورة ابن هود في مرسية، ويبيع له بها في عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م. ودعا للخليفة المستنصر العباسي. دخلت في طاعته معظم مدن وقواعد الأندلس بعد ذلك مثل مدينة قرطبة، ويطليوس وغرناطة. وحاول الخلفاء الموحدين القضاء على دولته لكنهم فشلوا في ذلك. وقد دامت دولته بالأندلس عشر سنين (٦٢٥-٦٣٥هـ/١٢٢٨-١٢٣٨م). عن ابن هود ودولته انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - القسم الثاني، تحقيق لطفى بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ط ٢، ١٩٥٦م، ص ٢٧٨؛ الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عثان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٤، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ص ١٢٨-١٣٢؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر - تحقيق خليل شحانة، بيروت، دار الفكر، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٧، ص ص ٢٥١-٢٥٢.
- http://Archivebeta.Sakhrit.com
- (٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري، ويلقب بالغالب بالله، ويعرف أيضاً بالشيخ، يعود نسبه إلى سعد بن عباد سيد الخزرج، فهو بذلك من أعرق البيوت العربية، ولد في بلدة أرجونة Arjona التابعة لمدينة قرطبة، في عام ٥٩١هـ/١١٩٥م، وهو عام موقعة الأرك، ونشأ في تلك البلدة. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٩٢؛ اللوحة البدرية في الدولة النصرية - تحقيق لجنة التراث العربي، لبنان، دار الأفاق الجديدة، ط ٣، ١٩٨٠م، ص ٣٣.
- (٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٩٤.
- (٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٢٨١-٢٨٢؛ الإحاطة، ج ٢، ص ص ١٢٩-١٣٢.
- (٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٢٨٦؛ الإحاطة، ج ٢، ص ٩٨؛ اللوحة البدرية، ص ٤٧.
- (٧) أبو عبد الله الزهري: كتاب الجغرافية - تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ٩٦؛ الحميري: الروض المطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ص ٣٤٣-٣٤٤.
- (٨) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٩٦.

- (٩) ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار - ضمن مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د/أحمد مختار العبادي، الإسكندرية: شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ص ٧٤-٧٥؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس-الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٦٨م، ص ص ٤٠٣-٤٠٤.
- (١٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ص ٧٤-٧٥.
- (١١) مالقة: مدينة ساحلية جنوب شرق الأندلس، يرجع تأسيسها إلى عام ١٢٠٠ ق.م في عهد الفينيقيين، والذين أعطوها اسم مالقة Malako أي المملح، نسبة إلى الأسماك المملحة التي كانت تحفظ فيها، وفي عهد ملوك الطوائف كانت مدينة مالقة عاصمة الحمويين الأدراسة من ملوك الطوائف. انظر: ابن الخطيب : مفاخرات مالقة وسلا- ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ص ٨٧ - ٨٩ : الحميري : الروض المعطار، ص ص ١٧٧-١٧٨؛
- Guillén Robles, F: Málaga Musulmana - Málaga, 2ed, 1957, Vol., I, pp.30-31.
- (١٢) أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس - الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٧.
- (١٣) الزهرى : كتاب الجغرافية، ص ٩٨.
- (١٤) ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٩١.
- (١٥) العمري: وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب المسالك والممالك - تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، تونس: مجلة البدر، ١٣٤١هـ، ص ٢٧.
- (١٦) وادى أش Guadix :مدينة قريبة من غرناطة يقع في الشرق منها جبل شيلر أو جبل الثلج وتقع على ضفة نهر ينبع بالقرب من الجبل. مشهورة بكثرة الزروع والثمار المتنوعة خاصة التوت والأعاب والزيتون. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ص ٦٠٤-٦٠٥؛ المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب- تحقيق إحسان عباس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٤٨.
- (١٧) الزهرى : كتاب الجغرافية، ص ص ٩٣-٩٤؛ أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بنى الأحمر - الإسكندرية، شباب الجامعة، ١٩٩٧م، ص ٥١.
- (١٨) ابن الخطيب: خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ٣٦.
- (١٩) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا والبرتغال- القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٢٤٢.
- (٢٠) نفس المرجع، ص ٢١٥.
- (٢١) المرية : تقع على الساحل الشرقي للأندلس، جنوب شرقي بجاية، على حافة البحر المتوسط، وهي مدينة برية بحرية، وكانت عاصمة ولاية المرية في زمن بنى الأحمر. شيدها الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (الناصر) في عام ٩٣٤هـ/٩٥٦م، لتكون قاعدة بحرية. بينها وبين مالقة ٢٢٢ كم، انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية، ص ١٠١؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ٥٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.

(٢٢) محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي - الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٦م، ص ١٤٠.

(٢٣) أرض الفرنجية: هي بسط قرطبة وإشبيلية وطليلة وجيان، آخذ من جوف شمال الجزيرة من الغرب إلى الشرق، ومعناها بالأسبانية الحدود الفاصلة بين دولتين. انظر: ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٢٩.

(٢٤) المقرئ: نفخ الطيب، ج٩، ص ص ١٠٩-١١٠.

(٢٥) نفس المصدر، ج٥، ص ٤٧٢.

(26) Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada en la Época de Muhamad V- Madrid, 1973, p.132.

(٢٧) بنو مرين فخذ من أفخاذ قبيلة زناتة تولى زعامتهم في عهد الموحدين أبو بكر بن حماسة، ثم خلفه أبو خالد محيو بن أبي بكر، الذي أصيب في موقعة الأرك عام ٥٩١هـ/١١٩٥م إصابة كانت سبباً في وفاته، وعندما دب الضعف في دولة الموحدين استقل أبو محمد عبد لحق المريني بمكناسة وتازا، ثم تدعت أركان الدولة في عهد أبي سعيد عثمان بن عبد الحق . وفي عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م تمكن الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني من إنهاء حكم الموحدين والاستيلاء على العاصمة مراكش. انظر : ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس- الرباط دار المنصور، ١٩٧٣م، ص ص ٢٧٨-٢٩٠؛ ابن الأحمر : النفحة النمرينية واللمحة المرينية- تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين للنشر ط٢، ١٩٩٢م، ص ص ٣١-٣٥؛ محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني - الكويت دار القلم، ط٢، ١٩٨٧م، ص ص ٣-٣٦.

(٢٨) هو السلطان علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبا الحسن، ولد في عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، وتولى في ذي القعدة سنة ٧٣١ هـ / أكتوبر ١٣٣١م بعد وفاة والده السلطان أبي سعيد عثمان، وتوفي السلطان أبو الحسن في عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥٢م . عنه انظر: ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن - تحقيق ماريّا خوسيو بيغرا، الجزائر، مكتبة الشركة الوطنية، ط١، ١٩٨١، ص ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢٩) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ٣٩٢.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) – Paris, 1973, p.159.

(٣٠) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص ٢٩٧-٢٩٨؛ الإحاطة، ج١، ص ٥٣٧؛ اللوحة البدرية، ص ٩٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص ٣٣٧.

Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953, pp. 266-268.

(٣١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ص ٣٩١-٣٩٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص ٢٥٦؛ المقرئ: نفخ الطيب، ج١، ص ٤٥١.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) – Paris, 1973, p.159.

- (٣٢) ابن منظور : لسان العرب - تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، د.ت، المجلد الثاني، ج ١١، ص ٩٠٣.
- (٣٣) هو السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي، تولى بعد وفاة شقيقه محمد بن إسماعيل، وكان عمره وقتها خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر. توفي في عام ١٣٥٤/٧٥٥م، مقتولاً على يد رجل مخبول، يوم عيد الفطر. عنه انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٣٠٤-٣٠٦؛ الإحاطة، ج ٤، ص ص ٣١٨-٣٢٠؛ محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة-القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م، ص ص ٣٠-٥٠.
- (٣٤) ابن الخطيب: اللحة البدرية، ص ١٠٩.
- (٣٥) السلطان محمد الخامس: هو محمد بن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر. ولد في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٧٣٩ هـ / ٢١ يناير ١٣٣٨م وتوفي في عام ١٣٥٤/٧٥٥م وتوفي في عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩١م. عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٣.
- (٣٦) المقرئ: نفح الطيب، ج ٩، ص ١١٠.
- (٣٧) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية، ص ص ٢٤٦-٢٤٨.
- (٣٨) عن حملة سقوط مملكة أنظر: مجهول: أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر - تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١، ص ص ٩٧ - ٩٨ : مؤنغمري وات : تاريخ أسبانيا الإسلامية - ترجمة محمد رضا المصري، لبنان، شركة المطبوعات، ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٥٩.
- Arié, R.: El Reino El Reino Nasri de Granada (1232-1492) - Madrid, 1992, pp. 95 - 96. <http://Archivebeta.Sakhrit.com>
- (٣٩) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٣٨.
- (٤٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ١٠٧.
- (٤١) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية، ص ص ٢١٨-٢٢٠.
- (٤٢) يوسف فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر - بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٨٢، ص ٧٢.
- (٤٣) السيد عبد العزيز سالم و أحمد مختار العبادي: البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس - بيروت، دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٩، ج ٢، ص ٣٠٥.
- (٤٤) بجاة Pechena: يفتح الباء ويدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون وهي مدينة أندلسية ساحلية تسمى أيضاً أثلش اليمن لأن الأمويين أنزلوا قبيلة بني سراج القضاة في هذه المنطقة وألزمهم بحراسة الساحل، بينها وبين المرية خمسة أميال . انظر : الحميري : الروض المعطار، ص ص ٧٩-٨٠.
- (٤٥) أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص ٢٤٧.
- (٤٦) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٦٦٩.
- (٤٧) نفس المصدر، ص ٦٧٢.
- (٤٨) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٥١٧.

- (٤٩) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس - القاهرة، دار النهضة، ط ١، ١٩٦٩، ص ١٣٦.
- (٥٠) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية، ص ١٧٥.
- (٥١) بعد دخول محمد بن الأحمر غرناطة في عام ١٢٣٨/٨٦٣٥م وإعلان قيام دولته، واتخاذها من مدينة غرناطة عاصمة له، رأى أن يقيم حصناً أو قلعة تكون حامية له، فاختار الحمراء، ويقع قصر الحمراء في الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة، ويعود تاريخ إنشاءه إلى بداية دولة بني الأحمر، حيث أمر ابن الأحمر بإتساعه بعد استقرار الأمر له في غرناطة، وفي عهد هـ تم إنشائه القصر، وبعض الأبراج المنيعه، وأنشأ سوراً حولها، ثم أمر ابنه محمد الثاني الفقيه باستكمال الحصن، والقصر الملكي، وشيد محمد الثالث بناء المسجد الجامع، ولكن يعتبر عصر السلطان أبو الحجاج يوسف هو العصر الذهبي لإنشاء قصر الحمراء، ثم أكمله ابنه محمد الخامس. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٢٩٦؛ اللحة البدرية، ص ٤٣؛ السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥، ص ص ٢٠٤-٢٠٦؛ أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ص ٦٠-٦٣.
- (٥٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧، ج ٧، ص ٢٨٩.
- (٥٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ٣١٨.
- (٥٤) عبد الحكيم النون: آفاق غرناطة - دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م، ص ٨٠.
- (٥٥) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٢٣.
- (٥٦) الإدريسي: نزعة المشتاق في اختراق الآفاق - القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ج ٥، ص ٥٦٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.
- (٥٧) عن سقوط المرية انظر: مجهول: أخبار الغر، ص ١٠٠.
- L.P. Harvey: Islamic Spain 1250-1500-London, 1990., p. 304; Arié, R: El Reino Nasrí, p. 100.
- (٥٨) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ١٤٣.
- (٥٩) عن تفاصيل الحملة الأراجونية على مدينة المرية انظر: ابن الخطيب: اللحة البدرية، ص ٧٥؛ ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٦٠) ابن الخطيب: اللحة البدرية، ص ٥٦.
- (٦١) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، ج ٣، ص ٢٤٣.
- (٦٢) هو السلطان محمد بن محمد بن محمد بن نصر ثالث ملوك بني نصر، كان ضعيف البصر، لمواصله السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع، باشر السياسة في حياة والده، وكان شاعراً، يقرض الشعر، ويصفى إليه. تولى في يوم وفاة والده في يوم الأحد الثامن من شعبان سنة ٧٠١هـ/الثامن من أبريل ١٣٠٢م، وتوفي في آخر شهر شوال سنة ٧١٠هـ/مايو ١٣٠٩م. والملقب بالمخلوع لأنه خلع من الحكم عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ص ٥٤٣-٥٤٤؛ اللحة البدرية، ص ٦١.
- (٦٣) أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٢١٩.

- (٦٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٢٤.
- (٦٥) واشنطن إرفرنج: أخبار سقوط غرناطة- ترجمة هاني يحي نصرى، بيروت، الانتشار العربى للنشر، ٢٠٠٠م، ص ص ٢٨٣.
- (٦٦) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
- (٦٧) والجمع أجافان، وهى سفينة حربية وتجارية. ما كان يستخدم منها فى الحروب يسمى الأجفان الغزوية. وما كان يستخدم فى النقل منها يسمى الأجفان التجارية المقرى : نفح الطيب، ج ٧، ص ٦٧؛ محمد ياسين الحموى: الأسطول العربى- دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٤٥، ص ٤٤.
- (٦٨) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
- (٦٩) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٧.
- (٧٠) واشنطن إرفرنج: أخبار سقوط غرناطة، ص ص ٢٨٣-٢٨٤. ويضيف أن المسلمين المدافعين عن الأبراج والمتحصنين بها استعملوا فى الدفاع عنها، ولكن تمكن القائد القشتالى فرانسيسكو دى مادريد قائد قوات المدفعية من التسلل إلى البرج الأول ووضع تحته عبوة كبيرة قابلة للاشتعال، ولما نجح فى اشعال النيران فيها انفجر البرج محدثاً صوتاً قوياً ففرح المسلمون لذلك، فاستولى النصارى على البرج ثم تقدموا نحو الأبراج الأخرى الموازية له، حتى تمكنوا فى النهاية من دخول المدينة بعد سقوط الأبراج فى أيديهم. انظر: واشنطن إرفرنج : أخبار سقوط غرناطة، ص ص ٢٨٣-٢٨٤.
- (٧١) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢١٩.
- (٧٢) مدينة جيان Jaen: تنطق بالفتح ثم التشديد وآخره فون، مدينة أندلمية من أقدم المدن بالأندلس، تقع بالقرب من مدينة البيرة Elvira، بينها وبين بياسة مسافة تقدر بعشرين ميلاً انظر : الحميرى: الروض المعطار، ص ص ١٨٣-١٨٤.
- (٧٣) أحمد مختار العبادى: صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٥.
- (٧٤) ابن الخطيب : الإحاطة، ج ١، ص ٥١٧.
- (٧٥) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢١٩.
- (٧٦) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس- مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٧م، ص ١٢٨.
- (٧٧) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس، ص ١٢٨.
- (٧٨) السيد عبد العزيز سالم : أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية فى العصر الإسلامى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمريد، ١٩٧٥م، ص ١٥٢.
- (٧٩) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس، ص ١٢٨.
- (٨٠) جيريلين دودز: فنون الأندلس- ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشره: سلمى الخضراء الجيوشى، مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٨٨٥.
- (٨١) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها، ص ص ١٢٨-١٢٩.
- (٨٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٤٤.
- (٨٣) محمد أحمد أبو الفضل: المرية، ص ١٤٨.
- (٨٤) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١٨١-١٨٢.

- (٨٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ١٩٢؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ١٠١؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٢٥.
- (٨٦) محمد عبد الله عفان: الآثار الإسلامية، ص ١٦٨.
- (٨٧) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ص ٥١-٥٢.
- (٨٨) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١٨٩؛ محمد عبد الله عفان: الآثار الإسلامية، ص ١٨٤؛ أولغ غرابار : نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامى فى شبه الجزيرة الإيبانية - ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ص ٨٥٠-٨٥١.
- (٨٩) محمد عبد الله عفان : الآثار الإسلامية ، ص ٢١٦.
- (٩٠) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
- (٩١) محمد عبد الله عفان : الآثار الإسلامية، ص ص ٢٤٣-٢٤٤.
- (٩٢) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
- (٩٣) محمد عبد الله عفان : الآثار الإسلامية ، ص ٢٤٦.
- (٩٤) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
- (٩٥) محمد أحمد أبو الفضل: المرية، ص ص ١٤٢-١٤٣.
- (٩٦) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٠.
- (٩٧) الحميرى : الروض المغطار، ص ١٨١؛ المقرئ : نفح الطيب، ج ١، ص ١٥٣.
- (٩٨) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٠.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

موقف ابن إياس من العثمانيين

د. محمد أسامة زكي زيد (*)

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله مالك الملك على الدوام، الذى خلق السموات والأرض وما بينهما بالتمام،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى نهاية
الزمان.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتكم إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) [آل عمران ١٠٢، ١٠٣].

ثم أما بعد... المؤرخ الكبير أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، الذى توفي
عام ١٥٢٤هـ/١٥٢٤م^(١) هو شيخ مؤرخى مصر فى زمانه. ولا تكون قد ذهبت بعيداً إن قلنا أن
كتابه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) الذى ينتهى بأحداث عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م، هو أهم
مصدر لتاريخ سلطنة المماليك بعد وفاة المؤرخ الكبير أبو المحاسن جمال الدين ابن تغرى بردى،
صاحب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) الذى توفي عام ٨٧٤هـ/١٤٦٩م.

ولابن إياس مصنفات أخرى منها (نزهة الأسم فى العجائب والحكم)، (تشق الأزهار فى
عجائب الأقطار) (عقد الجمان فى وقائع الزمان)، (الجواهر الفريدة والنوادر المفيدة)^(٢). وبالرغم
من مكاتبة ابن إياس العظيمة إلا أن من خلفه من المؤرخين لم يهتموا بالترجمة له فى كتبهم، فلم
يترجم له نجم الدين الغزى فى (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)، ولم يترجم له عبد القادر
العبدروس فى (النور السافر عن أخبار القرن العاشر)، ولم يترجم له ابن العماد الحنبلى فى
(شذرات الذهب فى أخبار من ذهب)، لذلك فنحن لا نعرف عن ابن إياس القليل، ومن ذلك ما ين
برقوق، وأما والدى فاته عاش من العمر نحواً من أربع وثمانين سنة وجاءت من الأولاد خمسة

وعشرون كتبه هو عن نفسه في ذكر خبر وفاة والده في شعبان عام ٩٠٨هـ/١٥٠٣م فقال ما نصه^(٢): (وفي يوم الجمعة ثالث عشره توفي والدی المرحوم الشهابی أحمد بن المرحوم إياس الفخری من جنید، وكان أصله من مماليك الظاهر برفوق، وقرر دودار ثانی في دولة الناصر فرج ولدا ما بین ذكور وإناث غیر المسقوط، وعاش له من ذلك ثلاثة صبيان وبنات وكان كثير العشرة للأمرأ وأرباب الدولة رحمة الله عليه، وكان من مشاهير أبناء الناس)^(٣).

وقد عاصر ابن إياس الفتح العثماني لمصر والشام، وشهد زوال السلطنة المملوكية عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م. ودون الوقائع والأحداث بتفصيلاتها في الجزء الخامس من تاريخه (بدائع الزهور في وقائع الدهور)، وكان آنذاك في العقد الأخير من عمره وقد بلغ مبلغاً من الحكمة والعلم وسعة الإدراك، وقد ذم ابن إياس الفتح العثماني لمصر والشام، وحم السلطان سليماً الأول خاصة، ورجال الدولة العثمانية عامة بغير حق في كثير من الأحيان، فمن يطالع الجزء الخامس من كتابه المذكور بعناية وتدقيق نظر سبتين له أن ابن إياس الذي بدأ كتابة تاريخه وفقاً لمنهج يتسم بالحياد وحسن التحقيق وكمال التدقيق، استصحيه حتى نهاية الجزء الرابع، قد فقد شيئاً من حياده وإنصافه في تدوينه للجزء الخامس المتعلق بوقائع الفتح العثماني لمصر والشام، والسنوات الأولى من الحكم العثماني في مصر. ولست أدري ما إن كان ابن إياس مدركاً لحال العالم الإسلامي آنذاك، ومدركاً لضرورة وحتمية ما قام به السلطان سليم الأول من إعادة توحيد بلاد المسلمين لمواجهة الأخطار الثلاثة التي تكاثرت عليهم في آن واحد، أم أنه كان غافلاً عن ذلك فظن أن الفتح العثماني لمصر والشام ما هو إلا بغى وعدوان غاشم !! وقبل أن أقیم الأدلة على تحامل ابن إياس على العثمانيين ينبغي توضيح حال قلب العالم الإسلامي قبيل الفتح العثماني لمصر والشام، والذي دفع السلطان سليماً للقيام بفنوحاته^(٤).

فبعد أن استولى الإسبان والبرتغال على الأندلس وطردوا المسلمين منها توجهت أنظارهم إلى سائر بلاد المسلمين وطمعوا فيها وعزموا على أخذها، ففي عام ٨٩٩هـ/١٤٩٤م تم توقيع إتفاقية (توردي سيللاس) بين إسبانيا والبرتغال برعاية البابوية في روما لاقتسام أجزاء من بلاد المسلمين بينهما لنلا يختفوا، فقد حصلت إسبانيا على المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وحصلت البرتغال على المغرب الأقصى والساحل الإفريقي على المحيط الأطلسي ويموجب ذلك شن الإسبان والبرتغال حروباً على تلك البلاد طالت سنوات عديدة، ولم تكن الروح الصليبية غائبة عن الأوروبيين يومئذ، بل كانت أهدافهم تنطلق من تلك القاعدة، وقد أرسل كريستوفر كولومبوس رسالة إلى ملكي إسبانيا فرناند وإيزابلا عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م يطلب منهما تجهيزه بحملة عسكرية للاستيلاء على بيت المقدس^(٥). وكان الإسبان والبرتغال آنذاك أقدر دولتين في أوروبا على الاضطلاع بمهمة تجهيز الحملات الصليبية على المسلمين لأتبعهما كانتا الأكثر تطوراً بفضل ما آل إليهم من تراث المسلمين في الأندلس. ولكن بفضل من الله وإحسان باعته جهودهم بالفشل، وتلاشت أحلامهم، وتحطمت تلك الموجة العاتية من الحملات الصليبية على صخرة آل عثمان بفضل من الله الكريم المنان .

وفقاً للاتفاقية المذكورة قام الإسبان بالاستيلاء على بجاية^(١) ثم وهران^(٢) في عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م ثم على طرابلس الغرب^(٣) عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م، وقد عمدوا إلى التصير الجماعي أو الإبادة الجماعية لأهل تلك البلاد، وقد نقل (شارل فيرو)^(٤) نص خطاب فرناند ملك إسبانيا إلى الكونت (بثرو دى نافارا) وهو فى طريقه إلى الاستيلاء على طرابلس، وقد جاء فيه: (سبق وأن ذكرت لى فى خطابتكم مراراً أننا إذا ما أردنا أن نحافظ على وجودنا فى إفريقيا، فإتبه يتحتم علينا أن نحتل مدن وهران وبجاية وطرابلس، وفى حالة احتلالنا لهذه الأخيرة يتوجب علينا أن نعرها برمتها بالنصارى وإلا فإن المغاربة بما أنهم يسودون بقية مناطق البلاد، إذا ما سمحنا لهم بالسكن فى مدن الساحل فإتبه سيستحيل علينا أن نحفظ بما احتلناه وقتنا طويلاً. وإذا فإن انتظراً لما هو أفضل، يتحتم أن تصكر فى المدن الثلاث المذكورة حامية كبيرة من النصارى وألا يسمح لأى مغربى أن يطأها). وقد علق فيرو على ذلك بقوله: (وتبعاً للبرنامج الملكى الذى وضعه فرناند ملك إسبانيا والذى سبق لجانب منه أن نفذ باحتلال مدينتى وهران وبجاية فإن جميع الطرابلسيين قد طردوا من مدينتهم وهدمت فيها المنازل والمباني العامة كلية)^(٥). قلت: ولا ريب أن الإسبان كانوا يخططون لمد ملكهم إلى بنى غازى، ثم الإسكندرية، ثم دمياط ثم العرش وربما لأبعد من ذلك.

أما البرتغال فبعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م أصبحوا ملوكاً على الساحل الإفریقی للمحيط الأطلسي، كما أسسوا لهم قواعد فى الساحل الغربى للهند المسمى ساحل ملبار وتعرضوا للمسلمين ونكلوا بهم وسبوا دينهم ومنعوا قوافل الحج من الخروج، وأحرقوا المساجد والمصاحف، وكل ومن كان يتصدى لهم من المسلمين لا يناله إلا التعذيب أو القتل^(٦). ثم استولوا بعد ذلك على جزيرة سقطرى^(٧) عند مدخل خليج عدن، ثم امتد نشاطهم إلى الخليج العربى فاستولوا على قلعات^(٨) ومسقط^(٩) وهرمز^(١٠) فى عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م^(١١). واستيلائهم على جزيرة سقطرى دخلوا البحر الأحمر وتعرضوا لسفن المسلمين وهاجموا سواحل الحجاز، كما أصبح بإمكانهم إغلاق البحر الأحمر إغلاقاتاً تاماً ومنع السفن القادمة من الهند من الدخول فيه، وقد ذكر ابن إياس فى عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م أن البضائع لها ست سنوات لم تصل من الهند إلى جدة^(١٢). ثم استولى البرتغال على جزيرة كمران^(١٣) فى جنوب البحر الأحمر بالقرب من مضيق باب المندب عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م. وكانت الدولة العثمانية آنذاك تقدم المساعدات العينية والفنية للمماليك حتى يتمكنوا من التصدى للهجمات البرتغالية، وقد استمر ذلك الدعم العثماني لعدة سنوات فى عهد السلطان بايزيد الثانى^(١٤)، وإبنه السلطان سليم الأول إلى السلطان المملوكى قاتصوه الغورى، كما سيأتى بيانه، ولكن الغورى وإن كان قد حقق انتصارات فى بداية الأمر إلا أنه أخفق فى النهاية فى طرد البرتغال من البحر الأحمر، ولعل السبب فى ذلك أن دولة المماليك كانت قد بلغت آنذاك حدّاً من التدهور والانهيار لا تجدى معه أى محاولات لإصلاحها والنهوض بها، وأياً كانت الأسباب فإن الأمر لم يكن خطراً على السلطنة المملوكية فحسب بل على العالم الإسلامى كله، إذ جرى تطويق بلاد المسلمين من الشمال والجنوب.

وفي نفس الوقت كان هناك خطر ثالث يهدد بالعالم الإسلامي لا يقل عن الخطر الأوروبي ذي الدوافع الصليبية، ألا وهو خطر الرفضة^(٢٠) في فارس فقد ظهر الشاه إسماعيل الصفوي^(٢١) وإستولى على تبريز^(٢٢)، ثم فرض فيها عقيدة الشيعة الاثني عشرية على الناس قهراً، وسعى لنشرها خارج فارس، فاجتاح العراق وبخلف بغداد عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م^(٢٣). وقد قال عنه التهرتالي: (كاد أن يدعى الربوبية، وكان يسجد له عسكره ويأترون بأمره وقتل خلقاً لا يحصون ينوف على ألف ألف نفس، بحيث لا يعدد في الإسلام ولا في الجاهلية ولا في الأمم السابقة من قتل ما قتله شاه إسماعيل، وقتل عدة من أعظم العلماء بحيث لم يبق أحداً من أهل العلم في بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لأنها مصاحف أهل السنة، وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها)^(٢٤).

وفي عام ٩١٧هـ/١٥١١م. أشعل الشاه إسماعيل تمرداً في الأراضي العثمانية في الأناضول بزعامة أحد أتباعه يسمى شاه قولي، جمع حوله بعض الأسافل والرعاع ممن استجابوا لدعوته، وصاروا يهجمون على البلاد يقتلون وينهبون ويسلبون من لا يستجيب لعقيدتهم الفاسدة، وقد تصدى لهم وحدات من الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم على باشا، فانتصر عليهم إلا أنه قتل في المعركة، وبعد بضعة أشهر رعى الشاه إسماعيل تمرداً آخر في الأناضول بزعامة أحد أتباعه يدعى نور على خليفة، ومعه بعض الأسافل والرعاع ففعلوا كما فعل سلفهم^(٢٥).

فهذه الأخطار الثلاثة، الخطر الإسباني من الغرب، والخطر البرتغالي من الجنوب، والخطر الصفوي الرفض من الشرق، تكاثبت على قلب العالم الإسلامي في نفس الوقت - انظر الخرائط في آخر البحث- والأُنكى من ذلك أن الصفويين تحالفوا مع البرتغال في عام ٩٢١هـ/١٥١٥م عن طريق دي البوكيرك نائب ملك البرتغال في المستعمرات الهندية الذي كان مقيماً بالهند آنذاك^(٢٦). الأمر الذي مكن البرتغال من إحكام الحصار على قلب العالم الإسلامي بإغلاق طرق التجارة الثلاثة :

أولاً : طريق البحر الأحمر الذي كان عماد الاقتصاد لدولة المماليك، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى السويس عن طريق البحر الأحمر ثم تنقل براً إلى القاهرة، ثم تنقل عبر النيل إلى الثغور على البحر المتوسط كرشيد ودمياط والبرلس والإسكندرية^(٢٧). وكانت سفن البنادقة والجنوبية تحمل البضائع من تلك الموانئ وتعود بها إلى أوروبا الغربية وكذلك كانت السفن العثمانية تحمل تلك البضائع إلى موانئها في اليونان وأوروبا الشرقية. فإغلاق البرتغال للبحر الأحمر سد ذلك المنفذ التجاري الهام.

ثانياً : طريق الخليج العربي، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى البصرة عبر الخليج، ثم تحمل عبر نهري دجلة والفرات، ثم تحمل براً إلى الثغور الشامية على البحر المتوسط، ثم تحملها سفن

البنادقة والجنوية والعثمانية على النحو الذى سبق، أو كانت تبحر فى نهر الفرات إلى جنوب الأناضول. وهذا الطريق قد أغلقه البرتغال أيضاً بقاعدتهم فى هرمز وتحالفهم مع الصفويين.

خاتمة : الطريق البرى من الهند إلى الثغور المملوكية فى الشام و الثغور العثمانية فى الأناضول فقد أغلقه الصفويون من أرض فارس وأذربيجان^(٢٨).

هكذا حوصر اقتصادياً أكبر وأهم دولتين فى العالم الإسلامى آنذاك، السلطنة المملوكية والسلطنة العثمانية، وبالطبع لم تكن السلطنة المملوكية قادرة على التصدى لذك ذلك الحصار لما أصابها من وهن وضعف وتدهور، وما كانت تستطيع أن تقود المسلمين لمواجهة تلك الموجة من الحملات الصليبية، فكانت السلطنة العثمانية هى المعول عليها فى ذلك الشأن، وكانت الدولة العثمانية فى عهد السلطان بايزيد تقدم الدعم العينى والفنى للإخوة عروج وخضر وإسحاق وحسن، فى تصديهم للسفن الإسبانية فى البحر المتوسط، وكان يتولى ذلك الأمر الأمير قورقد بن بايزيد الذى قدم لهم سفينتين حربيتين عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م فتمكنوا من من إحراز انتصارات كبيرة^(٢٩). كما قدمت السلطنة العثمانية فى عهد السلطان بايزيد الثانى وابنه السلطان سليم الأول مساعدات كبيرة للسلطنة المملوكية للتصدي للبرتغال فى البحر الأحمر وفى البحار الهندية. ففى عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م قال ابن إياس : (حضر إلى الأبواب الشريفة شخص يقال له كمال من خواص جماعة ابن عثمان، وقد ترجموا كمال هذا بترجم عظيمة بأنه لا يكل ولا يمل من الجهاد فى الفرنج ليلاً ونهاراً حتى أعبى الفرنج أمره، وأنه رأس المجاهدين المرابطين فى الإسلام)^(٣٠).

قلت : وكمال المذكور هو الرئيس كمال، أحد أشهر رجال البحرية العثمانية. وهو أول من ثبت المدافع بعيدة المدى على السفن، وصاحب المعارك البحرية الشهيرة فى المورة، وصاحب الغارات على السواحل الإسبانية، ولا ريب أن حضوره إلى مصر كان لتقديم النصيح والمشورة للبحرية المملوكية فى حروبها ضد البرتغال. وفى عام ٩١٦هـ/١٥١٠م قام السلطان بايزيد بإرسال المساعدات العسكرية التى طلبها السلطان الغورى، فقد قال ابن إياس : (فكان من جملة ذلك مكاحل سبقيات العدة ثلاثمائة ونشاب ثلاثين ألف سهم، وبارود مطيب أربعمائة قنطاراً ومقاذيف خشب العدة ألف مقذاف، وغير ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال وسنب ومراسى حديد وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب فشكره السلطان "الغورى" على ذلك، وكان السلطان أرسل مالا على يد يونس العادلى إلى بلاد ابن عثمان ليشتري له أخشاباً ونحاساً وحديداً، فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد عليه المال وجهز ما ذكرناه من عنده تقدمه للسلطان)^(٣١) وقد قال السلطان بايزيد : (هذه قضية الإسلام المشتركة ضد الكفرة)^(٣٢).

وبعد أن توفى السلطان بايزيد الثانى ظل الدعم العثماني للمماليك قائماً، فقد ذكر ابن إياس فى أحداث رمضان من عام ٩١٨هـ/١٥١٢م أى بعد سبعة أشهر من ولاية السلطان سليم الأول : (حضر إلى الأبواب الشريفة الرئيس حامد المغربى، وكان السلطان "الغورى" أرسله إلى

بلاد ابن عثمان ليشتري أخشاباً وحيال ومكاحل نحاس، فلما بلغ ابن عثمان مجيئه أكرمه وأرسل صاحبته إلى السلطان عدة مكاحل ونحاس وحديد وأخشاب وحيال وغير ذلك أشياء كثيرة في مراكب موسوقة^(٣٣).... وفي صفر عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م ذكر ابن إياس أن السلطان الغوري ذهب إلى السويس لمتابعة خروج الأسطول لقتال البرتغال فقال ابن إياس : (وكان جماعة ابن عثمان هناك نحواً من ألفي إنسان... وكان الرئيس سلمان العثماني هو الشاد على عمارة تلك الأغرية وهو المشار إليه)^(٣٤). نعل في تلك النقول عن ابن إياس ما يبطل قول بعض أساتذة التاريخ أن السلطان سليماً لما تولى السلطنة منع المساعدات التي كان يرسلها أبوه للمماليك.

وبالرغم من تلك المساعدات العثمانية الكبيرة للسلطنة المملوكية إلا أنها لم تفلح في دفع الخطر البرتغالي، والأُنكى من ذلك هو تحالف المماليك مع الصفويين، فلما توجه السلطان سليم الأول لقتال الشاه إسماعيل الصفوي في عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، قام على دولات أمير دلغادر^(٣٥) التابع للمماليك والذي يقوئ إمارته بتقليد من السلطان المملوكي بقطع طريق الإمدادات على الجيش العثماني، وقد ذكر ابن زنبيل الرمال أن السلطان الغوري شكر على دولات على ذلك وأرسل إليه وغريه على قتال السلطان سليم^(٣٦)، كما ذكر ابن إياس وغيره أن على دولات اشتبك مع فرقة من الجيش العثماني ونهب ما معهم^(٣٧)، كما ذكر ابن إياس أن السلطان الغوري أرسل أفيالاً إلى الشاه إسماعيل سرا^(٣٨)، وذكر آخرون أن قطع طريق الإمدادات على الجيش العثماني كان بأمر السلطان الغوري نفسه^(٣٩). ومن جهة أخرى عثر رجال السلطان سليم على جواسيس تحمل الرسائل بين الغوري والصفوي بما يفيد التحالف بينهما لقتال السلطنة العثمانية، قال ابن طولون الدمشقي عن السلطان سليم : (أنه اطلع على مطاعات من سلطاننا "الغوري" إلى الخارجي إسماعيل الصفوي الصفوي يستعينه على قتال ملك الروم سليم خان على يد البهلوان أحد جماعة سلطاننا)^(٤٠). وقد ذكر د. محمد حرب أن الخطاب موجود حالياً في متحف طوب قيو في اسطنبول^(٤١).

هنا أدرك السلطان سليم الأول أنه ينبغي عليه أن يتصدر لمواجهة كل تلك الأخطار التي تحرق بقلب العالم الإسلامي منفرداً، كما أدرك أنه لا سبيل لذلك إلا بإعادة توحيد بلاد المسلمين، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يتم إلا بإزالة دولة المماليك. والمقام هنا لا يتسع للتفصيل في تلك المسألة، وقد أفردت مبحثاً بعنوان : (لماذا وجب إزالة دولة المماليك) في كتابي منهل الظمان لإتصاف دولة آل عثمان (٢٨١-٢٦١/٢) فيرجع إليه من شاء التفصيل.

وقد تلقى السلطان سليم رسائل استغاثة من بعض بلاد المسلمين، فقد أرسل إليه شيوخ العشائر الكردية في شرق الأناضول رسالة جاء فيها : (نرجو قيامكم بمساعدتنا نحن المخلصين لكم. إن بلدنا قريب من ديار "قرل باش"^(٤٢) وهم جيران لنا بل بلدنا مختلط، وكم من سنوات مضت قام هؤلاء الملحدون فيها بهدم بيوتنا وبالقنار معنا كل ذلك بسبب مخبتنا لسلطان المسلمين، ونحن ننتظر من عطفكم ومن شفقتكم القيام بإتقاذ هؤلاء الناس الصادق الإيمان من هؤلاء الظالمين ومن دون مساعدتكم لا نستطيع وحدنا الوقوف في وجه هؤلاء ومقاومتهم)^(٤٣).

كما أرسل وجهاء وأعيان حنب، منهم القضاة الأربعة، رسالة إلى السلطان سليم، وأصلها موجود في متحف (طوب قيو) باصطنبول برقم ١١٦٣٤ جاء فيها : (... وجميع أهل حنب مستعدون لمقابلتكم واستقبالكم بمجرد أن تضع أقدامكم في أرض عينتاب^(٤٤)). خلصنا أيها السلطان من يد الحكم الجركسي أحمنا أيضاً من يد الكفار قبل حضور التركمان، وليعلم مولانا السلطان أن الشريعة الإسلامية لا تأخذ مجراها هنا...^(٤٥).

فبدأ السلطان سليم بضم بلاد الأكراد في شرق الأناضول، وانتصر انتصاراً ساحقاً على الشاه إسماعيل الصفوي، ثم ضم الشام ومصر، وإبان إقامته بمصر جاعته البيعة من الحجاز، كما دخل في طاعته جزء من اليمن، كما أرسل السلطان سليم مساعدات عسكرية للأخوين عروج وخضر في الجزائر، الذين كاتا يتصدیان للحملة الإسبانية هناك فتمكن خضر من صد هجوم الإسبان على الجزائر وأعلنها تابعة للسلطنة العثمانية، كما تمكن السلطان سليم إبان إقامته بمصر من طرد سفن البرتغال من البحر الأحمر وأعاد الملاحة إليه^(٤٦) بعد توقف دام تسع سنوات منذ عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م^(٤٧). وفي عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م أرسل أهالي الجزائر رسالة إلى السلطان سليم، وقع عليها القاضي والخطيب والأئمة والأعيان، وهي محفوظة بمتحف طوب قيو في اصطنبول برقم ٦٤٥٦^(٤٨) يطلبون فيها أن تكون الجزائر إيالة عثمانية حماية لها من الإسبان، وقد جاء في تلك الرسالة : (نحن نود أن نكون من أتباع الدولة العثمانية وأن نبقى ضمنها كولاية. وإذا كان من الممكن فرجوا أن تعينوا خضر رئيس والياً علينا). فاستجاب السلطان سليم لذلك ومنح خضر الذي أصبح يسمى خير الدين رتبة باشا ورفع الجزائر من لواء إلى إيالة. وجعل خير الدين أمير أمرائها، وأرسل له مدداً من عتاد بحري، وألفى جندى وأربعة آلاف من متطوعة الأناضول^(٤٩)، ثم بدأ رحمه الله في تجهيز حملة بحرية لفتح جزيرة رودس التي كانت تحت حكم فرسان القديس يوحنا (الإسبترارية) آنذاك وكانت مركزاً للصليبيين للهجوم على سفن التجار والحجاج المسلمين، إلا أن الموت لم يمهله وتوفي رحمه الله عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م. وكان ابنه السلطان سليمان خير خلف له فآتم جهاد أبيه وفتحها عام ٩٢٩هـ/١٥٢٢م، كما أسس قاعدة بحرية في جزيرة كمران عند باب المندب في جنوب البحر الأحمر لصد أي هجوم بحري عليه، وقد أشرف عليها الرئيس سلمان وأسند قيادتها إلى الرئيس صفر^(٥٠)، وتوالت بعد ذلك الانتصارات البحرية على البرتغال والإسبان والبنادقة في البحر المتوسط والبحار الهندية، مصحوبة بانتصارات برية في المجر والنمسا وفارس والقوقاز على مدار القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة / السادس عشر والسابع عشر للميلاد.

فمن هذا المنطلق يمكن أن نقطع بأن العمليات الحربية للسلطان سليم التي أثمرت توحيداً لمساحات شاسعة من بلاد المسلمين ظلت قروناً مديدة تنبثق إليه، قد هيأت الساحة للتصدي لتلك الموجة الجديدة من الحروب ذات النزعة الصليبية على المسلمين، وقد انتصر المسلمون فيها إبتصارات ساحقة تفوق انتصاراتهم في موجات الحملات الصليبية الأولى. ولو لم يقم السلطان سليم بذلك لتنجحت مخططات الصليبيين ولاختنق العالم الإسلامي كله من الحصار

التجارى الذى فرض عليه، ولسقطت بلاد المسلمين فى أيديهم واحدة تلو الأخرى، ولاستولى الإسبان على شمال مصر، وربما امتد نفوذهم إلى الساحل الشامى واحتلوا بيت المقدس، ولاستولى البرتغال على جنوب مصر وشرقها وعلى الحجاز أيضاً، ولاستولى الصقليون على الشام والأناضول، وأما ما تبقى من السلطنة العثمانية فكان سيقتسمه الأوروبيون فيما بينهم، ولتغير مجرى التاريخ كله، وربما بقيت أجزاء من بلادنا تحت الاحتلال الأوروبى حتى الآن، فإن ميناء ' سبتة ' المغربى الذى استولى عليه البرتغال عام ٨١٧هـ/ ١٤١٤م^(٥١) ثم تنازلوا عنه بعد ذلك للإسبان مازال تحت الاحتلال الإسباني حتى الآن، ' نسأل الله أن يردها علينا '. وعلى هذا فإن فتوحات السلطان سليم الأول قد أجلت سقوط الكيان السياسى للإسلام المتمثل فى الخلافة الإسلامية مدة أربعة قرون كاملة، فكان سقوطها فى القرن الرابع عشر الهجرى/العشرين الميلادى عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، واستولت الدول الأوروبية على البلاد الإسلامية بعد سقوط الكيان السياسى الذى كان يجمعها، ومنذ بدأت مراحل نقض عرى الإسلام كما نبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَتَنْقُضَنَّ عِرى الإسلام غُرُوةً غُرُوةً، فَكُلَّمَا انْقَضَتْ غُرُوةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالثَّيِّبِ عَلَيْهَا فَأُولَئِهِمْ نَفْضًا : أَخْخَمَ وَأَخْرَجَهُمُ الصَّلَاةَ)^(٥٢).

والسؤال الهام الذى يطرح نفسه فى هذا البحث، هل كان ابن إياس مدركاً لحقيقة حال العالم الإسلامى آنذاك ؟! هل كان مدركاً لتلك الأخطار المحدقة به، ومدركاً لعجز سلطنة المماليك عن التصدى لها ؟! بل هل كان مدركاً أن وجود سلطنة المماليك فى حد ذاته كان عقبة كبرى فى سبيل التصدى لتلك الأخطار ؟!. لأنك ترى أن ابن إياس شن الغارة على العثمانيين وعلى السلطان سليم بصفة خاصة بسبب فتحه مصر والشام، مع العلم أن ذلك لم يكن موقف سائر المؤرخين المعاصرين له من رعاية السلطنة المملوكية نفسها، كابن طولون الدمشقى، وأحمد بن الحمصى، وأحمد بن زنبيل الرمال، وغيرهم كعلى بن محمد الأشبلى. ففى سرد ابن إياس لتلك الوقائع ترى أنه قد فقد حياده وإنصافه المعهود عنه. فهل كان ابن إياس غير مدرك لمدى خطورة الأمر، فاعتبر الفتح العثمانى لمصر والشام وإزالة دولة المماليك، عدواناً مجرداً من السلطان سليم ليس له ما يبرره، وأنه محض طمع ورغبة فى السيطرة والاستحواذ ؟! أم أنه كان مدركاً لخطورة الأمر ولكنه تعصب لأبناء جلدته تعصباً أفقده حياده وإنصافه ؟!.

والحق أننا لن نستطيع أن نجيب على هذا السؤال لأنه أمر متعلق بالتوايا والتوايا محلها القلوب ولا اطلاع لأحد عليها، ولكن ما نستطيع أن نقطع به هو أنه فقد الإلتصاف والحياد فى تدوينه لوقائع تلك الفترة، فمن يقرأ الجزء الخامس من تاريخ ابن إياس بعناية يتبين له أنه كان شديد التحامل على العثمانيين، إلى حد أنه لم يتوان عن تدوين أى شائعة تدنيهم أو تحط من قدرهم دون أن يتأكد من صحتها، فإن كثيراً من الأخبار التى سجلها عليهم كان يصدرها بقوله (أشيع)، (قيل)، أو كان يذيلها بقوله (هذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك) أو بقوله : (ولم تتأكد صحته) فأغلبها شائعات ولم يكن هذا منهج ابن إياس فى كل تاريخه بل

فى ذلك الجزء الأخير فقط، وهو المتعلق بالفتح العثمانى لمصر والشام فيحتمل أن يكون بغضه للعثمانيين قد جعله يقبل على تدوين أى شائعة تدوينهم، ولكن أماتنه العلمية أبت عليه إلا أن يذكر صراحة أنها شائعة أو خبر لم يتأكد من صحته، ولكنه بذلك أوقفنا فى إشكال كبير، لأن كثيراً من الباحثين ينقلون عنه تلك الشائعات على أنها حقائق تاريخية، وهذا ظلم بين بلا شك، لذلك فإن المؤرخين الذين جاءوا من بعده كابن أبى السرور البكرى (ت ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) قد تجنبوا ذكر كثير من الأخبار التى أوردها ابن إياس فى تاريخه أما إبراهيم بن عامر العبيدى (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) فعندما تعرض للفتح العثمانى أثر أن ينقل رواية ابن زنبل رغم ما فيها من تحيز للمالك، فقد قال العبيدى : (وأحببت أن أخلص ما ذكره صاحب القانون العلامة أحمد بن زنبل وإن هو مغرض لجانب الجراكسة، يكاد تعبيره ينصرهم)^(٩٠)، وكان العبيدى ابنه أحياتا على الأباطيل ويقندها.

أدلة تحامل ابن إياس على العثمانيين :

أولاً : أنه كان يذكر كثيراً من الأقوال المتناقضة دون أن يبالى، ومن ذلك قوله فى ذم السلطان سليم : (ولما طلع ابن عثمان إلى القلعة احتجب عن الناس، ولم يظهر لأحد ويتصف الظالم من المظلوم بل كان يحدث منه ومن وزرائه كل يوم مظلمة جديدة من قتل وأخذ أموال الناس بغير حق، وكان هذا على غير القياس، فاته كان يشاع العدل الزائد عن أولاد ابن عثمان وهم فى بلادهم قيل أن يدخل سليم شاه إلى مصر فلم يظهر لذلك نتيجة)^(٩١).

قلت : هذا الكلام ذكره ابن إياس واتهم فيه السلطان سليم بصجافاة العدل وعدم الفصل فى الخصومات بالرغم من أنه هو نفسه فى مواضع أخرى من كتابه قد دون عدة وقائع تنفى ذلك عن السلطان سليم وعن وزرائه منها :

١- قال ابن إياس : (قبض الوالى على شخص من العثمانية قيل أنه اختطف امرأة من السوق وزنى بها، فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالى أن يقطع رأسه، ففقطع رأسه فى الحال وظاف بها فى القاهرة وهى على رمح، فظهر من ابن عثمان فى ذلك اليوم بعض عدل، قلعل أن يعتبروا بقية عسكره ويكفوا عن الأذى)^(٩٢).

٢- ازداد عدوان العريان على قرى الشرقية، فأرسل السلطان سليم عدداً من الجنود على رأسهم الأمير المملوكى جان بردى الغزالى^(٩٣)، وفى ذلك دلالة على أن السلطان سليماً كان يهتم بأمر العامة ويحرص على مصالح الرعية وإلا فاته كان بوسعه أن يترك العريان يعتدون على القرى، فأى ضرر يعود على جنوده من ذلك ؟! وقد روى ابن إياس نفسه تلك الواقعة وفى ذيلها ما يؤكد أيضاً حرص السلطان سليم على الرعية، إذ أن جان بردى الغزالى لما دخل الشرقية أفسد فيها وأسر بنات وصبيان وأبقار وأغنام، وياعهم فى القاهرة بأبخس الأثمان، فكان الذى حال دون ذلك هو يونس باشا الصدر الأعظم للسلطان سليم، قال ابن إياس : (ثم إن يونس باشا نادى فى القاهرة بأن كل من اشترى من نهب بلاد الشرقية شيئاً من الأبقار والأغنام يرده على

أصحابه وكذلك أولاد الفلاحين ولام جان بردى الغزالى على فعله فى الشرقية^(٥٧). فإن قيل : إن كان السلطان سليم عادلاً حقاً فكان ينبغي عليه معاقبة جان بردى الغزالى، وأن نوم يونس باشا له غير كاف، يقال : إن السلطان سليماً كان فى حاجه إلى هؤلاء الأمراء المماليك لاستخدامهم فى إدارة البلاد كمرحلة انتقالية من الحكم المملوكى إلى الحكم العثمانى، لأن مصر بلد كبير لها نظام مالى وإدارى معقد الأمر الذى حتم على العثمانيين أن يستخدموا المماليك فى إدارة البلاد إلى أن يستوعبوا نظام البلاد وأسرار إدارتها وسيأتى الحديث عن ذلك بمزيد تفصيل فى نهاية البحث.

٣- بعد شهر من خروج السلطان سليم من مصر عانداً إلى اصطنبول تم ضبط خمسة من الجنود العثمانيين يتعرضون للناس فى الطرقات ويخطفون النساء والصبيان، فتم توقيع العقوبة الشديدة عليهم قال ابن إياس : (فلما قبض عليهم، رسم سنان باشا أحد أمراء ابن عثمان بأن يشنقوا، فشنع منهم اثنين على باب زويلة، وواحد على باب الشعرية، وأما الاثنين الآخران فقد شنع فيهما من الشنق ذلك اليوم فسجنا)^(٥٨).

فإن قيل إن استثناء اثنين من العقاب أمر يجافى العدالة، يقال إن الجريمة المذكورة تستوجب حد الحرابة لأنها تدخل تحت قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الْخُلُوفِ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة ٣٣]. وقول جمهور العلماء فى الآية أن (أو) هنا للتبويج على حسب الجريمة، فمن قتل وأخذ المال يقتل ويصلب ومن قتل دون أن يأخذ المال يقتل، ومن أخذ المال ولم يقتل تقطع يده ورجله من خلاف، ومن خاف السبيل ولم يأخذ المال ينفى من الأرض، والنفى هو الحبس فى أحد القولين. فعل الاثنين الذين سجنا كاتا من الصنف الأخير.

٤- الخليفة العباسى المتوكل على الله الذى كان مقيماً بالقاهرة وأخذه السلطان سليم إلى اصطنبول، قام ذلك الخليفة بحرمان أولاد عمه خليل من نصيبهم فى إقطاع الخلافة فى مصر، فرفعوا أمره للسلطان سليم، فأرسل قاصداً (مندوباً) من عنده إلى القاهرة ليقسم إقطاع الخلافة بينهم بالعدل، وقد سجل ابن إياس نفسه هذه الواقعة فقال عن السلطان سليم : (فحق من الخلافة ورسم بأن يكون إقطاع الخلافة وجهاتها تقسم بينهم ثلاثة أثلاث من الجميع بالسوية. فأرسل هذا القاصد يحاسب لهم عن ذلك، فلما حضر القاصد رسم على مباشرى الخلافة وعلى دوايره برد بك وقال لهم : قيموا لنا حساب معلوم أولاد خليل من حين مات أبوهم وإلى الآن، واستمر هذا القاصد يضيق على المباشرين وجماعة الخلافة بسبب ذلك، وانتصفت أولاد خليل على الخلافة غاية الإنصاف)^(٥٩). وهناك وقائع أخرى يضيق المقام عن ذكرها، ولكنها تقيد اهتمام السلطان سليم ووزرائه بالرعية وبالفصل فى الخصومات وإشاعة العدل وقد أوردها ابن إياس نفسه فى تاريخه، ومع ذلك يعد فى كثير من الأحيان إلى وصف السلطان سليم خاصة،

ورجال دولته عامة بالظلم والتعدي، وعدم الحرص على إشاعة العدل بين الناس، فنتعجب من ذلك التناقض.

فانياها : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه أغفل أن ينسب إليهم تأمين طريق الحج. بعد أن كان محفوظاً بالمخاطر في أيام السلطان المملوكي قاتصوه الغوري، إلى حد أن تم منع خروج قوافل الحج من الشام أربعة أعوام متتالية^(١٠)، أما قوافل الحج من مصر فقد منع خروج النساء فيها لبضعة أعوام، وفي أحد الأعوام لم يخرج الحج أصلاً لا رجالاً ولا نساء، وكان ذلك بسبب الفتنة في مكة وتعديات العريان على الحجاج^(١١). فقد كانت السلطنة المملوكية آنذاك قد بلغت حداً من التدهور والانهيار لم تعد قادرة معه على تأمين قوافل الحج، أما في العصر العثماني فكان الأمر بخلاف ذلك، فعن موسم الحج في عام ٩٢٥هـ قال ابن إياس : (دخل الحاج إلى القاهرة صحبة المحمل الشريف، وأمير الحاج الأمير برسمباي، وقد أثنوا عليه الحجاج خيراً فيما فعله في طريق الحجاز وأخبر الحجاج أن كان معهم الأمن والرخاء بطول الطريق)... وفي موسم حج عام ٩٢٦هـ قال : (دخل الحاج إلى القاهرة مع الأمن والسلامة صحبة الأمير جاتم أمير ركب المحمل... وتعرضت لهم جماعة من العريان في الطريق، فاتفقوا مع الأمير جاتم أمير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة، فرجع الحاج وهم راضون عن أمير الحاج جاتم، وأثنوا عليه كل جميل، وشالوا له الرايات البيضاء في بركة الحاج) وفي موسم عام ٩٢٧هـ قال ابن إياس: (ولما رجع الحاج أثنى على الأمير جاتم أمير الحاج بكل جميل في حفظه للحجاج ومنع الضرر عنهم وغير ذلك من أنواع البر والمعروف)^(١٢).

أما عن الحج الشامي ففي عام ٩٢٤هـ تمكن أمير الحج من الانتصار على العريان الذين تعدوا على الحجاج بسبب حسن تجهيز الجنود، قال ابن طولون الدمشقي : (العرب من آل دغيم وقفوا للحجاج بعد أن حملوا من تبوك عند مقابر القلندرية، وقصدوا أن يحلوا بين الحاج وبين الأخيضر، فتحاربوا هم وإياهم نهائراً، ثم انتصر الحاج عليهم وأخذوا منهم ثلاثة من أعيانهم وعدة من الخيل بسبب رماة البندق^(١٣) التي معهم، ويقال عدتهم مائة، ثم توجهوا إلى الأخيضر سالمين فدفقت البشائر لذلك بدمشق)^(١٤).

الشاهد من ذلك أن ابن إياس رأى بعينه وكتب بيده أخبار عودة الحجاج سالمين من مكة دون أن يتعرض لهم أحد بأذى، وبياترغم من ذلك لم يحمده للسلطان سليم ولا عده من مناقبه، ولا نسب الفضل فيه للعثمانيين، وكان الأجدر به وهو يدون عودة الحجاج سالمين آمنين، ويدون ثناءهم على أمراء الحج أن يذكرنا بما كان يلاقيه الحجاج في أيام السلطان الغوري من قتل وهتك للأعراض ونهب للأموال على يد العريان، فكان يجدر به أن يشير إلى ذلك ويثني على السلطان سليم الأول، لكنه تغافل عن ذلك كما لو كان يابى أن ينسب للسلطان سليم تلك المنقبة العظيمة. ومما تجدر ملاحظته أن أمراء الحاج المذكورين كانوا من المماليك !. فما الذي بدل أحوال الحجاج من الخوف والرعب إلى الأمن والاطمئنان ؟! إن الذي تبدل هو الحكم والإدارة بانتقالها من المماليك إلى العثمانيين، وهذا يدل على أن الأزمة في أيام الغوري كانت

أزمة إدارة وحسن تجهيز، فقد كانت بلغت الدولة المملوكية في تلك الفترة مبلغاً من العجز الإداري إلى حد عدم القدرة على تأمين طريق الحج !. فلما جاء بنو عثمان أعادوا الأمور إلى سابق الزمان.

قالها : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه وصفهم بأبشع الصفات التي لا يمكن أن يصدقها العقل فقال : (كانوا جيعاتين العين، أنفسهم قذرة، يأكلون الأكل وهم راكبون خيولهم في الأسواق، وعندهم عفاشة في أنفسهم زائدة وقلة دين، يتجاهرون بشرب الخمر في الأسواق بين الناس ولما جاء عليهم شهر رمضان فكان غالبهم لا يصوم ولا يصلي في الجوامع ولا صلاة الجمعة إلا قليل منهم، ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة، وليس لهم نظام يعرف، لا هم ولا أمراؤهم ولا وزراءهم، وهم هج كالبيهانم)^(١٠).

قلت : هذا كلام لا يمكن لعاقل أن يصدقه. ومع الأسف نقله كثير من أساتذة التاريخ في كتبهم وهو باطل بلا ريب عقلاً ونقلاً، فأما من جهة العقل فلا يمكن لجيش هذه صفته أن تقوم دولة عالمية عظمى على اكتافه أبداً! من الممكن أن يحقق جيش كهذا انتصارات كاسحة مؤقتة كانتصارات جيش جنكيز خان على سبيل المثال، لأن نواحي القصور في النظام كان يجبرها وجود قائد عسكري فذ مثله، ولكن لما مات جنكيز خان سقطت دولته، وكذلك جيش تيمورلنك فقد حقق انتصارات كاسحة شرقاً وغرباً وأسس دولة عظمى، فلما مات تلاشى أمرها كان لم تغن بالأمس، ومن قبل هؤلاء الإسكندر المقدوني حقق انتصارات عظمى فلما مات انقسمت إمبراطوريته إلى دويلات صغيرة. أما السلطنة العثمانية العظمى فهي إحدى دول الإسلام، فلم تكن دولة فرد وإنما قامت على منهج حفظ لها الاستمرار قروناً طويلة تنتقل من نصر إلى نصر، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بجيش نظامي خال من تلك النقائص، ومعلوم لكل من درس التاريخ العثماني أن دولة بنى عثمان قامت على أساس الجهاد في سبيل الله، وكان ذلك هو باب النصر لها على مر العصور، ولا يمكن لرجل لا يصلي ولا يصوم ويشرب الخمر أن يكون مجاهداً في سبيل الله أبداً.

أما من جهة النقل فقد شهد العدو قبل الصديق بحسن نظام الجيش العثماني، وحسن إسلام أفرادهم وتدينهم، وأنا لن أتيك بنقول من المصادر الإسلامية نلنا يقول قائل إنهم يزكون أنفسهم أو يداخون حكامهم، بل سأتيك بما قاله المؤرخون الغربيون من ألد أعداء العثمانيين في عصور مختلفة، فمنهم القس اللاتيني (ليوناردو الخيوسى) الذى كان شاهداً على فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٧هـ/ ١٤٥٣م فقد قال في تقريره الذى رفعه لبابا روما : (ونودى فى معسكر السلطان بأنه يجب إيقاد النيران فى الأيام الثلاثة السابقة على يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من مايو، وأن يتوجهوا فيها بالدعاء إلى ربهم علاوة على صيامهم أيضاً، وأن يعدوا أنفسهم للقتال من أجل الهجوم الرئيسى على المسيحيين... يا إلهي! إذا سمعت تلك الأصوات وهى ترتفع إلى غنان السماء، وهى تصيح (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهى تعنى أن الله موجود وسوف يستمر إلى الأبد، وأن محمداً هو خادمه. لا بد أن لسانك سوف ينعقد

وتصاب بالدهشة والذهول لما يجري... وصاموا طوال اليوم ولم يقرؤوا الطعام حتى الليل، وأخذوا يحيون ويودعون بعضهم البعض ويتبادلون العناق والقبلات^(١٦١).

وقال المستشرق الألماني كارل بروكلمان نقلاً عن المصادر الأوروبية، واصفاً جيش السلطان سليمان القانوني ابن سليم الأول الذي تولى الحكم في الفترة من (١٥٢٠هـ/١٥٢٠م وحتى ١٥٦٦هـ/١٥٦٦م) : (والحق أن جميع المصادر الأوروبية حافلة بإطراء روح النظام التي تكشف عنها الجيش العثماني، فلم يكن فيه مكان للخمر أو القمار أو البغاء وهي آفات لم تسلم منها في يوم من الأيام جيوش أوربه لذلك العهد، وكانت الحرب ضد الكافرين لا تزال تعتبر واجباً دينياً، ولقد كان لذلك أثر كبير في ضمان الغلبة على النصارى يوم كان الجيش العثماني في أوج قوته)^(١٦٢).

وقال الراهب الدنماركي (أولوف إيلجسون) الذي كان أسيراً عند العثمانيين، فلما أطلق وعاد إلى بلاده كتب مذكراته، ونشرت في أوائل القرن ١١هـ/١٧م، فقد جاء فيها : (كان الطعام الذي يقدم لنا نحن الفورسا " الأسرى المجذفون " من نفس الطعام الذي يقدم للضباط الأتراك في مقصوراتهم، وشيء آخر وهو أن الأتراك كانوا يقدمون للفورسا الراغبين البيرة الشراب والبراندي، رغم أنهم لا يشربون المشروبات عدا الماء)^(١٦٣).

والكاتب الإنجليزي (وليم كونجريف) كتب مسرحية *The Way of the World* عام ١٧٠٠م جاء فيها أغنية تقول : (الشراب خاصة نصراوية. لا يعرفها التركي. دع المحمديين يعيشون ملتزمين بقواعدهم. ولكن دع الإنجليز يقفون ويشربون. على صحة الملك. وأف للسلطان والصوفية)^(١٦٤).

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هذا وصف الجيش العثماني في عصور مختلفة كما جاء على ألسنة أعدائهم، فلست أدري من أين جاء ابن إلياس بتلك الأوصاف البذيئة، وجدير بالذكر أن تلك الأوصاف الشنيعة قد تصدق على بعض الجنود، فهذا وارد في كل زمان لكن ابن إلياس لم يستطع أن يمنع نفسه من تعميم ذلك على الجيش العثماني كله، مما يدل على شدة تحامله على العثمانيين فجافي الإنصاف في وصفه إيها، لاسيما أن أقرانه من معاصريه لم ينكروا شيئاً من ذلك ولا حتى أشاروا إليه.

رايها : ومن مظاهر تحامل ابن إلياس على العثمانيين أنه أغفل أن يذكر للسلطان سليم أحد أهم مناقبه، وهي طرده البرتغال من البحر الأحمر، من خلال المعارك البحرية التي قادها الرئيس سلمان العثماني إبان وجود السلطان سليم في مصر، ففتح البحر الأحمر من جديد، وعادت السفن تبحر فيه بفضل الله بعد تسع سنوات من إغلاق البرتغال إيها، وفقاً لما ذكره ابن إلياس نفسه كما قدمنا. فمن العجيب أن المؤرخ الهندي زين الدين المعبري الذي كان بعيداً عن البحر الأحمر يذكر ذلك في كتابه قائلا : (فأرسل الأمير سلمان وراءهم " البرتغال ".....)^(١٦٥) فيهما ثلاثون رجلاً فأخذوا منهم غراباً صغيراً "مركباً" في كمران وفيه اثنا عشر نصراتياً ووصلوا بهم إلى

جدة، ثم إن الملاعين توقفوا في كمران لانقطاع الموسم الهندي، ثم رجعوا إلى كوهه^(٧١) خانئين بإذن الله تعالى، وذلك من فضل الله^(٧٢)... فهاهو المورخ المقيم بالهند يصف تفاصيل المعركة أما ابن إياس المقيم بالقاهرة، فلا يذكر ذلك ! ولا حتى أشار إليه إشارة !. وإنما اكتفى بذكر خبر عودة الرئيس سلمان إلى القاهرة لمقابلة السلطان سليم فقال : (ولما حضر الرئيس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذين كان أسرهم من بحر الهند ممن كان يتبعث به ويقطع الطريق على مراكب التجار الذين يمرون هناك)^(٧٣)... ولم يذكر ابن إياس أن الرئيس سلمان طرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل حتى أنه انسحبوا من كمران وعادوا إلى الهند. ولا ذكرنا ابن إياس أن الملاحة عانت إلى البحر الأحمر على يد السلطان سليم بعد تسع سنوات من التوقف التام، ولا شك أن ابن إياس كان على علم بطرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل لأنه ذكر أنه في عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م تم إرسال كسوة الكعبة وأموال الصدقات للحرمين الشريفين عن طريق البحر عبر ميناء جدة^(٧٤) ولاشك أن في ذلك دليلاً على أن الملاحة في البحر الأحمر كانت آمنة تماماً من أي تواجد للسفن البرتغالية، ولا شك أن إغفال ابن إياس لذكر ذلك صراحة فيه تحامل شديد على العثمانيين، كما لو كان يكره أن ينسب لهم أي مكربة!

خامساً : وصف ابن الفتح العثماني لمصر بأوصاف فيها مبالغة شديدة، فشبّهه باستيلاء بختنصر البابلي على مصر قبل الميلاد، ويعدوان هولاكو على بغداد ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة الشديدة، فقد قال ابن إياس : (ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط إلا أن كان في زمن البخت نصر البابلي لما أتى من بابل وزحف على البلاد يصاركه وأخربها وهدم بيت المقدس، ثم دخل إلى مصر وأخربها عن آخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف إنسان حتى أقامت مصر أربعين سنة وهي خراب ليس بها ديار ولا نافع نار، فكان النيل يطلع وينغرش على الأرض ويهبط فلا يجد من يزرع الأراضي عليه ولا ينتفع به. ولكن هذه الواقعة لها فوق الألفي سنة، قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك في بغداد في فتنة هولاكو ملك التتار، لما زحف على بغداد وأخربها، وأحرق بيوتها، وقتل الخليفة المستعصم بالله وقتل أهلها فاستمرت من بعد ذلك خراباً إلى الآن، فوقع لأهل مصر ما يقرب من ذلك)^(٧٥).

قلت : لا مجال لإطلاقاً للمقارنة بين السلطان سليم وبختنصر أو هولاكو، لاختلاف الدوافع والأهداف بالكلية، كما أن من سقطوا من قتلى وجرحى خلال عملية الفتح العثماني لمصر، سواء من الجيش العثماني أو من الجيش المملوكي قد سقطوا في إطار عمليات حربية حتمتها الظروف السياسية والمصلحة العامة للمسلمين كما تقدم بيانه، فلم تكن أعمالاً انتقامية لمجرد التكتيل بالناس كأعمال بختنصر أو هولاكو. كما أنه لا يخفى ما في قول ابن إياس من مبالغة شديدة فلا يمكن أن يكون قد قتل من أهل مصر في غزو بختنصر هذا العدد الضخم (مائة مليار إنسان)!. إن سكان العالم كله في زماننا هذا سبعة مليارات فكيف بالحال قبل الميلاد! ثم هل وقع من السلطان سليم مثل ما وقع من بختنصر ؟! هل قتل كل هؤلاء؟! هل عدت مصر الناس أربعين عاماً؟! ثم إن تشبيهه السلطان سليماً بهولاكو فيه تجاوز شديد أيضاً فقد قال

شمس الدين الذهبي عن دخول هولاكو بغداد : (فيذلوا السيف في بغداد واستمر القتل والسبي في بغداد بضعا وثلاثين يوماً، ولم ينج إلا من اختفى، فبلغنا أن هولاكو أمر بعد ذلك بعد القتل فيبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وكسر والأصح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف، ثم نودى بعد ذلك بالأمان وظهر من كان قد تخبأ وهم قليل من كثير)^(٧٦).. وقال ابن كثير عن دخول هولاكو بغداد : (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والعشبان، وبخل كثير من الناس في الأبار وأماكن الحشوش وقتى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهرون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة فبأنا لله وإنا إليه راجعون)^(٧٧).

قلت : من المتفق عليه بين الجميع بمن فيهم ابن إياس نفسه أن السلطان سليماً لما دخل مصر لم يحدث من جنوده ربع معشار ما حدث من جنود هولاكو، ثم إن ما وقع من قتل على يد الجيش العثماني كان في إطار عمليات حربية سقط فيها قتلى وجرحى من الطرفين، وهي عمليات حتمتها المصلحة العامة للمسلمين، وليس انتقاماً وتكليلاً ورغبة في إفتاء الشعب كالذى فعله هولاكو، فتشبيه ابن إياس السلطان سليماً بيهولاكو، خطأ فادح وقع فيه ابن إياس. وإنما يدل على تحامله الشديد على العثمانيين ويغضه لهم إلى حد أفقده صوابه، فراح يقول مثل هذا الكلام الذي يناقض ما كتبه هو نفسه بخط يده من وقائع الفتح العثماني لمصر.

سادساً : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه لما أمر به السلطان سليمان بن سليم من توحيد القضاء في مصر على المذهب الحنفي، بعد أن كان هناك قاض لكل مذهب من المذاهب الأربعة وبالرغم من أن ذلك كان عملاً جليلاً انتظم به القضاء في مصر، إلا أن ابن إياس بالغ في زمه.!. فإن الأصل في مصر منذ أن دخلها الإسلام أنه كان بها قاض واحد يستنب عن نواب في الأقاليم، وظل الأمر كذلك حتى زمن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس إذ جعل قاضياً لكل مذهب من المذاهب الأربعة في عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م^(٧٨)، ولا يخفى ما في ذلك من المفاسد كالاختلاف وتفرق الكلمة فمعلوم أن اختلاف الآراء قد يكون مفيداً ولكن بشرط وجود قيادة تحسمه، وكانت تتمثل تلك القيادة في منصب قاضي القضاة، ولكن منذ عهد الظاهر بيبرس أصبح هناك أربعة كل منهم قاضي القضاة لمذهبه وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في أحداث عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م أن القضاة الأربعة في حلب اختلفوا فيما بينهم، واتسع الخلاف، فأرسل كل منهم محضراً إلى السلطان يقسق الآخرين فعزلهم السلطان جميعاً^(٧٩).

فلا ريب أن تلك البدعة التي ابتدعها الظاهر بيبرس حملت معها كثيراً من المفاسد، وقد قال المقرئ : (زني السلطان بيبرس بعد موته في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما رأيت شيئاً أشد علي من ولاية قضاة أربعة وقيل لي فرقت الكلمة)^(٨٠).

ومما يدل على فساد نظام القضاة الأربعة الذي أحدثه الظاهر بيبرس أنه لما أراد أن يفعل ذلك فى دمشق رفض بعض قضاتها ذلك، فقد رفض المالكي والحنبلّي قبول المنصب حتى ألزمهما السلطان به فقبلا بشرط عدم الحصول على راتب. قال المقرئى : لم يقبل المالكي ولا الحنبلّي، وقبل الحنبلّي فورد مرسوم السلطان بالزامهما بذلك وأخذ ما بأياديهما من الوظائف إن لم يفعلا فأجابا. ثم أصبح المالكي وعزل نفسه عن القضاء والوظائف، فورد المرسوم بالزامه فأجاب، وامتنع هو والحنبلّي من تناول جامكية (مرتّب) على القضاء، وقال بعض أدباء دمشق لما رأى اجتماع قضاة، كل واحد منهم لقيه شمس الدين :

أهل دمشق استرابوا	من كثرة الحكام
إذ هم جميعا شمويس	وحالهم فى ظلام ^(٨١)

وقد علق ابن كثير على تلك البدعة بقوله : (وقد كان هذا الصنيع الذى لم يسبق إلى مثله قد فعل فى العام الأول بمصر كما تقدم. واستقرت الأحوال على هذا المنوال)^(٨٢).

ومن جهة أخرى كان نظام القضاء فى أواخر عهد السلطنة المملوكية قد اعتراه فساد كبير، وكان القضاة يدفعون مبالغ كبيرة للسلطان ليوليهم منصب قاضى القضاة، ومن ذلك ما ذكره ابن إياس فى أحداث عام ١٥٠٥/هـ ١٩١٢م من أن القاضى جمال الدين القلقشندي تقلد قضاء الشافعية ثلاث مرات بتلك الطريقة. كانت آخرها بثلاثة آلاف دينار، فلما دفع القاضى ابن النقيب للسلطان الغورى خمسة آلاف عزل القلقشندي وولاه مكانه، قال ابن إياس : (أخنع السلطان " الغورى " على قاضى القضاة الشافعى محى الدين عبد القادر بن النقيب، وأعادته إلى قضاء الشافعية عوضاً عن جمال الدين القلقشندي، فكانت مدة جمال الدين القلقشندي فى القضاء نحواً من ستة أشهر، وقد سعى فيها بثلاثة آلاف دينار ثم سعى عليه ابن النقيب بخمسة آلاف دينار، وغرم نحواً من ألفى دينار للذى سعى له من الأمراء وغيرهم وكان الساعى له الأمير أزدمر الدوادار وغيره من خواص السلطان، وهذه ثالث ولاية وقعت لابن النقيب بمصر، وقد نفذ منه مال له صورة على ولاية القضاء، ولم يقم بها فى الثلاث مرات إلا مدداً يسيرة ويعزل عنها)... وقد ذكر ابن إياس فى أحداث عام ١٥١٥/هـ ١٩٢١م أن القاضى محى الدين يحيى الدميرى تولى قضاء المالكية بألفى دينار^(٨٣).

ولا ريب أن تلك المبالغ كانوا يجيئونها من الناس بالرشوة، وذكر ابن إياس نفسه أن مما قاله الأمير المملوكى خشقدم للسلطان سليم عن فساد أحول مصر (أن قضاة مصر قاطبة يأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية)^(٨٤).

وقد ظل القضاء يتولون القضاء بالرشوة حتى أبطل ذلك السلطان طومان باى عندما كان السلطان سليم فى طريقه إلى مصر، قال ابن إياس : (ولم يأخذ السلطان من القضاة الذين ولاهم

الدرهم الفرد ومنع القضاة أن لا يسعوا في منصب القضاء بمبلغ وقال لهم : أنا ما أقبل رشوة في ولاية أحد من القضاة فلا تأخذوا أنتم رشوة من الناس أبداً^(٨٥).

لا ريب أن مؤسسة قضائية تدار على هذه الشاكلة إنما هي مؤسسة فاسدة، وقد روى ابن إياس واقعة مؤسسة تدل أبليغ دلالة على ذلك في عام ٩١٩هـ/١٥١٣م مضمونها أنه تم ضبط قاض من نواب قاضى القضاء الشافعى متلبساً بالزنى بمحصنة، ورفع الأمر إلى السلطان الغورى فتم الحكم عليهما بالرجم بعد أن أقر ذلك الحكم القضاة الأربعة في نفس المجلس، ولكن رجع القضاة الأربعة عن حكمهم تعصباً للزاني لأنه من نواب القضاء، وأوجدوا لذلك تأويلات شرعية، فغضب عليهم السلطان غضباً شديداً واستدعاهم ولكنهم أصروا على ما قالوه، فقال لهم: (إنتم الأربعة قوموا ولا تروني وجوهكم قط) ثم عزل بعضهم^(٨٦).

فكان ينبغي على ابن إياس الذى علم ما آلت إليه المؤسسة القضائية في أواخر العصر المملوكى من فساد، أن يفتن إلى أن توحيد القضاء بمصر في زمن السلطان سليمان القانونى على يد القاضى سيدى جلبى، إنما يعد من أجل الأعمال التى صلح بها حال الناس من وجهين:

الأول : أن وجود أربعة أنواع من المحاكم فى بلد واحد يفسد مصالح الناس.

الثانى : أن المؤسسة القضائية فى مصر كان الفساد ضارياً أطنابه فيها، فكان يجب أن تزال، لاسيما وأن قاضى القضاء الشافعى كمال الدين الطويل، وقاضى القضاء المالكى محى الدين الدميرى الذين كانا فى منصبيهما عندما صير فرمان السلطانى بتوحيد القضاء، كانا يتوليان هذين المنصبين فى واقعة القاضى الزانى المذكورة آنفاً. ثم إن السلطان سليمان لم يبطل عمل القضاة الأربعة بالكلية، وإنما جعلهم نواباً للقاضى العثمانى، من كل مذهب نائب، وأن تكون عقود الوصايا والأوقاف والأنكحة وغيرها منوطة بالقاضى العثمانى دون غيره، وأظن أن السبب فى ذلك هو فساد نواب القضاء فى مصر آنذاك، والدليل على ذلك أنه فى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م إبان وجود السلطان سليم فى مصر، وبالرغم من أنه أمر ألا يعقد أحد من النواب عقداً إلا عند القاضى العثمانى فى المدرسة الصالحية، إلا أن نواب القضاء لم يلتزموا بذلك وباشروا كتابة العقود، حتى أن أحدهم باشر عقد زواج أرملة قبل أن تكمل عدتها، فعاقبوه وأشهره فى القاهرة^(٨٧). ولو أردنا أن نفصل فى مظاهر فساد القضاء فى مصر فى أواخر العصر المملوكى لطلال بنا الكلام ولخرجنا عن مقصدنا، ولكن نكتفى بذكر أسباب توحيد القضاء كما جاءت فى القانون الصادر بها من قبل السلطان سليمان القانونى ابن السلطان سليم :

(أنه فى الزمن القديم عندما يقترب أحد القرويين ذنباً ما ويفصل فى أمره، تبرأ منه تماماً ولكن الكشاف كانوا يعيدون ويقبضون على هؤلاء مرة أخرى ويعتدون عليهم بأنواع الإيذاء المختلفة... وعندما كانت تحدث بعض المخاصمات بين بعض الرعايا من العوام، كانوا يتوجهون لحل منازعاتهم عند والى المدينة بدون أن يرجعوا إلى مجلس حاكم الشرع " القاضى " فى شيء

من ذلك، حيث كان الوالى يقوم بالفصل فى مثل هذه الخصومات بنفسه بدون وجه حق، كما كان بعض القضاة فى مصر يقومون ببيع محاكمهم ووظيفة العمل بها لبعض النواب كمقاطعة^(٨٨).

خلاصة الأسباب التى لأجلها تم توحيد القضاء إما ضعف القضاة أمام الكشاف والولاة أو فسادهم، وبالتالي فإن النظام القضائى الذى وضعه السلطان سليمان بمصر، حتى وإن ترتب عليه تقليل عدد نواب القضاء وفقدان بعضهم لوظائفهم إلا أننا إذا نظرنا إلى الصالح العام سنرى أنها إصلاحات عظيمة، فكان يجب أن تكون تلك الإصلاحات محل تقدير من ابن إياس، نكنك تجد العكس من ذلك فإنه قد اعترض على توحيد القضاء، وسب القاضى العثمانى ونمّه لا بسبب ظاهر ولكن بسبب بغضه للعثمانيين بصفة عامة كما يبدو، فهو لا يرى لهم حسنات أبداً وإن كانت واضحة مثل قلنى الصبح، فقد قال ابن إياس تعليقاً على ذهاب القاضى العثمانى إلى مكة : (خرج قاضى العسكر من مصر أراح الله تعالى المسلمين منه فما حصل منه لأهل مصر خير، فعزلت القضاة الأربعة بسببه وأخرج عنهم الأنتظار، ومنع الشهود من الجلوس فى المجالس قاطبة وأسمر دكاكينهم، ومنع نواب القضاة الأربعة من الأحكام الشرعية، ولم يبق منهم غير من تقدم القول عليه، وضيق على الناس بسبب عقود الأتكة وقرر عليهم ما تقدم ذكره من المبلغ، وصار لا يعتقد عقداً إلا فى المدرسة الصالحية)^(٨٩).

نلاحظ هنا أن كل ما نمّه ابن إياس على القاضى العثمانى أنه قام بعملية تنظيم صارمة وضيق على طرق الفساد وهذا أمر عجيب جداً من ابن إياس، ولكن الأعجب منه ما قاله هو نفسه بعد ذلك ببضعة أسطر عن ذلك القاضى العثمانى نفسه منافضاً ما قاله أولاً، قال : (فلما سافر قاضى العسكر جعل القاضى صالح العثمانى نائباً عنه، يحكم فى المدرسة الصالحية إلى أن يحضر من الحجاز، وكان قاضى العسكر قبل أن يسافر ولى ستة وعشرين نائباً من نواب القضاة الأربعة، وجعل منهم من هو فى بولاق وفى مصر العتيقة، وفى جامع ابن طولون وفى الحسينية وغير ذلك من الأماكن، وجعل فى كل مجلس من مجالس القضاة أربعة نواب من المذاهب الأربعة يقضون بين الناس بالحق)^(٩٠).

قلت : إن كان ابن إياس نفسه يقر بأن القاضى العثمانى لم يبطل عمل القضاة الأربعة ونوابهم بالكلية بل عين منهم ستة وعشرين نائباً، وأنهم فى كل مجلس يحكمون بين الناس بالحق، وأن الأمر لم يتعد سوى وضع تلك المؤسسة القضائية الفاسدة تحت الرقابة المباشرة للدولة، فقيم الغضب والضيق والحق على القاضى العثمانى...؟! فريما أن ابن إياس أبى نفسه عليه أن يرى العثمانيين يحكمون على أبناء جنسه من الجراكسة، فراح يطعن فيهم بغير حق.

سابعاً : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين، هو ما نمّه على قاضى العسكر العثمانى بدون حق عندما أمر بمنع النساء من الخروج إلا للضرورات، ولعل كثيراً من الناس ليعلمون أن عدداً ليس بالقليل من نساء مصر فى الزمن المملوكى كن قد افتقدن الحشمة والوقار، فانتشر الفساد فى البلاد فلما جاء القاضى العثمانى ورأى ذلك، وضع ضوابط لخروج

النساء وركوبهن للحمير والبغال لإعادة الحشمة والوقار إلى الشارع، وكان الذي حمل القاضي على اتخاذ ذلك القرار أنه رأى جماعة من النساء يتحدثن مع جماعة من الفرسان الأتراك في وسط السوق، فغضب لأجل ذلك غضباً شديداً، قال ابن إياس : (التلق أن قاضي العسكر طلع إلى القلعة فرأى نسوة يتحدثن مع جماعة من الاصبهاتية ^(١١) في وسط السوق فعز ذلك عليه، فلما طلع إلى القلعة قال لملك الأمراء ^(١٢) : " إن نساء أهل مصر أضلت عسكر الخونديكار ^(١٣) ولا بقي ينفع للقتال قط. وقص عليه قصة النسوة مع الاصبهاتية، فتغير خاطر ملك الأمراء على النساء قاطبة ورسم للنوالى بأن ينادى بأن امرأة لا تخرج من بيتها مطلقاً، ولا تركب على حمار مكارى مطلقاً، وكل مكارى ركب امرأة شقق من يومه من غير معاودة في ذلك ثم خفف القاضي بعد أيام من غلواء ذلك الحكم. قال ابن إياس : (ثم تكلم الناس مع قاضي العسكر في أمر النساء، وأن لا يمنعا من طلوع التريب وبخول الحمام وزيرة الأقارب، فأذن لهن في ذلك، وأن المرأة لا تخرج الطريق إلا مع زوجها، وأن لا يدخل الأسواق إلا العجائز فقط، فسمح لهن قاضي العسكر بذلك وأنهن لا يركبن إلا الخيل أو البغال دائماً) ^(١٤) ثم قال ابن إياس : (باعت المكارية حميرها قاطبة واشتروا عوضها أكاديش، واستمروا على ذلك، وبطل أمر الحمير المكارية من القاهرة) ^(١٥).

قلت : الأكديش هو البرذون ^(١٦)، وقال الشيخ الفيومي المقرئ : (قال المطرزي : البرذون هو التركي من الخيل وهو خلاف العرب) ^(١٧). الشاهد أن القاضي استاء من مظاهر الخلاعة مثل ركوب النساء على الحمير بصحبة المكارية، وخروج النساء إلى الأسواق واختلاطهن بالرجال لغير حاجة، فأمر بمنع ذلك وألزم النساء بركوب الخيل بعد شدة بنصف رجل، لكي يكون اختلاطها بالمكارى في أضيق الحدود فلا شك أن هذا عمل جليل من أعمال القاضي، فهو بذلك حسم مادة الفساد، وضيق على اختلاط الرجال بالنساء، وأحيى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال أبو أسيد الأنصاري رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء : (استأخرن فإنه ليس نكح أن تحقن الطريق عنيكن بخافات الطريق فقاتت المرأة تلتنصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به) ^(١٨).

هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، وهم أظهر الناس قلوباً وأعظم عن المنكرات وقد قالت أمنا عائشة رضى الله عنها : (لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أخذت النساء تمنعن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل، قال : فقلت لعزرة : أبناء بني إسرائيل منعن المسجد ؟ قالت : نعم) ^(١٩).

قلت : وما عسى أن يكون قد أحدثه النساء في زمن عائشة رضى الله عنها؟! التطيب؟! إظهار الحلى؟! فكيف الحال بمجتمع ظهر فيه الفساد على النحو الذي ذكره المؤرخون في أواخر العصر المملوكي، فقد حدثنا المقرئ ع ما كان يحدث في يوم وفاء النيل عند فتح الخليج،

فقال عن (بركة الرطنى) : (وصارت المراكب تعبر إليها من الخليج الناصرى فتدور بها تحت البيوت وهى مشحونة بالناس، فتمر هناك للناس أحوال من النهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس فى المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات، واختلاطهن بالرجال من غير إتكاف^(١٠٠)... وفى الخليج الناصرى كان يحدث مثل ذلك، إلى أن تم منع دخول مراكب النزهة فيه فى زمن السلطان الأشرف شعبان، ثم عاد الفساد إلى ما كان عليه. قال المقرئى : (ولم تزل مراكب الفرجة ممتنعة من عبور الخليج إلى أن زالت دولة الظاهر برفوق فى سنة إحدى وتسعين وسبعائة فأذن فى دخولها وهى مستمرة إلى وقتنا هذا^(١٠١)... كما يحدثنا المقرئى فى أحداث سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م أن شاطئ النيل كان يجتمع عنده الرجال والنساء ويحدثون المنكرات. قال المقرئى : (ركب الأمير سون قرأ صقل حاجب الحجاب إلى شاطئ النيل وأحرق ما كان هناك من الأخصاص، وطرد الناس ومنعهم من الاجتماع فاتهم كانوا قد أظهروا المنكرات من الخمر ونحوها من المسكرات واختلاط النساء بالرجال من غير استتار، فعندما طردهم الحاجب اضطربوا ونهب بعضهم بعضاً فذهبت أموال عديدة^(١٠٢).... كما يحدثنا المقرئى أنه فى عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م لما تفشى الطاعون فى مصر، أن السلطان استفتى العلماء فى ذلك، قال المقرئى : (فسأل من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التى إذا ارتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة إن الزنا إذا فشا فى الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين فى الطرقات ليلاً ونهاراً فى الأسواق، فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشى فى الأسواق، وفازعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطي حاجتها، وجروا فى ذلك على عادتهم فى معارضة بعضهم بعضاً فمال السلطان إلى منعهم من الخروج إلى الطرقات مطلقاً^(١٠٣).

وقد ذكر ابن تغرى بردى أنه لما وقع بسبب ذلك ضرر كبير لكثير من النساء اللاتى ليس لهن من يقوم على شلونهن فسمح السلطان بخروج الإماء لقضاء حاجات مواليهن^(١٠٤)... وفى عام ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م فى أيام السلطان الظاهر جقمق وقع مثل ذلك أيضاً، قال المقرئى : (نودى بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجوارى فامتنعن. ثم نودى لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة^(١٠٥)).

الشاهد من ذلك أن الأحوال فى مصر فى أواخر العصر المملوكى كانت فاسدة من حيث تبرج النساء وخروجهن ليلاً ونهاراً واختلاطهن بالرجال فى الأسواق وفى المنزهات دون إتكاف إلا عند المصائب فعندئذ ينتبه العلماء والسلطان ويتخذون إجراءات صارمة للتصدي له، وابن إياس نفسه لم يكن غافلاً عن ذلك، فقد ذكر فى تاريخه أن الفساد إذا خرج عن حده كانت تتخذ إجراءات صارمة مشددة، فقال فى أيام الظاهر برفوق فى عام ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م : (نادى الأمير كمشبقاً نائب الغيبة بأن امرأة لا تخرج من بيتها، وأن أحداً لا يخرج إلى المفترجات قاطبة، وأن لا امرأة تلبس قميص بأكماء كبار، وكأنا قد أفحشوا فى ذلك حتى خرجوا عن الحد^(١٠٦). قلت: فيها هو ابن إياس نفسه يذكر أن الأمور لما خرجت عن الحد فى عهد السلطان برفوق تم اتخاذ

إجراءات مشددة لمواجهتها، ولم يعارضها ابن إياس بل إن لحن قوله يظهر منه الرضا والإقرار. فلم أنكر على القاضي العثماني ما اتخذه من إجراءات ؟! فإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على مبلغ تحامله على القاضي وعلى العثمانيين بصفة عامة. بل والأنكى من ذلك قوله عن القاضي العثماني : (وضيق على النساء في ما تقدم ذكره من الخروج إلى الأسواق ومن ركوب الحمير. فلما خرج من مصر " إلى مكة " صنفت النساء رقصة فقالوا : قوموا بنا نقحب ونسكر فقد خرج عنا قاضى العسكر)^(١٠٧).

قلت : لا ريب أن تلك الرقصة كانت من تصنيف البغايا و أسافل النساء، ويتعجب من ابن إياس أن يحتج بقول هؤلاء وينحاز لهن وينتقص من قدر قاضى العسكر إلى هذا الحد، بالرغم من أنه نفسه قد ذكر في تاريخه ما يفيد أن الفساد إذا خرج عن الحد كانت تتخذ إجراءات مشددة لمنعها.

لعل فيما قدمناه دليلاً على تحامل ابن إياس الشديد على العثمانيين مما يحتم على نوى الألباب من الباحثين أن يتحرروا الدقة ويحذروا عند نقل الوقائع التي ذكرها عن العثمانيين، وانفرد بها دون سائر المؤرخين المعاصرين وكذلك عند نقل رأيه الشخصى فى السلطان سليم أو فى العثمانيين بصفة عامة. وبالرغم من أن سبب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أمر متعلق بالنوايا، لا اطلاع لأحد عليه، إلا أنه يمكن أن نظن أن أسباب تحيزه تكمن فى أمرين :

الأول : أنه كان من نفس جنس المماليك، فجدّه هو الأمير إياس الفخرى، كما تقدم ذكره، أما أبوه فكان من الوجهاء وكان كثير الاختلاط برجال الدولة، وهم من الأمراء المماليك أيضاً، بل إن ابن إياس نفسه كان من أصحاب الإقطاعات كما ذكر هو عن نفسه^(١٠٨) لعله قد ورثه عن أبيه. فبالقطع قد ألمه أن يشهد تصدع وزوال الدولة التي كان يعد من وجهائها، كما أنه شهد مصرع أصحابه وأصحاب أبيه ورأى الأراذل والتكالي واليتامى من أبنائهم، الأمر الذى حجب عنه رؤية الصورة كاملة، فلم يدرك أن الأمر أكبر من أى اعتبارات شخصية أو انتماءات قبلية، فمستقبل الإسلام كله كان فى خطر كبير، وما كانت أعمال السلطان سليم إلا لإنقاذه من ذلك الخطر ، وقد قال السلطان سليم فى رباعياته ما ترجمته :

إن خشيتى من الاختلاف والفرقة ستظل تقلقنى حتى وأنا فى القبر

إن اتحدنا فصوله الدولة تستطيع دفع الأعداء فإن لم تتحد الأمة فلا راحة لى^(١٠٩)

الثانى : أنه يقلب على ظنى أن أحد أهم أسباب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أن الحكم العثماني فى الخمس سنوات الأولى التي شهدها ابن إياس قبل وفاته - المرحلة الانتقالية - لم يختلف كثيراً عن الحكم المملوكى باستثناء تنظيم القضاء وتأمين الحج، فلقد بقيت الإدارة فى يد

المماليك، إذ أن السلطان سليماً قد عهد إلى الأمير المملوكي خاير بك الذي كان نائب حلب في عهد السلطان الغوري بأن يكون نائبه في مصر، وأمره أن يقبل كل من جاءه طائعاً من أمراء المماليك ويكرمه^(١١٠) فبقيت المناصب في يد المماليك كما كانت، مثل الأمير جاثم الحمزاوي الذي أصبح فيما بعد من أرباب الحل والعقد، والأمير جاثم السيفي كاشف الفيوم وأمير الحج، والأمير قايتباي الدودار، والأمير برسيباي الخازندار، وقاصوه العادلي كاشف الشرقية، حتى وظيفة المحتسب تولّاها الزينى بركات بن موسى^(١١١) وهو الذي كان يتولاها في زمن السلطان الغوري، ثم عزله خاير بك في عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م وولاها للقاضي عبد العظيم^(١١٢). حتى القضاء الأربعة قد أبقاهم السلطان سليم في مناصبهم^(١١٣) إلى أن تم تنظيم القضاء بعد بضع سنوات في عهد السلطان سليمان بن سليم كما تقدم، لذلك فإنك ترى أن تلك السنوات الخمس كان يحدث فيها من المظالم مثل ما كان يحدث في زمن المماليك، من مصادرات الناس والتعدي على الرزق الأحباسية والأوقاف وغير ذلك.

وقد يتساءل البعض لماذا لم يول السلطان سليم ولاية من عنده إن كان حقاً يريد إشاعة العدل؟! يهب بعض أساتذة التاريخ ليقولوا أن السلطان سليماً ولى خاير بك على مصر مكافأة له على خيائته للمماليك وتعاونه مع السلطان سليم وهذا الكلام فيه نظر لأن السلطان سليماً عهد أول الأمر بولاية مصر إلى صدره الأعظم يونس باشا، ثم عزله بعد مدة وولى عليها خاير بك^(١١٤) وذلك بعد أن قتل يونس باشا في إدارة البلاد، فمصر بلد كبير ولها نظام إداري ونظام مالي خاص، لا يعرفه إلا أمراء المماليك وأعوانهم من الكتبة، قال فرسيد محمد السيد : (عندما أراد الحكام الجند من العثمانيين أن يتعرفوا على كيفية إدارة المماليك للبلاد، فكان هؤلاء الكتبة يخفون دفاترهم ويطلعون العثمانيين على دفاتر ذات شفرة مالية خاصة، فيعطونهم بذلك معلومات غير صحيحة عن الإدارة في البلاد. مما أوقع الإدارة العثمانية في مصر في حالة من الاضطراب الشديد)^(١١٥).

فالحقيقة أن السلطان سليماً لم يجد بدأ من أن يعهد بإدارة البلاد إلى حكامها القدامى مؤقتاً إلى أن يتعرف العثمانيون على أسرار حكمها المالية والإدارية، فوقع اختياره على خاير بك، لأجل درايته بتلك الأمور، ولأجل أن يكون واسطة بين السلطان سليم وبين الأمراء المماليك الفارين لاستمالتهم للدخول في الطاعة، لأن بقاءهم مشردين قد ينتج عنه ما لا يحمد عقباه، قال ابن زنيل الرمال : (السلطان أمر خاير بك بأن كل من جاءه من الجراكسة الهاربين وطلب منه الأمان أن يقبله ويبقيه على منصبه، وأوصاه وأكد عليه في ضبط البلاد والإنصاف بين العباد)^(١١٦).... وقد ذكر ابن إياس أن السلطان سليماً أرسل إلى خاير بك من اصطنبول بوصيه بالمماليك الجراكسة خيراً^(١١٧). فبقاء الإدارة المملوكية في مصر كان أمراً حتمته الظروف في الخمس سنوات الأولى من الحكم العثماني، وربما كان قد وقع فيها من المظالم مثل ما كان يقع في العهد المملوكي، ومن جهة أخرى كان الجنود العثمانيون لا يوفرون خاير بك، ولم تكن له مهابة في نفوسهم، فكان بعضهم يتعدى على الناس بغير وجه حق، قال ابن إياس : (وكانت

العثمانية الذين بمصر كثر منهم الأذى في حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم، وصاروا لا يسمعون لخاير بك كلاماً ولا له عليهم حرمة)... وكان قاضى العسكر العثماني يحاول منع ذلك قدر الإمكان ففي المحرم عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ذهب إلى خاير بك في القلعة وقال له: (انظر في أحوال المسلمين وإلا تخرب مصر عن آخرها، فقد فسدت الأحوال جداً ومتى بلغ الخنكار هذه الأخبار يرسل يضرب أعناقنا، ويقول لنا كيف كتمتوا عنى أخبار مصر، وغفلتوا عن أحوال المسلمين حتى جرى فيها ما جرى)^(١١٨).

ولا أظن أن الجنود العثمانيين كانوا سيوفرون أى أمير مملوكى أو يهابونه، فقد كانوا بالأمس القريب يقاتلونهم ويطاردونهم ويأسرون منهم، فهذه طبائع النفوس وتجريد الإنسان من طباعه ممتنع، ولم يكن ذلك غائباً عن السلطان سليم إلا أنه كان مضطراً لذلك كما تقدم بيانه، وكان يبذل قصارى جهده لإقرار العدل فكان يتابع الأخبار من مقره فى اصطنبول بصفة دائمة، فقد أرسل إلى خاير بك يأمره بأن يعاقب الجنود بشدة، قال ابن إياس : (ثم أشهروا المناداة فى القاهرة على لسان الخنكار حسيما رسم، بأن لا أحد من الانتكشارية)^(١١٩) ولا من الإصبهانية يشوش على الرعية وكل من شوش منهم على أحد من الناس يمسكه من طوقه ويتوجه به إلى عند خير الدين نائب القلعة أو قرا موسى). ثم إن السلطان سليماً أرسل فى طلب كمشيغا وإلى القاهرة بعدما وصلته شكاوى من ظلمه وتعديه على أموال الناس فسافر إلى اصطنبول، ولم يذكر ابن إياس ما حل به هناك^(١٢٠).

هكذا اضطر السلطان سليم لأن يحتمل سوء الإدارة المملوكية فى مصر مؤقتاً، حتى يتعرف رجاله على أسرارها ومن ثم يتولونها بأنفسهم، فابن إياس لم ير من الحكم العثماني إلا هذه السنوات الخمس فهو لم يعش ليرى تنظيم أحوال مصر على يد إبراهيم باشا فى عصر السلطان سليمان القانوني، وهو لم يعش ليرى صلاح أحوال القضاء بعد توحيد، وهو لم يعش ليرى أمن الفلاح بعد رفع المظالم عنه، وهو لم يعش ليرى أمن البلاد من الفتن الداخلية والصراعات على السلطة التى كانت سمة لعهد المماليك الجراكسة. لكن إن كنا نستطيع أن نلتمس العذر لابن إياس للأسباب التى تقدم ذكرها، فأى عذر عسانا نلتمس له لأساتذة التاريخ الذين نقلوا عنه هذا الكلام وأذاعوا به دون أن يقيموا وزناً لسانر المصادر المعاصرة للأحداث.؟.

ويناء على ما تقدم فليس لنا أن نعتد على تاريخ ابن إياس كمصدر وحيد بحجة أنه مصدر معاصر مع التغافل عن سائر المصادر المعاصرة، ولا ينبغي لأحد أن يفهم من كلامى هذا أننى أدعو على هجر كتاب ابن إياس !! كلا، فليس هذا من فعل العقلاء، فابن إياس مؤرخ له مكانة رفيعة وأثار بديعة، وهو ممن أفنوا أعمارهم فى تدوين التاريخ وكتابه كما ذكرت أنفاً أهم مصادر تاريخ السلطنة المملوكية فى الفترة التى عاشها، ولكنى أدعو إلى تناول بعض الروايات التى وردت فى الجزء الخامس من كتابه بحذر وتدقيق نظر، لاسيما فى الوقائع التى تفرد بذكرها دون سائر المؤرخين المعاصرين له، أو فى آرائه الشخصية. كما ينبغي دراسة المصادر المتأخرة نسبياً والتى شهدت الحكم العثماني على حقيقته كتواريخ ابن أبى السرور البكرى، ومرعى بن

يوسف الكرمي، وإبراهيم بن عامر العبيدي وكذلك المصادر التركية التي عاش مؤلفوها في مصر مثل (توادر التواريخ) لعبد الصمد بن سيدي علي بن داود الديار بكري الذي تولى قضاء دمياط عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، ثم أصبح مشيراً لداود باشا أمير أمراء مصر و (تاريخ مصر) لرضوان باشا زاده، و (تاريخ مصر القاهرة) لمحمد بن يوسف الحلاق، عسى الله أن يمن علينا بأساتذ في اللغة التركية ليترجم لنا هذه المصادر لينير لنا بها البصائر، فإن أكبر معضلة تواجه الباحث في التاريخ العثماني هي أن مصادر التاريخ سواء أكانت مخطوطة أو مطبوعة فهي باللغة التركية العثمانية، التي كانت تكتب بالأحرف العربية وكان آخر جيل من المؤرخين الذين كتبوا باللغة العربية عن التاريخ العثماني من واقع المصادر التركية هم محمد فريد بك والميرالاي إسماعيل سرهنك، وإبراهيم بك حليم في الربع الأول من القرن العشرين، لأن اللغة التركية كانت شائعة بين الباحثين في البلاد العربية آنذاك شيوع اللغة الإنجليزية في العصر الحالي، وكذلك فإن اللغة العربية كانت شائعة بين الباحثين الأتراك آنذاك، ثم بعد ذلك وقع الانقصاص التام، فلم يعد العرب يعرفون التركية ولا الأتراك يعرفون العربية إلا قليلاً منهم، ثم إن الأمر ازداد سوءاً في ثلاثينيات القرن العشرين عندما أمر كمال أتاتورك بأن تكتب اللغة التركية بالأحرف اللاتينية، كما أمر بأن تحذف منها الكلمات العربية والفارسية، مما يعد أكبر عملية هدم ثقافي شهدتها التاريخ فقد ترتب على ذلك أن الأتراك أنفسهم الآن لا يستطيعون قراءة مصادرهم التاريخية إلا بعد تعلم مخارج الحروف وكيفية نطقها والكلمات العربية والفارسية التي حذفت منها.

وقد أعمل في مصر وسائر البلاد العربية تدريس التاريخ العثماني في المؤسسات التعليمية لعقود طويلة وما زال هذا الإهمال قائماً حتى الآن، فالتاريخ العثماني لا يدرس إلا في بضع جامعات فحسب، وهو لا يدرس في المدارس على الإطلاق، فإن قيل أنه يتم تدريس التاريخ العثماني من خلال دراسة تاريخ العالم العربي الحديث أو تاريخ مصر في العصر الحديث، أقول هذا منهج سقيم جداً في التدريس، فمصر كانت إقليماً من أقاليم الخلافة العثمانية، صحيح أنها كانت إقليماً مميزاً، ودرجة السلطنة كما اصططلحوا على تسميتها إلا أن ذلك لا يغير من حقيقة كونها إقليماً، لا يمكن الاستغناء بدراسة تاريخه عن دراسة تاريخ الدولة المركزية، فدراسة تاريخ مصر في العصر العثماني لا تعدو عن كونها دراسة للأحوال الداخلية لأحد أقاليم الدولة، ولا يمكن أن ينبنا أيداً عن حال الدولة المركزية وعلاقاتها الدولية فهل يصح مثلاً أن يستغنى بتدريس تاريخ الإسكندرية مثلاً أو أسبوط أو أي محافظة من محافظات مصر عن دراسة تاريخ الدولة المصرية نفسها؟! ولا يخفى على كل ذي لب أن التاريخ العثماني ليس مما يمكن تجنبه أو إهمال دراسته وإلا فَنَ يمتنى لنا فهم تاريخ العصر الحديث فهماً صحيحاً، لأن السلطنة العثمانية كانت قلب العالم وأهم محور للأحداث العالمية في ذلك العصر، ولكن للأسف الشديد يحصل أغلب أساتذة التاريخ على جل معلوماتهم من خلال المراجع الأوروبية التي لا تخلو من سانس وأكاذيب، وشبهات وأباطيل، ولعل أبرز مثل على ذلك هو أقوال أكابر أساتذة التاريخ عن أسباب الفتح العثماني لمصر والشام، وعن دوافع حروب السلطان سليم ضد الصفويين والتماليك،

فكل ما كتبوه فى هذا الشأن لا يعدو عن كونه نقلاً لرؤية المؤرخين الأوروبيين من أمثال (بيتر هولت)، (فيليب برايس) (كارل بروكلمان) (أرنولد توينبى) وجل ما كتبوه إما باطل أو قاصر، لأن المؤرخ الأوروبي حتى وإن كان من المنصفين مثل (أرنولد توينبى) فَنَ يمكن من فهم أهداف مثل تلك الحروب ودوافعها فهماً كاملاً، لأنها ترتبط بثقافة غريبة عليه، مهما اجتهد فى دراستها فَنَ يملك مقاليدها، ولن يملك ناصيتها، وقد فصلت الكلام عن تلك المسألة وفندت أقوالهم فى كتابى (منهل الظمان لإنصاف دولة آل عثمان) (٢/٢٣٢.٢٦١). وجدير بالذكر أن اللوم والتثريب هنا ليس على المؤرخين الأوروبيين، بل على كل أستاذ فى التاريخ سمح لنفسه بالنقل عن كتبهم وكأنها الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتغافل عن مصادرنا التاريخية وزهد فى أقوال مؤرخينا الأقدمين كأننا أمة أمية ما كان عندنا علماء ولا مؤرخون !! . كما يقع اللوم والتثريب على كل أستاذ فى اللغة تقاعس عن أداء المهمة الحضارية المنوطة به من ترجمة المصادر التاريخية التركية والفارسية، بل واللاتينية والبيزنطية أيضاً إلى اللغة العربية، كل فى تخصصه.







حواشي البحث

- (1) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. نسخة إلكترونية (الموسوعة الشاملة) للإصدار الثاني. ج ١ ص ٢٢٩.
- (2) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ٢ ص ١٩٤١، ١٩٥٣، إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجلية اصطنعون ١٩٥١م. ج ٢ ص ٢٣١.
- (3) لقد نقلت نص كلام ابن إياس على ما فيه من أخطاء نحوية، حرصا على عدم التبديل.
- (4) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. ج ٤ ص ٤٧.
- (5) رسالة كرسوفر كولومبس إلى فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١. ترجمة حاتم الطحاوي، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م. ص ٢٧٦، ٢٨١.
- (6) بجاية، بغير الباء وفتح الجيم، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٣٣٩. وتقع حاليا في شمال الجمهورية الجزائرية شرق العاصمة الجزائر.
- (7) وهران، بفتح الواو وسكون الهاء وهي مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سري ليلة. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٥. وتقع حاليا في شمال غرب الجمهورية الجزائرية.
- (8) أصلها : أطرايس. بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء وضم الباء واللام. وهي مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض إفريقية. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ١ ص ٢١٧. وهي حاليا عاصمة الجماهيرية الليبية، وتقع في شمال غربها على ساحل البحر المتوسط.
- (9) قنصل فرنسا في طرابلس عام ١٨٧٨م، وصاحب كتاب : الحوليات الليبية.
- (10) شارل فيرو : الحوليات الليبية. ترجمة محمد عبد الكريم الوافي. جامعة قازوين، بنى غازى ١٩٩٤م. ص ٧٤، ٧٦، ٧٧. وأصل الخطاب موجود في دار محفوظات بلدة سيمانكس الإسبانية.
- (11) زين الدين المعبري : تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت عناية الحكيم السيد شمس الله القادري، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م. ص ٢٨.
- (12) سقطري، بضم السين والقاف وسكون الطاء، جزيرة عظيمة كبيرة فيها غدة قرى ومدن تتراوح عن جنوبها عنها. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. دار صاندر بيروت. ١٩٩٥م. ج ٣ ص ٢٢٧.
- (13) قلّيات، بفتح القاف وسكون اللام. مدينة بعمان على ساحل البحر إليها ترقا أكثر سفن الهند. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٣.
- (14) منقط، بفتح الميم وسكون السين وفتح القاف ((مدينة بنواحي عمان)) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٥ ص ١٢٧. وهي عاصمة سلطنة عمان حاليا.

- (15) هُرمُز : بضم الهاء وسكون الراء وضم الميم ((مدينة في البحر .. على بر فارس وهي فرسنة كرمان إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخرسان)) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٥ ص ٤٠٢. قلت : هرمز جزيرة في مضيق هرمز تتبع إيران حاليا.
- (16) عبد القادر العيروس : الثور المسافر في أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص ٥٨، ج.ج. لوريير : دليل الخليج. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. بدون تاريخ. ج ١ ص ١٢، ١٣.
- (17) ابن إياس بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٠٩، ٣٥٩.
- (18) ابن إياس بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٣٣١. وكَمَزَان، بفتح الكاف والميم والراء وهي جزيرة قبالة زبيد باليمن. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٢ ص ١٣٩. وتقع في جنوب البحر الأحمر.
- (19) هو السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح، وقد تسلطن من عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م وحتى عام ٩١٨هـ/١٥١٢م.
- (20) هي إحدى فرق الشيعة ولا يعترفون بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنها وأغلب الصحابة ضلوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال أنهم سمو رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين بابعوه وسع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر فأكثر ذلك على من سمعه منه، ففرق عنه الذين بابعوه فقال لهم رفضتموني ؟ قالوا : نعم. فيقال : إنهم سمو رافضة لقول زيد بن علي لهم رفضتموني انظر : ابن تيمية : منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقرية ج ٣ ص ٢٧٤.
- (21) إسماعيل بن حيدر بن جندب، وسمي بالصغوي نسبة إلى جده الأكبر الشيخ صفى الدين الأرنؤيلي صاحب زلوية صوفية في أرنؤيل، وبالرغم من أنهم كانوا جميعا من أهل السنة إلا أن الشاه إسماعيل هو أول من تشيع اعتنق الرفض، واجتمع حوله كثير من الناس فخرج من كيلان بجموعه سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م واستطاع أن يستولى على كثير من بلاد العجم حتى سقطت في يده تبريز مقر سلطنة ((آق قويونلى)) انظر أخباره عند حسين خوجه بن علي : بشارت أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. مخطوط في دار الكتب والبائات القومية رقم ٢١١٦ تاريخ طلعت. ورقة ١٢١.
- (22) تَبْرِيز، بكسر التاء وسكون الباء وكسر الراء. قال ياقوت : ((هي أشهر مدن أذربيجان)) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٢ ص ١٣. وتقع حاليا في شمال غرب الجمهورية الإيرانية، وتطلق بفتح التاء.
- (23) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٤٣.
- (24) النهروالى : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ليبزج، ألمانيا ١٨٥٧م. ص ٢٧٥.
- (25) حسين خوجه بن علي : بشارت أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٠٥، ١٠٧، يلماز لوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان محمود سليمان. مؤسسة الفيصل للتحويل. اصطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١١.
- (26) ج.ج. لوريير : دليل الخليج. القسم للتاريخي. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. ج ١ ص ١٤.
- (27) كانت البضائع تنقل إلى الإسكندرية عبر خليج يربط فرع رشيد بالإسكندرية. أو كانت تنقل برا.

- (28) أذربيجان، بمد الهمة وفتح الذال وسكون الراء وفتح الياء وسكون الياء، في أحد الأكوال. قال ياقوت: (حد) أذربيجان من برذعة مشرقا إلى أروزيجان مغربا... ومن مشهور مدالتها تبريز). انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان. ج ١ ص ١٢٨ فليس المقصود جمهورية أذربيجان الحالية، بل هي الأراضي الواقع حاليا شمال غرب إيران وجنوب شرق تركيا.
- (29) إسماعيل سرهنگ: حقائق الأخبار عن دول البحار. المطبعة الأميرية. بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م. ج ١ ص ٣٥٩، ٣٦٠، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٢٤١ - ٢٥٤. عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها. مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ٢٠٠٤م. ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٥. أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية. اسطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ص ٢٣٠.
- (30) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١١٩.
- (31) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٢٠١.
- (32) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٣٢٤.
- (33) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٤ ص ٢٨٥.
- (34) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٣٦٥، ٣٦٦.
- (35) إمارة صغيرة في جنوب الأناضول تابعة للسلطنة المملوكية ومن مراكزها ملطية وأبلستين. انظر القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول. تحقيق أحمد حطيطه فهمي سعد. عالم الكتب، بيروت. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ج ٣ ص ٩٨.
- (36) ابن زنبيل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢٢.
- (37) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٤٥٨، ابن الحمصي: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأكران. تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش. دار النفائس. بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ص ٥١٣، العبيدي: قلايد العقيان في مفاخر آل عثمان. مخطوط بمكتبة الإسكندرية ميكروفيلم رقم (٤٦٧٨). ص ٤٥.
- (38) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣٥.
- (39) الدهر والى: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (ص ٢٧٧)، الكرسي: نزهة الناظرين وأخبار الماضين في تاريخ من ولي مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلامين العادلين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم ٥٢٩٨. ورقة ٦٥، البكري: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. تحقيق ليلى الصباغ. دار البشائر. بون تاريخ. ص ٧٣.
- (40) ابن طولون: مفاتيح الخلال في حوادث الزمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ص ٣٣٣.
- (41) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة. المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٢٥.

- (42) وهو لقب أطلقه العثمانيون على الصفويين، لأنهم كانوا يلبسون غطاء رأس أحمر. انظر: البكري: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. ص ٧٣، حسين خوجه بن علي: بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٢٠. وتعلق ((كَزَلْ بَاش)) بكسر الكاف والزاي وسكون اللام وفتح الباء، مع تفخيم جميع الحروف، وهي كلمة تركية من مقطعين ((قَزَل)): أحمر، ((بَاش)): رأس. والمعنى ذو الرأس الحمراء.
- (43) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٦.
- (44) وتكتب أيضا ((عَيْن تَاب)) بفتح العين وسكون الياء. وهي قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان. ج ٤ ص ١٧٦. كانت آنذاك من أعمال حلب تابعة للمماليك، وهي الآن في جنوب تركيا.
- (45) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة. ص ١٤٠، أحمد فؤاد مقلبي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م. ص ١٣٤.
- (46) المعبري: تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. ص ٣١.
- (47) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٠٩، ٣٥٩.
- (48) الرسالة محفوظة برقم ٦٤٥٦ بمتحف طوب قيو باصطنبول، وقد نشرها عبد الجليل التميمي في بحث بعنوان ((أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة ١٥١٩))، للمجلة التاريخية المغربية تونس، العدد السادس، يوليو. تموز ١٩٧٦. نقلته من عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها. ج ٣ ص ١٨٤.
- (49) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢٢٦، ٢٣٠.
- (50) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٣٢٥.
- (51) المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ج ٦ ص ٣٦٨، ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديج العلوي الحسني الحضرمي، وساعده فيه سلطان محيي الدين كامل. تحت إشراف محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بالهند دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ج ٧ ص ١٥٢.
- (52) رواء أحمد (٤٨٥/٣٦)، أبو بكر بن الخلال في السلة (١٢٧/٤)، ابن حبان في صحيحه (١١١/١٥)، الطبراني في الكبير (٩٨/٨)، البيهقي في الشعب (٢٧/١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٠٥/٢).
- (53) العبيدي: فلايد العقيان في مفاخر آل عثمان. ورقة ٤٤.
- (54) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٦٢.
- (55) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٧٩.

- (56) هو أحد أمراء المماليك وكان نائب حماه في عهد السلطان قانصوه الغوري، ثم دخل في طاعة السلطان سليم مع فتحه مصر.
- (57) محمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٦٨.
- (58) محمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢١٩.
- (59) محمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣١٧، ٣١٨.
- (60) شمس الدين بن طولون : مفاكهة الخلال في حوادث الزمان. ص ٢٢٣، ٢٧٦.
- (61) وقائع تلك الفتن يطول ذكرها فمن شاء التفصيل فليرجع إلى ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٥٤، ٦٢، ٨٠، ٨٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٨.
- (62) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣٢٤، ٣٧٩، ٤٣١.
- (63) صلاح الدين أقحله السلطان سليم في مصر ولم يكن المماليك يستخدمونه. انظر ابن زنبيل : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. ص ٧١.
- (64) ابن طولون : مفاكهة الخلال في حوادث الزمان. ص ٣٨٧.
- (65) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٨.
- (66) ليوناردو الخيوسي : تقرير لبابا روما عن سقوط القسطنطينية، كرسوفورو ريشيرو : الاستيلاء على القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثماني للقسطنطينية ترجمة حاتم الطحاوي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م. ص ١٦١، ٣١٥. وانظر أيضا نيقولو باريلو : يوميات الحصار العثماني. ترجمة حاتم الطحاوي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م. ص ١٦٣.
- (67) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي. بيروت ٢٠٠٥م. ص ٤٦٨.
- (68) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ج ٢ ص ٤٣٦، انظر أيضا برنارد لويس : الإسلام والغرب. دار الرشيد دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٦٨.
- (69) برنارد لويس : الإسلام والغرب. ص ٦٨.
- (70) كلمة مطموسة بالأصل، أظنها : مركبين.
- (71) ثغر في الساحل الغربي للهند.
- (72) المعبري : تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. ص ٣١.
- (73) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٣.
- (74) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٧٧.
- (75) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٥٧.
- (76) الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التكمري. دار الكتاب العربي. بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. ج ٤٨ ص ٣٦.

- (77) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق على شيرى. دار إحياء التراث. بيروت ١٩٨٨/هـ ١٤٠٨م. ج ١٣ ص ٢٣٥.
- (78) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ج ٤٩ ص ٢١، الدين القسندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٧٨م. ج ٤ ص ٣٦، المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٢ ص ٢٨.
- (79) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر. ج ٢ ص ١٦٢.
- (80) المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٢ ص ١٠٧.
- (81) المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٢ ص ٣١.
- (82) ابن كثير: البداية والنهاية. ج ١٣ ص ٢٨٦.
- (83) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٤ ص ٩١، ٤٧٧.
- (84) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٤ ص ٤٧١.
- (85) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ١١٧.
- (86) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٤ ص ٣٤٥ - ٣٤٥.
- (87) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٦٥، ١٨٤، ٤٥٣.
- (88) سيد محمد السيد: مصر فى العصر العثمانى. القرن ١٦. مكتبة مدبولي. القاهرة. ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. ص ٣٨٧.
- (89) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٩.
- (90) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٩.
- (91) المقصود الفرسان، وهى تحريف للكلمة الفارسية ((منبأى)) وتكتب بحرف الباء المثناة، وتطلق ((P)) بسكون السين وفتح الباء وكسر الهاء، مع تغخيم جميع الحروف، وتعنى فارس.
- (92) خاير بك، الذى ولاء السلطان سليم الأول واليا على مصر.
- (93) من ألقاب السلطان العثمانى.
- (94) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٧.
- (95) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٢.
- (96) ابن شاهين: الإشارات فى علم العبارات. دار الفكر. بيروت. بدون تاريخ. ج ١ ص ٨٠٤.
- (97) الفيومى المقرئ: المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية بيروت. ج ١ ص ٤١.
- (98) رواء أبو داود (٣٦٩/٤)، الطبرانى فى الكبير (٢٦١/١٩)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (٢٢١/١).
- (99) رواء مسلم (٣٢٨/١)، أبو داود (١٥٥/١)، أحمد (١٢٥/٤٣)، أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه (١٥٦/٢) البيهقى فى السنن الكبرى (١٩٠/٣)، عبد الرزاق فى مصنفه (١٤٩/٣)، الطبرانى فى المعجم الأوسط (٤٨/٧)، أبو عوانة فى المستخرج (٣٩٧/١)، ابن خزيمة فى الصحيح (٩٨/٣).

- (100) المقرئى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ج ٣ ص ٢٨٧.
- (101) المقرئى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. ج ٣ ص ٢٦٧، ٢٦٨.
- (102) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٦ ص ٤١٣.
- (103) تقي الدين المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٧ ص ٣٥٠.
- (104) بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٨م. ج ١٥ ص ٩٤.
- (105) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٧ ص ٤٦٣.
- (106) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ١ ص ٤٤٨.
- (107) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٩.
- (108) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٣٦.
- (109) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٨.
- (110) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧. ابن زنبيل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى ص ١٨٤.
- (111) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٣٤، ٣٩٤، ٣٩٥.
- (112) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣٠٣.
- (113) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٦٥.
- (114) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٣. حسين خوجه بن على : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٣٩.
- (115) سيد محمد السيد : مصر فى العصر العثمانى فى القرن ١٦. ص ٣٦.
- (116) ابن زنبيل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى. ص ١٨٤.
- (117) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧.
- (118) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٣٣.
- (119) هو تحريف للفظه التركىة ((بكى جرى)) بحرف الجيم المثلثة، وحرف الكاف المثلثة فينطق عندئذ نونا فينطق اللفظ كاملاً ((بئى ثبرى))، يفتح الياء وكسر النون، وسكون التاء وكسر الشين والراء، وهى كلمة من مقطعين، وتعنى العسكر الجديد وهى إحدى أشهر وحدات الجيش العثمانى. انظر محمد أسامة زيد : منهل الظمان لإتصاف دولة آل عثمان. دار ابن رجب، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠١٢م. ج ٢ ص ٤١٤.
- (120) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣٢٩، ٣٣٨.

قائمة المصادر

- ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)
- ١- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ
- ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفى (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م).
- ٢- بدائع الزهور فى وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ / ١٣٧٢م).
- ٣- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)
- ٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن على بن حجر الصقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
- ٥- إنباء الفتر بأبناء العصر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديح العلو الحسنى الحضرمي وساعده فيه سلطان محيي الدين كامل. تحت إشراف محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العمالية بالهند. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ابن الحمصى : أحمد بن محمد بن عمر (ت ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م)
- ٦- حوادث الزمان ووفيات المشيخ والأقران. تحقيق عبد العزيز فياض حرقوش. دار النفايس، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي (ت ٣١١هـ / ٩٢٣م)
- ٧- صحيح ابن خزيمة. تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م
- ابن زنبيل : أحمد بن زنبيل الرمال (ت بعد ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م).
- ٨- واقعة السلطان التورى مع سليم العثماني. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٧م.
- ابن شاهين الظاهري : غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م).
- ٩- الإشارات فى علم العبارات. دار الفكر، بيروت.
- ابن طولون : شمس الدين محمد بن على بن أحمد (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م).
- ١٠- مفاتيح الخلائق فى حوادث الزمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير القيسى الدمشقى (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
- ١١- البداية والنهاية. تحقيق على شمرى. دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد المسجستاني (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م)
- ١٢- سنن أبي داود. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
- أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩ م)
- ١٣- مسند أبي داود الطيالسي. تحقيق د. محمد عبد المحسن التركي. دار هجر، مصر. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الإسفراييني (ت ٣١٦هـ/ ٩٢٨ م)
- ١٤- مستخرج أبي عوانة. تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي. دار المعرفة، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م
- أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩ م)
- ١٥- مسند أبي يعلى الموصلي. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، دمشق. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥ م).
- ١٦- مسند الإمام أحمد. تحقيق شعيب الأرنؤاط، عادل مرشد. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- إسماعيل باشا سرهنتك (ت بعد ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦ م).
- ١٧- حقائق الأخبار عن دول البحار. المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م.
- إسماعيل باشا ابن محمد أمين بن مير سليم الياباني البغدادي (ت ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١ م)
- ١٨- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجليلية، اسطنبول ١٩٥١م.
- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ م).
- ١٩- الجامع الصحيح. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- البكري: محمد بن أبي السرور البكري (ت ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦ م).
- ٢٠- المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. تحقيق ليلى الصباغ. دار البشائر.
- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥ م)
- ٢١- شعب الإيمان. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية. بيومياي بالهند. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م
- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م).
- ٢٢- سنن الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦ م).
- ٢٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. نسخة إلكترونية ضمن الموسوعة الشاملة الإصدار الثاني.
- حسين خوجه بن علي (ت بعد ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣ م).
- ٢٤- بشارت أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة. رقم (٢١١٦)
- (تاريخ طلعت. ميكروفيلم رقم (١٣٤٨٦).
- الحمدي: عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي (ت ٢١٩هـ/ ٨٣٤ م).
- ٢٥- مسند الحمدي. تحقيق حسين سليم أسد الدارلني. دار السقا، دمشق ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قِيَمَاز (ت ٨٧٤٨/١٣٤٧ م).
- ٢٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التكمري. دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الطبراني : سلیمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م).
- ٢٧- المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة. ونسخة إلكترونية ضمن المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- ٢٨- المعجم الأوسط. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعائي (ت ٢١١هـ/٢٢٦م)
- ٢٩- المصنف. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- عبد القادر العبدروس : عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م).
- ٣٠- التور السافر عن أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الفيومي المقرئ : أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م).
- ٣١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت.
- القلقشندي : شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).
- ٣٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨م.
- كرستوفر كولومبس.
- ٣٣- رسالة إلى فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١م، ترجمة حاتم الطحاوي ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م.
- الكرمي : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م).
- ٣٤- نزهة الناظرين وأخبار الماضين في تاريخ من ولى مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلاطين العاديين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم (٥٢٩٨).
- ليوناردو الخيوسى.
- ٣٥- تقرير لياها روما عن سقوط القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثماني للقسطنطينية. ترجمة حاتم الطحاوي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة (٢٠٠٣ م).
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤ م).
- ٣٦- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار التراث العربي، بيروت.
- المعري : زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي (ت بعد ٩٢٣هـ/١٥١٧م).

- ٣٧- تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت رعاية الحكيم السيد شمس الله القادري، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م.
- المقريزي: نقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
- ٣٨- السنوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ٣٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- النسائي: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م).
- ٤٠- السنن الكبرى. تحقيق حسن عبد المنعم شلبي. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- النهر والي: قطب الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٩٨٨هـ/١٥٨٠م).
- ٤١- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. لبيزج، ألمانيا ١٨٥٧م.
- نيقولو باريارو.
- ٤٢- يوميات الحصار العثماني. ترجمة حاتم الطحاوي، ضمن كتاب الفتح الإسلامي للقسطنطينية. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ٢٠٠٢م.
- ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).
- ٤٣- معجم البلدان. دار صادر. بيروت. ١٩٩٥م.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

قائمة المراجع

- أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك
١- الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية، اسطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- أحمد فؤاد متولى.
٢- الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.
- برنارد لويس.
٣- الإسلام والغرب. دار الرشيد، دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- بشرى خير بك.
٤- الدخول العثماني لشمال إفريقيا، ضمن الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية. المجلد الخامس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- ج.ج. لوريير.
٥- دليل الخليج. القسم التاريخي. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر.
- سيد محمد السيد.
٦- مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر. مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- شارل فيرو.
٧- الحوليات اللبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى. ترجمة محمد عبد الكريم الوافى. بنى غازى ١٩٩٤م.
- د. عبد العزيز محمد الشناوى.
٨- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٤م.
- كارل بروكلمان.
٩- تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي. دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥م.
- محمد أسامة زيد.
١٠- منهل الظمان لإتصاف دولة آل عثمان. دار ابن رجب. القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- محمد حرب.
١١- العثمانيون في التاريخ والحضارة. المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجلى بن آدم الأشقودرى الألبانى (ت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
١٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته. المكتب الإسلامى، بيروت.
- يلماز أوزتونا.
١٣- تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان محمود سليماني. مؤسسة الفصيل للتمويل اسطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

نتائج الاستعمار البريطاني علي جنوب الجزيرة العربية

د. حصة جمعان الهلالي الزهراني(*)

أهمية البحر الأحمر بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية :

كان البحر الأحمر، ولا زال، أهم طرق المواصلات البحرية في العالم؛ يحمل المواد التجارية من الشرق والغرب، في العصور السابقة والحالية، وأصبح الآن من أهم الممرات البحرية في العالم يحمل أهم السلع الاستراتيجية من الشرق والغرب، كما تحول أيضاً، من مجرد بحر داخلي، إلى أهم شريان مائي، ينقل البترول من مناطق استخراجه - في الخليج العربي وإيران وشبه الجزيرة العربية وأفريقيا - إلى أوروبا الصناعية، والولايات المتحدة الأمريكية، والصين وآسيا، وبقية دول العالم. ويفضل اكتشاف البترول في الخليج والجزيرة العربية، وبعض دول أفريقيا المطلة على البحر الأحمر، ويسبب الاحتياج النفطي المتزايد في أوروبا وأمريكا وآسيا، أصبح البحر الأحمر، بمميزاته وخصائصه الجيولوجية، أخطر محاور الصراع والتنافس الدولي، ومن أهم نقاط التحكم الاستراتيجية العالمية، باعتباره طريقاً حيوياً لنقل البترول، ومعبراً للتجارة العالمية، وطريقاً مختصراً لتدفق القوة العسكرية من البحر المتوسط، والبحر الأسود، والمحيط الأطلسي، والمحيط الهندي، والمحيط الهادي. وبهذه الميزات، ارتبط البحر الأحمر بالقرن الإفريقي جنوباً، كما ارتبط بقناة السويس، شمالاً، ارتباطاً عضوياً أمنياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، حتى أصبح محط أنظار المخططين السياسيين والعسكريين الإقليميين والدوليين، ومركز اهتمام واضعي القرار السياسي، ومحور صراعات معقدة بين القوى الدولية المتنافسة على النفوذ، وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتصارعة حول الهيمنة والنفوذ في المنطقة.

إن البحر الأحمر - من مدخله الشمالي عند السويس إلى مدخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الأفريقي - ظل ولازال يلعب دوراً مركزياً ومحورياً في الصراع في منطقة جنوب الجزيرة العربية والمناطق الحيوية من العالم، ويعتبر القرن الأفريقي، ممراً و بوابة للبحر الأحمر وخليج عدن، بالإضافة إلى الخليج العربي والمحيط الهندي.

(*) أستاذ مشارك بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.

١) الصراعات الدولية في منطقة جنوب الجزيرة:

مع مطلع القرن ١٧ بدأ الاهتمام البريطاني في جنوب الجزيرة العربية ومدينة عدن الاستراتيجية، كجزء من المنافسة التجارية الأوروبية، وخاصة مع البرتغاليين والهولنديين في المنطقة .

في عام 1609 بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية بإرسال أولى رحلاتها إلى مدينة عدن والبحر الأحمر، وأسست أول وكالة تجارية لها في ميناء مخا. وقد استطاع الإنجليز السيطرة على تجارة دول الجنوب العربي الخارجية وجزء كبير من تجارة اليمن، وخاصة تجارة البن.

بعد ذلك بدأت التجارة الأوروبية تتدرج في الهبوط على مدى فترة ستين عاماً. بحيث انحصرت، في الأخير، بين الإنجليز في الجنوب العربي واليمن، والفرنسيين في اليمن فقط. وتحولت المنافسة البريطانية - الفرنسية من ميدان التجارة إلى ميدان السياسة. مما أدى إلى أن تقوم الحكومة البريطانية بالإجراءات التالية :

- ١- إرسال قوة بحرية بريطانية إلى الساحل الشرقي لمصر؛ لمواجهة التوسع الفرنسي.
- ٢- التواجد العسكري في مدينة عدن والجنوب العربي، كموقع استراتيجي هام في البحر الأحمر على باب المندب وخليج عدن، لمراقبة السفن الفرنسية والتصدي لها، للحفاظ على نفوذها في المنطقة.

في عام 1802 عقدت بريطانيا أول معاهدة تجارية مع السلطان العبدلي، سلطان سلطنة لحج، الذي كان يحكم مدينة عدن، ويسيطر على موانئها الاستراتيجية، وبموجب الاتفاقية أصبح ميناء عدن مفتوحاً أمام السفن والبضائع البريطانية، وبموجبها تم تأسيس وكالة تجارية بريطانية في عدن، وضمنت الاتفاقية توفير الحماية للرعايا البريطانيين في السلطنة.

زادت أهمية عدن الاستراتيجية في السياسة البريطانية أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر - أكثر، عندما أرادت بريطانيا استخدام البحر الأحمر كطريق للمواصلات التجارية، بدلاً من الطريق البحري الطويل حول الرجاء الصالح، وكذلك اكتشاف البخار جعل بريطانيا، حينها، تجعل من مدينة عدن محطة لتموين السفن بالفحم، خاصة وأن ميناء عدن يقع في منتصف الطريق بين مدينة بومباي في الهند وقناة السويس. وقد كان القبطان هينس يرى بأن مدينة عدن هي المكان المناسب لاستخدامها كمحطة لتزويد السفن، وقاعدة تجارية وعسكرية

هامة، حيث كتب لإقناع حكومته قائلا: " إن المرفأ العظيم لمدينة عدن يمتلك من القدرات والإمكانات ما لا يملكه ميناء آخر في الجزيرة العربية. إن ازدهاره لاشك وأن يقضى على بقية موانئ البحر الأحمر فهو يحتل مركزاً تجارياً ممتازاً لاشك أنه أنسب الموانئ الموجودة لمواصلات الإمبراطورية عبر البحر الأحمر. وهو في وضعه الحالي صالح لاستقبال البواخر و تموينها في كل فصول السنة".

ومن العوامل التي سرتت بالاستيلاء البريطاني على مدينة عدن، ودول الجنوب العربي، وجود جيش محمد علي باشا، حينها، في تهامة وأوساط اليمن، والذي دخلها بهدف القضاء على الوهابيين. وقد كان يطمح لتأسيس إمبراطورية مصرية في الجزيرة العربية، وكان يشكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية، وخاصة إذا ما استولى على مدينة عدن الواقعة وسط الطريق البحرية إلى الهند. وقد كتب حاكم بومباي البريطاني إلى حكومته قائلاً: " إن مطامع محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية يجب أن تكبح قبل أن يستفحل أمرها ."

إن تجارة بريطانيا الخارجية في حاجة إلى خط مواصلات مضمون، وذلك بدوره يعتمد على وجود قواعد ساحلية يحسن اختيارها، ويقوم بحراستها الأسطول الملكي البريطاني الكبير. وفي 19 يناير 1839م دخلت القوات البريطانية، بقيادة القبطان هينس مدينة عدن عن طريق جزيرة صيرة، وكان ذلك بداية التواجد العسكري والسياسي البريطاني المباشر في مدينة عدن ودول الجنوب العربي، حيث تم بعد ذلك في 18 يونيو 1839م توقيع معاهدة صداقة مع سلطان سلطنة لحج، وتوالى بعدها معاهدات الصداقة بين بريطانيا وأمراء وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربي، والواقعين في كيانات صغيرة مستقلة بعضها عن بعض، مقابل الحماية والدعم المالي لهم ولمناطقهم، وأصبحت عدن، تدريجياً، يتعاظم دورها كقاعدة عسكرية وتجارية هامة. زادت المنافسة البريطانية الفرنسية على المنطقة، فاستولى البريطانيون على جزيرة ميون عام 1856، خوفاً من وقوعها بيد الفرنسيين، واستولى الفرنسيون على جزيرة أوبوك على الساحل الصومالي المقابل، عام 1862 خوفاً من وقوعها بيد البريطانيين. وهذه المنافسة على المنطقة مرتبطة بمشروع حفر قناة السويس في مصر، في الأعوام 1868 - 1867. تحولت عدن إلى قاعدة متقدمة للمملكة المتحدة أثناء الحملة ضد الأنابويين، مما زادها ازدهاراً وشهرة. في عام 1869 تم افتتاح قناة السويس في مصر وقد أدى ذلك إلى زيادة أهمية عدن الاستراتيجية، وقد توسعت الأنشطة الاقتصادية والتجارية، وتزايد مرور السفن في ميناء عدن، مما زاد من حجم تزويدها بالفحم والمؤن المختلفة، وازدهرت السياحة، وعقد الاتفاقيات التجارية والإنشائية، وتسهيل الاستيراد والتصدير، وفي المقدمة تصدير البن من إمارات وسلطنات

ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وخاصةً سلطنات باقع، وكذلك الين الآتى من اليمن. وكان ثلث موارد خزانة السلطنة العبدلية، فى لحج يأتى من معاملة سلطنة العبدلى فى لحج التجارية مع مدينة عدن. كما كانت سلطنة العبدلى فى لحج، حينها، المتعاقد والمحتكر الأكبر لتموين مدينة عدن، والقاعدة العسكرية البريطانية فيها، بالخضراوات والفواكه ومياه الشرب، والحشائش، وأغلاف المواشى، والملح والأيدى العاملة. كما لعب السلطان العبدلى فى لحج لفترة من الزمن، دور الممثل والوسيط بين إدارة المستعمرة فى عدن، ممثلة بالمعتمد السياسى البريطانى وبقية سلاطين وأمرأ ومشايخ الجنوب العربى؛ الذين كانوا بمثابة دويلات صغيرة مستقلة، فكانت تمر عبره إليهم المرتبات والمساعدات البريطانية.

كما كان لدى البريطانيين جهازان مختصين بشؤون الإمارات والسلطنات والمشيخات، فى دويلات الجنوب العربى؛ الواقعة خارج مدينة عدن، وهذان الجهازان هما :

١- القوة العسكرية الجديدة للأرياف، المعروفة بخيالة المجراد، وقد أتوا بها من الهند، وكانت مهمتها القيام بجولات استطلاعية متكررة إلى إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربى، لدراسة أحوالها العسكرية والاستراتيجية لوضع السياسات والحلول المناسبة.

٢- إنشاء الدائرة العربية، وتتبع مباشرة للمعتمد السياسى البريطانى فى عدن، وهذه الدائرة كانت المخططة والمنفذة للسياسة البريطانية؛ للتعامل مع القبائل داخل إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربى. وأصبحت أهم إدارة حكومية، وخاصة بعد إنشاء دار الضيافة الملحقة بها عام 1869. وكانت السياسة البريطانية تعتمد حينها أمام تلك المناطق، على دفع المرتبات لحكامها، وتقديم الحماية مقابل الولاء الكامل، دون التدخل أو الوجود العسكرى المباشر فيها، أو فى بعضها؛ إلا لتقديم الحماية والدعم. إلا أن هذه السياسة اختلفت بعد انحياز الأتراك إلى جانب ألمانيا، عندما كان الأتراك فى ذلك الوقت يحتلون اليمن، ويشككون خطراً مباشراً على النفوذ البريطانى فى المنطقة، وعلى دويلات الجنوب العربى.

٢) الصراع البريطانى العثمانى فى الجنوب :

بدأت الإمبراطورية العثمانية، بمساعدة ألمانيا، تمد الخطوط الحديدية إلى كل من العراق والكويت والجزيرة العربية. ومنذ 1849م أصبح لتركيا وجود فعلى على ساحل تهامة باليمن، وتمكن الأتراك من استكمال احتلال اليمن الشمالى حالياً (فى عام 1872 بشكل كامل). وهذا هو الاحتلال التركى الثانى لليمن الذى دام خلال الأعوام 1872-1918، كما كان الاحتلال الأول التركى لليمن خلال الأعوام 1538-1635، وبرغم وجود الأتراك باليمن حتى عام 1870، وعلى التماس المباشر مع البريطانيين الموجودين فى الجنوب العربى وعدن، إلا أن

البريطانيين لم يكن يقلقهم الوجود التركي باليمن حينها، كون الوضع في اليمن والجنوب العربي لا يشكل خطراً على النفوذ البريطاني في المنطقة، بالرغم من تواجد الأتراك في اليمن؛ فالجنوب العربي كان تحت الحكم البريطاني، وكان مقسماً إلى 22 دولة من الإمارات والسلطنات والمشايخات الصغيرة المستقلة بعضها عن بعض. وكان اليمن مقسماً حينها هو الآخر بين الأئمة في صنعاء، وأمرأ آل عريش في المخا ومدن ساحل تهامة، وكانت مناطق أواسط اليمن والحجرية مستقلة، وكان اليمن مجزأ إلى مناطق مستقلة استطاع الأتراك السيطرة الكاملة عليها وإخضاعها للحكم العثماني للأعوام 1872-1918، إلا أن الأوضاع الدولية والمحلية، في السبعينات من القرن التاسع عشر شهدت تغيرات مهمة؛ دفعت البريطانيين إلى تغيير سياستهم، والاهتمام التام بالمنطقة، وتعزيز السيطرة التامة على الجنوب العربي، وعاصمته مدينة عدن. بالإضافة إلى هذا، فقد تم فتح قناة السويس عام 1869، وبذلك زادت أهمية عدن الإستراتيجية.

كانت السياسة البريطانية، في البداية حينها، مرنة مع العثمانيين في اليمن، وتتبع نظام الصداقة مع أمرأ وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتنص تلك السياسة أن تدفع بريطانيا مرتبات شهرية وسنوية؛ لسلاطين وأمرأ ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتوفير المتطلبات الضرورية لدولهم، مقابل الإشراف البريطاني الغير المباشر عليها، وإبقاء الطرق إلى مستعمرة عدن آمنة ومفتوحة وتأمين وصول المواد الغذائية والخضار والفواكه والمنتجات المحلية إلى مدينة عدن، وكذلك عدم وقوع أي من تلك السلطنات والإمارات والمشايخات بيد أطراف خارجية.

أما ويعد أن أصبح الأتراك، المحتلين لليمن، على مقربة من حدود الإمارات والسلطنات والمشايخات المكونة للجنوب العربي، وبدأ الأتراك ضم بعض من إمارات وسلطنات ومشايخات الجنوب العربي إلى المناطق التي يحكمها الأتراك في اليمن، في كل من قطيفة والحجرية وماوية، فقد اتبع البريطانيون سياسة جديدة ونظاماً جديداً - هو نظام الحماية للتعامل مع الوضع الناشئ الذي حاول الأتراك فرضه. ويعني نظام الحماية هذا - أن سلاطين وأمرأ ومشايخ دويلات الجنوب العربي عندهم أن يوقعوا على اتفاقيات مع البريطانيين نيابة عن أنفسهم وعن وريثهم. وقد غطت اتفاقيات الحماية هذه في الثمانينات من القرن التاسع عشر كل سلطنات وإمارات ومشايخات ودويلات الجنوب العربي، من باب المندب غرباً إلى المهرة. ومنذ عام 1869 ظلت حضرموت سلطنتين مستقلتين مستقتلتين بعضهما عن بعض، باسم سلطنة القعيطي، وسلطنة

الكثيرون، إلى جانب سلطنة المهرة، وسلطنة الواحدي، في شرق الجنوب العربي، ويخضعان للحماية البريطانية حتى استقلال الجنوب العربي، في الـ 30 من نوفمبر 1967م.

أما في الجزء الغربي منه، فقد كانت للأتراك محاولات عديدة لفرض سيطرتهم على بعض إمارات، وسلطنات، ومشيخات، دويلات الجنوب العربي في تلك الفترة. وبدأت القوات التركية بالزحف لاحتلال مناطق السلطنات والإمارات الثلاث التابعة للجنوب العربي والنفوذ البريطاني، لذا وجد الإنجليز أنفسهم أمام العثمانيين، وتعرض المصالح والنفوذ البريطاني وحلفائه للخطر، وقد احتلت بعض الإمارات والسلطنات والمشيخات في الجنوب العربي، ووصلت إلى مشارف عاصمة سلطنة لحج. عندها شعر الإنجليز بجدية خطر الجار الجديد، وقامت الحكومة البريطانية بالاتصال بالحكومة العثمانية المركزية، في الباب العالي، في القسطنطينية، وتقديم إنذار شديد اللهجة، وبإمكانية وقوع الحرب بين الدولتين إذا لم توقف تركيا تقدمها، وتسحب من جميع المناطق التي احتلتها داخل الجنوب العربي. لكن في 24 أكتوبر 1873م قام المقيم المالي البريطاني في مستعمرة عدن بقيادة الهجوم البريطاني، وقاموا فوراً بالانسحاب من كل مناطق الجنوب العربي التي احتلوها في إمارات الضالع وسلطنة ألحوا شب ومشيخة العلوي، ثم بعد ذلك تم في أواخر عام 1873، الاتفاق بين بريطانيا وتركيا على ترسيم الحدود بين الجنوب العربي واليمن، حيث تم الاتفاق بين البريطانيين والأتراك على أن تكون حدود المناطق التي يسيطر عليها الأتراك والبريطانيين في كل من اليمن والجنوب العربي في عام 1873 هي الحدود الدولية بين الطرفين والجنوب العربي واليمن، واعترف البريطانيون بنفوذ الأتراك على اليمن، واعترف الأتراك بنفوذ البريطانيين على إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وأن على الأتراك المسيطرين على اليمن ومنذ عام 1873 عدم التدخل في شؤون إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي باعتبارها دويلات مستقلة بذاتها، وتقع تحت النفوذ البريطاني.

وفي عام 1905م اقترحت تركيا على بريطانيا: تشكيل لجنة مشتركة لتخطيط وترسيم الحدود الدولية بين البلدين: الجنوب العربي الواقع تحت النفوذ البريطاني، واليمن الواقع تحت النفوذ التركي، وقد تم تشكيل اللجنة بالفعل لترسيم الحدود، كما وجهت بريطانيا إنذاراً إلى الأتراك بمحجب جنودهم من بعض قرى إمارات الضالع التي احتلوها، وتم انسحابهم منها في نفس العام. وفي 20 أبريل 1905م وقع البريطانيون والأتراك، رسمياً، على اتفاقية تخطيط الحدود الدولية بين الجنوب العربي واليمن، وإعادة التوقيع عليها عند استكمال ترسيمها في 1914م، وقد أصبحت هي الحدود الدولية الرسمية بين البلدين والدولتين.

خلال الحرب العالمية الأولى 1918 - 1914م : احتدم الصراع بين الأتراك والإنجليز، لاحتياز كل منهما إلى الطرف النقيض والمعادي في الحرب، وكانا في خط التماس المباشر لتواجد الإنجليز في الجنوب العربي، وتواجد الأتراك في اليمن. في منتصف عام 1916 استخدمت لأول مرة الطائرات البريطانية في قصف مواقع الأتراك في بقية المناطق داخل سلطنة لحج المحتلة من قبل الأتراك، وفي نهاية عام 1916 إلى عام 1918م شهدت الجبهة العسكرية بين الأتراك والإنجليز نوعاً من الهدوء.

انسحب الأتراك من اليمن عام 1918م، وكانت هزيمتهم في الحرب نهاية للإمبراطورية العثمانية التركية الذي دام حكمها خمسمئة عام، وأخذ اليمن الشمالي حالياً استقلاله عن تركيا عام 1918م، وأعلن الإمام يحيى بن حميد الدين نفسه إماماً على اليمن، اليمن الشمالي حالياً وأسس المملكة المتوكلية، اليمنية وعين نفسه ملكاً لها. ودخل اليمن، بعد عام 1918م، مرحلة جديدة بعد التحرر من الأتراك، هي مرحلة الأئمة الزيدية، الممتدة خلال الفترة ما بين ١٩٦٢-١٩١٨م.

انتهت الحرب العالمية الأولى، وهزم الأتراك في الحرب، واتسحبوا من اليمن، وانتهت إمبراطوريتهم، إلا أن الإنجليز خرجوا من الحرب منتصرين، وأعادوا سيطرتهم على كل إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، لا بل وخرجوا من الحرب وهم يسيطرون على أهم موانئ ومدن اليمن الساحلية: مدينة اللحية، والحديدة الميناء الرئيسي لليمن، والذي سوف يكون السبب في توتر العلاقات بين دولة اليمن الجديدة ممثلة بإمامها، والإنجليز الموجودين في الحديدة باليمن، والحاكمين للجنوب العربي.

أهمية الجنوب العربي في الصراع البريطاني اليمني :

بانتهاى الحرب العالمية الأولى انسحب الأتراك من اليمن، وحصل على استقلاله الوطني، في عام 1918 برز الإمام يحيى كقوة جديدة في اليمن، في مواجهة الإنجليز ودويلات الجنوب العربي، بحيث سرعان ما توترت العلاقة بين الطرفين، نتيجة لسيطرة الإنجليز على مدينة اللحية ومدينة الحديدة الميناء الرئيسي لليمن، التي سيطرت عليهما بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر الإمام يحيى، ومطالبته بتسليمها إليه، إلا أنه نتيجة التحالف بين الإنجليز والإيرسي، أثناء الحرب ضد الأتراك وقرب مدينة اللحية من مناطق الإيرسي فقد سلمت بريطانيا مدينة اللحية إلى الإيرسي، وأبقت مدينة وميناء الحديدة تحت سيطرتها. طيلة

سنوات الحرب كانت مدينة عدن توصف بأنها 'قاعدة إمبراطورية'، مع التأكيد على دورها المتزايد في المجال العسكري والتجاري، واستقبال السفن والمواصلات، والتزود بالوقود .

في عام 1929 عقد أمراء وسلطين، ومشايخ دويلات الجنوب العربي، مؤتمراً عاماً لهم، برئاسة سلطان سلطنة لحج، بهدف تقوية الروابط فيما بينهم، وإيجاد صيغ تحالفية تمكنهم من مواجهة المخاطر الخارجية بشكل موحد، وفكروا حينئذ في إنشاء اتحاد فيما بينهم، ولكن لم يتوقفوا في تحقيق ذلك، وقد تمكنوا من تحقيق هدفهم هذا في 11 فبراير 1959م، بإتشاء اتحاد الجنوب العربي.

تم في 11 فبراير 1934م التوقيع، في مدينة صنعاء عاصمة اليمن على معاهدة اعتراف الإنجليز باستقلال اليمن، واعتراف الإمام يحيى إمام اليمن باتفاقية ترسيم الحدود الدولية، الموقعة في 1905م و1914م، من قبل تركيا وبريطانيا، لترسيم الحدود الدولية بين اليمن والجنوب العربي. وتحول الجنوب العربي إلى وزارة المستعمرات البريطانية بدلاً من الهند، عام 1937م وقسمت إلى قسمين من المحميات : المحميات الشرقية، والمحميات الغربية، وتم استبدال نظام الحماية السابق بنظام الاستشارة، وسياسة نظام الاستشارة تقضي بأن يكون لكل سلطان أو أمير أو شيخ، مستشار بريطاني ينصحه في كل المسائل التي تخص إدارة سلطنته أو مشيخته، وعلى الأمير أو السلطان أو الشيخ أن يقبل نصيحة ذلك المستشار، ويقوم بتنفيذها.

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية، 1945-1939م، كانت الحالة والموقف العسكري بين البلدين: الجنوب العربي واليمن هادئة. ولكنها في 1944-1943م كادت أن تتأزم، نتيجة تمركز قوات يمنية على ساحل البحر المقابل لجزيرة ميون، بالقرب من حدود البلدين، إلا أن اليمن قام بسحب قواته من هناك، بعد أن وجهت بريطانيا إنذار شديد اللهجة. وباتهاء الحرب العالمية الثانية زال الخطر الإيطالي الساحل الإفريقي المقابل اليمن، لانتصار الحلف البريطاني وهزيمة الحلف الإيطالي بالحرب.

أصبح النظام الأمامي باليمن، خلال الأعوام 1962-1959 منهاراً تماماً ونم يعد يسيطر على البلاد، حيث سادت التمردات القبلية والشمعية وأخذت المقاومة في المدن اليمنية لنظام الحكم تتوسع، والمنشورات الداعية لإسقاط نظام الإمامة تتوزع على طول وعرض اليمن، ومظاهرات الطلبة تعم المدن وكانت القبائل تنضم إلى الانتفاضة ضد نظام الإمام. وفي 22 مارس 1961م هبت ثورة قام بها الجيش اليمني وبها تغير النظام في يوم 26 سبتمبر 1962م إلى نظام جمهوري وإلى صراع جديد هذه المرة داخل اليمن؛ بين الجمهوريين في الحكم والملكيين خارج الحكم.

في بداية الستينات من القرن العشرين أصبح لمدينة عدن أهمية خاصة في الإستراتيجية الدولية، حيث أشار الكتاب الأبيض الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية، وكذلك، إلى نية بريطانيا في أن تبقى قواتها العسكرية في عدن، وذلك يعود إلى ثلاثة عوامل:

الأول: يتعلق بالاستراتيجية الدولية: فقد أصبح لمدينة عدن أهمية استراتيجية، ليس بالنسبة لبريطانيا فحسب، وإنما للمعسكر الغربي بأسره.

الثاني: يتعلق باستراتيجية البترول: فميناء عدن أصبح هو الذي يحمي آبار البترول في الخليج.

الثالث: بالاستراتيجية المحلية: لأن القاعدة ستحمي حلفاء بريطانيا المحليين في المنطقة.

أشار الاستعمار البريطاني الدينية:

في الوقت الحالي تنص المادة الثانية من دستور اليمن على أن الإسلام هو دين الدولة، و تكفل المواد (41) و (42) و (48) تساوي المواطنين وحرية الفكر والحرية الشخصية ويحدد القانون الحالات التي يجب فيها تقييد حرية مواطن، ولم تشر إلى دين المواطن بالتحديد. والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، وعليه فإن قانون الأحوال الشخصية وحقوق الأقليات يخضع لتفسيرات الشريعة، ويشترط الدستور على عضو مجلس النواب أن يكون مؤبدا للفرائض الدينية، بينما شرط الإسلام وأضح في شروط مرشح رئاسة الجمهورية. وتقدر نسبة المسلمين في اليمن بحوالي 99%، أي 1.5% من مجموع مسلمي العالم، وينقسم المسلمون في اليمن إلى مجموعتين رئيسيتين هما: السنة الشافعية، والشعبة الزيدية. وتبلغ نسبة الشافعية حوالي ٦٠-٧٠%، مقابل زيدية ٣٠-٤٠% وتوجد أقلية إسماعيلية صغيرة في شمال البلاد تعود بداياتها إلى أيام الدولة الصليحية والمملكة أروى بنت أحمد.

الأقليات: هناك أعداد قليلة باقية من اليهود في اليمن، إذ هاجر أغلبهم إلى إسرائيل والولايات المتحدة، وهم الأقلية غير المسلمة الوحيدة من سكان البلد الأصليين. ولليهود في اليمن شهرة بأنهم من أمهر الصاغة وصناع الخناجر التي تعد أبرز معالم الهوية اليمنية. وكانت الأعراف والتقاليد تمنع اليهودي، والمسلم غير القبلي من ارتداء الجناحي.

ووجدت أقلية هندوسية صغيرة جدا في عدن. ويوجد أربعة كنائس في عدن تمثل الوجود المسيحي والذين أغلبهم من الأجانب. وتعتبر الجزيرة العربية القلب النابض لمليار ومائتي مسلم، يمتدون عبر الكرة الأرضية؛ ولذا فهي تمتاز بخصائص وسمات تميزها عن بلاد الدنيا مجتمعة؛ ففيها بيت الله الحرام، وإليه يحج الناس كل عام، وإليه يتجهون في صلواتهم.

هذا الارتباط بين الإسلام ديناً والجزيرة العربية مكاتناً، وبين ساكنيه من جهة أخرى، أدركه المنصرون قديماً في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء ثلاثة قرون. وحديثاً قالوا « : لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة! » ، من أجل هذا كله ركز منصروا اليوم على الجزيرة، وعلى من يسكنها، ومن يحيط بها، وقد وجدوا بغيتهم في جنوبها وبالتحديد في بلاد اليمن البوابة الجنوبية المطلة على المحيط الهندي، حيث التقت هنا المصالح السياسية - الاقتصادية - الدينية، واجتمع النصارى وتداعوا لغزو جديد هدفه تحطيم بوابة العمق الاجتماعي للجزيرة بأسرها.

أهم الأسباب التي هيأت لعملية التنصير في اليمن هي:

- ١ - اندثار بعض شعارات الإسلام وعدم الدعوة إليها، لإحساس الجميع بأنهم مسلمون وكفى.
- ٢ - الجهل والامية؛ حيث بلغت نسبة الملمين بالقراءة والكتابة من البالغين 38% ، وهى من أدنى المعدلات في العالم. وأشارت آخر الدراسات إلى أن نسبة الأمية قدرت بحوالى 50% من السكان.
- ٣ - التردى فى الجانب الاقتصادى ، وضغوط البنك الدولى حيث أشارت بياناته إلى أن أكثر من 19% من سكان اليمن يعيشون تحت خط الفقر.
- ٤ - النظام الديمقراطي المفتوح، والدعم المغفوي التي تتلقاه المنظمات التنصيرية من بعض الجهات والشخصيات النافذة في البلد <http://Archivebeta.Sakha.org>
- ٥ - عدم وجود أهداف ثابتة وإستراتيجيات واضحة للدعوة بين كثير من فصائل العمل الإسلامى
- ٦ - الأوضاع الصحية التى تعد من أشد الأوضاع تدنياً فى العالم؛ فالفقر والحمل المتقارب، وانخفاض الوعى الصحى، وارتفاع معدلات سوء التغذية وتزايدها المطرد حيث وصلت إلى 15، 9% لعام 1996 م، وتشير البيانات الرسمية لوزارة الصحة إلى أن مجموع المواطنين المصابين بوباء الفيروس الكبدى يزيد على 3 ، 5 مليون مواطن.
- ٧ - ضعف الجانب العقدي، وغياب عقيدة الولاء والبراء، لدى فئات كثيرة في المجتمع.
- ٨ - حسن معاملة النصارى للبططاء والمتعاملين معهم في الشركات والمؤسسات.
- ٩ - إعجاب بعض أبناء المسلمين بمدرسيهم النصارى، والشعور بالفخر والاعتزاز لدى زيارة بعض النصارى لبيوت المسلمين.

١٠- تعدد واجهات العمل النصراني بين : معاهد دراسية - هيئات إغاثية - مراكز صحية - مراكز دراسات - مراكز ثقافية.

١١- ضعف دور المؤسسات الإسلامية، وانشغال كثير منها بقضايا داخلية أو جزئية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : متى بدأ التنصير في اليمن؟ ومن هي الجهات التي تقوم بذلك؟ وما هي أشكال هذا التنصير وصوره؟ وهل استطاع أن يحقق شيئاً من أهدافه؟

تشير التقارير إلى أن أول عمل تنصيري منظم بدأ بعد خمسينيات هذا القرن، وتركز أساساً في مدينة عدن وبلاد العرب الجنوبية، واستمر العمل حتى عام 1972 م، كما بدأ العمل في شمال اليمن من عام 1969 م إلى أوائل عام 1981 م.

هذا النشاط يتبع منظمة نصرانية تدعى : فريق البحر الأحمر الدولي (الذي أسسه المنصر) ليونل قرني في عام 1951 م ، والذي قضى سبعة عشر عاماً قبل هذا التاريخ في أعمال التنصير في الشرق الأوسط. كما يطلق على هذا الفريق مسمى آخر وهو : الخيامون (وهم النصارى القادمون للعمل في البلاد الإسلامية في مجالات مختلفة كالطب والهندسة والتعليم والتدريب. إلخ). وشعار هذه المنظمة : (الإسلام يجب أن يسمعنا، وهدفها نشر الإنجيل بين المسلمين). والمنظمة تعرف بنفسها أنها فريق البحر الأحمر الدولي RSTI منظمة عون دولية غير حكومية، ذات خلفية نصرانية، مركزها الرئيس في إنجلترا. وتحصل على الدعم من الكنائس والأفراد ومنظمات العون النصراني؛ ويدعم الفريق حالياً مشاريع تنموية في كل من جمهورية مالي، وجيبوتي، وباكستان، واليمن، وتنزانيا؛ وكل المشاريع خاضعة لموافقة الحكومة المضيفة، وتمتد الأنشطة، على نطاق واسع، في مجال التنمية الريفية والتعليم والصحة والدعاية الصحية الأولية والتعليم الأولى.

واستناداً لما سبق: فإن التعريف الخاص بالمنظمة يلزم حجراً لكل من يحاول التقليل من خطر المنظمات النصرانية أو إنكار أن لها أعمالاً تنصيرية.

أشكال التنصير وأماكنه وصوره داخل بنية المجتمع اليمني:

أولاً : الكنائس ودور العبادة:

١- الكنيسة الكاثوليكية بالتواهي : تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الواقعة في مدينة التواهي وعلى مقربة من القاعدة العسكرية البحرية اليمنية، أهم موقع كنسي نصراني تم افتتاحه في بداية

الخمسينيات، إبان الوجود البريطاني في محمية عدن، ويتبع حالياً المجمع الكنسي الكاثوليكي في مدينة لارنكا بقبرص، ولكنه يدار مؤقتاً من الإدارة الأنجليكانية بمدينه دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وربما تكون هذه الكنيسة هي أهم كنيسة على الإطلاق تم بناؤها في جنوب الجزيرة العربية، ولقد سعت الإدارة الأمريكية كثيراً بإعادة افتتاحها في عام 1995 م، وتم ذلك بمساعدة السفارة الأمريكية بصنعاء ودعمها؛ وذلك من خلال جهود سفيرها السابق السيد ديفيد نيوتن؛ حيث افتتح المركز الطبي الكنسي الملحق بها، والذي يقدم خدمات لكثير من طالبي الخدمات الطبية من أبناء المنطقة المحيطة بالكنيسة، كما أن التقارير ذكرت أن الصلوات تقام بها بشكل منتظم عصر كل يوم أحد، وقد اهتم الرهبان والراهبات، الذين يعملون في العيادة الصحية، كثيراً بالمقبرة النصرانية في منطقة المعلا التي تضم رفات الكثير من النصارى ممن توفوا في مدينة عدن.

٢ - الكنيسة المعمدانية بكريت - مدينة عدن:

كانت توجد كنيسة معمدانية في مدينة كريت عدن، لا تبعد كثيراً عن سوق الخضار، ولكن تم إلغاؤها وتحول المبنى إلى مبنى حكومي. وكانت الكنيسة تدار من قبل الكنيسة الأنجليكانية المعمدانية التي تتخذ من لندن مقراً لها؛ وسبب ذلك إهمال أعضاء تلك البعثة وتقصيرهم.

٣ - دور العبادة النصرانية بصنعاء:

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قامت بعض العناصر الإنجيلية النشطة، ويدعم غير مباشر من السفارة الأمريكية بصنعاء باستئجار مبنى يقع في الحي السياسي؛ وذلك لاستخدامه داراً للعبادة يوم الأحد، ولأداء بعض القداسات النصرانية كلما دعت الحاجة لذلك، كما يقام قداس يوم الأحد في المعهد الكندي - في مدينة حدة في إحدى الشقق المستأجرة لهذا الغرض في المجمع السكني.

٤ - دور العبادة النصرانية باب:

تقوم البعثة النصرانية المعمدانية الأمريكية، من خلال مستشفى جبلة المعمداني بمدينة جبلة بمحافظة إب، بدور كبير سواء فيما يتعلق بالدعوة للتبشير، أو القيام بأداء صلوات يوم الأحد بالكنيسة المعمدانية الملحقة بالمستشفى. ويقوم القساوسة والراهبات بدور إنساني - على حد زعمهم - وتتصيري من خلال زيارة النساء والفقراء ودور الأيتام والسجون. وقد استطاعت البعثة، وخلال سنوات عملها الطويل، إدخال بعض الأشخاص إلى الديانة النصرانية؛ إذ بلغ عددهم ما يقرب من 120 يمني.

ثانياً : النشاط الصحي:

- المركز السعودي بمدينة تعز في شارع الدائري : له نشاط تنصيري، ويحمل ترخيصاً من وزارة التربية والتعليم باسم تعليم اللغة الإنجليزية، وله نشاط خيري يَستَر وراءه لأعماله النصرانية، كما يقيم دورات لتعليم النساء التدبير المنزلي والخياطة.
- جمعية من طفل إلى طفل : مركزها الرئيس مدينة تعز، ولها نشاط في صفوف الأطفال المصابين بالعمى والخرس؛ حيث استطاعوا أن يؤثروا عليهم عن طريق تغيير الإشارات لديهم تهيئة لدخولهم في النصرانية، من دون أن يشعروا بذلك.
- منظمة أدرا في منطقته حيس تهامة : « وهي نشيطة جداً، وقد استطاعت أن ترسل كثيراً من الشباب إلى دول نصرانية مثل: سنغافورة والفلبين وباكوك: باسم الحصول على شهادات في اللغة الإنجليزية؛ كما يقومون بزيارات منظمة للمناطق النائية، مثل مديرتي العين والفقر؛ حيث يخيم عليها الجوع والفقر والمرض والجهل، ولك أن تتوقع النتيجة!
- المركز الصحي بالحديدة في شارع شمسان، ودار العجزة في شارع زايد؛ حيث يقوم المباشرون بدور رهيب في الاختلاط باليسطاء، وتقديم العون والمساعدة لهم. كما امتد نشاطهم إلى جامعة الحديدة، وخاصة في قسم اللغة الإنجليزية؛ حيث قاموا بوضع المنهج الذي يشوه الإسلام ويخدم التنصير.
- جمعية رسالات المحبة « بعثة الإحسان : « يمتد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة وخصوصاً بين المصابين بالجذام والأمراض العقلية، وكان لها ارتباط مباشر مع المنصرة الهندية الأم تريزا، وتقوم الجمعية حالياً بالعناية بأربع مائة مريض ومسن، وخمسة وثلاثين معوقاً، ولهم مقر ثابت، عبارة عن مبنى ملحق بالمستشفى الجمهوري بصنعاء، يضم حوالي عشر راهبات.
- داران لرعاية العجزة بصنعاء وتعز، وتشرف عليهما راهبات بعثة الإحسان التابعة للأم تريزا.
- جمعية أطباء بلا حدود وتتستر بالإغاثة، ولها نشاط تنصيري.
- معسكر اللاجئين الصوماليين بالبحرين بمدينة أبين، وتقوم المنظمات النصرانية بالدور ذاته بين هؤلاء الفقراء المسلمين؛ حيث نسيهم إخوانهم المسلمون.
- منظمة ماري ستويس وهي نشطة في مجال رعاية الأمومة والطفولة، وتدعم مشاريع تنظيم النسل.

ثالثاً : المنظمات المانحة:

منظمة أوكسفام: وتدعم العديد من المشروعات المتعلقة بالتنمية والتعليم والصحة والقات.
 منظمة اليونيسكو: وتدعم مشاريع البنية التحتية، وهدفها إزالة الخلاف بين المسلمين والنصارى.
 منظمة رادا بارنر: وتدعم المشاريع التي تتعلق بالطفولة.

رابعاً : النشاط السياحي:

نشرت صحيفة الثورة -كمثال- في عددها رقم 12542 ، بتاريخ 15/3/1999م عن وصول 800 سائح إلى عدن، فيما تصل 27 سفينة سياحية تستقبلها الموانئ اليمنية حتى نهاية شهر 3/1999م. وهؤلاء يقومون بالعديد من الأنشطة في تجوالهم داخل اليمن ومنها:
 ١- توزيع الإنجيل في المدن المختلفة ومنها الحديدة، حيث وزع الإنجيل في السوق المركزي، كما أقيمت الصلوات وحضرها السياح.

٢- توزيع مجلة بالعربية تسمى FISHERS ، وهي تدعو إلى اعتناق النصرانية.

٣- توزيع القصص المصورة النصرانية.

٤- توزيع بعض الهدايا والتقاويم التي تحمل شعار النصرانية؛ في صور مختلفة لكنائس عالمية.

٥- النزول إلى أماكن التجمعات في الأسواق، ومحاولة كسب قلوب الناس بالتصوير معهم.

٦- ومن أبرز نشاطهم ما حدث في منطقة الحسينية؛ حيث وزع بعض السياح شريط فيديو وكاسيت يدعو للنصرانية، وفي ختام الشريط يقوم المحاضر بتلقين المستمع الصلاة والترانيم النصرانية، للحصول على بركة المسيح.

خامساً : النشاط التعليمي الثقافي:

وأذكر هنا رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق هوارد ويلس حين قال : " التعليم في مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم وانتزاعه من قبضة الآلام ".

المعهد الكندي بصنعاء:

يستر هذا المعهد خلف تعليم اللغة الإنجليزية، ويتميز بقلّة التكلفة مقارنة بالمعاهد الأخرى وقوة منهجيته، وإقامة الرحلات والاحتفالات بنهاية كل دوره، ولا تريد إغارة المدرس عن عام واحد في اليمن، ويستمر المدرسون المغادرون بالتواصل مع طلابهم. ومن مناهجهم :

التعامل الخلاق مع طلابهم، وإثارة الشبهات بشكل فردي لبعض الطلاب، ولا يدخلون في مواضيع خلافية مع الطلاب مجتمعين. كما تزيد نسبة الطالبات عن الطلاب في المستويات الدراسية المتقدمة.

- أما المعهد البريطاني - المعهد الأمريكي - المعهد الفرنسي. فكلها تقوم بالمهمة نفسها، ومقرها صنعاء. ناهيك عن مراكز الدراسات التابعة لهم التي تيسر للمنصرين مهمتهم، وتتيح لهم التجول في اليمن بغرض البحث العلمي.

وتشارك كافة المعاهد في بعض الأعمال، منها:

١- توزيع بعض نسخ من الإيجل هدايا.

٢- منح دورات مجانية للمتفوقين، ورحلات تعليمية إلى أوروبا؛ حيث قدمت الحكومة الهولندية ثلاثين منحة، في عام 1997م لطلبة من الجامعات اليمنية، وبعدها قدمت الحكومة البريطانية ثلاثين منحة للكليات المختلفة.

٣- مساعدة الطلاب الذين يقعون في مشاكل مالية أو نفسية.

٤- القيام بالرحلات المختلطة لطلابهم.

٥- إثارة الشبهات عن الإسلام.

أما دور المؤسسات تجاه عمليات التنصير؛ فهو نشاط خجول يحتاج إلى إنكاء كالجمر تحت الرماد، ومنه الأنشطة التي قام بها مركز الدراسات الشرعية بمدينة إب؛ حيث أصدر في العدد الخامس من نشرته معلومات عن وسائل التنصير، وأبرز أنشطتهم ووسائلهم. كما قام بعض الدعاة، في مدينة عدن، بإقامة العديد من المحاضرات وتوزيع المطويات التي تحذر الناس من خطر التنصير.

أما موقف الحكومة اليمنية: فيوضحه لنا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن خلفية بعض الشؤون المهمة في اليمن، للعام 1998م، الصادر عن مكتب شؤون الجزيرة العربية والخليج الفارسي، بدائرة الشرق الأوسط في 30 مايو 1998م. " لكن نتيجة الغموض الذي يكتنف الدستور في اليمن، فيما يتعلق بالسماح بفتح دور للعبادة النصرانية، بالرغم من وجود النص الدستوري الذي يؤكد على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر كل التشريعات؛ إلا أن السلطات التنفيذية اليمنية المختصة؛ كثيراً ما تغض الطرف عن كافة الأنشطة الكنسية والنصرانية في عنوم اليمن ".

وسائل التنصير:

- الأولى : الخدمات الإنسانية : هم يقولون التبشير، السلام، الديمقراطية، الإنسانية. فالخدمات الإنسانية مثل : الإغاثة، والطب، والمساعدات من أهم ما يتوصلون ويتوصلون به. فهم يحملون الإنجيل بيد والعلاج باليد الأخرى، ونحن نعلم أن الأمم المتحدة بمنظماتها، والبنك الدولي، مثلاً منظمة الصحة العالمية، الصليب الأحمر، اليونيسكو، وغيرها، هي وسائل بيد مجلس الكنائس العالمي وعماله المغروسين في أنحاء العالم.

الوسيلة الثانية : التخريب الأخلاقي، فالكنيسة تدار فيها الخمر، وتقام فيها الحفلات الماجنة للمراهقين والمراهقات، من أجل استهواء الشباب وجلبهم إلى النصرانية. وخاصة إن كانوا من شباب المسلمين . ويسر لهم أسباب الفساد. يقولون : حاولنا أن نقف دونه، لكن عيثاً نحاول لأن قوانين البلد تسمح بإقامة المراقص والملاهي، ولو بجوار المساجد، فقد يبنون المساجد ومدارس للأطفال بجوار المسجد فاكشفوا فيما بعد أن هذه المدارس تعلمهم مبادئ المسيحية ولكن بطريقة غير مباشرة.

الوسيلة الثالثة : توزيع الكتب والكتيبات والمجلات، والدوريات، والصحف التي تخدم التنصير -المخصصة لهذا الغرض- بشتى اللغات، وبشتى الأساليب، وفي شتى الموضوعات، مع تعدد دس التشويه والكذب؛ في مثل هذه الدراسات والكتب والمقالات، هذا فضلاً عن التقاويم (الرزنامات) وفي كل يوم تجد التقويم مرصعاً بأية من الإنجيل مكتوبة بخط جميل ومنونة وزهري، وأشياء حقيقة تلفت الانتباه وتشد الذهن، وكذلك تطبع كروت التهاني مثلاً بالأعياد: أعياد الميلاد، الكرسمس، عيد رأس السنة، عيد القيامة، إلى غير ذلك من أعيادهم، ويخطوط جميلة وألوان، وصور يزعمون أنها لمريم أو لعيسى، أو فيها آيات من الإنجيل، إلى غير ذلك. فضلاً عن نشر الصلبان في كل مجال وفي كل ميدان، في الملابس، في السيارات، في الأواني، في الذهب، في كل شيء نو تأملت تكاد تجد صليباً موضوعاً على عمد، وأحياناً الملايين منها توزع بالمجان، وترسل بالبريد لمن يريد، ويعملون عن طريق الإذاعات. وتبث هذه الإذاعات بأكثر من ثمانين لغة، ولها صناديق بريد في العواصم العربية وغيرها، وتستخدم المراسلة والمطبوعات وغيرها للتواصل مع مستمعيها .

سادساً: الرياضة : هناك خطة أن يتولى النصارى العرب الاتصال والتنصير فدياً هناك، وتوزيع النشرات والأفلام، وعناوين المؤسسات التنصيرية في العالم على الحضور وعلى المسافرين إليها. سابعاً: العمل الاجتماعي في مجال المرأة والمجتمع :

فمن ذلك - مثلاً - منظمة فيليبينية لتصيرية اسمها " منظمة شدي"، وكلمة شادي عدهم بلقتهم معناها : الرب، هذه المنظمة تهتم بشكل خاص بالمرضى والمعوقين وأصحاب المشكلات النفسية والذين يواجهون صعوبات في حياتهم. والغريب في الأمر: أن هذه المنظمة لها نشرة اسمها " شادي" ومجلس الكنائس العالمي - وهو ربما أعنى منظمة مسؤولة عن التنصير - حشد الآلاف من المربيين - كما يقول رئيس إرسالية التنصير في الشرق الأوسط: إن مجلس الكنائس العالمي أرسل الآلاف من المربيين والخادعات والمرضات والأطباء والمهندسين لدعم خطة لتنصير المسلمين عام ألفين. "هم مصررون على أن يتحول المسلمون عام ألفين إلى نصارى، ولذلك استخدموا حتى: المربيين، والخادعات، والمرضات، والأطباء، والمهندسين. ويقول هذا المسؤول: إن هؤلاء الذين أرسلوا قد اتخذوا الوسائل والأسباب التي تمهد لهم التوغل في جزيرة العرب!

ثامناً : المراسلات: وهى من أخطر ما يكون، وأتجح الوسائل لسهولة وصولها فى الغالب وإمكانية تداولها، وهى تعدد الصدقات، وترسل الكتب، والأشرطة، والمجلات، مجاناً إلى من يريد.

آثار الاستعمار البريطاني السياسية والاجتماعية:

أولاً : الآثار السياسية :

تتعدد المحددات الاجتماعية التي كان لها تأثيرها على الاستقرار السياسي في اليمن، ومن بينها تبرز المحددات والأدوار التالية:

أولاً: دور القبيلة:

يتكون المجتمع اليمني من عدة قبائل، ويبلغ تعداد القبائل اليمنية أكثر من (160) قبيلة منها حوالي (140) قبيلة في المناطق الجبلية، وما يقرب من (27) قبيلة تقطن المناطق الساحلية وتهامة، وهناك ثلاث قبائل أساسية، تعتبر كل واحدة منها الأم لمجموعة من القبائل الأخرى التي تتفرع منها وترتبط بها عضويًا. وتعيش حياة زراعية مستقرة، ورعوية في قرى منظمة ومتطورة إلى حد كبير، إضافة إلى خصوبة الأرض، وكثرة هطول الأمطار التي وفرت مصادر حدث من الصراعات والتمسك بالعصبية القبلية. كانت العلاقة بين سكان هذه المناطق والسلطة علاقة جباية عن طريق المشايخ، وما رافق ذلك من تصف المشايخ بالرعية، والذي أدى بدوره إلى علاقة عدائية بين الطرفين. وهناك عدة عوامل ساعدت على تفكك العلاقات القبلية في مناطق الوسط، والجنوب في العصر الحديث، منها: أن الزعامات القبلية في مناطق

الوسط هم من كبار ملاك الأرض والذي تحولوا في ما بعد إلى طبقة برجوازية، وظهر الصراع الطبقي بين المشايخ كبار الملاك وطبقة الفلاحين، كما ارتبط مشايخ هذه المناطق بالسلطة المركزية التي تعينهم على السيطرة على الرعية، ولا يشارك مشايخ هذه المناطق في السلطة بطريقة مباشرة، كما هو الحال في مناطق الشمال، وإنما تنتهي مهمتهم بإدارة الصراع في مناطقهم، بما يحقق مصلحة السلطة المركزية. وتطور الصراع بين الرعية والمشايخ مع تطور الصراع بين الشطرين حيث ظهرت انقسامات في هذه المناطق، وحدثت حروب دامية زادت من تفكك العامل القبلي، وعند ظهور التعددية الحزبية كانت تلك المناطق أكثر المناطق ميولا للحزب، كنظام بديل عن التنظيمات القبلية. وتنقسم هذه القبائل بالحفاظ على العصبيّة القبلية والتي لعبت دورا في حالة عدم الاستقرار السياسي في اليمن، وإتباع المذهب الزيدي الذي يبيح الخروج على الوالي فقد ساعدت تلك العوامل على أن تظل تلك القبائل في حالة حرب مستمرة، فجميع الرؤساء الذين حكموا اليمن ينتمون إلى المنطقة القبلية الأكثر تعصبا: حاشد ويكيل.

ويتضح أن المناطق المتعصبة قبليا تمكنت من الاستئثار بالسلطة المركزية، كما احتفظت بسلطاتها المحلية في مناطقها، وأصبحت تمثل دولة داخل دولة ولهذا فإن النظام السياسي القائم على الجهوية، ومركزية الحكم في مناطق قبلية محدودة، يعد نقطة ضعف حيث يهدد هذا النظام الوحدة الوطنية، والتماسك القومي. ومن مظاهر إخلال القبيلة بالاستقرار السياسي في اليمن:

1. الثأر القبلي: فكثيراً ما تقوم الحروب، والثارات القبلية في اليمن، حيث بلغ مجموع هذه الحروب في العقد الأخير من القرن العشرين (407) حروب، وثارا قبليا، وغالبا ما تكون تلك الحروب والثارات نتيجة انتشار ثقافة العنف المسلح، والمشروط بتوافر الأسلحة الخفيفة والثقيلة والتي تنتشر في اليمن بشكل واسع حيث تقدر بعض الجهات وجود ما يقارب (60) مليون قطعة سلاح تنتشر في أنحاء اليمن، ويشير تقرير تقدم به مجلس الشورى إلى وقوع 1979 حالة قتل في إطار الثأر القبلي خلال عام 2001 م في محافظات صنعاء، وعمران، وذمار والبيضاء .

2. التغيرات الاجتماعية والتآكل المطرد للمعايير العرفية، وضعف الحكومة وانتشار السلاح، والتنافس على مصادر المياه الشحيحة، واحتدام التنافس بين الزعامات الدينية، غذت الصراعات القبلية.

3. الصراع السياسي بين القوى الحزبية، حيث تحدث الثارات القبلية على خلفيات سياسية، وتنتشر هذه الحالة في المناطق الوسطى.

4. الاختطافات القبلية: حيث تلجأ القبائل إلى عملية الاختطافات، كوسيلة متعارف عليها قبليا وكانت هذه الظاهرة محصورة بين القبائل المتصارعة، حيث يمثل اختطاف أحد أفراد القبيلة وسيله ضغط على القبيلة الأخرى، في قضيه النزاع، وعند تطور دور الدولة في الحياة الاجتماعية الاقتصادية استخدمت القبائل الاختطاف في الضغط على الدولة، وانتقلت هذه الظاهرة فيما بعد لاختطاف الأجانب الوافدين إلى اليمن، نتيجة زيادة الدور الأجنبي في الحياة السياسية والاقتصادية والمساعدات؛ كوسيلة ضغط على الحكومة اليمنية والحكومة الأجنبية في نفس الوقت، لتحقيق مصالح القبيلة.

فغالبا ما تقدم القبائل على الاختطاف لعدة أسباب منها : الحصول على خدمات أو مشاريع عامة، والضغط على الحكومة لتوظيف العديد من أبناء القبيلة، وقيام بعض النافذين بالاستيلاء على أرض تعود ملكياتها لأحد أبناء القبيلة، والضغط لإطلاق مساجين على ذمة قضية خاصة أو عامة، أو لإنهاء نزاع معروض أمام القضاء منذ فترة طويلة، ومطالبة بعض القبائل التي تقطن المناطق النفطية، أن يكون لهم نصيب في النفط المستخرج من مناطقهم. وعلى الرغم من أن ظاهرة المجالس والمؤتمرات القبلية تعود إلى الستينات من القرن الماضي، بعد ثورة 26 سبتمبر، إلا أن القبائل لجأت إلى عقد تلك المجالس، والمؤتمرات القبلية بعد التعددية الحزبية، فإذا كانت التعددية الحزبية قد أعلنت عام 1991م فإن أول مؤتمر قبلي، انبثق عنه مجلس قبلي، كان في نفس العام وهو مؤتمر التلاحم الوطني.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ثانياً: التقسيم الطبقي:

يعد التقسيم الطبقي من العوامل المثيرة للصراعات، والاختلافات، كون الطبقة تؤدي إلى حتمية الصراع الاجتماعي، وتأتي المنافسة بين الطبقات المختلفة من عوامل بناء تركيبة المجتمع الاقتصادي والسياسي، والصراع الطبقي نتيجة حتمية لانعدام العدالة الاجتماعية، ويتكون التركيب الاجتماعي المعاصر في الجمهورية اليمنية من خمس مراتب :

الأولى : تضم مشايخ القبائل، وتقوم غالبا على أساس وراثه المشيخة والزعامة القبلية.

والثانية : تشمل فئة السادة والقضاة والفقهاء.

والثالثة : وتحتوي ثلاث فئات متقاربة ومتداخلة هي: الاعيان العقال، وفئة أمناء القرى وفئة جمهور القبيلة، والمزارعون المستقرون أو البدو الرحل.

والرابعة : تضم الفئات الحرفية والمهنية، والتي تمارس حرفاً ومهننا وضبعة قبلياً تحرم الأعراف القبلية على رجل القبيلة القيام بها، وهذه الفئات هي: الصناع، الجزارون، الحلاقون، الدواشين. والخامسة : وتضم فئة الخدام واليهود.

والتقسيم الطبقي في اليمن يقوم على أساس وظيفي مهني في جميع المراحل التاريخية، كما ظلت القبيلة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، والتي يتم من خلالها وداخلها الفرز الطبقي للمجتمع.

إلا أن التقسيم الطبقي في عهد الإمامة الزيدية كان واضحاً وشاملاً، كونه اتخذ كأساس للحكم، وانتقص من حق الأغلبية فظهر الصراع الطبقي ثم الثورة والحرب، وعلى الرغم من أن الثورة قامت ضد الطبقية؛ إلا إن المجتمع اليمني ظل يحافظ على هذا التقسيم الطبقي حتى اللحظة في إطار المجتمع القبلي، فحلت فئة مشايخ القبائل محل السادة في الطبقة العليا بعد الثورة، فالتقسيم الطبقي في اليمن يطرأ عليه بعض التغيير في المراتب العليا حسب التغير في الوضع السياسي، ويلعب التقسيم الطبقي دوراً في حالة عدم الاستقرار السياسي. فنتيجة للفرز الطبقي قامت أحزاب وتيارات سياسية ذات أبعاد مذهبية، وأخرى ذات أبعاد سلالية ذات اتجاهات سياسية. وعلى الرغم من أن التعددية السياسية، والحزبية لعبت دوراً في خفض وطأة التقسيم الاجتماعي، عن طريق منح العضوية، والمقاصب لجميع الطبقات كما مثلت الانتخابات عامل مساواة بين الطبقات من خلال ضمان حق جميع الأفراد في الترشح، والانتخاب إلا أن الأحزاب تفضل غالباً استرضاء مشايخ القبائل، واستمالتهم للانضمام إليها على حساب حرية الطبقات الأخرى التي تندرج في الطبقات الدنيا في سلم التقسيم الطبقي داخل القبيلة ذاتها. ولا زالت الطبقية، والتقسيم الاجتماعي تنخر في جسد المجتمع اليمني، فوفقاً للتقسيم الطبقي القائم على أساس قبلي، مثلاً يحرم التزاوج بين الطبقات فلا يمكن لغرد من طبقة القبائل أن يتزوج من طبقة لا تنتمي إلى نفس الطبقة، أو أعلى منها وإن أقدم على ذلك فإنه يتعرض للقتل أو النفي. وقد كشفت عن وجود حالات رق، وعبودية في محافظات يمنية ويقف وراء استمرار حالة الرق والعبودية: محاباة النظام السياسي لمشايخ القبائل، والذي يعتمد عليهم النظام في عملية الحشد والتأييد في الانتخابات العامة. وتقدر بعض المصادر عدد المهتمشين من طبقة الاخدام في اليمن بما يقارب 800 ألف نسمة وأسست هذه الشريحة منظمة الأحرار السود بهدف الدفاع عن حقوقهم، ونتيجة للهوة التي تفصل هذه الشريحة عن الشرائح الأخرى من المجتمع فإنها تمثل فتيلة موقوتة للأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي، كما تمثل مشكلة لليمن أمام الدول، والمنظمات الأخرى. إن التغييرات التي طرأت على الوضع الاقتصادي، والأخذ بنظام الرأسمالية

والخصخصة، كان لها تأثير في التركيب الطبقي في الجمهورية اليمنية، حيث اتجهت بعض الطبقات مثل طبقة المشايخ، والقادة العسكريين إلى مزاولة النشاط التجاري، والذي كان محصورا في طبقة التجار، ونتيجة سيطرة هذه الطبقة على الثروة، إلى جانب السلطة السياسية، حدث فرز جديد في المجتمع اليمني على أساس طبقي اقتصادي، ونتيجة لافتحام تلك الطبقة للمجالات التي كانت مقصورة على الطبقة الوسطى؛ تلاشت الطبقة الوسطى التي كانت تعزل بين الطبقتين الدنيا والعليا، فاتسعت شريحة الطبقة الدنيا مدعومة بتلاشي الطبقة الوسطى حيث أصبح 50% من عدد السكان تحت خط الفقر.

الخاتمة:

وهكذا رأينا أن هذه الفترة شهدت محاولات لتدخلات أجنبية، كان هدفها هو تدمير أرض جنوب الجزيرة وياب المندب، اذن بجانب التنافس السياسى الذي شهدته هذه المنطقة، شهدت ايضا تنافسا تجاريا بين الحكومات الأوروبية من جهة، والمحلية من جهة أخرى. ورأينا كيف كانت الغلبة البريطانية أولا ثم أعقبها حركات ثورية كان هدفها الاستقلال وطرد المستعمر الذي حاول طمس الهوية الدينية من هذه المناطق، لكن لم يقف المسلمون مكتوفى الأيدي أمام الحملات الصليبية القديمة والجديدة، التي استهدفت تدمير المدن وإراقة الدماء. والدور المطلوب اليوم من العلماء وطلبة العلم، والمؤسسات التعليمية الإسلامية، وهيئات الإغاثة، والجمعيات الخيرية - جد كبير؛ فيجب أن تتوحد الجهود، وأن يعلم الجميع بأن وسائل المواجهة هي ذاتها أساليب الدعوة؛ فهدفنا نحن المسلمين ليس مجرد المواجهة والصد، بل يتعدى الأمر أكثر من ذلك وهو: الدعوة إلى الله بحيث نسعى إلى هداية هؤلاء المنصرين أو بعض منهم، ولا شك أن من أهدافهم الهيمنة على البلاد التي يكون لهم فيها وجود ينكر بأي وسيلة.

المراجع

- بشرى الغيلي، حجة محافظه الفصول الأربعة والتقسيم الطبقي، موقع حديث المدينة بتاريخ 16 يوليو 2010م.
- الثغورات القبلية وتحرير الاقتصاد أضعفا أصحاب الدخل المحدود (بتاريخ 26/3/2011م).
- جابر بن يحيى البواب، اليمن وظاهرة الإرهاب الدولي 2007-1990م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، الجزائر، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2008م
- جاد طه، سياسة بريطانيا في اليمن الجنوبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969 م .
- جميلة العيسى، الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر، العبيكان، 1421 هـ.
- حسن خضير أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، القاهرة ، مكتبة مديبولي ط 11996
- خالد محمد القاسمي: الوحدة اليمنية حاضرا ومستقلا ، بيروت ، ط 1987 م.
- خديجة الهيصمي، سياسة اليمن في البحر الأحمر- القاهرة ، مكتبة مديبولي ط 2002 م
- دستور الجمهورية اليمنية/المواد 64/107 ، نت
- عبد الله أحمد بن أحمد، أهمية الجنوب العربي في الاستراتيجية الدولية.. 15 Feb 2004 /
- عبد الوهاب محمد الروحاني، اليمن خصوصية الحكم والوحدة والديمقراطية، القاهرة. مكتبة مديبولي ط 2008 1.
- عبد العزيز قائد المسعودي - اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة (1967-1911م)، مصر، القاهرة، ط 2006 م.
- عبداللطيف الحميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط1، الرياض، 1415هـ.
- عبدالواسع الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر، ط 2، 1366هـ.
- عبدالواسع اليماني، تاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط 2، 1402هـ.

- علي الصراف، اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار للوحدة، ط1، لندن، 1992م.
- فاروق أباطة، الحكم العثماني في اليمن، بيروت، ط2، 1979م.
- مجلة الأسرة، العدد (83)، العدد (155) رجب 1421 ، أكتوبر ٢٠٠٠.
- محاضرة تسجيلية للشيخ سلمان بن فهد العودة. مما شاهد وسمع وقرا.
- محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ط2، الرياض، 1402.
- محمد عمر الحبيشي، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا منذ عام 1937م وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة، بيروت، 1970م.
- محمد محسن الظاهري، المجتمع والدولة، دراسة العلاقة القبلية بالتعددية السياسية والحزبية الجمهورية اليمنية نموذجا القاهرة ، مكتبة مدبولي ط1 2004م
- محمد محسن الظاهري، الدور السياسي للقبيلة في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط1 1996م.
- المركز الوطني للمعلومات. نبذة تعريفية عن محافظة الضالع 2011.
- المركز الوطني للمعلومات. نبذة تعريفية عن محافظة عدن 2011.
- مسح آثارى لمدينة عدن الكبرى، مديرية صيرة -كريت- المومع الأول 2004 م -اعداد الهيئة العامة للآثار عدن. منشور في :صحيفة/ 26 سبتمبر/ رقم العدد 1230 : السبت 09 مارس - آذار 2013
- ناصر محمد الطويل - الحركات الإسلامية والنظام السياسي في اليمن من التحالف إلى التنافس، مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
- اليمن في الوثائق السرية الأمريكية، رسائل متبادلة بين الشيخ عبد الله ووزير خارجية واشنطن وتقسيم الحكومة الطائفية بلفت انتباه دبلوماسي أمريكي
- http://almasdaronline.info/index.php?page=news&article=section=12&news_id=9943
- مدرسة الصراع الطبقي <http://www.rafed.net/books/aam/edalah-ejtemaeyye/06.html>
- مجلة البيان، قضية عربية : الاختطاف في اليمن. المشكلة الآثار الحلول <http://www.albayan.ae/one-world/1-2-1998-06-02-1.1018731>

- عمر العملي، النظام يتقاضى عن مشكلة العبودية خوفاً من خسارة حلفاءه، المصدر أون لاين 6/2/2010 http://www.almasdaronline.com/index.php?page=news&article-section=1&news_id=9303
- عبده عايش، حروب الثارات في اليمن تؤدي بحياة المئات وتقلق الأمن والسلم، مقال مسجل من مجلة العلوم الاجتماعية، الصادرة 15 ابريل 2011 م
- <http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=867>
- <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- <http://forums.ibb7.com/ibb28072.html>
- <http://h-almadena.net/index.php?action=showDetails&id=2049>
- <http://sh.rewayat2.com/public/Web/6417/003.htm>
- <http://wikimapia.or>
- <http://www.hdrmut.net/vb/showthread.php?t=414024>
- <http://www.oxfam.org/en/>
- <http://Archivebeta.Sakhril> <http://www.sudanile.com>
- Muslim Population by Country*. The Future of the Global Muslim Population. Pew Research Center. Library of Congress – Federal Research Division
- U.S state Department
- <http://www.al-tagheer.com/news28099.html>
- 2001 <http://www.yemenviolence.org/pdfs/Yemen-Armed-Violence-IB1-Arabic.pdf>